# دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية

715 ق.م – 950 ق.م

أ.د.ة / أم الخير العقون



# دولة الأمازيغ
# في مصر الفرعونية
950ق.م-715ق.م



أ. د. أم الخير العقون





**Dépót Légal: 2015-6661**
**ISBN:978-9947-66-055-3**
**EDITIONS**
**DAR ELQODS EL ARABI**


**84 cooperative elhidaya belgaid – ORAN**
**Tel: 0556230762-0792339956 FAX: 041503206**
**quds_arabi@hotmail.fr**





## إهداء

إلى روح والدي "الطاهر العقون"

تغمده الله برحمته الواسعة



هذا العمل هو في الأصل رسالة دكتوراة دولة في التاريخ القديم وعلم الآثار، نوقشت سنة 2004 .

والأمازيغ من الأقوام الليبية التي ورد ذكرها مبكرا في نقائش الآثار المصرية تحت تسمية الرّيبو ثم تحورت كاصطلاح عند الاغريق فظهر مصطلح الليبو- الليبيم ثم الليبيين. ويعد موضوع" دولة الليبيين المشواش الأمازيغ" التي تأسست مع بداية الألق الاولى قبل الميلاد لتحكم مصر الفرعونية، تتمة من الناحية الزمنية.لبحث آخر قد تم إنجازه في رسالة ماجستير من جامعة الاسكندرية سنة1988، تحت عنوان "العلاقات السياسية والحضارية بين مصر وشمال غرب افريقيا منذ أقدم العصور الى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد".

## مقدمة

لم تكن العلاقات والصلات بين مصر وغرب شمال إفريقيا (ليبيا) وليدة العصر التاريخي بل هي قديمة قدم الإنسان في شمال إفريقيا وقد كانت هذه المنطقة الفسيحة الممتدة من البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، مسرحا واسعا لتجول الإنسان وتنقله بين الأودية والعيون والواحات خلال المراحل المناخية المناسبة.

وأثناء المسيرة الطويلة الشاقة من أجل تطويع الطبيعة، مورست تأثيرات وحدثت صلات متبادلة بين طرفي شمال إفريقيا شرقها وغربها، انتهت في آخر المطاف باستيطان الليبيين وإنشاء دولة الليبيين الأمازيغ في مصر الفرعونية.

ويبدو أن الإغريق مثلهم مثل سابقيهم قدامى المصريين قد لاحظوا الوحدة العرقية للقبائل التي كانت تقطن الإقليم الممتد من السرت الكبير بما في ذلك الصحراء ولغاية المحيط الأطلسي، لذلك أطلقوا اسم إحدى هذه القبائل وهي قبيلة الليبوعلى بقية القبائل ومنها على الإقليم فظهرت تسمية المنطقة ب "ليبيا". وقد شهدت هذه التسمية تطورات عبر التاريخ وتراوحت حدود الإقليم بين اتساع وانكماش، لتقتصر في بداية القرن الأول ميلادي على مقاطعة إفريقية الرومانية فقط.[1] وتنتقل التسمية بعد ذلك إلى جزء آخر من البلاد وهو إقليم "برقة"، ثم تختفي بعد ذلك لتظهر من جديد سنة 1934عندما أطلق الإيطاليون على مستعمرتهم في ولايتي طرابلس وبرقة اسم" ليبيا ".

وهكذا نلاحظ بأن مدلول الكلمة لم يكن ثابتا ومستقرا جغرافيا وأنه عرف من المنظور التاريخي تطورات عديدة، وربما لهذا السبب يفضل جمع من المختصين تسمية " لوبة" ومنها "اللوبيون"، حتى يبرز في رأيهم، الفرق بين

---

1 - S.Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du nord. Tome 5. Les royaumes indigènes. Réimpression de l'édition 1921-1928. Osnabrück: 1972, p.104.

"اللوبيين" وهم سكان المغرب الكبير قديما والليبيين وهم سكان ليبيا الحالية.[1]

غير أنه من الدارج بين المختصين، بأن ليبيا في التاريخ القديم إنما نقصد بها ذلك الإقليم الذي يمتد من مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا ليتوغل بعد ذلك في الصحراء جنوبا.

فإذن، ليبيا ومصر بلدان كان يضمهما إقليم طبيعي واحد، يشمل كل شمال إفريقيا والجانب الأكبر من الصحراء الكبرى. ولقد كانت هذه المنطقة سباقة في ظهور النشاط الأول للإنسان طيلة فترة العصور الحجرية. ولما حدث التميز الحضاري في شمال إفريقيا إنما كان في مركزين أساسيين: أحدهما شكل نقطة الارتكاز وجذب السكان، نتيجة ظروف تضاريسية ومناخية معينة، الأمر الذي أدى إلى توصل المصريين إلى اكتشاف الكتابة وبالتالي الدخول في العصور التاريخية وسطوع الحضارة، فسجلوا انتصاراتهم وفتوحاتهم على جدران المعابد؛ في حين تمتعت منطقة غرب شمال إفريقيا بتميز حضاري من نوع خاص لم يرق إلى مستوى الحضارة الفرعونية ولم تساعده على ذلك ظروف البيئة والمناخ على الرغم من توفر التجربة..

وانطلاقا من هذا الأساس نتساءل كيف تجرأ الليبيون الأمازيغ الذين عرفوا في المصادر المصرية باسم المشواش والمعروفون عند الإغريق والرومان فيما بعد باسم الماكسيز والمازيس على أصحاب أعظم حضارة؟ وتمكنوا من دخول مصر وحكم شعبها؟

هل تم ذلك عن طريق إرسال جيوش جرارة هزمت جيش الفرعون؟ وإذا صح ذلك كيف تمكن الليبيون من احتلال مصر وإبقائها تحت سلطتهم لفترة تزيد عن القرنين؟ وكيف كان موقف شعب مصر وجيشها من هذا الاحتلال

---

[1] محمد حسين فنطر، "اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة" في المجلة إفريقية للدراسات الفينيقية - البونيقية والآثار اللوبية، عدد 12، منشورات المعهد الوطني للتراث، تونس 2002، ص.ص: 46-47.

وحكم الليبيين الأمازيغ لهم؟ أم أن للأمر خلفية تاريخية يجب الإلمام بها، من أجل فهم الموضوع وكشف بعض خفاياه.؟.

إن تأسيس دولة الليبيين الأمازيغ في مصر، لم يأت فجأة مع مطلع الألف الأولى قبل الميلاد دون مقدمات، فقد أشارت المصادر الفرعونية إلى قدم العلاقات المصرية الليبية وتحدثت عن عدم كلل القبائل الليبية ومحاولاتها الدائبة للنزوح إلى مصر وأرجعت سبب هذه التوغلات إلى فقر وجدب ليبيا، ثم تحدثت بعد ذلك، عن ردع الجيش المصري لهذه القبائل وعودته محملا بالغنائم الوفيرة... وفي هذا مفارقة صارخة، فمن جهة القول بكثرة الغنائم من ماشية وأغنام وكنوز ومن جهة أخرى وصف ليبيا بالفقر والجدب.؟؟

وعليه يمكن افتراض بأن استماتة الليبيين الأمازيغ لدخول مصر إنما كان لأسباب أخرى غير المناخ والجدب وما إليهما.

لذلك فإن البحث في موضوع دولة المشواش الأمازيغ في مصر الفرعونية متشعب ومعقد إلى حد بعيد ويواجه البحث فيه صعوبات جمة ومنها:

أن معظم الدراسات والأبحاث المتوفرة في الموضوع، تعتمد بالدرجة الأولى على المصادر المصرية المتمثلة في نصوص ونقوش الآثار وكذلك ما دونه الكاتب الكاهن المصري "مانيتون" في القرن الثالث قبل الميلاد عن تاريخ مصر الفرعونية وإن تلف وضاع هذا الكتاب في حريق مكتبة الإسكندرية الشهير خلال عام 48 ق.م، إلا أن "جوزفيوس فلافيوس" كان قد اقتبس عنه قبل تلفه، ثم نقل "جوليوس أفريكانوس" بدوره عن سابقه..

وعليه، فليس تحت يد الباحثين سوى مصدر واحد، هو في حقيقة الأمر قراءة أحادية للأحداث وبالمقابل تنعدم المصادر الأصلية في الجانب المحلي، مصادر تغطي هذه الحقبة المهمة من تاريخ بلاد المغرب القديم قبل نزول الفينيقيين والإغريق على السواحل نظرا لتأخر الليبيين الأمازيغ في التوصل إلى وسيلة التدوين.

في حين سجل الكاتب المصري أخبار جيرانه في فترة فجر التاريخ – على الرغم من ذاتيتها- وزودنا بالكثير عن القبائل التي كانت تعيش من النيل شرقا وإلى غاية المحيط الأطلسي غربا.

وهذا المصدر من نوع خاص جدا، فهو لم يؤلف من قبل قدماء المصريين عن أحوال الشعوب وتاريخ الأمم وجغرافية البلدان وإنما كان ذلك تخليدا بأسلوب دعائي لانتصارات الفرعون المصري على الليبيين.

وباستثناء النصوص الأدبية، فلا وجود لكتابات تاريخية مصرية عن ليبيا، ذلك أن ما كتبه "مانيتون" إنما كان تأريخا لملوك مصر وأسرها فقط، بما فيهم الملوك ذوي الأصل الليبين.

إن المتتبع لتاريخ الليبيين القدامى - سكان المغرب الكبير - سواء في المصادر الأدبية أوالأثرية، يدرك الشح الكبير والندرة الغالبة على أخبارهم الاجتماعية، عدا ما حوته من مقارنة بأخبارهم السياسية والعسكرية، فالآثار المصرية وإن تناولت جيرانها في الغرب لهدف يخصها، إلا أنها بطريقة غير مباشرة تغطي جزءا مهما من الفراغ الموجود في مرحلة فجر التاريخ في بلاد المغرب القديم وكيف عاشها الليبيون وتميط اللثام عن المكونات الأساسية للقبائل الليبية، صفاتهم، عاداتهم، عتادهم، منظوماتهم الاجتماعية وأنشطتهم الاقتصادية والسياسية... وكل هذا نجده في المصدر المصري،وقد كان المصريون أقرب من غيرهم من سكان ليبيا إقليميا، اثنيا وربما لغويا.

وعلى الرغم من أهمية ما تشير إليه المصدر المصري عن الليبيين، فإن الكثير يبقى مجهولا، لأن المكانة التي شغلتها أقوام ليبيا في أعماق التاريخ المصري الفرعوني لها قيمتها الكبرى.

وإن تعرض المصدر المصري للأقوام الليبية القريبة من النيل ودلتاه، فالحقيقة أن القبائل الليبية كانت متواجدة في مناطق وأجزاء أخرى من ليبيا الفسيحة، في قلب الجبال في فزان، التاسيلي والأهقار وإلى جانب

الأودية الكبرى في الساورة، التافسست والتامنغست وفي الصحراء. وقد كانت الأقوام تتنقل بين هذه الربوع بكل حرية لا يوقفها أو يعوقها أي حاجز، طبيعيا كان أو غيره...

إن ما جاء في المصدر المصري يفند ويدحض إلى حد بعيد الاقتناع الذي ساد في أذهان بعض المؤرخين، بأن بلاد المغرب القديم بقي في غياهب العصور الحجرية، حتى مجيء الفينيقيين والإغريق الذين أدخلوه الحضارة من أوسع أبوابها...

أما الصعوبة الثانية فتكمن في قلة الوثائق الأثرية والأدبية في مصر مع بداية الألف الأولى قبل الميلاد عكس المرحلة السابقة لها (مرحلة الإمبراطورية المصرية)، والسبب في ذلك هو عدم الاستقرار السياسي من جهة وعدم محافظة طبيعة تربة الدلتا المصرية ومناخها الرطب على المصادر وخاصة البرديات منها وهي نفسها الفترة الحرجة التي وصل فيها المشواش الأمازيغ إلى عرش الفراعنة.

وعلى الرغم من قلة المادة التاريخية، تبقى دراسة هذه الفترة إلى حد كبير تخص تاريخ مصر أكثر منه تاريخ ليبيا، لكننا نعتقد أنه بالدراسة المتأنية لسياسة الحكام المشواش في إدارة شوؤن دولتهم الفتية، نلمس بعض المستجدات على السياسة المصرية المعتادة، وما هي في الحقيقة إلا تقاليد ليبية وممارسات ليبية بقيت راسخة في أذهان المشواش الليبيين ثم طفت عل السطح عندما تولوا الحكم وقد كان هذا هو الدافع من دراستي هذه المرحلة بقراءة جديدة ومغايرة، باستقراء مغاربي للأحداث التاريخية.

فإذا كنا في هذا الشح والندرة في الوثائق، نفتقد أي أثر للملوك والقادة المشواش مع وطنهم الأم، باستثناء أخبار متناثرة هنا وهناك، إلا أننا نستطيع القول بأن الفراعنة ذوي الأصل الليبي، قد أعطوا أهم الوظائف في الواحات الليبية أو رئاسة القوافل المؤدية إليها، لشخصيات من البيت المالك أو مقربة

منه وفي هذا إشارة إلى مكانة هذه المناصب وخطورتها وحساسيتها وإلى اهتمام الملوك ذوي الأصل الليبي بهذه المناطق المؤدية الى الوطن الأم..

والمؤكد هو أن ما في حوزتنا من قرائن ومكتشفات لا يمثل سوى النزر القليل مما تم العثور عليه وأن ما هو في غياهب المجهول كثير، وقد يغير في المستقبل العديد من الآراء..

# الفصل الأول

## ليبيا: الأرض والسكان

## أ- ليبيا ومدلولها عبر التاريخ

باديء ذي بدء، يجدر بنا أن نشير إلى أننا نقصد من وراء كلمة "ليبيا" المدلول التاريخي، ولا نقصد منها التعريف اللغوي الذي يجعلها اشتقاقا من كلمة "لوب" أي أرض الجفاف والعطش. وهو في واقع الأمر مناف تماما للواقع الجغرافي والتضاريسي للبلاد أو الإقليم، أو قد يصدق على جزء دون آخر.

كما أن المدلول الجغرافي لأسماء الأقاليم والدول في القديم، لم يكن محددا واضحا كما هو عليه الحال في أيامنا هذه، بل كانت البلاد تسمى غالبا باسم الشعب أو القبيلة التي تسكنها. وبالتالي فمن الأمور الشائكة التي تعترض سبيل الباحث في التاريخ القديم هو تمييز وتبيان حدود ثابتة لذلك الإقليم أو البلد الذي أطلق عليه الإغريق اسم ليبون وألبون، والذي هو من أصل كلمة مصرية هي "ليبو"، المحورة عن أصل كلمة "ريبو RBW"؛ وهي اسم قبيلة سكنت غرب دلتا مصر.

واستنادا إلى النصوص المصرية القديمة، فإن هذه القبيلة قد سمع عنها لأول مرة في عصر الفرعون "مرنبتاح" في أواخر القرن الثالث عشرة ق.م. وبالتالي فقد استعملت هذه التسمية في مصر الفرعونية في فترة متأخرة فقط، أي في آخر عهد الدولة الحديثة لتشير إلى الأرض والشعب بعد ذلك.

ويبدو أن الإغريق مثلهم مثل قدامى المصريين، قد لاحظوا الوحدة العرقية للقبائل التي كانت تقطن الإقليم الممتد من السرت الكبير بما في ذلك الصحراء وإلى غاية سواحل المحيط الأطلسي، لذلك أطلقوا اسم الجزء (قبيلة الريبو) على كل القبائل ومنها على الإقليم. غير أن هذا الاستخدام لم يكن ثابتا مستقرا، فقد تطورت المسميات عبر التاريخ واختلفت حسب ورودها في المصادر المصرية، وكذلك الأمر في المصادر الكلاسيكية وأهمها كتابات المؤرخين والجغرافيين من الرحالة اليونان والرومان.

فإذا رجعنا إلى المصادر المصرية الأولى في بداية عهد الأسرات حوالي 3200 ق.م، نجد أن قدماء المصريين قد أطلقوا على البلاد التي تقع غرب النيل

اسم عاما هو-أمنت IMNT– بمعنى الغرب، ويذكرنا هذا بالمصطلح المعاصر "المغاربي والمغرب" الذي استخدم لاحقا للإشارة لنفس الإقليم- دون ذكر حدود معينة أو إلى أي مدى تتوقف هذه البلاد.

والسبب في ذلك قد يكمن في أن العلاقات الداخلية الأصلية التي كانت تربط أحد البلدين بالآخر منذ عهد ما قبل التاريخ، كانت تتعدى تلك العلاقات السياسية الظاهرة التي نراها في العهد التاريخي.

فالمصري لم يكن يميز الشريط الضيق الذي كان يربط بلاده بجارتها ليبيا قط، وكذلك كان الحال في أعين الليبيين.

ففي غضون عصر ما قبل التاريخ ثم عصر فجر التاريخ، كانت شمال إفريقيا بمثابة فضاء واسع تتنقل عبره القبائل والمواشي، ولم تكن الصحراء قد أخذت صورتها النهائية بعد، وبالتالي لم تكن تمثل عائقا أو حاجزا طبيعيا أمام تنقلات هذه القبائل.

لكن الأمر بدأ في التغير، مع ظهور مؤسس الدولة المصرية "مينا"– نعرمر – الذي وضع حدودا سياسية لأول دولة موحدة في العالم القديم، وكان ذلك حوالي 3200 ق.م.

فوجدت القبيلة الواحدة بعض فروعها خارج هذه الحدود، ومن بقي داخل حدود الدولة الناشئة أصبح له انتماء ووطن وحدود. أما من وجد نفسه خارج هذه الحدود ولغاية المحيط الأطلسي، فقد اتخذ نمط حياة خاص به، تميز بالتنقل والاستقرار المؤقت، وبالتالي كان وطنه يمتد أحيانا للشرق لغاية نهر النيل، وينكمش أحيانا أخرى.

لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة والبساطة، فالباحث في تاريخ ليبيا القديم، لا يجد أمامه سوى المصادر و"الوثائق" التي خلفها قدامى المصريين بتسجيل أخبارهم وأخبار جيرانهم، منذ أن بدأوا بتدوين تاريخهم في فترة ما قبل الأسرات؛ وقد زودونا بالكثير من الأخبار عن القبائل التي كانت تعيش غرب الدلتا..

لقد لاحظ المختصون في دراسة النصوص المصرية القديمة وفحصها، بأن هذه المصادر مليئة بالفجوات والثغرات، والسبب يكمن في انها لم تهدف في المقام الأول تسجيل جوانب من تاريخ غيرها من الشعوب المجاورة، وإنما جاء ذلك متضمنا تسجيلها لجوانب الحياة المصرية نفسها وعلاقة مصر بجيرانها في الغرب، التي كانت تميزها المناوشات العسكرية عموما. لذلك فهي مصادر "عدائية" تمثل الطرف الآخر أي الخصم.

وهو الأمر الذي دفع الأثرى الإنجليزي "أوريك بيتس ORIC BATES"، إلى القول في دراسة مستفيضة عن الليبيين: "بأنه يجب أن لا يدعى تاريخ الليبيين قبل هيرودوت، تاريخا بالمعنى المفهوم".[1]

ونتبين من خلال تفسيرات "بيتس"، بأن الوثائق المصرية تصور لنا نزاع الليبيين مع أقوام أقوى منهم، وهذه الوثائق هي في الواقع تقارير عسكرية للجانب الآخر.

وأعتقد بأن الكتابات اليونانية وخاصة في بداية اتصالها بالعالم الإفريقي، لم تعن إلا بما كان محاذ وقريب من مستعمراتهم في برقة، متجاهلين وغير آبهين بما كان في عمق البلاد الليبية.

وأخبار هيرودوت عنها – مثلا، يشوبها الغموض والتهويل والتشويه أحيانا..

ومع ذلك فليس أمام الدارس سوى هذه المادة، وعليه أن يستخلص منها ما أمكن ليعطي صورة عن ليبيا والليبيين في تلك الفترة –فجر التاريخ – لأن أرض ليبيا تكاد تكون خالية مما يمكن اعتباره وثائق حول تاريخها قبل نزول الفينيقيين والإغريق على أرضها، باستثناء الرسوم الصخرية.

وآمل أن تساهم الرسوم الصخرية كمصدر موضوعي وخام، خلفه لنا سكان المنطقة - أسلافنا من القبائل الليبية– في توضيح بعض النقاط، وأن يكون أكثر نفعا لنا وأجدى. ويجب الانكباب عليه والاستعانة به في تحديد أماكن

---

1- Oric Bates, the eastern Libyans.. LONDON: FRANK CASS & CO, LTD, 1970, p.210.

استقرار القبائل الليبية وملامحهم الجسمانية، وتبيان أنماط معيشتهم ونشاطهم إن أمكن ذلك.

إن الظروف الطبيعية في غرب شمال إفريقيا، قد كيفت الطابع الحضاري للأقوام النبوليتية، وشكلته في نمط حضاري اجتماعي يقوم على القبلية والعشائرية، ولم يؤد إلى إقامة دولة موحدة كمصر.

ولذلك فإن أي شعب في طور بداوته، لم يكن ليستقر ضمن حدود جغرافية ثابتة، مما يجعل رقعة البلاد التي يسكنها، تمتد أو تتقلص تبعا لتحركاته، انتصاره واندحاره..

وعلى ضوء ذلك، يتوجب علينا أن ندرس هذه القبائل التي ربطتها الكثير من المقومات وجعلتها مع مرور الوقت تكون شعبا واحدا، استقر في بلد واحد اسمه "ليبون" وهي التسمية الأولى التي استخدمها الكتاب اليونان القدامى في الإشارة إلى غرب شمال إفريقيا.

وكان اليونان قد نزلوا بإقليم برقة "سرنيكا"، وهي أقرب جزء من إفريقيا لبلادهم، وبهذه المنطقة وجدوا قبيلة الربو أو الليبو، ومنه عمموا اسم الجزء على الكل.

لقد استخدم هيرودوت اسم القبيلة وأطلقه على كل القارة أولا NIBIM، فأورد في الفقرة 16من كتابه الثاني، أن الأيونيين والإغريق يقسمون العالم إلى ثلاثة أجزاء هي أوروبا، آسيا وليبيا ( أي إفريقيا )، وكان عليهم أن يضيفوا جزءا رابعا هو دلتا مصر[1]

وفي مقام آخر، أي في الفقرة 18من نفس الكتاب، نجده أكثر دقة حيث يبين بأن ليبيا تبدأ من مربوط وأبيس غرب الدلتا المصرية[2]، لنخلص بعد

1- لأن نهر النيل يفصل بين قارتي آسيا وليبيا ( إفريقيا ) ويتوقف عند رأس الدلتا، في حين تبقى هذه الأخيرة أي الدلتا لا تنتمي لا إلى ليبيا ولا إلى آسيا.

2 -Hérodote, Histoires, T II, texte établi et traduit par Ph.E.Le grand,6eme tirage.Paris, les belles lettres, 1982, p.p : 77-78.

ذلك في الفقرة 32من نفس الكتاب، بأن حدود ليبيا واضحة؛ فهي عنده –هيرودوت–كل شمال إفريقيا إلى الغرب من مصر حتى رأس سالوس غربا. والمقصود بها المنطقة الصخرية من صخور ساحل إفريقيا الغربي.وعليه فإن أبو التاريخ يصف "لوبة أو ليبيا" بأنها القارة الثالثة من قارات العالم القديم بعد أوربا وآسيا، وتمتد من غرب مصر إلى رأس سالوس وتتخللها المسطحات المائية القديمة المعروفة بخليج سرت الكبير وبحيرة تريتونيس وأعمدة هرقل، وإذا اتجهنا جنوبا فهي أوسع حيث تنتشر فيها الحيوانات المفترسة. وحسب هيرودوت دائما فإن بلاد المغرب قديما كانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1- الإقليم الساحلي الذي تنتشر فيه معظم القبائل الليبية

2- الإقليم الداخلي ويعتبر امتدادا لمواطن القبائل الليبية الساحلية

3- الإقليم الصحراوي وهو قاسي المناخ ويصعب العيش فيه.

أما إذا بحثنا في جغرافية سترابون[1]، فنجد في الفقرة 33من كتابه الثاني أن ليبيا هي التي تأتي بعد آسيا ولها حدود مع مصر وأثيوبيا، أما ساحلها الشمالي من الإسكندرية حتى أعمدة هرقل فهو بمثابة خط مستقيم تتخلله بعض الخلجان. ومن أعمدة هرقل تنزل سواحلها على طول المحيط مسافة، وقبل أن تصل إلى إثيوبيا تأخذ اتجاها موازيا لحدودها الساحلية، وتقترب كثيرا من الشمال باتجاه أعمدة هرقل، مما يقلل من عرض ليبيا حتى تكاد تنتهي بنقطة حادة؛ ولذلك تأخذ ليبيا شكلا شبه منحرف..

و تنقسم ليبيا -حسب سترابون-إلى ثلاثة أقسام متباينة:[2]

1- على طول الساحل من بحرنا (يقصد به البحر الأبيض المتوسط)، توجد المنطقة الأولى وهي شديدة الخصوبة، تبدأ من برقة إلى المناطق التابعة لقرطاجة فموريتانيا إلى غاية أعمدة هرقل.

2- منطقة ثانية متوسطة الخصوبة تلي برقة.

---

1- سترابون: جغرافي إغريقي عاش في الفترة ما بين سنة 58ق.م إلى غاية ( 21- 25) بعد الميلاد.

2- STRABON: GEOGRAPHICA, LIVRE 2, TRADUIT PAR ARNEDEE TARDIEU. PARIS: HACHETTE ET C. Dentroie édition TOME I, 1886. PP 211-212-

3 - ثم منطقة فاصلة بين المنطقة الثانية ومصر: جرداء لا ينبت بها إلا السلفيوم[1].

أما في كتابه السابع عشرة (الفصل الثالث، الفقرة الأولى) فيعطينا سترابون أبعاد هذا البلد أي ليبيا، فقدر عرض ليبيا بحوالي 13 أو 1ألف ستاد[2]، أما طولها فينقص قليلا على ضعف هذه المسافة.
وبذلك ترسم ليبيا على الخريطة –حسب سترابون دائما – على شكل مثلث يميل إلى الاستطالة، قاعدته ساحل البحر المتوسط.[3]

ومما ورد آنفا، نخلص إلى أن ليبيا تمتد من مصر شرقا إلى غاية المحيط الأطلسي غربا. لكن مع مرور الوقت يبدو أن هذه الحدود قد تقلصت كما يعتقد ستيفان غزال " S.GSELL وذلك استنادا إلى كتابات بونيقية وصفت "بروقنصل" مقاطعة إفريقيا وحدها برئيس الجيوش في بلاد اللوبيم. ثم ظهر الاسم من جديد حوالي سنة 300 ميلادي لما أنشأ الإمبراطور الروماني ديوقلتيان ولايتي ليبيا العليا وليبيا الدنيا في الجزء الشمالي من برقة، وأصبحت ليبيا كمرادف جغرافي لطرابلس الحالية،ثم اختفى الاسم ليظهر من جديد وذلك عندما أكمل الإيطاليون عملية احتلالهم لولايتي طرابلس وبرقة سنة 1934، فسماها مستعمرة ليبيا ومنها ظهرت ليبيا الحالية.[4]

وهنا تجدر الإشارة بأن الفاتحين العرب في القرن السابع الميلادي، قد لاحظوا الوحدة التي تربط كل المنطقة الممتدة من وادي النيل بمصر إلى

---

1- السيلفيوم أهم منتجات برقة خلال العهد اليوناني والبطلمي وله فوائد طبية كثيرة.ولقد إحتكر تسويقه ملوك أسرة باطوس في قورينة، ولقد أتلف الليبيون جذور هذا النبات لحرمان الإغريق منه. أرجع إلى رجب الأثرم، نبات السيلفيوم في إقليم برقة في تاريخ إفريقيا العام. اليونيسكو-باريس-1980.ص ص 25-28

2- ستاد: وحدة قياس يونانية. 1 ستاد يساوي 180مترا.

3 - STRABON, Ibid., livre 17, P461.

- S. Gsell, Histoire ancienne de L'Afrique du nord. Tome V, Les Royaumes indigènes : (organisation sociale, politique et économique) réimpression de l'édition, 1921-1928, Osnabruck: 1972, P. 104.

4- عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي. ط 1، بيروت: دار صادر، 1971. ص 16.

المحيط الأطلسي، وهي نفسها المنطقة التي شملتها بلاد ليبيا القديمة – فأطلقوا عليها اسم المغرب.

**ب- أصل السكان**

في إطار حديثهم عن سكان شمال غرب إفريقيا (الليبيون) يكاد يتفق الكتاب القدامى، من الإغريق والرومان حول الأصل الأجنبي لسكان ليبيا أو على الأقل لجزء منهم.

ويلجأ هؤلاء الدارسين أحيانا إلى سرد الأساطير لتبرير وجود بعض الملامح والصفات التي بدت لهم غريبة في قارة إفريقيا، مثل الشعر الأشقر والعيون الزرقاء ...

فهذا "هيكاتيوس" يعتقد بأن أصل سكان ليبيا من الأيونيين الذين نزلوا نواحي Cybos سبوس، (وقد تكون عنابة أو بنزرت)، في حين يرى هيرودوت بأن قبيلة الماكسيز MAXYES، تكون قد نزحت من طراودة واستقرت بالمنطقة.[1]

ويقول هيرودوت في مقام آخر بأن ليبيا تقطنها أربع أمم، إثنتان أصليتان وإثنتان غير أصليتين.

فالليبيون في الشمال والأثيوبيون في الجنوب أصليون، أما الفينيقيون والإغريق فإنما استقروا بها فيما بعد.[2]

أما "بوليبوس" POLYBE (القرن 2 ق.م) فإنه يعني بالليبيين السكان الأصليين الخاضعين لقرطاجة والذين أطلق عليهم فيما بعد من طرف اللاتين أفري.[3]

أما في القرن الأول ق.م فيخبرنا « سالوست »[1]معتمدا في كلامه على مصادر موثوقة –على حد تعبيره – وهي كتابات الملك النوميدي « هيمصال » (وقد

---

[1] - HERODOTE: OP CIT, T IV, PARA 191,P 193.
[2] - HERODOTE: Op-Cit, T IV, PARA 197,P 196.
[3] - G.CAMPS, LES BERBERES « MEMOIRES ET IDENTITE », 2EME EDITION _ édition Errance: 1987. p.65.

تأكد سالوست من صحتها من المعاصرين له)، بأن السكان الأوائل في إفريقيا، هم الليبيون والجيتول، وهم أشخاص حسب اعتقاده همجيون يعيشون عيشة الحيوانات.

وقد اختلط مع هؤلاء في وقت لاحق أرمينيون، ميديون وفرس ثم اختلط الفرس مع الجيتول فأسفر عن ذلك النوميديين الرحل الذين توسعوا على حساب كل البلاد لغاية قرطاجة. بينما اختلط الميديون بالليبيين وأسفر عن الموريين وهم السكان المستقرون في المدن..[2]

وبعد سرد هذه الآراء، نلاحظ أنها تتجه جميعها إلى حدوث هجرات وغزوات أجنبية في تاريخ موغل في القدم على ساحل شمال إفريقيا، فنتج عن ذلك الغزو الشعب الليبي ككل أو على أقل تقدير جزء منه. وبهذه الآراء يأخذ المحدثون من المؤرخين، ويبحثون عن أدلة لتأكيد نظرياتهم، وهي فرضيات مستوحاة من معطيات لغوية وأحداث فردية مأخوذة من التراث والأساطير، فهي إذن احتمالات وفرضيات لا غير، بعيدة عن الواقع وعن المنهج التاريخي المعتمد في التدوين.. والأحرى بهم أن يتجهوا إلى الإنسان نفسه، أي إنسان هذه المنطقة في أواخر عصر ما قبل التاريخ ثم فجر التاريخ على سبيل المثال، ودراسة تطوره وما طرأ عليه من تحولات.

يعتبر كامبس CAMPS، ممن اهتموا بفجر التاريخ في بلادنا، وبعد عرضه لوجهات نظر قدماء المؤرخين والمعاصرين له على حد سواء يعتقد بالأصل المحلي لليبيين.

ويرى بأنه يرجع أساسا إلى سلالتين: سلالة إنسان المشتى العربي (أصحاب الحضارة الوهرانية) وتوجد بقاياه في غرب الجزائر والمغرب الأقصى وعلى الساحل الأطلسي، وعمر في المنطقة لغاية العصر الحجري الحديث.

---

1- سالوست: مؤرخ لاتيني عاش فيما بين 86 ق.م-35 ق.م، وحكم نوميديا عام 46 ق.م.

[2] - Salluste (G.S), trad. Richard (F), conjuration de Catalina et la guerre de Jugurtha, para.18. Paris: Ed. Garnier Flammarion, 1966.

أما السلالة الثانية، فقد ظهرت في الألف الثامنة ق.م (تونس وشرق الجزائر)،وهم أصحاب الحضارة القفصية، ويطلق "كامبس" عليهم اسم البربر الأوائل LES PROTO-BERBERES، ويرى بأنه لا فرق بين أوصاف هذه السلالة الأخيرة وسكان شمال أفريقيا في الوقت المعاصر.[1]

كما يربط "كامبس" بين هاتين السلالتين وما ذكره سالوست في القرن الأول ق.م، فليبيو سالوست هم من سلالة المشتى العربي التي استقرت على الساحل.

أما الجيتول فهم القفصيون الذين استقروا في المناطق الداخلية.

إذن فسكان ليبيا قديما تكونوا من إثنيات مستقرة ومحلية النشأة، وأن نزول الفينيقيين وإنشاء مراكزلهم في المنطقة لم يغير شيئا في أصل السكان؛ لأن أعدادهم كانت قليلة. ولهذا السبب لجأوا دوما إلى تجنيد المرتزقة في أمورهم الحربية.

أما الاستعمار الروماني للمنطقة، فكان في عهد الإمبراطور" أغسطس"[2] يمثل أوج الاستيطان، حيث وصلت أعداد المستوطنين الرسميين بالمنطقة حوالي 15 ألف مع بضعة آلاف من المستوطنين المتطوعين.[3]

ولهذه الأسباب مجتمعة نرى بأن أصل الليبيين يرجع إلى أواخر عصر ما قبل التاريخ حيث ظهرت سلالة المشتى العربي حوالي 13 ألف ق.م. وسلالة القفصيين حولي 8و7 آلاف ق.م. وإلى جانب هؤلاء فإن النصيب الأكبر من سكان البربر الأوائل (الليبيون) هم من الأثيوبيين (أصحاب الوجوه المحروقة) وهم أصحاب النيوليتي ذي التقليد السوداني الذي انتشر في المرتفعات العليا مثل التاسيلي والهوغار.. وهم ملونون بصفات غير زنجية.

---

1 - G.CAMPS, Aux origines de le Berbérie.Paris: Arts et Métiers graphiques, 1961, p.p: 31-32.

2 - الإمبراطور أغسطس هو كايوس جوليوس سيزار أوكتافيوس عاش مابين 63ق.م-14

3 - J.DESANGES: - Les proto – berbères: Histoire générale de l'Afrique, T II l'Afrique ancienne. PARIS: UNESCO, 1980, P.P: 453 – 454.-

ولقد ثبت فعلا في عصور لاحقة وجود إثيوبيين على حدود إفريقيا الصغرى نواحي فزان ومنهم الغرامنتيون الذين ذكرهم بطليموس بأنهم يميلون إلى السواد.[1]

ومن أجل استيضاح ما سبق، ليس هناك أجدى من الرجوع إلى الأبحاث التي تدرس أصل الإنسان، معتمدة في ذلك على تشريح الهياكل البشرية، وتقترب كثيرا من الموضوعية نظرا للوسائل العلمية المخبرية المستخدمة لهذا الغرض.

والدراسات في هذا الميدان كثيرة، لكن في موضوعنا هذا لنستشهد بأبحاث MARIE- CLAUDE CHAMLA الأنتربولوجي الذي قام بدراسة مستفيضة ودقيقة عن سكان الصحراء القدامى.

وبدراسة عينة من الجماجم التي بلغ عددها 66 جمجمة، توصل إلى وجود ثلاثة نماذج من السكان:

-النموذج الأول: زنجي، ولا يمثل سوى 25 % من مجموع الجماجم المدروسة، في حين أن صفة الزنجية تزداد كلما توغلنا جنوبا نحو مالي، النيجر والتشاد.
-النموذج الثاني وهو مختلط، يحتوي ملامح زنجية مثل الأنف المفلطح والمناخر المتسعة، والفك البارز، كما يحتوي صفات غير زنجية مثل الأنف الرفيع أو المتوسط والفك غير البارز وتمثل33 %.
-النموذج الثالث والأخير ويمثل نسبة عالية وهي 41 % من مجموع الجماجم وهو نقي، خال من الصفات الزنجية، وهو النموذج الغالب في سكان الصحراء وغير موجود في المناطق المحاذية من جهة الجنوب.[2]
ونخلص من ذلك بأن التركيبة الجنسية لسكان الصحراء في فجر التاريخ – على الرغم من بعض الاختلافات البسيطة والقليلة مع جيرانهم على الحدود الشرقية مثل منطقة فزان– فهي من أصل واحد.

---

1 - J-DESANGES, op.cit. P.459

2 - Marie Claude Chamla, Les populations anciennes du Sahara et des régions limitrophes – Etude des restes osseux humains néolithique et proto –historique -.PARIS: MEMOIRES CRAPE IX, ARTS ET METIERS GRAPHIQUES, 1968, p.200.

ويعتقد الباحث "شاملا" بأن رجل التوارق الحالي والذي يجمع المختصون بأنه من نسل الغرامنت (عند هيرودوت) ينحدر من هذا الأصل الذي يتميز بطول القامة والملامح المتوسطية، والبنية المتوسطة، حجم الجمجمة أكبر، الرأس مستطيلة وضيقة، الوجه نحيف ومستطيل.أما الأنف فهي مستقيمة، الأذرع والسيقان طويلة أيضا. [1]

أما عن الليبيين القدامى شمال سلسة الأطلس الصحراوي فإنها لا تختلف كثيرا عن أبناء عمومتهم جنوب هذه السلسلة.

لقد درس شاملا- 24 جمجمة من مقابر مختلفة في قسنطينة والجزائر العاصمة فوجد أن 22 منها لا يمثل أي ملامح زنجية وهي مطابقة تماما للنموذج الثالث المهيمن في سكان الصحراء.

وخلص هذا الباحث إلى النتيجة التالية: إن سكان غرب شمال غرب إفريقيا، وشمال سلسلة الأطلس الصحراوي وجنوبه، هما فرعان من أصل واحد تطور أولهما نحو MESOCRANNE( رأس متوسطة) وهم سكان الشمال، في حين تطور الثاني نحو الرؤوس الضيقة التي تميل إلى الاستطالة (DOLICHOCRANNE) وهم سكان الصحراء. [2]

وعليه فإن الليبيين ليسوا فقط من بيض البشرة، بل أيضا احتوت قبائل منهم على سمر البشرة، وهم أوائل القبائل التي تعرف علها قدماء المصريين ابتداء من منتصف الألف الرابعة ق.م. وذكرتهم النصوص المصرية باسم "التحنو". كما رسمهم الفنان المصري القديم بنفس الملامح التي رسمها الفنان الليبي القديم في مرتفعات التاسيلي والأهغار L'AHAGGAR...

### ج- الشعوب والقبائل الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة

إن العلاقات والصلات بين الليبيين وقدماء المصريين قديمة جدا، إذ ترجع في تاريخها إلى عصور ما قبل التاريخ، واستمرت بعد ذلك طوال

---

1 - Op-Cit, p.p: 201 –202.

2 -CHAMLA.M.C, op.cit, p.194.-

العصور التاريخية. لذلك فلا نجد مصدرا أوفى من الآثار المصرية القديمة التي نقشت على جدرانها، ما يشهد على هذه الصلات المتنوعة عبر العصور.

هذه الآثار تعتبر أقدم وأوفى مصدر يعطينا بعض المعلومات عن القبائل الليبية .

وعليه فقد أصبح ثابتا تاريخيا أن سكان ليبيا ليسوا من سلالة واحدة، بل إن قبائلهم كانت تتألف من سلالات مختلفة، ويسميهم المصريون القدامى "تماح - TAMOH " وأحيانا يطلق عليهم أسماء خاصة مثل التحنو، التمحو، الربو أو الليبيو والمشواش.

ومن هذه القبائل الأربعة الأخيرة يتكون قوم الليبيين، الذين سنتعرف عن سلالاتهم بقدر ما تسمح به المصادر المصرية باعتباره مصدرا مهما كما أسلفت، وسنحاول تقريبها وربطها ببعض القبائل التي ذكرها هيرودوت إن أمكن ذلك[1].

**1- التحنو TEHENU**

وتعني هذه الكلمة في اللغة المصرية القديمة "تماح" بمعنى البراق، وقد يعزي ذلك إلى الملابس البراقة التي كان يلبسها التحنو.[2]

وترجع أول معلوماتنا عن قبيلة التحنو إلى عهد فجر التاريخ المصري أي حوالي منتصف الألف الرابعة ق.م، فهناك مقبض عاج لسكين عثر عليه في جبل العركي مقابل نجع حمادي بمصر وقد نقش على أحد جانبيه معركة برية بين فريقين، أحدهما مصري والآخر ليبي، ويحمل أعضاء هذا الفريق الأخير نفس مواصفات التحنو، وإن لم يكتب اسمهم مع الرسم.

---

1- يعد وصف هيرودوت لسكان ليبيا، أقدم المصادر الكلاسيكية وعليه أخذ معاصروه واللاحقون منهم، ولذلك تم أخذه كنموذج للكتاب الكلاسيكيين حول الموضوع.

2- سليم حسن: مصر القديمة، ج 7" عصر مرنتباح ورعمسيس III، ولمحة في تاريخ لوبية "، القاهرة: مطبعة دار الكتاب المصرية، 1950، ص. 28.

ولدينا أثر آخر لملك الوجه القبلي (الصعيد) قبل توحيد مصر وهو الملك العقرب، ولم يبق من هذا الأثر إلا جزء واحد محفوظ بالمتحف المصري، وينقسم هذا الجزء إلى أربعة صفوف أفقية تمثل في الثلاثة الأولى: ثيران، حمير وكباش. وفي الربع الأخير صور لشجر يشبه الزيتون وأمامها نقشت لأول مرة علامة تدل على كلمة تحنو،وهي أداة البومونج (نوع من السلاح يشبه العصا المعقوفة).

وفي مطلع عهد الأسرات -3200-2800 ق م، عاد اسم التحنو إلى الظهور، فهناك أثر هو عبارة عن ختم أسطواني من العاج، كتب عليه اسم الملك نعرمر ( مؤسس الأسرة الأولى) وأمامه أعداء مكبلون وقد نقش فوقهم لفظة التحنو.

وتوالت بعد ذلك الإشارة إلى قوم التحنو في نصوص كل الأسر اللاحقة تقريبا، لكنه يرجع الفضل لنقوش معبد الملك ساحور(الأسرة 5) ولهذه النقوش قيمة كبيرة، ويعتمد عليها في التعرف على هؤلاء القوم إذ تمطينا الكثير من التفصيلات عن التحنو، وقد كتب فوق نقوش الأسرى عبارة "ضرب التحنو".[1]

- **الصفات الأنثروبولوجية لقوم التحنو**

يتميز قوم التحنو - كما ظهروا على الآثار المصرية- بطول القامة والبشرة السمراء، رجالا كانوا أم نساء.. ويغطي أكتافهم شعر أسود متموج يصل إلى فوق الكتف، وتزين جباههم خصلة من الشعر مثل الصل[2] وتظهر وجوههم نحيفة، ووجناتهم ناتئة وشفاههم نوعا ما غليظة، كما يتميز رجالهم بلحي قصيرة تنتهي بطرف مدبب.

أما الزي فهو ذاته للرجال والنساء، وهو عبارة عن شريطين عريضين من الجلد يتقاطعان على الصدر، وتحيط بالرقبة حلية تشبه العقد، ويتمنطق

---

1 - FAKHRY AHMED, The Egyptien deserts. VI –Bahria Oasis Cairo: governement presse BOULAQ, 1942. P.6.

2- الصل هو حيوان الكبرى " الحية"وهو رمز عاصمة الوجه البحري مدينة بوتو، ويضعه الفرعون على رأسه.

كل منهما بحزام يلف بالخصر، ويثبت به من الأمام جراب أو كيس يستر العورة. ويتميز الرجال عن النساء بذيل الحيوان الذي يربط بهذا الحزام من الخلف. ويختلف التحنو عن بقية الليبيين بعدم وضع الريش في شعرهم.[1]

أما الأمر الذي جذب انتباه المتخصصين فهو التشابه بين التحنو والمصريين؛ فقد أعتقد عالم المصريات "السير ألن جاردنر" بوجود قرابة وثيقة بينهما، لأن التحنو سمر البشرة مثل المصريين ويختلفون في ذلك عن باقي القبائل الليبية ذوي البشرة البيضاء. كما اعتقد هذا العالم ان ارتداء التحنو ساتر العورة دليل على انهم مختتنون مثل المصريين، كما كان يفعل ذلك الفراعنة في مرحلة الأسرات حيث كانوا يضعون الذيل في مناسبات دينية.

واعتقد"جاردنر" بأن هناك صلة بين خصلة الشعر على رأس التحنو والصل على تاج الفرعون.

غير أن الدراسات الأنتربولوجية الحديثة والكشف على مزيد من الرسومات الصخرية بينت لنا بأن التشابه بين المصريين والتحنو في لون البشرة مثلا، لا يبعدهم عن أبناء عمومتهم في شمال غرب أفريقيا، ولقد بينا في العنصر الأول من هذا الفصل بأن الدراسات المتخصصة ومنها دراسة "شاملا" CHAMLA تؤكد بأن سكان الصحراء الوسطى وفزان يحملون صفات أثيوبية ومنها اللون الأسمر.

وكذلك ذكرت نصوص متأخرة بأن الغرامنتيوس[2] (من القبائل الليبية التي ذكرها هيرودوت في القرن الخامس ق م) سود نوعا ما، وقد ذكر ديودور الصقلي بأن قائدا من أتباع "أجا توكل (في أواخر القرن الرابع ق م) أخضع قبيلة في شمال تونس، لونها يشبه الأثيوبيين.[3]

---

1 - - A.H.GARDNER: Ancient egyptian anomastica.Oxford presse, 1945.P.117

2- الغرامنتيون: أقوام ليبية استقرت جنوب فزان (ليبيا حاليا).

3- J. Desanges, op.cit., P.459.

أما موضوع "ساتر العورة ETUI PHALLIQUE فلا علاقة له بعملية الختان والمصريين المختنين. كما أن الدارس لموضوع الرسوم الصخرية والتي ترجع في تاريخها إلى العصور الحجرية، تبين له بجلاء أن الصيادين في الصحراء عموما وكذلك في جنوب وهران كانوا عراة إلا من ساترة العورة وعلى رؤوسهم شعر كثيف مسترسل يشبه الشعر المستعار (الباروكة) وكذلك كانت لهم لحي مدببة.[1]

بمعنى أن لهم نفس الصفات التي ذكرتها الآثار المصرية عن قوم التحنو، أما النقطة في موضوع التشابه بين التحنو والمصريين، فهي الربط بين الصل على تاج الفرعون والخصلة على رؤوس التحنو. فإننا نذكر بأن من الأمور التي تميزبها الليبيون هي التنويع في تسريحة الشعر فقد ترك بعضهم خصلة على الصدغ، وحلق آخرون الرأس باستثناء خصلة في أعلى الرأس. ويذكر هيرودوت بأن هذه العادة بقيت سارية،وأن قبيلة الأوسز AUSES تترك خصلة الشعر على الجبهة.

في حين ذهب عالم المصريات "بيتس" بأن الذي يزين الجبهة ما هو إلا طرفي عصابة للرأس عقدت على الجبهة.[2] وهذا ممكن أيضا بحيث لا تزال هذه الطريقة متبعة عند نساء المنطقة لغاية الآن.

أما موضوع تزين الليبيين بوضع الريشة على الرأس، فهي صفة أشارت إليها الآثار المصرية ثم ذكرها هيرودوت في منتصف القرن الخامس ق.م. إذ أشار إلى أن النسامونيين يضعون على رؤوسهم ريش، وبقيت هذه "التقليعة" بين الليبيين لغاية القرن السادس الميلادي، إذ وصف كور يبوس coripus الزعماء الليبيين بـ pinnatus بمعنى الذين يضعون الريش على رؤوسهم.[3]

---

1 - Huard & le clant, la culture des chasseurs du Nil et du Sahara. in mémoires du centre de recherches anthropologiques, préhistoriques et ethnologiques. Tome II, Alger: 1977, p.520.

2 - O.Bates, op.cit., P. 136.

3-S.Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du nord. T. VI (Les royaumes indigènes, , vie matérielle, intellectuelle et royale. Osnabrück, 1972, p.31.

كما أفادنا "غزال" S.GSELL بأن الريش ميزة اختص بها علية القوم والنبلاء من الليبيين. أما إذا رجعنا إلى المصدر الأول، ألا وهو الآثار المصرية وبتتبع تاريخ العلاقات بين الجارين، نتأكد من هذه الحقيقة.

وهي أن الريشة لم تكن لباسا خاصا لقبيلة بعينها، بل كانت علامة شرف أو وظيفة. وعدم وجودها على رؤوس التحنو في أثر "سكين جبل العركي"، ثم أثر" الملك العقرب" وبعده أثر "الملك نعرمر"، ثم على رسومات معبد الفرعون ساحورع، فهي كلها تمثل مشاهد انهزم فيها التحنو.

ولذلك يعتقد "جاردنر" بأن عدم وجود الريشة هو علامة انهزام.[1] وقد ورد في السطر السادس من لوحة إسرائيل في عهد الملك مرنتباح الذي انتصر فيها على الأمير الليبي مري بن دد ما يلي "…. الرئيس الخسيس لليبو الذي فر تحت جنح الليل وحيدا بغير ريشة فوق رأسه ".

وفي السطر الثامن نقرأ« …و عندما وصل إلى وطنه وشكا، وكل إنسان في بلاده كره مقابلة الأمير الذي اختطف منه الحظ ريشته.. ».[2]

وبقيت الريشة علامة شرف وسمو المكانة. فهناك نص آخر جاء في لوحة الملك الكوشي (السوداني) مؤسس الأسرة المصرية الخامسة والعشرون عند الحديث عن أمراء مقاطعات الدلتا من الأسرة الليبية الثالثة والعشرين «كل الأمراء الذين يحملون الريشة ».[3]

وخلاصة القول في هذا الأمر هي أن كل الصفات التي تميز بها قوم التحنو، لا تختلف كثيرا عن الصفات التي ظهرت على الرسومات الصخرية التي وجدت في عموم الصحراء الوسطى وخاصة في وادي جرات ( تاسيلي –آن –أجار)، وتمثل أشخاص برؤوس حيوانات (ربما لأداء طقوس دينية) ويتمنطقون بحزام يلتصق به من الأمام ساترة العورة ومن الخلف ذيل حيوان.

---

1- آلن جارد نر، مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم. ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1987. ص. 427.

2- آلن جاردنر، المرجع السابق. ص 301 - سليم حسن، المرجع السابق، ص 48.

3- سليم حسن، المرجع السابق. ص 49.

أو تلك التي وجدت في "خروبة" (الجزائر العاصمة) وأخرى في "فجة الخيل" (قسنطينة) والتي تصور رجالا ذوي شعر طويل وتهدل ظفيرة على ظهرهم ولهم لحي قصيرة، وأذرعة موشومة ويربط في حزامهم جراب العورة المعروف باسم الكرنطة krnt.

- أرض التحنو

لاشك أن بلاد التحنو كانت تقع غربي مصر، ولكن السؤال الذي يبقى مطروحا:إلى أي المناطق الغربية؟.

فهناك من الباحثين- ألكسندرا نيبي- من يرى بأن لفظ التحنو في الأصل اسم الإقليم الذي يقطنه هؤلاء القوم و"تا" Ta في اللغة المصرية القديمة هي الأرض.

ولقد ورد في نصوص كثيرة ترجع إلى عهد الملك تحتمس الثالث والملك امنحتب الثالث وكلاهما من فراعنة الأسرة 18، بأن مصر تحدها جنوبا بلاد السودان، ومن الشرق بلاد آسيا. وفي الغرب من مصر تقع بلاد التحنو.

سنحاول فيما سياتي أن نحدد المكان بصفة أدق إن أمكن.

يطلق اسم التحنو غالبا على المكان الذي يجلب منه ملح النطرون، المستعمل في مصر القديمة لتحضير أشكال الخزف والزجاج، ويستعمل أيضا في عملية التحنيط. ولكن تصوير الأشجار والغنائم والأعداد الكبيرة من الماشية المتعددة التي ذكرت على لوحتي الملكين "العقرب "ثم " نعر مر"، توحي بأن أرض التحنو لا تشمل أرض صحراوية تنتج الأملاح فقط، بل أيضا بقاعا خصبة تتوفر على مثل هذه الخيرات؛ وتشير إلى أن شعب التحنو مستقر ومن زمن بعيد. وتعتقد الباحثة ألسندر نيبي أن مكان استقراره كان الفيوم.[1]

1 - ALEXANDRA NIBBI, Lapwings and Libyens in ancient Egypt. Oxford: b.o card press, 1986, p.86.

ولا نستبعد هذا الرأي، خاصة إذا علمنا أن الإله المصري" سبك" ويرمز له بحيوان التمساح كان يقدس في الفيوم ويعتبر إله المقاطعة في الدولة القديمة وأن الإله نفسه ( التمساح) مثل عدة مرات بوصفه سيد بلاد "باش".

و"باش" هو أحد الإقليمين المكونين لبلاد التحنو، وقد ذكرا على لوحة انتصار الفرعون ساحورع (الأسرة 5): إقليمي باش وبكت.

كما رسم حيوان التمساح، رمز الإله "سبك"، على حزام أحد رؤساء التحنو في نقوش ترجع لعهد الملك منتوحتب (الأسرة 11).

ولكثرة الدلائل، فقد أجمع فريق من المتخصصين في علم المصريات نذكر منهم الألماني "هولشر Holscher" والإنجليزي "بيتس Bâtes" على سبيل المثال، بأن أرض التحنو تشمل كل الواحات إلى غرب النيل بما فيها الفيوم ووادي النطرون.[1]

في حين خالفهم في الرأي فريق آخر، منهم جار دنر، سليم حسن وأحمد فخري، وكان ذلك على أساس أن منخفض الفيوم قد ألحق بمصر منذ بداية تأسيس الدولة المصرية الفرعونية، وكانت هذه المقاطعة تعرف باسم البحيرة.[2]

وهناك فريق ثالث ممن يحاولون تحديد الموطن واسم الإقليم على أساس اقتصادي باعتبار أن أهم منتجات أرض التحنو التي كانت تستوردها مصر في مرحلة الدولة القديمة 2800-2300 ق م هو زيت التحنو Hatet Tehnu، فهم يستشهدون بأثر يرجع في تاريخه إلى مرحلة ما قبل الأسرات 3200-2800 ق.م وهو لوحة الملك العقرب؛ فقد تعرف الباحث "نيوبري"، على طبيعة الأشجار المرسومة مع صفوف الغنائم على هذه اللوحة على أنها أشجار

---

1- Oric Bâtes, op. cit. P. 49.-

2 - Ahmed Fakry, Egyptien deserts. VI, Bahria oasis, p. 15.

الزيتون وعليه يعتقد نيوبري "بأن بلاد التحنو تشمل بحيرة مربوط وأن زراعة الزيتون أصلية في شمال أفريقيا ".[1]

وبتفحص هذه الآراء جميعها نلاحظ أنها ناقصة ولا تحسم أمر تمييز حدود بلاد التحنو الشرقية جيدا، إلا أننا نخلص إلى أن بلاد التحنو فعلا تقع إلى الغرب من الدلتا المصرية، وأن إجماع الفريق الأول بكون بلاد الفيوم إحدى مراكز استقرار التحنو غير مستبعد تماما، ثم تم ضمها إلى الدولة المصرية الناشئة في تاريخ لاحق.

ومن الأسباب التي تؤكد أو ترجح استقرار التحنو في الفيوم ما يلي:
- لقد تعرفت "كاتون تومسون وادقارتون" وغيرهما من المتخصصين في دراسة العصور الحجرية، على مواقع نيوليتية في الفيوم "ب". وترى الباحثتان بأن المرحلة "ب" هي إنتاج أقوام ليبية اضطرتها ظروف مناخية إلى الهجرة إلى وادي النيل الأدنى.
وأرخت الباحثتان المرحلة "أ" وهي سابقة للمرحلة "ب"بحوالي 4200 ±200 سنة ق.م [2] بمعنى أن استقرار الليبيين في منطقة الفيوم كان أثناء الألف الرابعة، أي قبل إنشاء الدولة المصرية الموحدة..
- إن الإله "سبك" اله الفيوم قد ذكر على أنه سيد الإقليم الليبي المعروف باسم إقليم "باش" وأن الإله نفسه شبك بصفته ابن الإله نيت، كان يعبد في المقاطعة الصاوية (صان الحجر).
و الإلهة "نيت" ليبية الأصل، وجدت آثارها في غرب الدلتا منذ فجر التاريخ. [3]

وفي دراسات صدرت حديثا، حاولت الباحثة "نيبي NIBBI"، تفسير لفظ تحنو على أساس لغوي، فهي ترى بأن الاسم Thnu مركب من TوHnuT، Tفي اللغة المصرية القديمة هي الأرض، أما المقطع الثاني HNU فمعناه أقداح أو

---

1 - P.E.NEW BERRY, Ta Tehnu «olive-land » Ancient Egypt. Cairo: 1915.P.P:97-99.

2 - C. THOMPSON & Edgarton, the Desert Fayoum. London: Royal anthropological institute publication, 1934, p. 25.

3- سليم حسن، مصر القديمة، ج 7ص 34.

منخفض طبيعي يكون بمثابة إناء تصب فيه مياه النيل. ولقد اعتبر البعض –تقول نيبي– أنTHNU تكون ضمن الثمانية روافد التي تحمل الماء من النيل إلى الدلتا؛ غير أن الكتابات الأولى لأسم THNU قد سبقها رمز لأناء وليس القناة، وتخلص الباحثة بأن أرض THNU هي المنخفض الذي تصب فيه مياه النيل كل سنة مثل منخفض الفيوم[1]

وفي الأخير نصل إلى الفرضية التالية وهي: أن الدلائل لوجود التحنو ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات (قبل 3200ق.م) كما تدل على ذلك آثار الملك العقرب، وأن أرضهم كانت تحتوي بحيرة الفيوم قبل استيلاء ملوك الأسرة المصرية الأولى أو الثانية عليها، وهذا ما يفسر وجود رسم حيوان التمساح (رمز إله الفيوم سبك) على أحزمة التحنو.

كما أن كثرة الحيوانات والأعداد الهائلة من الأسرى والغنائم على رسومات جدران معبد الفرعون ساحورع (الأسرة 5)، أو بعد ذلك في عهد الفرعون سنوسرت الأول (الأسرة 12) كلها تشير إلى أن الإقليم لم يكن كله صحراء، وأنه شمل أيضا مناطق محاذية للبحر، وربما امتدت بلاد التحنو جنوبا لغاية بلاد النوبة، وهذا ما يفسر النقش الموجود على قاعدة مسلة الملكة حتشبسوت (الأسرة18) بالأقصر في صعيد مصر، ومفاده أنها استلمت جزية من بلاد التحنو عبارة عن 700 سن فيل. كل هذه الدلائل تشهد على شساعة موطنهم وأيضا بأن قوم التحنو ربطتهم صلات تجارية بأقوام جنوبية وأن بلاد النوبة كانت محاذية لهم..

وعلى هذا فبلاد التحنو، تمتد من مربوط شرقا حيث سكنوا واحات سيوة والبحرية الفرافرة والداخلة والخارجة، كما يعتقد كل من جاردنر[2] وبرستد. وهذه الواحات تمثل حدودهم من ناحية الجنوب، أما من ناحية الغرب فقد امتدت بلادهم لغاية برقة. (كما هو واضح على الخارطة 2).

---

1 - A. Nibbi, op. cit. p.p: 86-88.

2- آلن جاردنر، مصر الفراعنة، ص52..

وهناك من يعتقد بأن الأشجار التي مثلت على ألواح الفراعنة الأوائل، لا تمثل أشجار الزيتون، بل تمثل نبات السلفيوم الذي ينمو في إقليم برقة فقط وهو رمزها الذي خلدها عبر العصور، ولقد ذكر هيرودوت ذلك في الفقرة 196من كتابه الرابع حيث قال بأن برقة تعتبر إقليم السلفيوم، ولهذا السبب رسم على نقود برقة[1].

2- التمحو: TEMEHU

خلال الألف الثالثة ق.م، تعرف قدماء المصريين على جماعة عرقية جديدة عرفوا باسم التمحو، تختلف عن التحنو في بعض الصفات، فكان هؤلاء يتميزون بلون بشرة فاتحة وعيون زرقاء وكان بينهم نسبة كبيرة من ذوي الشعر الأشقر.

ويرتدي الرجال جلابيب جلدية طويلة، وكانت الذراع اليسرى مغطاة واليمنى عارية وكذلك الرقبة وشعورهم قصيرة وعلى رؤوسهم أربع أو خمس ريشات، وكانوا يتركون ضفيرة تتدلى أمام الأذن ومطروحة للخلف على الأكتاف ويوشمون أذرعهم وسيقانهم.

كما كان سلاحهم هو القوسان وأحيانا السيف أو العصي المعقوفة.

أما النساء منهم، فكن يلبسن أثوابا مزركشة ومعقودة في الوسط، يحملن أطفالهن في سلال[2].

وإن كان عالم المصريات أحمد فخري يعتقد بأن النسوة كن يرفعن أولادهن في جزء من لباسهن على الظهر وليست في سلال[3]،وهذه عادة مازالت سارية في بلادنا المغاربية لغاية الآن، خاصة في المناطق الجبلية مثل الأوراس وبلاد القبائل، والريفيات في كثير من بقاع العالم..

---

1- Hérodote, op.cit, livre IV, para. 169.

2 –J.Desanges: les proto-bèrbères, p. 461. & - A. Fakhry: op. cit., p.7

3 - A.FAKHRY, op.cit, p8.

وفي هذا المقام يجدر التذكير أن النظرية القائلة بأن البربر البيض الذين يقطنون شمال إفريقيا (المغرب العربي حاليا)، يرجع أصلهم إلى الوندال، يمكن تفنيدها، وليس لها سند متين، بل هي خاطئة من أساسها ومغرضة. خاصة وقد ظهرت الأقوام صاحبة البشرة البيضاء والعيون الزرقاء في شمال إفريقيا منذ الألف الثالثة. ق.م. وتشهد على ذلك الرسوم على الآثار المصرية الفرعونية.

ويبدو أن هيرودوت قد تنبه في القرن 5 ق.م إلى أن التمحو هم الأسلاف المباشرون لليبيين الذين عرفهم الإغريق في برقة، وهم أقرب الليبيين لمصر وينتشرون لغاية برقة[1].

ولقد توسع أبناء قبيلة التمحو على حساب أبناء عمومتهم التحنو المسالمين والملاصقين في سكناهم للحدود المصرية، ثم اندمج التحنو مع القادمين (التمحو) الأقوياء والأكثر عددا الذين استولوا على ديارهم.

ويعتقد بعض الدارسين أن الرسوم الصخرية المنتشرة في كل أرجاء الصحراء ومنها بواد جرات (التاسيلي) أنها إنتاج أقوام بيضاء استقرت في المنطقة (عكس أصحاب المرحلة اللاحقة المسماة بالرؤوس المستديرة وهم من الزنوج)، فخلدوا ذلك في رسوم ترجع في تاريخها إلى مرحلة الصيادين

(BUBALUS) المؤرخ لها بحوالي الألف الخامسة ق.م على أقل تقدير وتمثلهم الرسوم يلبسون الكرنطة (ساترة العورة) ويضعون الريش على رؤوسهم وكان سلاحهم القوس والرمح والدرع.[2]

والمعروف أن ذكر النصوص المصرية لقوم التمحو إنما يعقب تاريخ الرسوم الصخرية بكثير، حيث كان أول ذكر لهم في عهد الملك بيبي الأول - من الأسرة السادسة 2420 -2280ق. م. وقد ذكر قائد الجيش المصري آنذاك

---

1 - J.DESANGES, OP. CIT, 461. & HERODOTE livre VI, para. 168.

2 - A.R WILCOX, THE ROCK ART OF AFRICA, P.44 . & J.KIZERBO, L'ART PREHISTORIQUE AFRICAIN, P. 721.

المسمى "أوني" في نقوش مقبرته بأبيدوس أنه قاد جيشه ضد بدو آسيا، وكان جيشه مكونا من فرق مختلفة من بينها فرقة من قوم تمحو.

ثم توالى ذكرهم بعد ذلك في نص النبيل "حرخوف" حاكم مقاطعة إلفنتين (الأسرة السادسة) الذي قام برحلات إلى مقاطعة يام (مصر) فالتقى بالتمحو في رحلته هذه. ثم في نصوص الدولة الوسطى، ذكر الملك امنمحات الأول (الأسرة 12) بأنه أرسل ابنه سنوسرت لمحاربة التمحو.[1]

أما في عهد الدولة الحديثة (الأسرة 18)، فنجد إحدى ملكات الأسرة تحمل لقب "أحمس سيدة شمال الدلتا AHMES.HENT.TA.MEH.، وأيضا أحمس سيدة التمحو.

ويعتقد جمع من المختصين في علم المصريات ومنهم "نيوبري" أن الملكة أحمس هذه هي أم الفرعون المرأة "حتشبسوت"، وأن هذا الاسم لم يطلق عليها مجازا، بل لابد وأن له علاقة بشعب التمحو.. ويدلل "نيوبري" على وجهة نظره، بأنه ورد نص على جدران معبد الدير البحري الذي أقامته الملكة حتشبسوت، ومفاد هذا النص أن أحمس هذه هي ابنة ملك وأخت ملك وزوجة ملك وأم ملكة.

وعلى هذا يمكن وضعها في الترتيب التالي: بأنها بنت الملك أحمس الأول، وأخت الملك أمنحتب الأول وزوجة الملك تحتمس الأول وأم الملكة حتشبسوت.[2]

ولقد عرفت الفترة الأولى من تاريخ الأسرة 18مشكلة سماها علماء المصريات بمشكلة التحامسة نسبة إلى تحتمس، إذ تداخلت تواريخ حكم ملوكها.

وهؤلاء التحامسة هم ثلاثة: تحمتس الأول والثاني والثالث.و المعروف تاريخيا أن أبناءهم الذكور كانوا يموتون صغار السن وتبقى الإناث. ولقد أعتقد

---

1- سليم حسن، المرجع السابق. ص ص. 38-39.

2 - P.E NEWBERRY, OP. CIT, P.P: 100-102.

بعضهم خطأ، أن موت الذكور من التحامسة يرجع إلى لعنة موسى وهارون، غير أن الاكتشافات والدراسات كذبته فيما بعد.

و في هذه الظروف كانت الأميرة من الزوجة الملكية تحمل "الدم المقدس" لأنها ابنة الأب والأم الملكين، فتضطر للزواج من أخ لها غير شقيق (من زوجة ثانوية) فتعطيه بذلك الحق والشرعية في حكم مصر.

وتعلمنا المتون المصرية وتأريخ مانيتون[1]،أن تحتمس الثاني جلس على عرش الفراعنة بزواجه من أخته حتشبسوت التي أكسبته الشرعية في الحكم،لأنه ابن لتحوتمس[2] الأول من زوجه ثانوية[3]. بمعنى أن حتشبسوت من أم ملكية، ونحن نعلم أن الفراعنة إذا تزوجوا بأجنبيات ينزلن إلى المرتبة الثانية بعد الزوجة الأخت.

لكن، حتى وإن كانت الظروف على هذا المنوال فإننا لا نستبعد أن تتمكن زوجة ثانوية من إيصال ابنها أو ابنتها إلى سدة العرش دون احترام هذه القاعدة، والتاريخ المصري القديم مليء بتدبير المؤامرات من أجل بلوغ هذا الهدف..

كما لا يفوتنا في هذا المقام، التذكير بلجوء حتشبسوت إلى قصة تدخل آمون رع رب الأسرة في اختياره لها وتأكيد بنوته المباشرة لها، فتقمص بذلك روح أبيها تحوتمس الأول حين أنجبتها أمها. ونعتقد بأن لجوء حتشبسوت لهذا الإجراء، ربما جاء نتيجة لإحساسها بشبهة يمكن أن تمس شرعية ولايتها للعرش.

---

1- مانيتون: MANETHO: كاهن مصري عاش في بداية العصر البطلمي وهو أول من دون تاريخ الملوك المصريين القدماء.

2- يعتقد جاك بيران J.PERENNE أن التحامسة الثلاثة أبناء غير شرعيين، لذلك اتخذوا هذا اللقب تحتمس ومعناه "الذي أنجبته تحوت"وتحت أله المعرفة ن في حين أن الملوك الشرعيين ينتسبون إلى اله الدولة "أمون –رع " أنظر سوزان راتيبة: حتشبسوت الملكة الفرعون،ص 21.

3- سوزان راتيبه: حتشبسوت الملكة الفرعون، تر. فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1998، ص. 26.

وبغض النظر عن صحة وجهة نظر "نيوبري"، فإننا نجد تفسرا لارتداء الملكة حتشبسوت لباس الرجال ولم يسبقها إلى ذلك أي امرأة مصرية، في حين تخبرنا النقوش على الآثار المصرية أن الزعيمات الليبيات ظهرن بلباس الرجال "على جدران معبد الملك ساحورع" حيث ارتدت جراب العورة وهي أهم قطعة تميز الرجل عن المرأة، وبذات الصورة ظهرت المرأة الليبية على نقوش مدينة "هابو" للملك رمسيس الثالث.

لم تجدهذه الفرضية ارتياحا وتقبلا لدى بعض المتخصصين في علم المصريات وخاصة المصريين منهم، إذ استبعدوا أن تكون إبنة الملك أحمس الذي أجلى الهكسوس من زوجة ليبية من قبيلة التمحو. (؟؟)

غير أن الشواهد التاريخية تشير إلى أن اللهبين ومنهم قبيلة التمحو، قد اغتنموا فرصة ضعف الدولة المصرية أثناء احتلال الهكسوس لها، فتوغلوا إلى أبعد الحدود في أراضي مصر من شمالها إلى جنوبها.

فهذا الأمير "سقنرع " من الأسرة المصرية 17 وهو والد الفرعون أحمس، في حربه ضد الهكسوس قد أرسل مبعوثا إلى الواحة الشمالية (البحرية) بغرض تأمين هذه الجبهة ضد العناصر الليبية .

غير أن هناك من يذهب إلى أن تواجد "التمحو" في الأرض المصرية يعود إلى عهد الدولة القديمة،وأن تواجدهم بمصر لم يكن يشكل خطرا، لذلك يعتقد بأن مبعوث الملك كان بهدف تجنيدهم ضد الهكسوس وضمان عدم تحالفهم معهم، أو تجنيدهم في صفوف جيشه مثلما فعل الملك بيبي الأول ذلك في الأسرة السادسة..

أما مسألة زواج بعض الملوك الفراعنة من نساء من التمحو فهي عملية واردة قبل مرحلة الدولة الحديثة، إذ يعتقد أن بعض الملوك استحسنوا نساء التمحو ذوات البشرة البيضاء والعيون الزرقاء والشعر الأشقر.

وأول حادثة زواج كانت أثناء مرحلة الدولة القديمة، إذ نجد في مقبرة الملكة "مرسى عنخ الثالثة بالجيزة صورة لوالدتها حتب- حرس الثانية" وهي بنت الملك خوفو صاحب الهرم الأكبر (الأسرة الرابعة).

وهنا تظهر "حتب- حرس" بلون بشرة بيضاء ناصع وشعر أشقر وهي تحلي جبينها بخصلة قصيرة.[1]

وكذلك وجدت رسوم تمثل زوجة الملك خوفو (أم حتب-حرس الثانية) على جدران مقبرة ابنها الأمير خوفو شاف KHUFUSHEF بنفس مواصفات التمحو.[2]

وربما يؤكد هذا الأمر قيام علاقات بين المصريين والتمحو في ذلك الوقت، وأغلب الظن أنها كانت صلات نسب ومصاهره،تختلف في طبيعتها على ما جرت عليه العادة من العلاقات العدائية والاقتتال..

- موطن التمحو

لقد تعددت وتضاربت الآراء حول تحديد بلاد التمحو، ويرجع ذلك إلى الاختلافات في وصف هذا الموطن عند الذين تعرضوا لذكر قوم التمحو.

وأول ذكر لهؤلاء القوم، كان على لسان القائد" أوني (الأسرة 6) حينما جند رجالا من التمحو في جيشه، كانوا قد أتوا من واحة الخارجة. ثم ورد ذكرهم مرة أخرى على لسان الرحالة ورئيس المترجمين "حرخوف"، الذي قام بأربع رحلات إلى بلاد يام بالنوبة. ففي رحلته الثالثة التي كانت في أثناء حكم بيبي (الأسرة 6) جاء على لسانه: "خرجت من الثينية (أبيدوس) على طريق الواحات (الخارجة) وقد وجدت رئيس يام قد ذهب إلى أرض التمحو، ليضرب التمح في ركن السماء الغربي، فذهبت وراءه وأرضيته."[3]

---

1 - H. ALAN GARDNER, ANCIENT EGYPTIAN ANOMASTICA VI, P 115.

2 - A.FAKHRY, Bahria oasis, p.7

3- عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج 1مصر والعراق، طبعة رابعة مزيدة ومنقحة،القاهرة: مكتبة الأنجلو- مصرية1984، ص. 145.

لقد ثار جدل كبير حول تحديد موقع بلاد التمحو. فهناك من يرى بأن "يام" تقع بالقرب من مجرى النيل على مستوى الشلال الثاني، وأن بلاد التمحو تنتشر في طريق الواحات غرب النيل، وتمتد حتى واحة سليمة. في حين يرى جاردنر وبيتس بأن موطن التمحو هو واحتي دكرور ودنقل، لأنهما تقعان في مسار طريق "حرخوف" الذي خرج من أبيدوس عن طريق واحة الخارجة،ثم نزل إلى يام فوجد أميرها قد خرج إلى ركن السماء الغربي أي إلى دنقل ودكرور.[1]

أما "جون يويوت" فقد توصل في بحثه عن بلاد "يام" بأن واحة دنقل ليست موطن التمحو، بل هي بلاد يام نفسها.أما بلاد التمحو فتقع شمالا في المنخفض الغربي من واحة الداخلة ثم نزلوا (أي التمحو) بعد ذلك جنوبا باتجاه الأراضي التابعة لبلاد يام.[2]

ويبدو أن أراضي التمحو كانت من الشساعة بحيث امتدت من الشمال الغربي حتى شملت واحتي الداخلة والخارجة، هذا عن نتائج أبحاث المؤرخين، أما ما خلفته الآثار المصرية الفرعونية وما تحمله من نقوش ونصوص مدونة، فتوحي لنا بأن بلاد التمحو تقع بالجنوب. فهناك أثر هو عبارة عن مسلة مهداة من قائد اسمه "راموزي " إلى "الملك" رمسيس الثاني. هذه المسلة موجودة ببهو معبد رمسيس بوادي السبوع بالنوبة، كتب عليها أن "ملكه" أمر في العام الرابع والأربعين نائبه في كوشي، ليحمل برجاله للقبض على التمحو وأخذهم للعمل في معبد آمون.

وهذه إشارة واضحة في النص الذي يرجع إلى الدولة الحديثة بأن قوم التمحو كانوا يستقرون في الجنوب، لأنه لوكان مكانهم في الشمال (كما أقترح

1 - ALAN GARDNER, ANCIENT EGYPTIAN ANOMSTICA. p.116. & BATES, OP. CIT.,P. 21.

2 - Jean Yoyotte, «pour une localisation du pays de IAM» LE CAIRE: BIFAO, 1953.P.P : 77-79

البعض في واحة الخارجة)، لخرج لهم جيش من مدينة "أدفو" وليس جيش النوبة السفلى.[1]

وربما يؤكد هذا الرأي نص آخر يرجع للملك "رمسيس الثالث"، الذي أهدى أحد المعابد حجري تمحو من واوات. وبلاد واوات هذه تقع في الجنوب، وبالتالي فالتمحو هم الجيران الشماليون لهم [2] حسب اعتقاد "بيتس".

لكن، مهما اختلفت الآراء حول تحديد هذا الموطن، فمن المؤكد تاريخيا أن قبيلة التمحو اغتنمت مرحلة الفوضى والاضطراب الذي حصل في مصر أثناء المرحلة الانتقالية الأولى، فأدى بذهاب المركزية في الحكم وعودة الإقطاع وعدم السهر على أمان البلاد،فتسللت جماعات منهم إلى مصر.

وهناك منظر مشهور في مقبرة، من عهد أمنمحات الأول (الأسرة 11) في بني حسن، تصور قافلة من التمحو ومعهم زوجاتهم وأطفالهم وحيواناتهم.. وقد أستقر التمحو بجوار أبناء عمومتهم التحنو، لكن هؤلاء الآخرين فقدوا كيانهم واندمجوا مع التمحو.

وبالتالي فلا يفترض بأن التمحو، قد عاشوا في الجنوب فقط كما أشارت إلى ذلك المسلات السابقة، بل شغلوا إقليما واسعا امتد شمالا من الشمال الغربي للدلتا باتجاه طرابلس.(الخريطة2) .

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى الدراسات والحفريات التي أشار إليها "أوريك بيتس" التي عثرت على آثار زحف قام به قوم من الجنوب في فترة تتزامن مع الفترة الانتقالية الأولى في مصر، وانتشروا بمحاذاة النيل وقد تخطوا في زحفهم الشلال الثاني جنوبا ثم واصلوا انتشارهم شمالا لغاية الشلال الأول..

وتدل نتائج الأبحاث الأثرية في هذه الجهات، بأن هؤلاء القوم ليسوا بزنوج، ويعتقد بأنهم من التمحو الذين نزحوا في طريقهم من الجنوب الغربي للصحراء الليبية (حاليا) متجهين شمالا. كما اتفق فريق من علماء الآثار نذكر

---

1 - J.YOYOTTE, UN DOCUMENT RELATIF AUX RAPPORTS DE LA LIBYE ET DE LA NUBIE. BULLETIN DE LA SOCIETE FRANCAISE D' ARCHEOLOGIE. N° 6. 1951. p.p:13 14.
2 - O. BATES, THE EASTERN LIBYANS. P.P: 48 -49.

منهم "ستانفورد"، "فايدهرب"، "بروكا" و"بيتس" على سبيل المثال لا الحصر، أن هؤلاء القوم أنتجوا نوعا مميزا من الفخار أطلقوا عليه اسم فخار"ج" أو" C"، وقد عثر في النوبة على مجموعة مقابر لقوم ليسوا بمصريين أطلق عليهم أصحاب المجموعة الثالثة أو مجموعة "C" ( لعدم معرفة اسمهم الحقيقي) ويؤرخ لها فيما بين 2400- 1600ق.م

كما اكتشف نفس النوع من الفخار فيما بين الشلال الأول والثاني بمحاذاة القبور، والذي تم اكتشافه من طرف "نيو بولد" في وادي "هو" على مسافة 400كم جنوب غرب الشلال الثالث. وإلى الغرب منه اكتشفه أيضا "فروبينوس " في الصحراء الليبية (الحالية).[1]

ولقد قام "بيتس" بدراسة مقارنة بين المجموعة ج أو"c" وأقوام التمحو، فلاحظ وجود شبه كبير في طريقة الدفن، وإتباع عبادة البقر عند كلهما، بل وجد تشابها أيضا في بعض الآثار الحضارية المادية مثل اللباس والفخار والأسلحة والتزيين بالوشم.[2]

وإن كان "بيتس" في ذلك يختلف مع الفريق الأول، في أن التمحو قد زحفوا من الشمال باتجاه الجنوب وليس العكس أي من الخارجة واستقروا في الوادي.[3]

أما إذا رجعنا إلى النصوص اليونانية، فنرى أن هيرودوت قد جعل قبيلة الأدرماخيدي أقرب القبائل الليبية إلى مصر.

واعتقد أن وصف هيرودوت أقرب إلى الصواب ولا يبتعد عن الحقيقة، وأن التطور التاريخي لتنقلات القبائل على حدود مصر يثبت ذلك.

أما النصوص المصرية فتؤكد زحف التمحو على مواطن التحنو (وهناك شبه إجماع بأنها كانت أي التحنو محاذية للدلتا المصرية من جهة الغرب) أي في

1- سليم حسن. المرجع السابق. ص. ص: 65-68.

2 - O.BATES: OP. CIT, p 252.

3 - Op-Cit,P.245.

الشمال، وكان ذلك أثناء حكم الدولة القديمة. ولقد ساعدهم على انتشارهم جنوبا كثرة عددهم، بالإضافة إلى أن التحنو لم يكونوا من الشعوب المقاتلة كالتمحو الذين استعان بهم القائد المصري " أوني" في حروبه الآسيوية.

وتشير نصوص الآثار المصرية في عهد الفرعونين رمسيس الثاني والثالث من عهد الدولة الحديثة، وربما قبلها في أثناء الفوضى التي خلفها اختلال الهكسوس لمصر، أن هذه الفترة قد عرفت زحف التمحو جنوبا، وربما كان ذلك بسبب ظهور قبائل ليبية أخرى ضغطت عليهم من ناحية الشمال ...

وترى الباحثة "دوسانج" Desanges بأن الأدرماخيدي في المصادر اليونانية كانوا مستقرين على طول النيل، وأنهم استوطنوا واحات جنوبية، وهذا ما كان ينطبق على انتشار التمحو في الدولة الفرعونية لغاية الجنوب.[1]

وقد تميز هؤلاء التمحو عن الليبيين السابقين لهم بالعيون الزرقاء، الأمر الذي أدى بسليم حسن إلى الاعتقاد، بأن لفظ " أترماخ" في اللغة اليونانية الأصلية يطلق على أزرق العينين ثم حرف إلى "درماخ".[2]

وهنا وجب علينا أن نتساءل: ألا يحتمل أن يكون اليونان وعلى رأسهم هيرودوت، قد استخدموا كلمة أدرماخيدي من أصل كلمة "درماخ" أي أصحاب العيون الزرقاء؟

ومهما كان الطريق الذي سلكه قوم التمحو في انتشارهم، فالمؤكد هو أن هذه القبيلة الليبية كانت كثيرة العدد فاستغلت فرصة ضعف الدولة الفرعونية أثناء فترات الانتقال الأولى والثانية، فاستقرت في كل الواحات.

والواحات التي ذكرتها النصوص المصرية هي:

-الواحات الشمالية: الفرافرة والبحرية.

-الواحات الجنوبية: الخارجة والداخلة.

---

1 - J.DESANGES, LED PROTOBERBERES, P. 462.

2- سليم حسن، المرجع السابق، ص. 63.

ولم تدخل هذه الواحات تحت السلطة الفرعونية قبل مرحلة الدولة الوسطى، أي حوالي القرن 20ق.م، ثم سرعان ما فقدت السيطرة عليها أثناء احتلال الهكسوس لمصر، مما مكن الليبيين من الاستقرار بها من جديد.

إلا أن هناك من يرى من جهة أخرى بأن هذه الواحات لم تتمصر نهائيا إلا في عهد الأسرة 18 على أيام الفرعون تحوتمس الثالث، أما واحة سيوة وهي الأبعد عن النيل فلا نجد أي أثر مادي أو كتابي فرعوني بها لغاية عهد "أمازيس" في الأسرة (26) كما يذهب إلى ذلك عالم المصريات الشهير أحمد فخري.[1]

3- الربو RBW

يجمع المختصون بأن ظهور هؤلاء القوم لأول مرة على الآثار المصرية، كان في رسوم تعود في تاريخها إلى عهد الملك سيتي الأول (الأسرة 19)، وهذا النقش يصور الأجناس الأربعة المعروفة لدى المصريين القدماء وكان من بينهم الربو أو الليبو (كما تحورت الكلمة فيما بعد) بصفاتهم المميزة لهم.

أما ذكرهم في النصوص المكتوبة فقد أتفق جمع من المؤرخين بأنه كان لأول مرة في عهد الملك رمسيس الثاني (خليفة سيتي الأول)، ولقد جاء هذا الذكر على أجزاء من لوحة عثر عليها في حصن العلمين، كتب عليها ما مفاده أن رمسيس الثاني قام بغزو بلاد الربو.[2]

وإن كانت الباحثة "نيبي" في بحث حديث صدر لها. ترى بأن ظهور الربو على الآثار المصرية كان في وقت سابق إذ يرجع إلى عهد الأسرة 18، وقد ذكر قوم الربو (الليبو) في نصوص ترجع إلى عهد الملك تحموتمس الثالث، ثم ذكرت لوحة " ميت رهينة" جبال الربو التي ترجع إلى عهد الملك امنحتب الثاني.[3]

---

1 - A.FAKHRY, THE OASIS OF EGYPT. VI ( Siwa oasis ) CAIRO: AMERICAN UNIVERSITY A.R.E. P.P: 74 –77.

-VII, (BAHRIA OASIS AND FARAFRA OASIS ) p. 52.

2- سليم حسن، المرجع السابق، ص 45.

3 – A.NIBBI,OP.CIT. P.77.

ومما يؤكد هذا الرأي هو ظهور الجندي الليبي بنفس مواصفات رجل الربو ضمن صفوف جيش الملك "امنحتب الرابع" الملقب بإخناتون من الأسرة الثامنة عشر، وقد تميز هذا الجندي بالشعر القصير والظفيرة المنسدلة خلف الأذن. وكذلك ظهر في نقش آخر ضمن الحرس لنفس الملك. والأثران موجودان بمقبرة " مري –رع " بتل العمرانة.[1]

والربو أو الليبو عموما هو اسم لمجموعة القبائل المكونة لشعب الليبو القوي الكثير العدد؛ لدرجة أن الإغريق في عصور لاحقة، قد أطلقوا اسم هذه القبيلة على كل القبائل التي كانت تقطن شمال إفريقيا غرب الدلتا.

ومن ضمن قبائل الربو كما ذكرت النصوص المصرية، الأسبت ESBET، قهق KEHEK، اموقهق UMUKEHEK، ويكاد المختصون من علماء المصريات ممن تناولوا الموضوع بالدراسة يجمعون بأن مقر سكناهم يقع إلى الغرب من مدينة برقة(الخريطة2)، ولهذا السبب فإن زعيم الربو عند تحرك جيشه لاستيطان مصر،كان يهدف النزول على أرض التحنو وهو الأقرب لأرض مصر وهاهو النص: « ...إن زعيم الربو مري بن دد انقض على إقليم التحنو برماته.. »[2]

وان كان هناك من الباحثين من يعتقد بأن الليبو وجبال الليبو التي ذكرتها النصوص المصرية هي جبال الأطلس الصحراوي في شمال إفريقيا، وحسب شارل أندري جوليان، فإن "أسماء زعماء الربو، تشبه كثيرا أسماء النوميديين".[3]

ويشاطره هذا الرأي جمع من المختصين، نذكر منهم على سبيل المثال "كابار"، "ماسبيرو" و"سليم حسن"؛ حيث يرى الأول أن الليبيين الذين ظهروا على

---

1 - N. DE G..DAVIES, ROCK TOMBS OF EL AMARNA. PART I, LONDON: 1903. P. 26. PL XV

2- قبل ظهور الربوعلى الساحة, تعرف قدماء المصريين على قبيلتين ليبيتين هما: التحنو والتمحو. غير أنه في كثير من النصوص السابقة على الدولة الحديثة استخدمت التحنو للإشارة إلى القبيلتين معا.كما استخدمت فيما بعد ولغاية قيام الأسرة 22, إسم الربو للإشارة إلى كل القبائل الليبية.

3 C.A.JULIEN, HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD (DES ORIGINES A LA CONQUETE ARABE ).PAYOT, PARIS 1975,P. 54.

مقبرة سيتي الأول يعيشون الآن في شمال إفريقيا بأسماء مختلفة هي: البربر، قبايل، شاوية وطوارق، وما زالوا يحافظون على الرغم من الاختلافات الناجمة عن المميزات الخارجية مثل البشرة البيضاء والعيون الزرقاء، والأنف الطويل المعقوف والشعر الملولب واللحية المدببة، بل يظهر ذلك حتى في عادة الوشم وبنفس الرسوم التي وجدت على مقبرة سيتي الأول ومنها رمز الإلهة نيت الليبية.[1]

واعتمادا على الآثار المصرية أيضا وتتبعا لبعض النصوص المصرية فإننا نخلص إلى أن موطن الريبو، منطقة سهلية خصبة كثيرة الخيرات، تسمح بعيش قبيلة عرفت بكثرة عددها مثل قبيلة الريبو وأيضا بتربية المواشي المتنوعة التي استولى عليها الفراعنة بعد انتصارهم على الريبو، وتشمل الأرض الواقعة الى الغرب من برقة كل هذه المواصفات المتميزة بالخصوبة.

فهذا سترابون في منتصف القرن الأول ق.م وفي وصفه لأرض ليبيا، يقول عن المنطقة الممتدة من برقة حتى المناطق التابعة لقرطاجة ثم موريتانيا فأعمدة هرقل بأنها شديدة الخصوبة.

**- الصفات الأنثروبولوجية للريبو**

أما عن مواصفات الريبو، ومن خلال الآثار المصرية دائما، نتبين أنهم كانوا مثل التمحو ذوي بشرة بيضاء وشعر أشقر، وهم متوسطو الطول، يربط الرجل من قوم الريبو خصلة أو ظفيرة من جانب الصدغ (خلف الأذن) ويزين شعره بريشتين، ويرخي لحيته، في حين يتميز عن غيره من الليبيين بشارب طويل(كما هوواضح في اللوحةرقم1)، وبالوشم الذي يزين ساقيه وذراعيه، وهو عبارة عن رمز الإلهة الليبية نيتNEITH. كما يلبس رجال الريبو جلابيب (رداء) طويلة، مفتوحة على جنب وتربط على كتف واحد.

1 - M.CAPART, PREHISTORIQUE EGYPTIEN, SOCIETE D'ANTROPOLOGIE DE BRUXELLS. 1904. T XX.P.6.

وهناك اختلاف آخر لرجل الريبو عن غيره من الليبيين هو ارتداؤه لقميص تحت الرداء بدلا من جراب العورة.[1]

ويفسر بعض المختصين بأن عدم ارتداء جراب العورة دليل على عدم ختانهم ويعتبرون رجال الريبو "نجسين"، فيعاقبهم الفرعون بقطع عضو الذكر.

وأعتقد أن هذا الرأي غير مصيب، فالعقاب بقطع عضو التذكير عند الفراعنة، كان لكل الشعوب ليبيين كانوا أو آسيويين. والدليل على ذلك هو أمر رمسيس الثالث في حربه مع المشواش، بقطع أعضاء الذكر عندهم على الرغم من أنهم كانوا يلبسون جراب العورة (أي مختتنين حسب تفسير معظم المتخصصين في الموضوع). كما أفترض أن الاختلاف في الملابس بين الريبو وبقية الليبيين كان مجرد اختلاف في الأذواق وطراز لبس الليبيين لا علاقة له بالأجساد.[2]

لقد بدأ قوم الريبو يلعبون دورا مهما في تاريخ مصر، ابتداء من عهد رمسيس الثاني الذي تنبه للخطر الكامن على حدود مصر،مما جعله يقطع سلسة معارك ناجحة خاضها ضد الحيثيين وانتصر في معظمها ويطلب الصلح مع ملك الحيثيين، ليرجع ويدافع على حدود مصر المهددة، عوضا من توسيع الإمبراطورية المصرية من ناحية الشرق على حساب أراضى الدولة الحيثية.

وبرجوع رمسيس الثاني إلى مصر أمام مجموعة من الحصون الوقائية ومنها حصن العلمين ( الذي سبق ذكره ) لكن هذا لم يمنع زعيم الريبو، من تكوين حلف والزحف على الأراضي المصرية..

---

1 - STRABON, GEOGRAPHIE, LIVRE II, PARA 33, P. 212.

2- العقون أم الخير، العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا "منذ أقدم العصور نهاية الألف الثانية ق.م،رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الإسكندرية، 1988، ص. 218.

4- المشواش .MESHWESH:

وهي آخر القبائل الليبية، التي تعرف عليها قدماء المصريين. ويرى فريق من الباحثين بأنهم ذكروا بالنص المكتوب لأول مرة في خطابات ترجع في عهدها لفترة حكم الملك "رمسيس الثاني ( الأسرة 19)، حيث كانوا يؤلفون فرقة في جيشه.

في حين أن هناك من يذكر بأن ظهورهم كان في الأسرة 18 مستدلين في ذلك بنصوص ترجع لعهد الملك "امنحتب الثالث" والتي ذكرت قوم المشواش ك"صناع معدن، ومربي ماشية سمينة، لا تنشأ عند الرعاة في بادية، وإنما في أرض بها ماء وكلأ كثير". [1]

ومما يؤكد وجهة نظر "نيبي" هذه، أنهم كانوا على رأس القبائل الليبية التي حاربت والد "رمسيس الثاني"، الملك "سيتي الأول"؛ وإن كان الكاتب المصري القديم قد نقش فوق رسومهم على الآثار المصرية اسم التحنو بدلا من المشواش، على الرغم من أنهم كانوا بيض البشرة عكس التحنو المعروفين بسمرة بشرتهم.

وفي دراسة مستفيضة للباحث "ونورايت"WAINWRIGHT عن قوم المشوااش، توصل إلى فرضية مفادها أن أصل المشواش من التحنو، أو أنهم والتحنو من أصل واحد.

ومن الأدلة التي ساقها الباحث من أجل تأكيد هذه الفرضية،أن زعيم المشواش في حربه مع رمسيس الثالث " (الأسرة 20) كان يظهر بصفات التحنو ومنها شعر طويل وخصلة على الجبين، ويرتدي الذيل وساتر العورة والأشرطة المتقاطعة. [2]

---

1 - A.NIBBI, LAPWINGS AND LIBYANS IN ANCIENT EGYPT. P. 78.

2 - G.A. WAINWRIGHT, THE MESHWESH. LONDON: JEA, N: 48, 1962, p.92.

والاحتمال الأقرب إلى الصواب هو أن التشابه في بعض الصفات بين التحنو والمشواش قد أوقع كاتب نصوص الملك "سيتي الأول" في لبس، فأسماهم التحنو عوضا عن المشواش.

أما المناظر المنقوشة على جدران معبد هابو (في صعيد مصر) والتي ترجع إلى الملك رمسيس الثالث، فقد احتوت عليا لصورة والنص معا، بمعنى أنها احتفظت بمواصفات المشواش ودونت النص الذي ذكر اسمهم.

ومن خلال هذه الرسوم نتبين أن المشواش جنس أشقر، فهم بيض البشرة، وعيونهم فاتحة (عكس التحنو) ويتقاسمون هذه الصفة مع التمحو والريبو، ويحتفظون بأهم الخصائص التي يميز بها المصري القديم الليبيين منذ أقدم العصور، ألا وهي اللحية المدببة والأشرطة المتقاطعة على الصدر، وجراب العورة والذيل، كما ارتدى الرجل من المشواش المعطف الطويل وتزين بالريش مثل قوم الريبو والتمحو.

وهناك شبه إجماع بين الدارسين والمتخصصين، بأن المشواش هم الماكسيون أو الماكسيز Maxyses، الذين ذكرهم هيرودوت وحدد مكان استقرارهم غرب بحيرة تريتونيس (شط الجريد) بتونس، ومن صفاتهم حلق الرأس كله والإبقاء على ظفيرة تنزل على الصدغ الأيمن. ويقول هيرودوت بأن هيكاتيوس قد ذكر قبله بأن الماكسيين كانوا يعتقدون بأنهم أحفاد الطراوديين (نسبة إلى طروادة اليونانية).[1]

هذا عن الكتاب القدامى، أما عن الكتاب المعاصرين، ومن علماء المصريات بالضبط يمكن ذكر "جيمس هنري برستد" الذي يقول بأنه كان" يقطن غربي بلاد الليبيين قوم يقال لهم المشواش، قطنوا الصحراء المجهولة الحد وقتئذ، وقد ذكرهم هيرودوت بالماكسيز، وهم بلا جدال أصل البربر الذين عمروا في شمال إفريقيا. والمشواش قوم متمدنون نوعا ما،ماهرون في الفنون الحربية

---

1 - HERODOTE: LIVRE IV,PARA 191, P.193.

مسلحون جيدا قادرون على القيام بحركات هجومية ضد فرعون مصر ويوافقه في الرأي جاردنر.[1]

في حين يرى "بيتس": "أنه ليس من الضرورة أن يكون المشواش أسلاف الماكسيين وإن كان ذلك غير مستحيل أيضا،ولقد أكد أحد كبار علماء المصريات وهوجيمس هنري برستد على هذا الأصل." [2]

ودائما حسب رأي "بيتس" فقد استخدم المشواش أصل التسمية التي أعطت الجذر √MZGH.

ويرى "بوزنر" بأن الجذرMASS الذي استخدمه المشواش في مصر الفرعونية يعني السيد ومازال مستخدما لحد الآن في اللغة الترقية. [3]

ونتبين أن "بيتس" لا يقر بصراحة بانحدار الماكسيين من أصل المشواش، وإن كان يتبنى كل الأدلة التي تؤدي إلى هذه النتيجة. ويكرر في كتاباته كل مرة، بأن المشواش قدموا من مكان من الغرب، وقد اتخذوا طريقا ساحليا حيث زحفوا على الريبو. وكانت برقة أبعد حدود الريبو الشرقية وبالتالي نعتقد أن موطنهم يبدأ من تونس حاليا. (أنظر الخارطة 2)

وإذا بحثنا في كتابات الدارسين المتخصصين في التاريخ القديم للمنطقة نجد أن "ج.كامبس" يرى بأن قبيلة المشواش قد سكنت بلاد المغرب القديم، وأنهم اتخذوا طريقا ساحليا في سيرهم من الغرب إلى الشرق.[4]

ويتفق الباحثان (بيتس وكامبس) وقد اختص الأول منهما في علم المصريات بينما تفرغ الثاني لدراسة مرحلة فجر التاريخ في المغرب القديم) بأن كلمة

---

1- جيمس هنري برستد. تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي. ترجمة حسن كمال. الطبعة الثانية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص 381. و أيضا جاردنر، المرجع السابق، ص.312.

2 - O. BATES, OP CIT, P 51

3 - G. POSENER, Dictionnaire de la civilisation Egyptienne. Paris: Fernand Hozan, 1959. p 149.

4 - G.CAMPS, AUX ORIGINES DE LA BERBERIE «MONUMENTS ET RITES FUNERAIRES » PARIS : ARTS ET METIERS GRAPHIQUES, 1961. P 446.

مشواش من أصل بربري وهي MSU، المرادف لكلمة MZCH، وقد تغيرت عند الإغريق فأصبحت MAZYES ثمMAXYES وفي اللاتينيةMAZICES .[1]

أما الجذر الحامي فهو حسب اعتقاد "بيتس" فهو: MZGH، ويطلق على الحاميين في شمال إفريقيا ومعناه النبيل والحر.

ومثله مثل أي لفظ أو اسم، فقد طرأت على هذه التسمية تغييرات وتخريجات من منطقة لأخرى فهي:

MUSAGH: بربر غرب فزان

IMAGIGH: العير

TA-MASIGHT: أدرار

I-MAZIGHEN: الريف المغربي

I-MAZIGHEN: الأوراس.[2]

وعلى الرغم من التغيرات الطفيفة على الاسم الأصلي لسكان شمال إفريقيا، من منطقة لأخرى، فإن ذلك إنما يبين الوحدة الإثنية (العرقية) لبربر شمال إفريقيا.

ولا يشذ عن إجماع الباحثين في الربط بين الماكسيين والمشواش – حسب ما أعلم، إلا "غزال" الذي يرى بأن الماكسيين ليسوا خلفاء المشواش وأن التشابه في الأسماء وحده لا يكفي للقول بأن المشواش القريبين من وادي النيل قد تنقلوا إلى الغرب وأنهم هم الماكسيون.[3]

ويعتقد أيضا بأن المشواش إنما كانوا يستقرون في منطقة قريبة من مصر،وأن بعض المغامرين فقط من بلاد البربر التحقوا بالمشواش والريبو

---

1 - G.CAMPS, LES BERBERS. P. 15.

2 - O.BATES, OP. CIT. P.47.

3 - S.Gsell, textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du nord. Hérodote, Alger-Paris: 1916.p.p: 133-134.

واستقروا معهم في بلاد الفراعنة. كما يستبعد أن تكون أي قبيلة من القبائل التي قطنت غرب برقة،قد مثلت على آثار الكرنك.[1]

والحقيقة أن غزال (أو قزال) لم يقنعنا تماما بما فيه الكفاية، في حين أن آراء الفريق الأول قد اعتمدت أصلا على أقوال الكتاب الإغريق من هيكاتيوس وهيرودوت ومن أخذ عنهم من اللاحقين. بالإضافة إلى حقيقة أخرى وهي اعتقاد الماكسيين أنفسهم بأنهم أحفاد الطراوديين[2]. وأفترض بأن لهذا الاعتقاد ما يفسره، إذا رجعنا ثانية إلى المصدر المصري القديم. فالحروب التي تزعمها المشواش ضد المصريين القدماء، كانت في فترة متأخرة، ترجع إلى أواخر القرن 13ق. م والقرن 12ق.م، وهذه الفترة تعاصر تحركات الهجرات الضخمة التي تسبب فيها ضغط بعض الأقوام الهندو- أوروبية النازحة من البلقان والبحر الأسود على السكان السابقين لإغريقي العصر الكلاسيكي في جزر وسواحل البحر المتوسط.

فبعد سقوط جزيرة كريت في أيدي الآخيين، اتجه سكانها يبحثون عن موطن جديد، ولم تلبث هجرات هندوأوروبية جديدة وعنيفة أن وفدت على شرق البحر المتوسط أيضا، ودفعت أمامها السكان في الشرق الأدنى القديم وفي آسيا الصغرى، وقد أطلق المصريون القدماء، على الوافدين الجدد اسم شعوب البحر.

ولا نستبعد وصول بعض الفارين أمام هذه الغزوات الهمجية إلى سواحل شمال إفريقيا، بل إن نصوص ورسوم الكرنك ومدينة هابو تؤكد تحالف المشواش مع بعض قبائل شعوب البحر ومن فر أمامهم مثل الطراوديين. وهذا ما يزيد في حجة القائلين بأن الماكسيين أحفاد المشواش الذين تحالفوا مع بعض قبائل البحر والطراوديين على أرض مصر...

---

1 - S. Gsell, Histoire Ancienne de l' Afrique du nord. T I, les conditions du développement historique « les temps primitifs, la colonisation phénicienne et l'empire de Carthage » réimpression de l' édition 1921-1928, as nabruck. 1972, p 354.

2 - S.Gzell,textes relaifs,p.p: 119-120.

وفي حديثه عن المشواش وعلاقتهم بشعوب البحر يقول "وانرايت" أن المشواش أخذوا عن حلفائهم استعمال السيوف الطويلة التي تتراوح أطوالها بين ثلاثة وأربعة أذرع وتصل إلى منتصف حاملها.

وكذلك أخذوا عنهم مهارة ركوب الخيل، وقلدوهم في استخدام إشارة معينة لإبعاد الشر يطلق عليها مصطلح Mano Carnuta وهي إشارة باليد ترفع في وجه الأعداء لابعاد الشر.[1]

والحقيقة أن هذه السيوف الطويلة قد ميزت المشواش عن غيرهم من القبائل الليبية.

ولقد غنم منها قدماء المصريين كمية صغيرة في حروب الليبيين مع الملك مرنتباح (الأسرة 19) ورمسيس الثالث (الأسرة 20).

وبهرت هذه السيوف لكبرها، الرسام المصري واندهش لها فرسمها على طاولات الانتصار، وركز عليها في أيدي المشواش.

ويتبين الدارس أنها كانت ثمينة، لذلك لم يحملها من المشواش إلا من هو على رأس الصفوف الليبية وكان على رأسه ريشة (وهي علامة شرف وجاه كما سبق الذكر). ويعتقد "وانرايت" بأن الليبيين أخذوها عن شعوب البحر لأن ليبيا لم تكن تتوفر على معادن ومحاجر لصنع هذا النوع من السلاح".[2]

وفي هذا المقام، أشير إلى أنه ورد نص يرجع في تاريخه للأسرة 18من حكم الملك (امنحتب الثالث) مفاده أن المشواش صناع معادن، وهذا قبل أن يتعرفوا ويتحالفوا مع شعوب البحر، كما أن نقوش الكرنك تنص على أن المصريين قد غنموا من الليبيين المنهزمين أمام جيش مرنتباح، أكثر من 120 ألف قطعة من الأسلحة الليبية الصغيرة و9111 من سيوف المشواش النحاسية.[3]

---

1 – G. A. Wainwright, the Meshwesh, p. 94.

2 Ibid. 95.

3- سليم حسن، ج 7، ص 90.

في حين أنهم لم يستولوا إلا على حوالي 400 سيفا بأطوال تتراوح بين ثلاثة وخمسة سواعد (تنسب لشعوب البحر) في حرب رمسيس الثالث مع الليبيين المتحالفين مع شعوب البحر.[1]

ويظهر واضحا أنه كان بحوزة الليبيين أسلحة معدنية قبل تعرفهم على شعوب البحر وتحالفهم معهم والحصول على السيوف الطويلة من عندهم. أما النقطة الثانية التي أخذها المشواش من شعوب البحر- حسب رأي وانرايت – فهي استعمال إشارة باليد والمسماة Mano carmuta فهي عملية لف الأصابع بحيث تعطي اليد إشارة على هيئة قرن أو أكثر، تشهر في وجه العدو، والتي ينسبها عدد كبير من الباحثين إلى شعوب البحر.فأجد من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن "هوارد" في دراسته لثقافة الصيادين بالصحراء الوسطى ووادي النيل، والتي ترجع إلى العصور الحجرية، قد لاحظ بأن هؤلاء الصيادين مزودون بذيل حيوان يربط بالحزام من خلف، في حين يلتصق به من الأمام جراب العورة (أنظر اللوحة رقم1، وتمثل محاربا ليبيا يرتدي ثوبا قصيرا يشده الى وسطه وينتهي بجراب العورة من الأمام ويضع على رأسه ريشات) من النقاط المشتركة أيضا هي رموز باليد على شكل حرف لا بثلاثة أغصان.[2]

---

1– J.H.Breasted, ancient records of egypt.t IV, p 66.

2- P. Huard, contribution saharienne à l'étude de questions intéressant l' Egypte ancienne. P. 15.



اللوحة رقم 1 وتمثل ليبيا يرتدي ثوبا قصيرا يشده إلى وسطه وينتهي بجراب عورة من الأمام ويضع على رأسه ريشات كما صورته الرسوم المصرية على جدران المعابد. وهي من وادي جرات بالتاسيلي

ونتساءل هنا: ألا تشبه هذه العلامة المتجذرة في ثقافة أصحاب الرسوم الصخرية بالصحراء الوسطى بالـ " MAMO CARNUTA ".

أما النقطة الثالثة والتي أثارت الكثير من النقاش فهي موضوع العربات العسكرية التي استولى عليها الفرعون "رمسيس الثالث" من الليبيين، وكانت قليلة العدد جدا وهو 92عربة.

ويتفق كل من "وانرايت"، و"ولسون" و"ادقارتون" بأن هذه العربات ثمينة ومكلفة بالنسبة لشعوب بربرية –حسب رأيهم– لذلك فهي تمثل عربون محبة وهدايا قدمت لهم من طرف المصريين لإسكاتهم وللحفاظ على الأمن.[1]

وهذا كلام غير مقنع لأن الهدية تقدم عادة للصديق أو لطرف هو أقوى بقصد كسب وده في حين أن المعلوم تاريخيا أن المشواش كانوا أعداء مصر، وأن رمسيس الثالث من أقوى فراعنة مصر ولم يكن في حاجة لطلب ود

---

1 - G.A Wainwright, the Meshwesh, p. 93.

الليبيين. لذلك أعتقد أنها كانت سلعة يتبادل بها المصريون مع الليبيين مقابل الذهب والعاج وسلع إفريقيا التي كانوا وسطاء في تجارتها.

وفي الكتابات الكلاسيكية ذكر هيرودوت بأن الجرامنتيين،كانوا يتعقبون التروفلوديت الأثيوبيين، ويستخدمون في ذلك عربات تجرها أربعة أحصنة. كما ذكر أيضا بأن نساء زواس Zaues وهم جيران الماكسيين، كن يقدن العربات الحربية.[1]

أما في الهواء الطلق – التاسيلي ناجر- وكذلك من جبال ألهوقار-الأهاغار- ولغاية الحدود الليبية، فقد عثر على عدد كبير من الرسوم الصخرية لعربات تجرها أربعة أحصنة كما وصفها هيرودوت.[2]

ولكثرة أعداد هذه العربات « الطائرة التي تسابق الرياح » –كما وصفها "لوت" CHARS VOLANTS (L.HOTE).فقد انكب على دراستها عدد من المتخصصين وجمعوها في مرحلة أطلقوا عليها اسم مرحلة الخيول. في حين يفضل آخرون تسميتها بمرحلة حضارة المحاربين ولهم في ذلك دلائل.

لقد ظهر هؤلاء المحاربون في منطقة الصحراء الوسطى فيما بين 1500 – 1200ق.م وهي مرحلة توافق استخدام هذه العربات الحربية من طرف المصريين بعد أن أدخلها الهكسوس لمصر.

وبظهور أصحاب هذه العربات في الصحراء الوسطى، ظهرت معهم مقومات حضارة جديدة غيرت الكثير من أوضاع المنطقة.

فبالإضافة إلى ركوبهم العربات، امتطى هؤلاء القادمون الخيول أيضا وأنتجوا نوعا جديدا من الفخار واستقروا حول مصادر الماء في منطقة الأهغار ومناطق أخرى من الصحراء الوسطى.

---

1 - HERODOTE, LIVRE IV, PARA 189, PARA 194. p.194.

2 – DE ALMASSY, RECENTES EXPLORATIONS DANS LE DESERT LIBYQUE. LE CAIRE: SOCIETE ROYALE DE GEOGRAPHIE D'EGYPTE. 1936.. P. 85.

وقد وجد المختصون صلة بين هؤلاء القادمين الجدد وبين قدماء الليبيين أجداد الجرامنت الذين ظهروا على الرسوم الصخرية بأشكال هندسية رمزية تشبه مثلثين معكوسين، لكن حافظوا على ميزاتهم وهي الريش على الرأس وسلاحهم الرئيسي المتمثل في الدرع الدائري والرمح والخنجر، ثم في فترة لاحقة تزودوا بالسيوف الطويلة.. ويؤكد ولكوكس WILCOXعلى ما اتفق عليه كل من "لوت" و"بروي" BREUIL بأنهم من أصحاب البشرة البيضاء. ولقد كون هؤلاء المحاربين، بيض البشرة أصحاب العربات الذين ظهروا في الصحراء الوسطى، طبقة محاربة ذات امتيازات فرضت سيطرتهاعلى السلالة الزنجية المتواجدة في المنطقة قبل وصولهم.

ولقد أشار اليهم هيرودوت وهم يتعقبون التروقلوديت على عربات بأربعة أحصنة.

واعتمادا على الآثار والنصوص المصرية القديمة، أعتقد بأن هذه الغزوة – غزوة المحاربين على منطقة الصحراء الوسطى– تمثل انحصار وتراجع الليبيين بعد الفشل والهزيمة الكبرى التي ألحقها بهم الفرعون مرنتباح.[1]

كما نذكر في هذا المقام بأن نشأة مملكة الجرامنتيين كانت حوالي القرن 12 ق.م أيضا، وقد قامت بجنوب فزان واتخذت "جرمة" عاصمة لها، وكانت منطقة الاهغار ضمن مرتفعات التاسيلي –ان-أجار، تكون جزءا من هذه المملكة.[2]

لقد احتوت إمبراطورية التجار المحاربين منطقة الصحراء الوسطى وكانت منطقة وسط، فلعبت بذلك دورا عظيما وخطيرا في الوساطة التجارية بين المراكز الحضارية في حوض البحر المتوسط وبين مناجم الثروة في إفريقيا من ذهب وعاج وجلود الفهود وغيرها.

---

1- مرنتباح: رابع ملوك الأسرة المصرية التاسعة عشر، حكم فيما بين 1214– 1224ق.م.

2 -J.P. MAITRE, CONTRUBUTION A LA PREHISTOIRE DE LAHAGGARE, P. 75.

وإذا رجعنا ثانية إلى متحف الهواء الطلق، فإن الرسوم الصخرية تؤكد على ما سبق ذكره، ونتمكن من تتبع الطريق المفترض، الذي كانت تمر عليه هذه المركبات العسكرية لحماية القوافل التجارية، فتقطع الطريق أودية وممرات صعبة. وعلى صخور وجدران هذه الممرات، رسمت العربات الطائرة – وأعتقد بأن هذه الرسومات كانت تهدف تخليد مسار القافلة وربما أيضا كانت إشارة أو خارطة تتبعها القوافل فلا تظل طريقها - وتخرج القافلة إذا تتبعنا رسوم العربات من طرابلس – لبدة وتنزل باتجاه غدامس ثم التاسيلي تن –أجار– ثم ألهوغار ومنه نزولا إلى أدرار أفوارس ويصل إلى النيجر في نواحي غاو gao. [1]

ونختم كلامنا عن القبائل الليبية بأن الليبين بيض البشرة ويضعون على رؤوسهم ريش ويلبسون جراب العورة ويتسلحون بالسيف الطويل ويركبون العربات. وهذه صفات كلها تتجمع في قوم المشواش وحدهم.

في حين أن التمحو لم يمتلكوا العربات والسيوف الطويلة، والريبو لم يرتدوا جراب العورة، أما التحنو فكانوا سمر البشرة ولم يضعوا على رؤوسهم الريش.

وبالتالي فان مصادر المنطقة أي الرسوم الصخرية وكذلك الآثار المصرية تبين بأن هؤلاء المشواش من سكان شمال غرب إفريقيا في منطقة تقع غرب بلاد الريبو، وحدود الريبو الشرقية هي مدينة برقة، وأنهم اتخذوا طريقا ساحليا من الغرب إلى الشرق في حروبهم مع المصريين، وقبل الوصول إلى مصر نزلوا في بلاد الريبو أولا.

لذلك فهذا المسار يؤكد استقرار قبيلة المشواش في نواحي تونس، لكنهم وبعد اندحارهم أمام الجيوش المصرية عادوا أدراجهم ناحية الصحراء الوسطى والرسوم الصخرية شاهد على استقرارهم بهذه المنطقة.

1 - GARDI, PEINTURES RUPESTERS DU SAHRA. ( tassili- n- ajjer ) orbic pictus, volume 49. LAUSANNE: Payot, 1969, WILCOX, p.41. & L.Lhote Op.cit p.p-139-140.

وبالتالي فان فرضية بعض الكتاب ونذكر منهم- TOUXIER –والتي مفادها أن الليبيين والمشواش البيض البشرة من شعوب البحر التي نزلت الى المنطقة حوالي القرنين 15 و14 ق.م[1] ومنها زحفت إلى مصر فرضية مردودة للأسباب التالية:

- أن الفنان- الرسام والكاتب المصري القديم كانت لهما علاقة ومعرفة سابقة بالليبيين، فذكر هاتين القبيلتين مع الليبيين، لأنه أدرك الصلة القوية بينهم. كما أنه كان يعرف شعوب البحر التي هاجمت مصر في عهد الملك رمسيس الثالث في السنة الثامنة من حكمه، ثم تحالفت بعض فروعها مثل الشردن والاكوش والتورش مع الليبيين من الريبو والمشواش في السنة الحادية عشرة من حكم رمسيس الثالث نفسه.

- السبب الآخر، هو أن الآثار المصرية قد احتفظت لنا بذكرى قبيلة ليبية أفرادها بيض البشرة وهم التمحو وكانت علاقتهم مع الأسرة (4) المصرية. ويعتقد أن فراعنة هذه الأسرة استحسنوا نساء التمحو الليبيين لبياض بشرتهم وشعرهم الأشقر فتزوجوا منهن وكان هذا حوالي القرن 26ق.م، أي عشرة قرون قبل نزول شعوب البحر إلى المنطقة.

لقد تعرضنا بالذكر الى القبائل الليبية الرئيسهة الأربعة –كما ذكرتها الرسوم والمتون المصرية القديمة– وهي التحنو – التمحو– الريبو والمشواش.

إلا أن هناك قبائل فرعية مهمة لا نملك عنها إلا أسماءها وهي كالتالي:

- أموقهق IMUKEHEK: وقد ظهرت لأول مرة على الآثار المصرية في عهد الأسرة الثامنة عشر على أن أصحابها من الشعوب الشمالية ( شعوب البحر) لكن، يعتقد انهم أنفسهم القهق، من الريبو.

- قهق Kehek: وهي قبيلة كبيرة العدد، اشتغل بعضهم كمرتزقة في الجيش المصري وتحالفوا مع الريبو في حربهم مع مصر.

---

1 - H. TOUXIER, HISTOIRE DE LA GEOGRAPHIE LIBYENNE.( Emigration des mythes grecs kyrene ). REVUE AFRICAINE N: 33. ALGER: OPU. 1988. P.181.

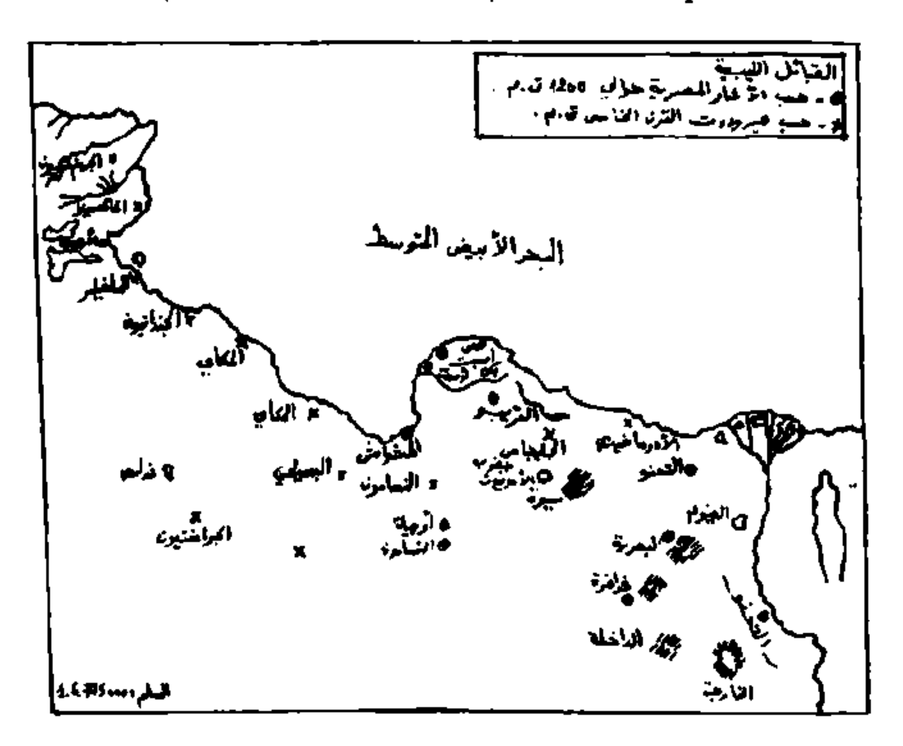
- كيكش Keykesh: قبيلة صغيرة ويعتقد بعض المختصين أنها ربما نطق خاطئ لاسم قهق، وقد ذكر رجالها ضمن المنهزمين مع الريبو والمشواش الذين أسرهم رمسيس الثالث.

- إسبت ESBET: ورد ذكرهم مرة واحدة على الآثار المصرية، ويعتقد أنهم هم من ذكرهم هيرودوت باسم ASBYSTAE.

- أقبت EKBET: وربما هو أيضا نطق خاطئ لقبيلة "إسبت".

-شاي SHAI: ذكروا مع من انهزموا أمام الفرعون رمسيس الثالث.

-هس وبكن HES - BEKEN: وهما قبيلتان فرعيتان، غير أنه يجدر بالذكر أن هناك قبيلة في برقة تحمل اسم هسة.[1] (أنظر الخارطة رقم 1)




خريطة رقم01: تمثل انتشار القبائل الليبية كما ذكرتها الآثار المصرية حوالي 1200 ق.م،
وكما ذكرها هيرودوت في القرن الخامس ق.م

1 - O. BATES, THE EASTERN LIBYANS. P.47.

### د- القبائل الليبية عند الكتاب الكلاسيكيين

ونأخذ من هؤلاء الكتاب أقدمهم، وهو أبو التاريخ هيرودوت الهاليكارناسي (484–428ق.م) الذي يعد وصفه لسكان ليبيا، من أقدم المصادر الإغريقية، من حيث تناولها بشيء من التفصيل،خاصة فيما يتعلق بصفاتهم وبعض أنواع نشاطهم.

ففي كتابه الثاني الخاص بمصر، أشار هيرودوت أكثر من مرة لجيرانها في الغرب. أما التفصيل في المعلومات فنجده في كتابه الرابع.

وبالمقارنة بما ألفه الكتاب القدماء عن الليبيين، فان هيرودوت يعتبر أوفاهم، لكنه على الرغم من ذلك، تبقى معلوماته ناقصة لا تشفي غليل الباحث؛ إذ يجد نفسه بعد تصفح الكتاب لا يعلم إلا القليل من عادات القبائل اليبية التي أذهلت واستشعرت فضول الكاتب، ويجهل الكثير من الأمور الأساسية عن هذه القبائل.... وكثيرا ما يميل هيرودوت إلى المبالغة والمغالاة، ويربط أحيانا بين ما يراه في البلدان التي زارها من ممارسة الطقوس والمعتقدات الدينية وبين ما هو موجود في بلاده؛ فتصل المعلومة "مزيفة"، وربما عن حسن نية.

ومع كل ذلك يعتبر أوفى من وصف القبائل الليبية، لذلك سوف أتخذه نموذجا للكتابات الكلاسيكية حول الموضوع.

لقد ذكر هيرودوت مجموعتين من القبائل، الأولى استقرت على الساحل من الشرق إلى الغرب، أما الثانية فهي داخلية.(ويظهر إنتشارهم كما توضحه الخارطة رقم 2)

1- الأدرماخيدي Adymachides: وكانت تشغل المنطقة من دلتا النيل في الشرق إلى ميناء بلاينوس في الغرب.

2- الجليجامي: Gligamesوكانت منازلها تمتد من ميناء بلاينوس في الشرق إلى جزيرة أفروديسياس في الغرب.



3- الأسبستي: Asbystesوكانت تشغل المنطقة إلى الغرب من ديار الجليجامي، وتمتد في الداخل بعيدة عن الساحل حتى موازاة قورينة التي كان الإغريق قد استوطنوها، وهؤلاء يتقنون استخدام السلاح وقيادة العربات التي تجرها أربعة خيول.[1]

4- الأوسخيزي: Auschiss وكانت ديارها تمتد إلى الجنوب من مدينة برقة وعند يوسبريدس(وهي بن غازي حاليا) يطلون على البحر.

5- البكالي Bacales وهي قبيلة صغيرة، كانت تعيش ضمن أراضي القبيلة الرابعة حول ساحل توكرة "غير بعيدة عن بنغازي حاليا"

6- النسامون Nasamons وهي قبيلة كبيرة العدد كانت تنتشر إلى الجنوب الغربي من القبيلة الرابعة، وكانوا يحتلون المنطقة الساحلية حتى خليج سرت الكبير، وينتشرون في الداخل عند واحة أوجيلة في فصل الصيف وجزء من الخريف، لجني التمر. كما يجمعون الجراد ويعرضونه لأشعة الشمس لتجفيفه ثم يطحنونه ويتناولونه مع الحليب.

ومن عاداتهم، القسم على قبور الموتى الذين عرفوا في حياتهم بالاعتدال والصدق، وذلك لتوثيق المواثيق، كما ينبطحون "أو ينامون" على قبور أسلافهم، فـ"يتراءى" لهم ما يجب عمله في المواقف الصعبة.

ويعتقد "رين Rinn"، أن النسامونيين هم شعوب إن Enn إله المياه، وموطنها الأصلي هو آسيا الصغرى. ومنه استقرت في واحة سيوة ثم انتشرت غربا عبر السواحل.

ويعتقد أيضا أن اسم "نسامونيون" مشتق من الأصل Nait-Amon أو Nats Ammon أي أمة من شعوب "إن" المذكورة آنفا. وللصلة الكبيرة التي تربطهم مع المصريين يمكن إدخالهم في نفس المجموعة الإثنية مع المصريين.[2]

---

1 – Hérodote, Histoires, livres IV, textes établis et traduits par PH.E Le Grand. Paris: Les belles lettres,1945, para.168-170, p.p: 181-182.

2- من المعلوم تاريخيا، ونتيجة للدراسات أنثروبولوجية أيضا فإنه يمكن ترتيب المصري القديم في العصور الحجرية ضمن الشعوب الحامية، التي اختلطت مع السلالة السامية نتيجة الصلات المبكرة التي حدثت مع بلاد العراق القديم في بداية الأسرات.

ثم إن النسامونيين المقيمين في برقة Cyrene (و في الأصل Kyrene وأصلها اللغوي هو Kir.ennأي هركز-إن) كانوا يتوسطون في التجارة بين مصر والشعوب المجاورة ومنها بربر جرمة وليبيو تريتونيس "تونس"[1]

7- البسيليpsylles: وكانوا في الأصل يقيمون حول خليج سرت الكبير، ويذكر هيرودوت بان رياح الجنوب جعلت أرضهم قاحلة بدون ماء، فاجمعوا على محاربة هذه الرياح واتجهوا نحوها، فغطتهم كثبان الرمال ودفنوا أحياء فاحتل النساميون أرضهم.[2]

8- الجنفازنت GANPHASANTES، وهؤلاء ينتقلون شرق فزان (الداخل) بين واحة اوجيلة وواحة كفرة، ولا يعرفون الدفاع عن أنفسهم ولا يتقنون استخدام السلاح، فهم يسكنون شمال النسامونيين على طول الساحل غرب السرت الكبير.

9- المكايMACES: وكانوا يقيمون على شواطئ خليج سرت إلى الغرب من النسامونيين، يحلقون رؤوسهم ويحتفظون بشوشة وسط الرأس وفي الحروب يحمون أجسامهم بجلد وطائم النعام، ويجري في ديارهم نهر كينيبوس[3] قادم من تل الحسان.

ويذكر هيرودوت بأن أراضيهم تتوفر على غابات كثيفة، في حين أن أراضى القبائل السابقة لا تحتوي على أشجار.

10-الجندانيون GINDANES: كانوا يقطنون أقصى غرب الساحل الليبي، ويبدو أنهم كانوا يشكلون قسما كبيرا من اللوتو فاجي[4]، وقد يكونوا سكنوا جزيرة جربة، حيث يكثر هذا النوع من النبات.

11- الماخلايMACHLYES : وتقع ديارهم إلى الغرب من الجندانيين، وتصل إلى نهر عظيم يقال له تريتون، ويصب في بحيرة تريتيون العظيمة[1]، حيث توجد جزيرة فلا PH LA

---

1 - RINN, LES ORIGINES BERBERES. p.p: 48 – 49

2 –HERODOTE, OP.CIT, PARA 171-172 –173- P 182 –184.

3- كنيبوس KINYPS: وادي النعام

4- اللوتوفاجي: أكله اللوتس ( النبق ).

12– الأوسيان AUSES: ويستقرون على شواطئ التريتون، ويتركون ضفيرة من الشعر على جبينهم، وهي آخر القبائل الليبية على الساحل وتتميز كلها بأنهم رحل ويقتربون من ساحل البحر.

وإلى الغرب منهم توجد ثلاثة قبائل مستقرة يسكنون المنازل ويزرعون الأراضي ويقومون بتربية الحيوانات والنحل.

ونلاحظ بأن معلومات هيرودوت حول هذه القبائل الثلاث التي تسكن غرب قرطاجة قليلة، في حين أنه يجهل حتى أسماء القبائل الأخرى التي تسكن غربا باتجاه أعمدة هرقل، أو جنوبه (أي على ساحل المحيط الأطلسي) ويبرر هيرودوت نقص المعلومات حول هذه القبائل، بتستر قرطاجة عنها ولا تريد أن يصل الإغريق لها ولأنها تحتوى مناجم الذهب.

هذه القبائل الثلاث هي:

الماكسيين MAXYES: يحلقون الرأس ويستبقون ظفيرة واحدة على الصدغ الأيمن ويعتقد الماكسيون بأنهم أحفاد الطراوديين.

وبلاد الماكسيين غنية بالحيوانات المتنوعة مغطاة بغابات كثيفة. ويلي الماكسيين باتجاه الغرب الزوواس ZAUECES وتقود نساؤهم العربات الحربية، ثم يليهم ودائما باتجاه الغرب الجيزانتس GUZANTES.[2]

هذا عن القبائل الساحلية، أما في داخل البلاد، وفي واحات وحول ينابيع المياه، فقد تجمعت القبائل التالية:

1– الأمونيون AMMONIENS: وهؤلاء يقع بلدهم على مسيرة عشرة أيام غرب طيبة (الأقصر بمصر)، ويستقر الأمونيون حول معبد آمون في واحة سيوة، وبها نبع ماء عجيب أطلق عليه الأمونيون "نبع الشمس". وعلى مسافة عشرة أيام من سيوة، توجد واحة أوجيلة

التي ينزل بها النسامهون صيفا.

---

1- تريتون: شط الجريد بتونس ويصب في جزيرة جربة.

-راجع: عبد اللطيف محمد البرغوثي، التاريخ الليبي من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي ص 134..

2 - HERODOTE: OP.CIT., PARA 191,P. 193, PARA 196,P196.

2– الجرامنت GARAMANTES: وتقع ديارها على مسيرة عشرة أيام غرب واحة أوجيلة (شمال فزان)، وعلى أراضيهم تعيش الأبقار التي تمشي إلى الوراء بسبب طول قرونها[1] والجرمنتيون يركبون العربات التي تجرها أربعة خيولو يلحقون بالتروقلوديت[2] لاصطيادهم.

هذا من جهة، أما من الناحية اللغوية فيعتقد "رين RINN"، بأن لفظة Hamascea التي وردت عند سالوست تترجم إلى أصحاب العربات وأل Amachek يسكنون جنوب غرب برقة، ويسكن فرع منهم الصحراء الوسطى ويقصد بهم التوارق الذين كانوا يستخدمون العربات.[3]

3 - الأتارنت ATARANTES: يسكن الأتارنت في بلاد نقع على مسيرة عشرة أيام غرب بلاد الجرامنت، وهي بلاد قاحلة تحرقها الشمس ولهذا السبب يسخطون على الشمس التي أحرقت أجسادهم وأراضيهم ويعتقد "لوقران" LE GRAND (مترجم كتاب هيرودوت) بأنها واحة "غات". في حين حاول "غزال"GZELL أن يقرب بين هذا الاسم وإسم HOISSA ATARAأو TOUAREG ATAREMإلى الغرب منهم، وحدد ديارهم بمنطقة وسط بين بحيرة تشاد والنيجر أو بين توارق أزقار والأهغار.[4]

4 – أتالنت ATLANTES: ويسكنون بلاد تبعد عن بلاد الأترنت، بمسيرة عشرة أيام غربا منها، عند جبل اسمه الأطلس، شامخ في علوه، وسمع هيرودوت بأن أهل المنطقة يعتقدون بأنه العمود الذي ترتكز عليه السماء. ثم إن الغيوم لا تفارقه صيفا أو شتاء وأن اسمهم "اتالنت" مشتق من اسم الجبل. ويقرب "غزال" هذا الجبل والاسم البربري للجبل "أدرار"، ثم بربط بين

---

1- لقد سبقت الإشارة إلى وجود رسوم صخرية تمثل نفس الموضوع حبال التاسيلي بالصحراء الوسطى

2- التروقليت: هم الاسم القديم لقبيلة TIBUذوي البشرة السمراء يقطنون جنوب برقة وفزان، ولقد وصفهم هيرودوت بالسرعة الفائقة في الجري وبأنهم يتكلمون لغة كزعيق الخفافيش، ويبدو انهم حسنوا لغتهم وجملوها لأن المكتشف الألماني فريديريك هرمان، يقول بأن العرب وصفوا كلام التيبو كزقزقة العصافير.. عبد اللطيف البرغوثي. المرجع السابق، ص 16.

3 -L. RINN, OP.CIT, P 135.

4 - HERODOTE, LIVRE IV , P. 184 & P. 190.

الاثنين.[1] ليقول بعد ذلك أن هؤلاء كانوا يحرمون على أنفسهم كل أكل فيه روح، بمعنى أنهم لا يأكلون اللحوم.

الواقع أنه لا يوجد لدينا أي دليل، على أن القبائل التي ذكرها هيرودوت هي نفسها التي ذكرتها الآثار والنصوص المصرية، خاصة وأن القبائل تخضع دوما لضغوطات جيرانها، فتتقلص مساحة ديارها أو تتوسع على حساب جيرانها.. إضافة إلى ذلك، فإن أسماء القبائل بين المصدرين (المصري والإغريقي) كثيرا ما تختلف وقلما تتشابه، ويحتمل أن هذه الأسماء المستخدمة من الطرفين على السواء ليست هي الأسماء الأصلية التي كانت تستخدم بين أفراد القبائل الليبية نفسها وهنا يكمن سبب الاختلاف.

فمثلا ورد ذكر قبيلة التحنو (أول القبائل الليبية المعروفة لدى المصريين) وتعني البراق.

ويعتقد سليم حسن بأنها كناية عن لون ثيابها المزركشة الزاهية عكس الملابس المصرية.[2]

وكذلك هو شان التسمية "أدرماخيدي" التي أطلقها اليونانيون على أقرب القبائل الليبية من مصر التي هي ربما أصل الكلمة اليونانية " أدرماخ" التي تعني أزرق العينين (كما سبق الإشارة)، وبالتالي فهي من صفات أهل القبيلة وليست إسمهم علما أعتقد ...

ولقد أخذ عن هيرودوت في الحديث عن القبائل الليبية وتحديد مواطن استقرارها، كثيرون نذكر منهم سيلاكس SAYLAX حوالي 320ق.م غير أن وصفه لم يكن بنفس الدقة.

وبعد هيرودوت بحوالي أربعة قرون ونصف، تناول الجغرافي سترابون هذا الموضوع، فكان وصفه عاما وغامضا في بعض أجزائه. وغابت عنه روح

---

1 - HERODOTE,Op-Cit , P. 190.

2- سليم حسن، المرجع السابق، ص 28.

وصف المؤرخ، فقسم الليبيين في بادئ الأمر إلى مجموعات إثنية (سلالية). ثم بعد ذلك ذكر بعض القبائل ابتداء من مصر شرقا.

وحدد موطن قبيلة MARIMDAES والذين ينتشرون لغاية برقة ثم يليهم البسيلي ثم النساميون ثم قبائل فرعية من الجيتول والبيزانس (عند هيرودوت ورد إسمهم: GYZANCES). وهؤلاء ينتشرون لغاية مقاطعة قرطاجة،وإلى الغرب من البيزانس يمتد بلد البدو (النوميديون) وأشهرهم قبائل "الماسيل" و"المايسيل" ثم الموريتانيون أبعد الشعوب جميعا.[1]

وكذلك يوجد تقسيم آخر وتقريبا في نفس الفترة من سترابون وهو لـ "ديودور الصقلي" غيرأنه وصف ناقص. أما أحسن من تحدث عن القبائل الليبية بعد هيرودوت فهو بلا شك " بلين PLINE" في القرن الأول ق.م، الذي يقدم معلومات جغرافية دقيقة، استعان فيها بمعلومات المستكشفين العسكريين في أثناء الحملات وهو صاحب كتاب التاريخ الطبيعي.

1 - STRABON, GEOGRAPHECA LIVRE 2, P. 212.

# الفصل الثاني

## بعض مظاهر المجتمع والحضارة الليبية كما سجلتها الآثار المصرية القديمة

إن هناك أكثر من شهادة ودليل على أن سكان "ليبيا قديما، كانوا على اتصال دائم ومستمر بأصحاب أول حضارة في العالم القديم، وقد بدأ ذلك منذ فجر التاريخ أو ما قبله بقليل. وبقدر ما أثروا في غيرهم، فقد تأثروا بالإنجازات الحضارية الضرورية لحياة وبقاء الإنسان.

وإن المنطق ليرفض بأن يبقى الإنسان جامدا، لا يتفاعل مع بيئته والمحيطين به، وإلا لما كان إنسان إنسانا..

ولذلك استبعد الفكرة القائلة بأن الليبيين قد بقوا في غياهب العصور الحجرية انتظارا لمجيء الفينيقيين ليدخلوهم عالم الحضارات والتاريخ من أوسع أبوابه...

فالآثار المصرية، وإن تناولت جيرانها في الغرب (الليبيون) لهدف يخصها فإنها وبطريقة غير مباشرة، تغطي جزءا مهما من الفراغ الموجود في مرحلة فجر التاريخ وكيف عاشها الليبيون.

وإننا مع طول مدة العلاقات الليبية المصرية التي تمتد دراستها من الألف الثالثة ولغاية الألف الأولى ق. م (قبل أن يستقروا في مصر). نستخلص من نصوص ورسوم تخلد فراعنة مصر وقادتهم، نبذات عن طبيعة المجتمع الليبي، عاداته ومعتقداته ...

1- المجتمع

لاشك في أن نظام المجتمع الليبي في هذه الفترة، كان النظام القبلي والدليل على ذلك، كثرة القبائل المختلفة التي سكنت إلى الغرب من مصر، وقد ظهرت مصورة على الآثار المصرية، ثم ذكرها الكتاب الكلاسيكيون فيما بعد.

ويرجع سبب وجود النظام القبلي إلى أن الرعي والزراعة المحدودة (100) كانتا تشكلان الجانب الأهم من حياة الليبيين الاقتصادية.[1]

---

1- يرجع سبب عدم الاستقرار والاعتماد على الزراعة إلى عدم وجود مصدر ثابت. خاصة مع حلول الجفاف، وكذلك أن أن جهلهم وسائل تبوير الأرض وتغذيتها بالسماد، هو الذي جعلهم في تنقل دائم للبحث عن أرض فتية

ويعتقد بأنه كان لكل قبيلة رئيس يرعى شؤونهم. وأن الميزة العامة لنظام الحكم عندهم كان «ديمقراطيا» لحد ما، بمعنى أنه ليس هناك ملك أو سلطان بل القبيلة هي التي تختار رئيسها بنفسها وتقلده الحكم، وترجع إليه في أمورها، وتشترط في هذا الرئيس صفات تميزه عن غيره من العامة.

وتخبرنا النصوص على الآثار المصرية بأن الزعيم – مري بن دد – أمير قبيلة الريبو، لما انهزم أمام الفرعون، وفر في جنح الظلام إلى بلاده وهو يبكي، لم يجد من مواطنيه من يستقبله، لأنه أصبح فاشلا منهزما وهي ليست مواصفات الرئيس.

ورياسة القبيلة تورث داخل أسرة الرئيس لمن اشتهر بين أفرادها بالعدالة والحنكة السياسية وشدة البأس. وكان رجال القبيلة يستطيعون تنحية الرئيس الذي لا ترضيهم تصرفاته.

والحكم الوراثي في القبيلة يكون للأخ وليس للابن فبعد انهزام – مري بن دد– نحاه رجاله عن الحكم وعينوا بدلا منه أخاه وليس ابنه.[1]

علما بأن الزعيم–مري بن دد– كان له ستة أولاد في سن الرجولة وقد شاركوا كلهم في الحرب التي كانت دائرة بينهم وبين المصريين..[2]

وكان الرئيس يستعين بمجلس من المستشارين، على تصريف شؤون القبيلة، وكثيرا ما كانت عدة قبائل تؤلف اتحادا لهدف معين يرأسه شيخ أقوى القبائل وأكثرها عددا، وكان يفك ويحل عقد الاتحاد بمجرد تحقيق الهدف الذي شكل من أجله.

---

وخصبة. ويعتقد سترابون بأن كثرة الحيوانات المفترسة قد قللت من امتهان الليبيين الزراعة على الرغم من أن بلادهم كانت خصبة جدا.

- STRABON, Op-Cit, LIVRE II p. 213. راجع ذلك عند -

1 -J. H. BRESTED, ANCIENT RECORDS OF EGYPT. V III. PARA 586.

2 - Ibid. PARA 596-P.253.

فكان على سبيل المثال: -مري بن دد- رئيس قبيلة الربو زعيما للقبائل المتحالفة في حربهم مع الفرعون مرنتباح، وهم التمحو-القهق- المشواش وقبائل من شعوب البحر.

وكذلك كان مششر - رئيس قبهلة المشواش، رئيسا للتحالف ضد الفرعون رمسيس الثالث.

وقد كان رؤساء القبائل المتحالفة يعاونون رئيس الاتحاد في حل المشاكل التي تواجههم.

ومن أهم واجبات رئيس الإتحاد، حماية القبائل ومجابهة ما يتعرضون له من قحط لأسباب سياسية أو طبيعية، وذلك بتدبير أماكن أخرى يتوفر فيها الكلأ والماء،، ولو استدعته الظروف الى استعمال القوة من أجل ذلك.

وتحدثنا الآثار المصرية، كيف قبض على خمسة من رؤساء القبائل ومستشاري الرئيس -مششر- فورد في النص: "تجمع الأسرى تحت الشرفة ومن بينهم رؤساء البلدان (القبائل) متجمعين، يندبون حظهم السيئ، وقد اخذ المستشارون إلى الملك.[1]

وأغلب الظن أنه، كان للفرعون المصري الحق، وفي ظروف معينة، في تعيين رئيس للقبيلة الليبية المنهزمة، ومن المرجح أيضا أنه كان للقبائل الحق في إعلان عتراضهم على رئيس معين لا يلقى قبولا لديهم.

كما تعلمنا المصادر التاريخية أن القبائل الليبية قد تحالفت لتخوض حربا ضد الفرعون رمسيس الثالث، في السنة الخامسة من حكمه حوالي 1194 ق م .،وكان سببها كما ورد في السطر 30 من اللوحة 28 في معبد مدينة هابو: " طلبوا رئيسا بأفواههم، غير أن ذلك لم يكن في قلوبهم، وكان جلالته قد ربى

1 - Op-Cit. Vl. 4. P. 23,Para 42.

ولدا صغيرا من أرض التمحو، وقد عضده بقوة ساعديه، ونصبه رئيسا عليهم لينظم الأرض.[1]

ويعتقد "بتس" بأن رئيس القبيلة يعتبر كاهنا في القبيلة أيضا، وهذا الرئيس يثبت في رأسه ريشتين تمييزا له عن الرؤساء الأصاغر الذين يحملون ريشة واحدة، ويحمل صولجانا من الفضة المطعمة، وله لباس رأس خاص مطرز بالفضة، ويرتدي لباسا أبيض يشبك فوق الكتف بمشبك ذهب وينتعل صدلا.[2]

وهذه الميزات قد استدل بها "بيتس" من خلال الرسوم التي تغطي جدران معابد الملوك الذين خاضوا حروبا كثيرة ضد الليبيين أمثال مرنبتاح ورمسيس الثالث ...

وكانت قد سبقت هذه الميزات في بداية الألف الثالثة تثبيت ذيل الحيوان في الحزام ليتدلى من الخلف، والوشم على الأذرع والسيقان وكذلك تثبيت الريش على الرأس.

- المرأة في المجتمع الليبي

كان للمرأة دور ملحوظ في المجتمع الليبي، فإلى جانب كونها زوجة وأم، فقد خرجت مع الرجال للحرب وإسعاف الجرحى، وقد اتخذت زي الرجال رداء لها، ومنه جراب العورة وذيل الحيوان، وهذا هو ما نقلته رسومات جدران الفرعون ساحورع (الأسرة الخامسة) وكذلك جدران مدينة هابو (الأسرة 20) كما أشرنا سابقا.

ولقد طبقت القبائل الليبية نظام تعدد الزوجات، إذ تذكر نصوص الكرنك أن الزعيم الليبي "مري بن دد" كان مصحوبا بزوجته وأولاده الستة. ولكن وإن ذكرت النصوص زوجة واحدة، فليس معنى ذلك أن الزعيم قد اكتفى بزوجة واحدة فقط؛ بل العكس هو الصحيح.

1 -EDGARTON & WILSON, HISTORICAL RECORDS OF RAMSSES III. CHICAGO. 1936.P.23.

2 -BATES, OP.CIT. P. 116.

ومما يؤكد ذلك أن أبناءه الستة الذين اسروا، كانوا جميعهم في سن الرجولة وقد شاركوا في الحرب. وتفسير ذلك كما يعتقد "برستد" أن أبناءه الستة لم يكونوا من زوجة واحدة، وأن الزوجة التي أصطحبها معه، كانت يافعة، صغيرة في السن يمكنها تحمل مشاق السفر.[1]

وإذا استدلينا بهذه الحالة فيمكن الاعتقاد أن الزعيم الليبي ومن ذلك الرجل الليبي عامة،قد كانت له أكثر من زوجة. أوعلى الأقل كانت له زوجة رئيسية وعدد من الإيماء أو (الزوجات الثانويات) مثله في ذلك مثل جيرانه المصريين.

ومما يؤكد هذه الفرضية هو ما ورد في فقرة أخرى من قائمة أسرى الحرب على جدران الكرنك، جاء فيها «أسرت نساء الزعيم الليبي المهزوم اللواتي جلبن معه، وكن أثنا عشر امرأة ليبية».[2]

وأما في حرب القبائل الليبية المتحالفة ضد الفرعون رمسيس الثالث، فقد أسرت 342 من زوجات الرؤساء.[3]

وعلى ضوء هذه المعلومات المستقاة من مصدر نعتبره في هذا الموضوع بالذات محايدا- لأنه يصور مشاهد حقيقية من وقائع عسكرية - فهي إذن مادة خام نستنطقها للاستدلال بها في دراسة المجتمع الليبي.

وبمقارنة هذه الحقائق، نجد أن ما دونه هيرودوت، يشوبه الكثير من التشويه والمغالاة وسوء الفهم أحيانا، وتناقض واضح أحيانا أخرى.
فهيرودوت يتكلم عن اختلاط تام بين الجنسين ووصف هذا الاختلاط عند الماخيلى MACHLYES بأنه يشبه الاختلاط عند الحيوانات. أما النسامونيون فكان لرجالها علاقات بكل النسوة، ونساء الجندانيين يتفاخرن بعدد عشاقهن، ويضعن عددا من الأساور الجلدية في الساق بعدد هؤلاء العشاق.[4]

---

1- J.H BRESTED, OP.CIT. V III. PARA 588.
2 -J.H BRESTED, OP.CIT. PARA. 596.
3 - OP.CIT.VIV, 4. PARA. 111.
4- HERODOTE, t. 4. Para 172-180. Voir également Gzell, H.A.A.N: t I.. p.p: 29-30.

ولدا صغيرا من أرض التمحو، وقد عضده بقوة ساعديه، ونصبه رئيسا عليهم لينظم الأرض.[1]

ويعتقد "بتس" بأن رئيس القبيلة يعتبر كاهنا في القبيلة أيضا، وهذا الرئيس يثبت في رأسه ريشتين تميزا له عن الرؤساء الأصاغر الذين يحملون ريشة واحدة، ويحمل صولجانا من الفضة المطعمة، وله لباس رأس خاص مطرز بالفضة، ويرتدي لباسا أبيض يشبك فوق الكتف بمشبك ذهب وينتعل صدلا.[2]

وهذه الميزات قد استدل بها "بيتس" من خلال الرسوم التي تغطي جدران معابد الملوك الذين خاضوا حروبا كثيرة ضد الليبيين أمثال مرنبتاح ورمسيس الثالث ...

وكانت قد سبقت هذه الميزات في بداية الألف الثالثة تثبيت ذيل الحيوان في الحزام ليتدلى من الخلف، والوشم على الأذرع والسيقان وكذلك تثبيت الريش على الرأس.

- المرأة في المجتمع الليبي

كان للمرأة دور ملحوظ في المجتمع الليبي، فإلى جانب كونها زوجة وأم، فقد خرجت مع الرجال للحرب وإسعاف الجرحى، وقد اتخذت زي الرجال رداء لها، ومنه جراب العورة وذيل الحيوان، وهذا هو ما نقلته رسومات جدران الفرعون ساحورع (الأسرة الخامسة) وكذلك جدران مدينة هابو (الأسرة 20) كما أشرنا سابقا.

ولقد طبقت القبائل الليبية نظام تعدد الزوجات، إذ تذكر نصوص الكرنك أن الزعيم الليبي "مري بن دد" كان مصحوبا بزوجته وأولاده الستة. ولكن وإن ذكرت النصوص زوجة واحدة، فليس معنى ذلك أن الزعيم قد اكتفى بزوجة واحدة فقط؛ بل العكس هو الصحيح.

---

1 -EDGARTON & WILSON, HISTORICAL RECORDS OF RAMSSES III. CHICAGO. 1936.P.23.

2 -BATES, OP.CIT. P. 116.

ومما يؤكد ذلك أن أبناءه الستة الذين أسروا، كانوا جميعهم في سن الرجولة وقد شاركوا في الحرب. وتفسير ذلك كما يعتقد "برستد" أن أبناءه الستة لم يكونوا من زوجة واحدة، وأن الزوجة التي أصطحبها معه، كانت يافعة، صغيرة في السن يمكنها تحمل مشاق السفر.[1]

وإذا استدلينا بهذه الحالة فيمكن الاعتقاد أن الزعيم الليبي ومن ذلك الرجل الليبي عامة،قد كانت له أكثر من زوجة. أوعلى الأقل كانت له زوجة رئيسية وعدد من الإيماء أو (الزوجات الثانويات) مثله في ذلك مثل جيرانه المصريين.

ومما يؤكد هذه الفرضية هو ما ورد في فقرة أخرى من قائمة أسرى الحرب على جدران الكرنك، جاء فيها « اسرت نساء الزعيم الليبي المهزوم اللواتي جلبن معه، وكن أثنا عشر امرأة ليبية».[2]

وأما في حرب القبائل الليبية المتحالفة ضد الفرعون رمسيس الثالث، فقد أسرت 342 من زوجات الرؤساء.[3]

وعلى ضوء هذه المعلومات المستقاة من مصدر نعتبره في هذا الموضوع بالذات محايدا- لأنه يصور مشاهد حقيقية من وقائع عسكرية - فهي إذن مادة خام نستنطقها للاستدلال بها في دراسة المجتمع الليبي.

وبمقارنة هذه الحقائق، نجد أن ما دونه هيرودوت، يشوبه الكثير من التشويه والمغالاة وسوء الفهم أحيانا، وتناقض واضح أحيانا أخرى.
فهيرودوت يتكلم عن اختلاط تام بين الجنسين ووصف هذا الاختلاط عند الماخيلي MACHLYES بأنه يشبه الاختلاط عند الحيوانات. أما النسامونيون فكان لرجالها علاقات بكل النسوة، ونساء الجندانيين يتفاخرن بعدد عشاقهن، ويضعن عددا من الأساور الجلدية في الساق بعدد هؤلاء العشاق.[4]

---

1- J.H BRESTED, OP.CIT. V III. PARA 588.

2 -J.H BRESTED, OP.CIT. PARA. 596.

3 - OP.CIT.VIV, 4. PARA. 111.

4- HERODOTE, t. 4. Para 172-180. Voir également Gzell, H.A.A.N: t I.. p.p: 29-30.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف كان الليبيون يتبينون ذريتهم، وسط مجتمع ساده "انحلال خلقي تام تشابكت فيه العلاقات بين الجنسين"، وكأننا حسب ما ذكره هيرودوت في قطيع من الحيوانات وليس من البشر. وحتى الحيوانات فإن الذكر منها يستميت دفاعا عن أنثاه.

وبعيدا عن الحلال والحرام وما جاءت به الديانات السماوية فإن المجتمعات القديمة كان يحكمها الضمير والخير والشر، وهذه مبادئ تبطل إدعاء هيرودوت أو على الأقل تضع حدا لمبالغته الجارفة لأن المجتمعات مهما وصلت من تحضر والتزام خلقي، لابد وأن تكون هناك استثناءات..

وعلى ضوء ما ادعاه هيرودوت أيضا، كيف يتسنى للنسامونيين زيارة قبور أجدادهم والاتصال بهم روحيا، إن لم يكونوا على دراية كاملة بسلسلة نسب غير مشبوهة؟

وكيف لهذه الأقوام التي تعيش مثل الحيوانات – حسب تعبير هيرودوت- أن تقدر البكارة عند الفتاة، فتنظم احتفالات لهذا الغرض على شرف الإلهة اليونانية " أثينا "؟ (وهي نفسها الإلهة "نيت" عند الليبيين).

ولذلك نعتبر شهادات هيرودوت في هذا المقام خاطئة وزائفة، وإن كان المؤرخ "قزال" يجد له عذرا ويرى بأن هيرودوت حدث له لبس فخلط بين طقوس دينية معينة لا يحترم فيها عقد الزواج مثل قضاء الليلة الأولى للعروس مع ملكها[1].

## 2- الحالة الاقتصادية

يرجح أن الرعي وتربية الماشية تقع في المرتبة الأولى من مقومات الاقتصاد الليبي، إلى جانب الزراعة والتجارة. وقد توصل سكان شمال غرب إفريقيا إلى استئناس الحيوان في العصر الحجري الحديث، ويظهر ذلك واضحا على الرسوم الصخرية التي تبين الحيوان المستأنس وقد علق في رقبته طوق.

---

[1] -S.GZELL, OP.CIT, P 32.

لكن هذا لم يمنع من أنهم كانوا يصطادون الحيوانات البرية التي كانت تجوب الصحراء الليبية، وقد كانوا يرتدون جلود الحيوانات البرية والمستأنسة على حد سواء، ويتزينون بريش النعام، كما أن الجزية التي كانت تأخذها الملكة حتشبسوت (الأسرة 18) من قبائل التحنو كانت تحتوي على جلود نمور وأنياب الفيلة.[1]

ثم انتقل الاقتصاد الليبي بعد ذلك إلى مرحلة جديدة وهي مرحلة تربية الحيوانات بأنواعها، إذ تشير نقوش الأسرة الخامسة بأن القبائل الليبية كانت تمتلك أعدادا هائلة من قطعان الماشية والأغنام.

فهذا الفرعون ساحورع (الأسرة 5)، غنم من قبيلة التحنو حوالي12344 بقرة و223400 حمارا،و 232413 من الماعز و243688 من الأغنام (؟).[2]

وهذه أرقام سجلها الكاتب المصري القديم على جدران معبد ساحورع، وحتى وإن كان مبالغا فيها فإنها تشهد على كثرة ووفرة الماشية لدى قدماء الليبيين. وقد توالت الأسر الفرعونية بعد ذلك وتعددت مناورات ومحاولات الليبيين الاستقرار على أرض مصر وانهزامهم المتكرر، والاستيلاء على ممتلكاتهم بما فيها ماشيتهم.

فهذا الفرعون رمسيس الثالث (الأسرة 20) في حربه الثانية ضد الليبيين استولى على غنائم كثيرة منها ماشية متنوعة وهي بعدد 42.721 رأسا من الحيوانات المختلفة مقسمة على الوجه التالي: 107 ثور من ذوي القرون الطويلة[3]، 7340رأسا من الماشية مختلفة الأعمار، 34.738رأسا من الغنم و 9452من الماعز و 184حمارا و 92زوجا من الخيول التي تجر 92عربة.[4]

---

1 -J. H. BREASTED, B. A. R. V II. P. 321.-

2 - PERCY. E. N EWBERRY, TA TEHENU, OLIVE LAND. P 99.

3- وهذا النوع من الأبقار، يذكرنا بما أورده هيرودوت، من أن الأبقار في بلاد تسير إلى الوراء، لطول قرونها.
Herodote: livre IV para 183

4 - W. Edgarton & J.Wilson: op, cit. PP 64-65.

إن هذه الأعداد إنما تشير إلى غنى ليبيا في الثروة الحيوانية، وكذلك إلى خصوبة الأرض التي تعيش علها مثل هذه الأعداد.

ولقد بقيت هذه المهارات بين القبائل الليبية حتى قرون متأخرة قبل الميلاد، فهذا "بوليب" في القرن الثاني ق.م. يقول بأنه لا يوجد بين السرت الكبير والسرت الصغير إلا الرعاة، وبأن الماشية من أغنام وبقر وماعز وجياد متوفرة في ليبيا، حتى إنه لا يوجد مكان في العالم أوفر منه.[1]

ويفسر "قزال- Gzell" هذا الثراء في الثورة الحيوانية- في بلد أكبر أجزائه مناطق رعوية- بأن الليبيين كانوا يتعاطون تربية المواشي على أرض صالحة للزراعة،لكسلهم وتقليدا لأجدادهم ...؟!!

- الزراعة

إلى جانب الرعي وتربية المواشي عرف سكان شمال افريقيا الزراعة مبكرا منذ العصر النيوليتي، وتدلنا على ذلك كثرة الأواني الفخارية بالإضافة إلى تلك الآلات العظمية التي اكتشفت في مواقع "مشتى العربي" بالقرب من شلغوم العيد (الشرق الجزائري) وكولومناطة (تيارت) وهي عبارة عن عظام ضلع عجل قوي يعتقد أنها استخدمت كمنجل لقطع السنابل.

وهناك كثرة الرحى النائمة (المطاحن الحجرية) في كل أجزاء الصحراء من مصر شرقا إلى الأطلسي غربا.

كل هذه دلائل على المعرفة المبكرة لسكان شمال غرب إفريقيا للزراعة، خاصة وأن عملية التصحر بدأت وبالتدريج مع منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد مما جعل فئات من السكان يهجرون تدريجيا أماكن استقرارهم المتصحرة نحو مناطق بها مصدر ماء ثابت مثل النيل أو التراجع شمالا حيث الأودية والأحواض..

---

1 - S.Gzell, op.cit, P.P 174-175.

فلماذا إذن ينتظر سكان "المغرب الكبير" قدوم الفينيقيين ليتعلموا ،أصول الزراعة وكانت لهم علاقات مبكرة جدا بأصحاب أول حضارة في قارة إفريقيا لا يفصلهم عنها أي عائق طبيعي، بل أثبتت الرسوم الصخرية في التاسيلي- ناجر "مدى التأثير والتأثر بين المنطقتين مصر وليبيا منذ العصور الحجرية.

وفي مرحلة فجر التاريخ، تمدنا الآثار المصرية القديمة بلوحة أطلق عليها أسم لوحة "الحصون والغنائم" وهي لوحة تمثل سبعة قلاع، ربما ترمز لمدن ليبية تابعة للتحنو، وعلى الوجه الثاني للوحة تبدو الأشجار والثمار وخاصة أشجار الزيتون.

أما المرحلة اللاحقة وهي الدولة القديمة في مصر حوالي 2800-2300 ق.م، فقد تحصل المصريون على زيت عرف باسم -حانت تحنو- أي زيت التحنو مستخرج من أشجار الزيتون.[1]

كما تحصلوا على الخمور من الواحات الليبية التي اشتهرت- ولا تزال- بأشجار النخيل، كما تشير إلى ذلك رسومات من جدران مقبرة المسمى "أوسر آمون" من الأسرة المصرية الثامنة عشر.[2]

أما في الأسرة التاسعة عشر، فإن النصوص المصرية تشير إلى انتصارات الفرعون مرنبتاح وأنه: " ...أخذ كل نبات ينمو في مزارعهم وتركها خرابا "[3]

كما نتبين بأن الليبيين القدماء قد زرعوا الحبوب ومنها القمح، وذلك لأن رمسيس الثالث من الأسرة العشرين قد: "...نهب حبوب الزعيم الليبي.. "[4]

إن هذين النموذجين من القرائن، دليل كاف على أن الليبيين القدامى كانوا يعرفون الزراعة جيدا وأنهم كانوا يقومون بامتهانها. على أرض حافظت على خصوبتها لغاية القرن الخامس ق.م. فهذا هيرودوت يذكر خصوبة منطقة

---

1 - Percy.E. Newberry, TA – tehenu. olive land. p. 97.

2 - Lisa. L. Giddy, some exports from the oases of the Libyan Desert into the Nile valley. Tomb 131 at Thebes. livre du centenaire 1880-1980. LE CAIRE: I.f.A.O. 1980, P. 20.

3 - J. H. BRESTED, B. A.R, V III PARA. 598.

4 - Op-Cit, Para. 610.

نهر كنيبوس (وادي النعام)، حيث أقيمت مدينة لبدة التي يعتبرها من أخصب مناطق العالم، ويصل منتوج كل حبة قمح مزروعة بثلاث مائة حبة مثلها.

- التجارة

إن صفة البداوة التي فرضتها الظروف على بعض القبائل الليبية (وليس كلها) جعلت هذه القبائل تتحكم في القوافل التي تمر بالصحراء. كما أن طبيعة منطقة شمال أفريقيا وموقعها وسط مراكز حضارية، ومناجم الثروة في إفريقيا منذ أقدم العصور،أدى إلى امتهان الليبيين التجارة.

وإن كانت النصوص المصرية القديمة، تتكلم وبإسهاب عن تبادلاتها التجارية مع الشرق مثل جبيل (لبنان) والجنوب مثل بونت (الصومال) فإنها تبقي تبادلاتها مع الغرب (ليبيا) طي الكتمان(؟).

وتتكتم عن ممونيها بذهب إفريقيا، فعلى جدران مقبرة الملكة حتشسبوت (الأسرة 18) بالدير البحري، مشهد رائ لجماعة من الليبيين وعلى رؤوسهم الريش، ويضعون أمامهم حمولات من البضائع ومنها أكياس الذهب، ويبدو أنه كان من نوع التبر (خام).

ويذكر "جون يويوت" في هذا الصدد بأن مصر كان يرِد إليها من البلاد الإفريقية الأبنوس والعاج وجلد النمور والبخور والأحجار الكريمة والذهب.[1]

ويكاد يجمع من درس تاريخ إفريقيا القديم، ومنهم الأثري " بيتس BATES" بأن الليبيين، كانوا يقومون بدور الوسيط بين تجار الجنوب (السودان وباقي إفريقيا) وتجار الشمال (مصر وشعوب البحر).[2]

ومما يؤكد ذلك هو أن "الفرعون المرأة" حتشسبوت، قد حصلت من الليبيين على جزية تحتوي 700ناب فيل من السودان، كما تحصل الليبيون

1- محمد الطاهر عدواني، الجزائر في التاريخ " الجزائر منذ نشأة الحضارة ". ص 243– 242.
2 ORIC BATES, OP. CIT, P.121-

على أقمشة زاهية الألوان وأسلحة معدنية مثل السيوف الطويلة من شعوب البحر في تجارتهم مع الشمال.

ونظرا لأهمية بلاد الليبيين من الناحية التجارية، فقد أسس الفينيقيون في وقت لاحق مراكز تجارية هامة على طول ساحل ليبيا، تنتهي عندها القوافل التي تحمل منتجات إفريقيا وترسو بها السفن ليتم التبادل التجاري..

وإذا رجعنا إلى متحف "الهواء الطلق" بالتاسيلي والأهاغار، نستدل بأن الليبيين ومنذ الألف الأولى ق.م. وقبلها، قد تولوا قيادة القوافل التجارية المتجهة إلى النيجر والتشاد. وكانت تحميها العربات العسكرية والخيالة المحاربين على صهوة أحصنتهم، كما تظهره لنا الرسوم الصخرية في مرحلة الخيالة LES CABALLINS. وهناك نصوص ترجع للقرن الخامس ق.م، تؤكد وصول الليبيين إلى غاية السودان والنيجر؛ فهذا هيرودوت يذكر بأن خمسة من شبان النسامونيين توغلوا في أدغال إفريقيا إلى أن وصلوا بلاد الأقزام..[1]

### 3- بعض المظاهر الحضارية المادية عند الليبيين

#### - الأزياء

من أقدم الآثار التي وصلت إلينا مرسوما عليها الليبيين هي صلاية الأسد والعقبان، وهو أثر يرجع في تاريخه إلى العصر الثيني في مصر، أي قبل تأسيس الأسرة المصرية الأولى حوالي 3200 ق.م. وفي هذا الأثر يظهر الليبيون عراة إلا من جراب العورة ETUI PHALLIQUE؛ ويعتبر هذا الجزء من الزي من أهم سمات الزي الليبي طوال العصور التاريخية اللاحقة. ولقد صور الليبيون على الختم الأسطواني للملك "نعرمر NARMER" (الأسرة الأولى)، ثم برز لنا مظهر آخر من خصائص الليبيين وهو الشعر الطويل واللحية المدببة بالإضافة إلى الالتزام بلبس جراب العورة.

---

1- أحمد صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر 1987 ص.110 فقرة 32.

وإذا تتبعنا الآثار المصرية عبر مراحل تطورها، نلاحظ بروز مظاهر وأشكال جديدة. فعلى جدران معبد الفرعون ساحورع (الأسرة 5)، مناظر معركة جرت بين المصريين وجيرانهم التحنو من الليبيين. وباستعراض الأسرى من الرجال والنساء والأطفال، نتبين عناصر جديدة في الزي الليبي وهي كالتالي:

-أزياء الرجال وهي عبارة عن شريطين يتقاطعان على الصدر، ويلتفان حول الظهر. فالشريط محلى بخطوط أفقية يحيط بحافتيه صف من الدوائر، أشبه بقطع صغيرة من الأصداف. بالإضافة إلى حزام حول الخصر يثبت عليه جراب العورة وذيل الحيوان.

-أما أزياء المرأة فهي بالإضافة إلى ما سبق ذكره من خصائص أزياء الرجال فقد ارتدت المرأة سروالا يبدأ من الوسط ويقف أعلى الركبتين ويثبت بنفس الحزام الذي يثبت عليه جراب العورة، إلا أن النسوة لم يتخذن الذيل رمزا لهن.

في حين اكتفى الأطفال في كل هذا بالشريطين المتقاطعين على الصدر، وبدا الجميع حفاة الأقدام.

أما فيما يخص تسريحة الشعر، فان للرجال والنساء على حد السواء شعرا كثيفا مسترسلا يغطي الكتفين، وتنسدل ظفائر منه على الصدر، بعد أن تلتف خلف الأذن.

والجميع يحلمون جباههم بخصلة من الشعر[1] أقرب ما تكون إلى الصل على جبين الفرعون وللرجال لحي طويلة تحيط بالوجه.[2]

أما الأطفال فكان شعرهم قصيرا يغطي الجبهة ويقف أعلى العنق.

---

1- يعتقد "بيتس" و"نيوبري" أن الذي كان يزين الجبهة ما هو إلا طرف في عصابة الرأس عقدت على الجبهة
BATES, IBID, P. 134
- PERCY E NEUBERY: TA TEHENU, OLIVE LAND. P 98

2- انتعل الليبيون الذين حاربهم الفرعون مرنبتاح (الأسرة 19) انتعلوا في أقدامهم صنادل. وتذكر نقوش قصيدة نصر " مرنبتاح " في الكرنك أنهم كانوا يلبسون أحذية. يقول النص: "..إنهم تركوا ملابسهم ومتاعهم وكذلك أحذيتهم.." سليم حسن، مصر القديمة، ج 7، عصر مرنبتاح ورمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية. ص45

ولقد اعتنى الليبيون بزينتهم، إذ نجد الرجال والنساء والأطفال على السواء يزينون أعناقهم بشريط حول الرقبة تتدلى منه قلادة طويلة يصل أطرافها إلى الخصر، وهي ثلاثة شرائط تعقد أسفل العنق، ويمر فوقها الشريطان المتقاطعان، كما يزين الرسغ بأساور عريضة.

أما إذا تتبعنا أزياء الليبيين في عصر الانتقال الأول، الدولة الوسطى وعصر الانتقال الثاني 2300-1600 ق م فنلاحظ أن حركة ردع الهجمات الليبية قلت في وقت تفاقمت فيه مشاكل مصر الداخلية وازدادت حركات توغل الأجانب إلى مصر من جميع الجهات، ومنها دخول قبائل ليبية جديدة لم يعهدها المصريون من قبل تحمل خصائص جسمانية وثقافية جديدة وهي قبيلة " التمحو".

وأغلب الظن أن عدم الاستقرار السياسي في وادي النيل في هذه الحقبة، قد أضاع الكثير من الآثار التي سجلت عليها هذه الفترات الثلاث أيضا.

وأهم منظر يوضح لنا خصائص أزياء قبيلة التمحو، هي مناظر مصورة على مقبرة – بني حسن – وترجع إلى عهد الملك امنحمات الأول (الأسرة 12) حيث تظهر لنا قافلة من قبائل الليبيين مهاجرة إلى مصر برجالها ونسائها وأطفالها وماشية من أغنام وماعز، كانت تنوي الاستقرار في مصر. (أنظر اللوحة رقم 2)



اللّوحة رقم 2 : وتمثل جزءا من قافلة ليبية تدخل مصر في عهد امنمحات الأول الأسرة 12.

وأهم صفة تميز قبيلة التمحو أنهم كانوا ذوي بشرة بيضاء وشعر فاتح وعيون زرقاء. أما خصائص زيهم فكانت كالتالي:

-بالنسبة للرجال: يرتدي الرجال جلابيب طويلة تصل منتصف الساقين وتغطي الذراع الأيسر، بينما تترك الذراع الأيمن عاريا وكذلك الرقبة.

-بالنسبة للنساء: ترتدي النسوة النقبة (وهي تشبه التنورة، وهي باللغة الفرنسية Une jupe) وتصل إلى منتصف الساق أيضا، أطرافها مزركشة.

وتعقد النقبة حول الخصر وتحمل النساء أطفالهن في سلال خلف ظهورهن.[1]

وهي ظاهرة مازالت حية لحد الساعة، في الدشور المنتشرة في المناطق الداخلية، وخاصة في منطقتي الشاوية والقبائل.

- تصفيف الشعر عند قبيلة التمحو: يكون الشعر قصيرا يصل إلى منتصف العنق (مثل التحنو) لكن الضفيرة أو مجموعة ضفائر صغيرة تنسدل على الصدغ، ويزين الشعر ببعض القواقع، وتثبت أربع من ريش النعام بشكل منحرف، كما يزينون أعناقهم بمحارة مدلاة في خيط.[2]

وما يمكن ملاحظته هنا هو أن الليبيين القدماء كانوا يتمسكون بتقاليدهم ومظهرهم، مهما اختلطوا بشعوب أخرى،وذلك حتى وإن كانوا أكثر تحضرا منهم، أو تولوا مناصب هامة في الإدارة الفرعونية.

والدليل على ذلك هو–سنبي SNBI– وهو ليبي الأصل تدرج في سلم الإدارة المصرية إلى أن وصل إلى وظيفة حاكم مقاطعة في زمن الملك أمنمحات (الأسرة 12)، وقد صور "سنبي" في أحد مناظر مقبرته خارجا إلى الصيد برفقة أحد أتباعه. ويظهر "سنبي" وتابعه على السواء بالأشرطة المتقاطعة على الصدر، ويحيط بالخصر حزام مثبت عليه جراب العورة، بالإضافة إلى نقبة تصل إلى أسفل الركبتين ومفتوحة من الجانب.

وكذلك صور الليبيون في صفوف الجيش المصري والحرس الخاص للفرعون إلى جانب السوريين والنوبيين، إذ بقي لباسهم عبارة عن رداء طويل يصل إلى الكعبين، مفتوحا من أحد الجانبين،ويغطي أحد الأكتاف، ويترك الآخر عاريا، وتحته نقبة ذات كسرات (بليسه PLISSE) وعلى أذرعهم وشم. أما الشعر فقد كان قصيرا وتنسدل منه ظفيرة على الصدغ، وكان لأغلبهم لحي قصيرة.[3]

---

1- يعتقد أحمد فخري إنهن يرفعن أطفالهن في جزء من ملابسهن على الظهر.

- AHMED FAKHRY, BAHRIA OASIS. P.

2- PERCY. E.NEUBERRY, BENI HASSAN, PART I. LONDON. 1893, PLANCHE N: 45.--

3 - N. D. G. DAVES, ROCK TOMBS OF EL AMARNA. PART I, LONDON: 1903. P .26, PL. XV.

أما السفير الليبي في بلاط الملك امنحوتب الرابع الملقب بـ (إخناتون: الأسرة 18) فنلاحظ أن خصائص زيه تختلف بعض الشيء. فهو مثلا له لحية طويلة نوعا ما، وتغطي الجبهة بعض الضفائر من الشعر ويزين رأسه بريشتين، بشكل منحرف إلى الخارج.

أما إذا وصلنا إلى الأسرتين المصريتين19 و20، وهي المرحلة الحرجة في تاريخ العلاقات المصرية الليبية بسبب تفاقم الصراع وشدته، فإننا نصادف الليبيين على نقش بوادي الملوك بالأقصر يعود تاريخه إلى عهد الفرعون سبتي الأول (الأسرة 19)، ضمن منظر مشهور يعرف باسم "شعوب العالم الأربعة."و هم:

- المصريون R MTW (رمثو)، الليبيون THNU(التحنو)، الآسيويون C3MW (عامو) والزنوج NHSW (نحسيو).

وفي هذا النقش، مثل اربعة أفراد من الشعب الليبي ذوي البشرة البيضاء. وكان الجديد في أزيائهم هذه المرة هو أن الرجل يرخي لحيته ويربي شاربيه في آن واحد، بالإضافة إلى الريشتين على الرأس.

أما ملابسهم فقد كانت عبارة عن عباءة فضفاضة تغطي الكتف الأيمن وأعلى الذراع، ثم تعقد على الكتف الأيسر بعقدة عريضة في حين يترك الذراع الأخر مكشوفا، وتحتها يظهر جراب العورة (وهي مظاهر المشواش). كما تبدو السيقان والأذرع موشومة بأشكال معينة وواضحة، تمثل معظمها رمز الإلهة الليبية نيت NEITH.

وتجدر الإشارة إلى أنه عثر في نواحي مدينة بسكرة (الجزائر) على رسوم صخرية لأشخاص يرتدون جلود حيوانات مثبتة على كتف واحدة[1]، أي بنفس الطريقة التي كان يتبعها الليبيون في ارتداء جلابيبهم على الآثار المصرية، ويبدو أنهم استبدلوا جلود الحيوانات في العصور الحجرية وفجر التاريخ بعباءات من الكتان الذي تحصلوا عليه عن طريق التبادل التجاري.

---

1 - S. GSEL, OP. CIT, T. 6, P 23.

أما عن تصفيف الشعر عندهم في منظر شعوب العالم الأربعة، فيظهر لنا الليبيون بتسريحة جديدة تمثلت في ضفائر رفيعة، تبدأ من الجبهة وتغطي العنق، بينما تنسدل ضفيرة واحدة كثيفة أو غليظة على الصدغ.

والجديد في ذلك أيضا هو التزيين بالأساور، إذ أن ما يلفت الانتباه هو كثرة الوشم على الكتف والعضد والكوع، الرسغ والفخذ والساق ومفصل القدم بأشكال هندسية مختلفة.

أما في عهد الفرعون رمسيس، فإن الليبيين غيروا في طريقة لبس العباءة، فاستعاضوا عن العقدة فوق الكتف برفعها بحمالة تثبت فوق الكتف، وتحته يرتدي الليبي السروال أو النقبة؛ لكن الذي لفت انتباه الأثريين هو مدى تقدم الليبيين في تنسيق[1] الألوان، بين لون القطعة التحتية (النقب) ولون الرداء الفوقي (الجلابيب). ومن الأشياء الجديدة أيضا هو حلق الرأس تماما والإبقاء على الضفيرة الجانبية التي تلف حول الصدغ وتضم خصلات هذه الضفيرة من الأعلى بحلقة ثم يضع الليبي على رأسه شعرا مستعارا.

وتدلنا إلى ذلك سهام الفرعون التي أصابت أحد الليبيين فسقط على رأسه وقدهو الشعر المستعار بينما بقيت الضفيرة.[2]

بعد هذا الاستعراض لأزياء القبائل الليبية المختلفة، يمكن أن نلاحظ بأن هناك سمات أساسية في الزي قد التزمت بها أغلب القبائل وهي كالتالي:

---

1- تجدر الإشارة إلى أن التحنو هم القبيلة الليبية الوحيدة التي يتميز أبناؤها بالسمرة على خلاف بقية القبائل الليبية، البيض البشرة. لكن تم استخدام اسم الجزء على الكل.

2- عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق. ص107

- جراب العورة: إن مسألة ارتداء جراب العورة وارتباطه بعملية الختان هي مسألة اختلف فيها الأثريون والعلماء، فيرى بعضهم أن ارتداء جراب العورة يعتبر زيا خاصا بالأقوام المختتنة، أما غير المختتنين فيرتدون قميصا قصيرا (نقبة) كما سبق الإشارة آنفا.

ولقد ورد اسم هذه القطعة من اللباس (جراب العورة) في اللغة المصرية القديمة باسم (KRNT كرنطه)، واعتبرها بعض المختصين إنها كلمة سامية، غير أن الشعوب السامية لم تستعمل جراب العورة. وعليه أجمعوا بالبحث عن أصل هذه الكلمة في اللغة الليبية القديمة. ذلك أنها كانت تستعمل بين الليبيين منذ أزمان سحيقة تعود للعصور الحجرية.

ولقد أشرت أكثر من مرة بأن لوحات الصيادين الأوائل في الصحراء الكبرى وخاصة الصحراء الوسطى، أو رسومات فجة الخيل "قسنطينة" وأيضا في جنوب وهران وغيرها، تؤكد جميعها بأن جراب العورة كان أول قطعة في أزياء أصحاب المنطقة الأوائل.[1]

أما في مصر فلم تستخدم إلا في نطاق ضيق وفي ظرف خاص هو أداء بعض الطقوس الدينية عند الكهان فقط.

أما ارتباط هذا النوع بعملية الختان وهي الفكرة التي برر بها بعض الباحثين ارتداءها عند بعض القبائل فقط، فهي مستبعدة للسبب التالي:
- إن الفرعون رمسيس الثالث على سبيل المثال،قد أمر بقطع أعضاء التذكير عند كل من الريبو والمشواش على السواء وهو عقاب يسلط على النجسين(غيرالمختتنين)، على الرغم من أن المشواش كانوا يرتدون جراب العورة.

- الأشرطة المتقاطعة: وهي من سمات اللباس الأساسية عند الليبيين أيضا، حيث يتم بها تزيين الصدر. كما ظهرت على الآثار المصرية. والمرجح أن تكون هذه الشرائط مصنوعة من قطع صغيرة من الأصداف والأحجار شبه

1 - S. GSELL, OP. CIT. P. 22.

الكريمة،التي يضمونها في شريط طويل من الجلد. وقد ظهرت في الملابس الليبية كنوع من الزينة.[1] وأعتقد بأن لهذه الأشرطة علاقة متينة بالإلهة نيت الليبية وكان يرمز لها بسهمين متقاطعين.

- **الرداء الطويل المفتوح على جنب:** وهو قطعة لباس صادفناها عند التمحو، الربو ثم المشواش، وإن كان طول هذا الرداء يتراوح ما تحت الركبتين إلى الكعبين حسب ذوق وتقليد كل قبيلة.

ويثبت الرداء على أحد الأكتاف بحمالة أو يربط بعقدة فوق الكتف. ولقد تطور هذا النوع من اللباس من جلد الحيوان إلى صنعه بالكتان (القماش)؛ ولا أستبعد أن يكون البرنوس وما شابهه من العباءات – مما يشترك في لباسها سكان كل المغرب العربي كرداء فوقي - هو آخر ما وصل إليه هذا الجزء من اللباس في عملية تطوره.

- **تصفيف الشعر:** قال سترابون عن الليبيين الغربيين (الموريين MAURISIENS) أنهم كانوا يعتنون بتحسين مظهرهم، وذلك بتصفيف شعورهم بطرق عديدة، والتأنق في حلاقة ذقونهم، واستعمال الحلي الذهبية، وبتنظيف الأسنان وتجميل الاظافر. ويندر أن يلمس الواحد منهم الآخر أثناء سيرهم لئلا تضطرب شعورهم.[2]

وتحملنا شواهد الآثار المصرية على تصديق هذا القول، وذلك لأن النقوش تبين أن القبائل الليبية كانت تتبع طرقا وأساليب مختلفة في تصفيف الشعر. وهذه الصفة ميزتهم عن غيرهم من الشعوب الأخرى. فقد تزين الليبيون بخصلة من الشعر على الجبهة، كما هو واضح على نقوش معبد الفرعون "ساحورع" أو بضفائر تغطي الجبهة وهو ما صور على جدران المقابر – بتل العمارنة – ومعبد مدينة هابو بصعيد مصر.

---

1 - O. BATES, OP. CIT. P 22.

2- عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي. ص. 172

وكذلك عرف عنهم أيضا إسدال ضفيرة من الشعر على الصدر بعد أن تلف وراء الأذن أو تنسدل الجديلة على الصدغ مباشرة.

ولقد زين قدامى الليبيين هذه الضفائر بدوائر معدنية، ثم زينوا رؤوسهم بريش النعام يثبتونه في الرأس بأساليب ميزتهم في القبيلة الواحدة، وكذلك ميزتهم عن غيرهم من الشعوب التي تزين رأسها بالريش أيضا مثل الزنوج. فالليبيون تبثوا الريش بشكل منحرف، كما تبينه الرسوم الصخرية التي عثر عليها "فلامند FLAMAND" جنوب وهران؛و التي تمثل أشخاصا عراة إلا من جراب العورة يزينون رؤوسهم بريشتين.[1]

ويبدو من خلال النصوص المصرية بأن الريش كان علامة شرف تميز صاحبها.

وفي هذا الموضوع يؤكد لنا -قزال- بقاء هذه العادة أي التنوع في تسريحات الشعر عند الليبيين لغاية عصر هيرودوت. فهذا الأخير يقص علينا أيضا كيف كان أهل قبيلة المكاي MACES يحلقون الرأس ويحتفظون بالشوشة في أعلى الرأس، وأن الماخيلي MACHLES كانوا يطلقون شعورهم على مؤخرة الرأس. في حين أن أوسيان AUSES كانوا يحتفظون بضفيرة على الجانب الأيمن منه. وقد بقيت هذه العادة بين سكان شمال إفريقيا أثناء الاستعمار الروماني.[2] وأعتقد أنها لا تزال باقية إلى وقتنا هذا، وخاصة في المناطق الداخلية، في القرى والمداشر.

ولقد حاول الأثرى – بتس – أن يعقد الصلة بين هذا الأسلوب في تصفيف الشعر وبين العلامة المصرية الدالة على جهة الغرب وهي IMNT "إمنت" والتي ترسم حيث افترض بأن الجزء العلوي يمثل رأس الليبي وعليه الريشة، أما الجزء السفلي فيمثل الرأس والضفيرة على الصدغ.[3]

---

1 - A. R. WILCOX, ROCK ART OF AFRICA. P. 46.

2- يرجع "فلامند" هذه الرسوم إلى مرحلة الصيد، أما "أليمان" ALIMEN فترجعها إلى العصر النيوليثي.

-S. GSELL, OP. CIT.P.P- 17-21

3 - ORIC BATES, THE EASTERN LIBYANS. P. 135.

- المعدات الحربية عند الليبيين

منذ العصور الحجرية وطول العصور التاريخية، استعمل الشعب الليبي كبقية الشعوب القديمة، السلاح للحصول على غذائه أو للدفاع عن نفسه. ولقد تنوعت هذه الأسلحة طوال الحقبة من الزمن وذلك تبعا للتطور الحضاري.

ومن الأسلحة الأكثر بدائية التي أستخدمها الليبي منذ العصور الحجرية، يمكن ذكر: الهراوة أو العصي المعقوفة. وقد بقي استخدامها ساريا بحيث ظهر أحد الجند المرتزقة الليبيين في جيش الفرعون امنحتب الرابع (اخناتون) مسلحا بواحدة منها.

بالإضافة إلى ذلك، فقد استخدم أهل المنطقة ومنذ العصور الحجرية أيضا الأقواس، بحيث عثر الباحثون على رؤوس سهام في مواقع نيوليتية مختلفة مثل موقع برزينة (البيض) وتبلبلة (غرب الساورة) ورقان. كما يظهر هذا النوع من السلاح على الرسوم الصخرية في برزينة. الجنوب الغربي من الجزائر وكذلك في رقان والتاسيلي وغيرها..

ولقد بقي استخدامها ساريا لغاية حروب الليبيين مع المصريين، وكانت بأشكال مختلفة: منها المستديرة والمثلثة، حيث نصادفها في رسومات على جدران معبد الكرنك ترجع في تاريخها لعهد الفرعون سيتي الأول لما حارب الليبيين (التمحو والربو). وكذلك على جدران معبد مدينة هابو في حروب رمسيس الثالث مع أقوام أخرى من الليبيين هم المشواش. والنوع الأول من الأقواس وهو المستدير، فهي تشبه تلك التي تظهر في الرسوم الصخرية في التاسيلي. أما المثلثة فهي مشابهة للأقواس المصرية المستخدمة في ذات الفترة، وكانوا يحملون جعاب السهام خلف ظهورهم. ولقد غنم منها رمسيس الثالث في حربه الثانية مع المشواش، وكان عددها حسبما يذكره "برستد" 2310 جعبة و 603أقواس.[1]

1 - J.H.BRESTED, ANCIENT RECORDS OF EGYPT, part IV, P. 66.

وإلى جانب الأقواس والهراوت (البلطة)، فقد استخدم قدماء الليبيين أسلحة أخرى منها السيف وإن كان ديودور الصقلي (يوناني) يرى بأن الليبيين في الصحراء ما بين مصر والسرت لم يستخدموا السيف وكذلك يرى "تيت ليف" (روماني) يرى بأن الجندي النوميدي في الحروب البونية مثلا لم يتسلح بالسيف ولم يكن يعرفه. ويعتقد غزال بأن الاستخدام الفعلي للسيوف في شمال إفريقيا كان في القرن السادس الميلادي فقط– ما عدا بعض الاستثناءات.

في حين أننا نصادف في المصدر المصري وهو أقدم هذه المصادر جميعها، بأن الفرعون مرنبتاح في حربه مع الليبيين حوالي 1219ق.م.، قد استولى على عدد كبير من سيوف الليبيين وكانت بعدد 9111سيفا برونزيا.[1]

بينما استولى رمسيس III ( الأسرة 20) على نوعين من السيوف، النوع الأول وهو عبارة عن 129سيفا طول كل منها أربعة أذرع، و 116سيفا طول كل منها ثلاثة أذرع.[2]

وكانت هذه السيوف ذات نصل معدني، في حين صنع المقبض من الخشب.[3]

ومن خلال عرض وصف هذه السيوف، نلاحظ أنه مبالغ في تقدير أطوالها، وأعتقد أن الفنان المصري قد أذهله طول هذه السيوف مقارنة بالسيوف المصرية فنقشها على جدران المعابد بتقديرات خاطئة، لأن سيوفا بهذا الطول تعوق صاحبها في الحركة والقتال.

ويعتقد فريق من الباحثين في الموضوع ومنهم "بيتس" أن الليبيين قد حصلوا على هذا النوع من السيوف من بلاد أجنبية، في حين يذهب "وانرايت" إلى أن

---

1- نص الكرنك سطر 58.

2 - W.F. Edgarton & J. Wilson. Op cit. p.p 64 –65.

3 - J. H. Breasted. B.A.R, op. cit, p. 66.

الليبيين كانوا على صلة بشعوب البحر في هذه الفترة بالذات، فأخذوا عنهم مهارة ركوب الخيل واستخدام السيوف الطويلة في المعارك.[1]

لكننا وبمقارنة هذه السيوف الليبية مع تلك التي استخدمها الشرادنة - وهم من شعوب البحر- في حربهم مع رمسيس الثالث ورسمها الفنان المصري على جدران معبد مدينة هابو – فهي مطابقة تماما؛ علما بأن حرب المشواش مع نفس الملك،جاءت ثلاث سنوات بعد حرب شعوب البحر، ولهذا نعتقد بأنه حصل نوع من التحالف بين الشعبين للاستيلاء على أرض مصر وتأثر الطرفان بعضهما البعض.

أما النوع الثالث من الأسلحة التي استخدمها الليبيون فهي العربات الحربية التي تجرها الخيل والعربات التي استولى عليها الفرعون من الليبيين كانت مشابهة للعربات المصرية.

في حين أن تلك التي رسمت على صخور جبال – وادي جرات "التاسيلي" كانت تجرها أربعة أحصنة وبقي صاحبها محافظا على الريش على رأسه وقد ارتدي جراب العورة وذيل الحيوان.

ومن الأسلحة الدفاعية، التي يدافع بها المحارب عن نفسه - وإن كانت هناك مراجع تقول بأن الليبي كانت تنقصه هذه الأسلحة الدفاعية- وبالاعتماد دائما على الآثار المصرية، فإننا نستشف بأن الحقيقة غير ذلك، حيث أن رسومات على جدران معبد الكرنك تبين المحارب الليبي وقد استخدم الدروع والخوذات وقاية له من ضربات السيوف.بل ويرجع استخدام الليبي الدرع إلى مرحلة العصور الحجرية، وهذا ما تؤكده رسوم في ضواحي بسكرة وأخرى بجنوب وهران، تبين الدروع التي تبدو وكأنها مصنوعة من جلد حيوان ومثبتة على إطار من خشب.[2]

---

1 - Wainwright, the maschwesh, p.p: 94- 95.

2 - S.Gsell, op. cit. T. VI . p .50.

ويذكر – سترابون – بأن الدرع الدائري المصنوع من الجلد لم يكن يفارق الليبي أبدا.[1]

وتبين الآثار المصرية أيضا أن الجندي الليبي قد تزود بقربة ماء تحفظ له الحياة، ولقد جاء في لوحة إسرائيل (لوحة تخلد انتصار الفرعون مرنتباح) أن الليبيين ولوا الأدبار ملقين بقراب الماء التي كانت معهم على الأرض، وأنه من سوء حظ رئيسهم سقوط الريشة من على رأسه وفراغ قربته من الماء الذي يحفظ له الحياة.[2]

ووجود قربة الماء مع المحارب الليبي هو أكثر من ضرورة نظرا لبعد المسافة التي كان يقطعها لكي يصل إلى وادي النيل..

---

1 - Strabon, livre 17, para. 4, p 473.

2 - J. H. Breasted, B.A.R , T III, para 601 – 610. -

# الفصل الثالث

## العلاقات الليبية المصرية منذ فجر التاريخ إلى غاية نهاية الألف الثانية ق.م

يوصف تاريخ العلاقات الليبية المصرية بأنه كان في عمومه سلسلة من الحروب يقودها الفرعون أو أحد قادته لردع محاولات الليبيين للتوغل والاستقرار في وادي النيل. وعلى الرغم من إلحاق الهزائم الثقيلة بهم، فإن الليبيين لم يكلوا تكرار تلك المحاولات طيلة ألفي سنة.

تمدنا المصادرالأثرية بمعلومات عن هذه الحقبة، فتقص علينا بالنص والصورة، ما جرى من حوادث تاريخية كالحروب التي شنها الفرعون على بلاد التحنو الثائرة وهزيمتهم. كما تقدم لنا صور المعارك الحربية أو سوق الأسرى المكبلين بالأغلال.

إلا أن العلاقات بين الطرفين لم تبدأ من هذه الفترة، بل هي متوغلة في القدم حيث ترجع إلى مرحلة ما قبل قيام الأسر الفرعونية. وهناك من الألواح ما يشير إلى حضور العنصر الليبي الدائم في مصر في مرحلة ما قبل الأسرات.

كما أن هذه المصادر تبين أيضا بأن العلاقات لم تكن دوما عدوانية، فكان حضورهم لأسباب تجارية أو مهنية كانضمام الليبيين في صفوف الجيش المصري أو لتمثيل دبلوماسي وأحيانا أخرى نتيجة زيجات ومصاهرات.. وإن كان الطابع الغالب على هذه الصلات هو الحملات العقابية التي يشنها الفرعون لردع "المتسللين" من الليبيين.. والأرجح أن كثرة هذه الحملات وتعددها قد أدت إلى أن تصبح تقليدا عند الفراعنة، إذ لا يخلو عهد فرعون من الفراعنة إلا وذكرت الآثار بأنه أبعد الليبيين عن مصر، وأسر منهم الكثير وسلبهم ممتلكاتهم..

وبتتبع تاريخ هذه الصلات نتبين إصرار الطرف الليبي على دخول مصر، كما نصل إلى حقيقة هامة وهي أن الليبيين أفرادا أو جماعات المستقرين في مصر المسالمة، وبحكم وظائفهم لم يندمجوا في المجتمع المصري كلية،وكذلك القبائل المسالمة المرابطة على حدود مصر مثل التحنو، فانهم حافظوا على كيانهم ولم يتمصروا.

أما المناوئون لمصر فقد حفزهم الهدف المنشود، وجعلهم يطورون كيانهم الاجتماعي وفكرهم السياسي، فكونوا اتحادات قبلية، ثم تحالفوا مع شعوب أجنبية من أجل دخول مصر والاستقرار بها.

إن هذا الإصرار المستميت من طرف الليبيين القدامى،على الإتجاه نحو الشرق، ليزيدنا إصرارا على البحث عن الأسباب الحقيقية لهذه الحروب. وإن جرت العادة في كتابات بعض المؤرخين المعاصرين على نعت تلك الحروب، بأنها كانت محاولات لـ"قبائل جائعة"، آخذة في ذلك بوصف الفرعون مرنبتاح لهم: «.. إنهم يمضون أوقاتهم محاربين ليملؤوا بطونهم كل يوم، وقد أتوا إلى مصر ليحصلوا على ما تحتاج إليه أفواههم».[1]

لكن هذا الأمر مدعاة للشك، بحيث يتعجب الباحث الموضوعي في أن يكون هذا هو الهدف الذي من أجله استمات الليبيون. وإن ما جاء على لسان الفرعون المصري، هو من الأسلوب "الإعلامي"، الغاية منه التقليل من شأن الليبيين، وتحفيز المصريين على محاربتهم ...

كيف يكون هذا هو هدفهم، وهؤلاء القوم وخاصة الريبو والمشواش منهم كانوا يسكنون مناطق ساحلية خصبة جدا، بل إن الصحراء ذاتها لم تكن قد ظهرت بعد بالشكل الحالي. فعملية التصحر بدأت كما هو معروف مع نهاية مرحلة المناخ الأمثل أي حوالي 2500 ق.م، ولم تأخذ شكلها النهائي إلا مع القرون الأخيرة فيما قبل الميلاد.

لقد كانت الصحراء آنذاك مقاما طيبا، وهذه هي الصورة التي أعطانا إياها المصريون أنفسهم في لوحة إردوازية، لوحة الحصون والغنائم تصور الصحراء إقليما غنيا بالأشجار والحيوانات المستأنسة وعلى اللوحة العلامة الهيروغليفية الدالة على إقليم ليبيا.

---

1– ج.هـ برستيد. تاريخ مصر من أقدم العصور إلى العصر الفارسي. ترجمة حسن كمال.القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997 ص381.

ومن هذه المصادر أيضا ما سجله هيرودوت عندما أشارإلى أن منتوج المنطقة الواقعة إلى الغرب من برقة بأنها أخصب مناطق العالم، فكل حبة تعطي ثلاثة مائة حبة مثلها.[1]

وبالتالي فإن السبب الحقيقي من وراء الحروب الليبية المصرية، لم يكن هو فقر البلاد الليبية بل إن السبب موغل في القدم؛ فالصلات لم تنقطع بين طرفي شمال إفريقيا أثناء العصور الحجرية؛ إذ عثر المتخصصون في عصورما قبل التاريخ على الكثير من الدلائل، مما لا يترك للشك مجالا، بأن غرب شمال إفريقيا أثناء العصور الحجرية كان يدور في مجال إفريقي بحت وإن صلته بمصر لم تنقطع أبدا أثناء فجر التاريخ، لتتواصل بعد ذلك في العصور التاريخية.

**أ)- هجرة الأقوام الليبية والمساهمة في نشأة أسس الحضارة الفرعونية. (أو العلاقات في عصر ما قبل الاسرات):**

كانت مصر في العصرين الحجريين القديم والحديث، في مستوى حضاري يعادل المستوى الذي كان عليه كثير من بلدان العالم القديم ومنها ليبيا.

فمصر قبل عصر ما قبل الاسرات، كانت تعد جزءا من الثقافة الإفريقية وكانت ضمن دائرة ثقافية تشمل جزءا من شمال الصحراء وشرقها، وبعدها فقط بدأ عصر الثقافة المصرية الفرعونية.[2]

وفي عصر ما قبل الاسرات انفردت مصر بالتفوق الحضاري والخصوصية الثقافية ومهدت للحضارة العظيمة التي ظهرت في العصر الفرعوني. ولهذا فإن مصر توضع في هذه الفترة، في مرحلة حضارية خاصة بها هي عصر ما قبل الأسرات.

ويجدر بنا أن نتوقف عند هذه المرحلة بالذات من حضارة مصر، لأنها جلبت انتباه العديد من الباحثين، وتضاربت حولها آراء الدارسين، لسبب واحد

---

1 - Hérodote, Livre 5. Para 194.

2- سليم حسن: مصر القديمة، ج 7، ص 18 – 19.

لكنه جدير بالبحث والدراسة، وهو قول مكتشف حضارة نقادة[1]، بأنها نتاج حضارة عنصر جديد وأجنبي، قضى على العنصر المصري صاحب الحضارات السابقة أوعلى الأقل على جزء منه.. لقد حصل شبه إجماع بين المتخصصين في حقل ما قبل التاريخ وعلماء المصريات، بأن أقواما ليبية خرجت من الصحراء، قبل ظهور المؤشرات الأولى لمرحلة الجفاف، وقصدت وادي النيل الأدنى حاملة معها خبراتها "الصناعية" وتراثها الثقافي، واستقرت حوالي نهر النيل فتركت الكثير من الدلائل تؤكد على وجودها، وتميزها عن الأقوام المصرية السابقة لها في المنطقة، وقد ساهمت بذلك في بعث أسس الحضارة الفرعونية وهي المرحلة التي يعرفها المتخصصون بمرحلة ما قبل الاسرات.

وفي هذا الإطار اكتشف المنقبون في صعيد مصرعن موقع به ثلاث مراحل حضارية متتابعة هي العمرة –جزرة– سمانية، واعتبراها مراحل ثلاثة لحضارة واحدة، أطلقوا عليها إسم حضارة نقادة نسبة إلى البلدة التي وجدت بها.

لقد توصل المكتشفون إلى أن المرحلة الأولى من حضارة نقادة والمعروفة باسم - العمرة – هي إنتاج جنس جديد استقر في مصر على مسافة 260 كم بين سوهاج وكوم أمبو. وافترضوا بأن هذا الجنس قد دمر أو طرد جميع السكان المصريين في المنطقة واحتل مدينة طيبة.

وعندما درسوا جماجم أصحاب هذه الحضارة والتي كانت بمجموع 2193 جمجمة، وجدوا أنهم يشبهون الليبيين القدامى إلى حد كبير، وافترضوا أن

1- نقادة: مدينة تقع 400 كم جنوب القاهرة، ويؤرخ لأقدم مراحلها بحوالي 4500 سنة ق.م، وقسمها "بتري" إلى 99 درجة، من الدرجة 1 إلى 31.. وتندرج مع حضارة البدراي السيولتية، ومن 31 إلى 38مرحلة العمرة، ومن 39إلى 60 مرحلة جزرة، ومن 61 إلى 71 مرحلة سمانية. وتحتوي الأسرتين المصريتين الأولى والثانية فيما بين الدرجة 71 و99.

إقامتهم في مصر في الموقع بين أبيدوس والحيلين يشير إلى أنهم أتوا من الصحراء الغربية عبر الواحات.[1]

وأنهم لم يقتبسوا شيئا من حضارة الأقوام السابقة أي المصرية بالرغم من انخفاض مستواهم الحضاري عنهم.[2]

هذا وقد قام جدل بين العلماء حول أصل حضارة مصر في مرحلة ما قبل الأسرات أي فيما بين 3200-2800 ق م، فذهب فريق إلى أنها لم تنشأ في الصعيد، بل أتى بها أقوام من الحاميين وأن أصلها من آسيا ودخلت مصر عن طريق شبه الجزيرة العربية ثم بلاد النوبة مخترقة البحر الأحمر. لكن عدم وجود الدلائل على ارتباط بين مصر وآسيا في تلك الفترة جعلهم يعدلون الرأي ويقولون بأنها أتت بواسطة الشعبة الحامية من شمال أفريقيا.[3]

وهناك وجهة نظر ثالثة ترى بأن حضارة نقادة من أصل نوبي وأن فخار نقادة في مرحلتها الثانية – جزرة– قد وقع عليه تأثير من فخار الخرطوم، غير أن هذا الأخير أي فخار الخرطوم غير أصيل في المنطقة أيضا بل أثر عليه تيار حضاري من منطقة أقدم منه تاريخيا وهي التنيري جنوب التبستي.[4] (جنوب ليبيا حاليا).

وعلى الرغم من هذا الاختلاف الواضح في طرح الفرضيات حول أصل حضارة عصر ما قبل الأسرات (نقادة) إلا أن جمهرة المتخصصين– الأثريين وعلماء المصريات، يجمعون على حدوث تخريب في الطبقة الفاصلة بين حضارة البداري النيولتية وهي محلية المنشأ وحضارة العمرة وهي أولى مراحل حضارة نقادة.

1 - W.W.F.PETRI & J.E Quibell, Naquada and Ballas. London: 1896. p.p: 59 – 60.

2 - De Morgan. J , recherches sur les origines de l Egypte. T.2. Paris: 1897. pp 13 – 16.

3 – A. Scharff, Some prehistoric vases in British Museum in JEA, XIV T3.4 , 1928. p 268.

وأيضا: العقون أم الخير العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثانية ق.م.، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار. جامعة الإسكندرية.1988،ص. 268

4 - Arkell, History of the Sudan, from the eartrest time to 1821.. London: The othphone press.1955, p 23.

ومن المعثورات في هذه الطبقة أي العمرة تماثيل نتبين من خلالها أنها لرجال عراة إلا من نطاق بسيط يستر العورة؛ وكانوا يثبتون الريش في شعرهم، بالإضافة إلى عقود مصنوعة من قشور بيض النعام يتزينون بها.[1]

وكلها عناصر جدت على الحضارة المصرية، وتدل على أصلها الليبي في شمال أفريقيا.

وفي دراسة ثانية لفخار نقادة، لاحظ "wainright وانورايت" وجود تأثير حضارة مدينة سايس في الدلتا وهي عاصمة مملكة الشمال قبل توحيد مصر،على أهل نقادة من مدن مملكة الجنوب، ويتمثل هذا التأثير في وجود رسم لقوارب نيلية وكذلك رسم التاج الأحمر (رمز مملكة الشمال) مرافقا لرمز الإلهة نيت (الليبية) إلهة مدينة سايس.

لقد خلص "ونورايت" بعد دراسة مستفيضة في هذا الميدان، إلى وجود شعب ليبي في مصر في فترة ما قبل الاسرات، استقر في مدينة سايس في الدلتا وأعطاها معبودها الرسمي وأصله الإلهة الليبية "نيت"، وإسمها تحنوت أي الليبية . ثم انتشر بعد ذلك على طول نهر النيل فكانت له مراكز قوية في مدينة سايس في الشمال ونقاده في الجنوب. ولهذا السبب فإن رمز الكثير من المقاطعات المصرية منذ عصر ما قبل الأسرات هو الريشة وهي رمز ليبيا – تزين الزعماء الليبيون بوضع ريشة على رؤوسهم-.

هذه المقاطعات هي من المقاطعة الثالثة لغاية العاشرة وأيضا المقاطعة السابعة عشر.

ولقد كونت هذه المقاطعات ورمزها الريشة، نطاقا من مدينة الكاب لغاية أخميم، وكانت مدينة نقادة تتوسط هذا النطاق.[2]

ويربط المدن المكونة لهذا النطاق بواحة الخارجة[1] سبعة طرق للقوافل، وأقصر هذه الطرق وأحسنها، هي التي تصل من الواحة إلى وادي حلف حيث

---

1- إبراهيم أحمد أرزقانه، الحضارات المصرية في فجر التاريخ. ص 179.

2 - G. A. wainwright. The red crown in early prehistoric times. J E A no 9. London: the Egypt exploration society. p.p: 28-29.

توجد مدينة أبيدوس: التي كانت مركز عبادة Khenti Ameniti أي إله وسيد الغرب؛ بالإضافة إلى طريقين مميزين، أولهما شمالي وينتهي عند مدينة سايس عاصمة مملكة الشمال (قبل توحيد الدولة المصرية) والثاني جنوبي وينتهي عند جبل برقل في السودان، حيث تأسست الإمبراطورية الأثيوبية.[2]

وفي العصور التاريخية أقيم معبد في أبيدوس على أنقاض معبد الإله خنتي أمنتي للإله ست. وربما لهذا دلالته، لأن ست كان يمثل إله الشر وإله الصحراء الجدباء.

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود أختام خاصة بالملك "بريب سن" في الأسرة المصرية الثانية، تشير إلى الحيوان الذي يرمز إليه بإله الشر باسم آشASH[3] وكنيته الدائمة "ألامبوي سيد مصر العليا" وأمبوي موقع لا يبعد أكثر من خمسة كيلومترات عن نقادة.[4]

وبالتالي يمكن لنا أن نتساءل إذا ما كان الإله الليبي "آش" هو نفسه الإله المصري ست Seth ؟

بل يمكن الذهاب أبعد من هذا، حيث يعتقد عالم المصريات الإنجليزي آلن غاردنر، أنه من الطبيعي أن نربط بين الصراع بين حورس وست، وذلك العصر الذي ازدهرت فيه تلك الحضارة (يقصد بها نقادة) فبلغت قمتها.[5]

وكأنه بذلك يلمح إلى أن حضارة ما قبل الأسرات في الصعيد قد نتجت أثناء الصراع بين الإلهين ست (الإله الصحراوي) والإله الطيب حورس (المصري) أي أنه صراع بين الأقوام الليبية الصحراوية والأقوام المصرية...وبالتالي

---

1- وهي: الكاب- طيبة- قفط- دندرة- ديوسبوليس- بارقا- ابيدوس ( أخميم )-. أما واحة الخارجة فهي التي ثبت الاستقرار الليبي بها في بداية العصور التاريخية..

2-WAINWRIGHT. G. A, OP. CIT. P.P: 31 -32.

3- الإله آش: ورد في النصوص المصرية بأنه إله الليبيين

4- آلن غاردينر، مصر الفراعنة. ترجمة نجيب إبراهيم ميخائيل. ص ص: 453-455.

5- المرجع نفسه، ص 461.

نعتقد بأن أسطورة أوزريس[1] بالغة الأهمية،إذ أنها ذات دلالات تاريخية عميقة ومن المحتمل جدا أنها تضم إلى حد ما عنصرا من الحقيقة التاريخية.

وهي الفرضية التي سبق وأن قدمناها، بأن أقواما ليبية أظطرتها ظروف نجهلها، بالإضافة إلى ما عرف عن ظروف المناخ، إلى اكتساح النيل والإندماج فيه. وأنه بناء على هذا التلاقي بين حضارتين متباينتين، أنبتقث أولى ثقافات أو حضارات ما قبل الأسرات في فجر التاريخ بمصر.[2]

وما نأسف له حقا في موضوع البحث في فترة ما قبل الأسرات، أن تجربة الكتابة لم تكن قد اكتملت بعد، لتحدثنا بوضوح عن تلك الفترة الحرجة من تاريخ العلاقات بين ليبيا ومصر، وتكاد تنحصر مصادرنا في محتويات مقابر نقادة وهي عبارة عن الواح إردوازية[3] ترجع في تاريخها إلى فترة قبيل تأسيس الأسرة المصرية الأولى، فهي اذن ألواح صماء نرتبها حسب تاريخها ونستقرؤها ونحاول تفسيرما هو مرسوم على وجهها، مستعينين في ذلك بما ورد لاحقا في الآثار المصرية لما تطورت الكتابة وعم استخدامها.

وتشير هذه الألواح بشيء من الوضوح إلى نوع العلاقة بين الطرفين، حيث تروي بعض النقوش صلات طيبة، وتذكر أخرى صورا عن محاولات لجماعة ليبية في الاستقرار حول مجرى النيل أو العكس، أي عملية طردها من مصر..

ومن هذه الألواح. يمكن ذكر هذه العينة:

---

1- أسطورة أوزوريس تمثل الصراع الأبدي بين الأخوين أوزوريس روح الخير وست روح الشر، ولقد أصدرت (محكمة الآلهة في الأسطورة) قرارا أعلنت فيه حورس بن أوزوريس منتصرا، وتم نفي ست إلى الصحراء

2-WAINWRIGHT, OP CIT. P. 32.

3- استخدمت الألواح الأردوازيه PALETTES، في أوقات سحيقة لإذابة مساحيق التجميل، ثم استخدمت بعد ذلك كوثائق سجل فيها الكاتب المصري تاريخ الملوك وأمجادهم..

1)- لوحة صيد الأسود

وتصور النقوش المصورة على أحد وجهي هذه اللوحة، ما يرجح قيام صلات طيبة بين المصريين وجيرانهم الليبيين وخروجهم معا للصيد.

لقد نقش على أحد وجهيها مجموعتان من الرجال انتظموا في صفين على حافتيها العريضتين، تفصل بينهما ساحة صيد واسعة، تفرقت فيها الوعول والنعام والأرانب والأسود والثعالب وحيوانات خيالية. ولقد ظهر الرجال بشعر مستعار ولحية مستعارة أيضا. أما الرداء فكان عبارة عن نقبة قصيرة تبدأ من الخصر وتقف أعلى الركبة ويحيط بها حزام يلتصق به من الخلف ذيل، ووضع كل رجل ريشة أو أثنتين على رأسه.[1]

وما يلفت الانتباه في هذه اللوحة أن كل هذه الصفات تشير إلى الليبيين المصورين على معبد الفرعون ساحورع من ملوك الأسرة الخامسة، فهم أيضا يسترون عورتهم في الكرنطة، وخصلة شعر صغيرة فوق مقدمة رؤوسهم، تذكر بالصل الفرعوني..

ونتساءل عما إذا كان من الممكن، أن يكون ملوك ما قبل الأسرات في مصر السفلى أو في غرب الدلتا من أصل ليبي، وأن حكام المملكتين المتحدتين فيما بعد، ورثوا عنهم الذيل والصل.[2] ويرجع جاردنر هذه اللوحة إلى عهد نقادة-مرحلة جزرة-التي حدث فيها دخول العنصر الجديد إلى مصر.

2)- لوحة الأسد والعقبان

ترجع هذه اللوحة في تاريخها إلى مرحلة جزرة من حضارة نقادة مثلها مثل لوحة صيد الأسود.

وتكمن أهمية هذه اللوحة في أنها تتضمن بقايا علامة تصويرية يعتقد أنها من أقدم العلامات الكتابية وتعني أرض التحنو. ويصور المنظر على أحد

---

1- عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها في الاتجاهات الحضارية العامة حتى أواخر الألف الثالثة ق.م. ج2، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1962، ص. 191.

2- آلن غاردنر، تر، نجيب إبراهيم ميخائيل، المرجع السابق، ص 428

وجهي اللوحة وحدة زخرفية،بينما صور على الوجه الآخر معركة عنيفة؛ ويتوسط وجه اللوحة أسد غاضب يمزق صدر عدو يتلوي جسده على الأرض (والأسد يرمز إلى أمير أو ملك لأن المصريين يصفون ملوكهم بالأسود).و توزعت حول الأسد وفريسته بقية مفردات المعركة، فظهرت أمام الأسد شخصية لم يبق منها غير نصفها الأسفل ترتدي زيا طويلا مزركشا زينت حاشيته بأهداب، أغلب الظن أنها تمثل معبودة مصرية، وقد دفعت أمامها أسيرا عاريا إلا من جراب العورة وشدت ذراعيه خلف ظهره، وبقي أمام الأسير جزء من علامة تصويرية كانت تعبر عن إسم التحنو وهم الليبيين.. وترامى بجانب الأسد ومن تحته أفراد آخرون من نفس الأعداء وانقضت على جثثهم جميعا أسراب من العقبان تنهش أيديهم وأرجلهم.[1]

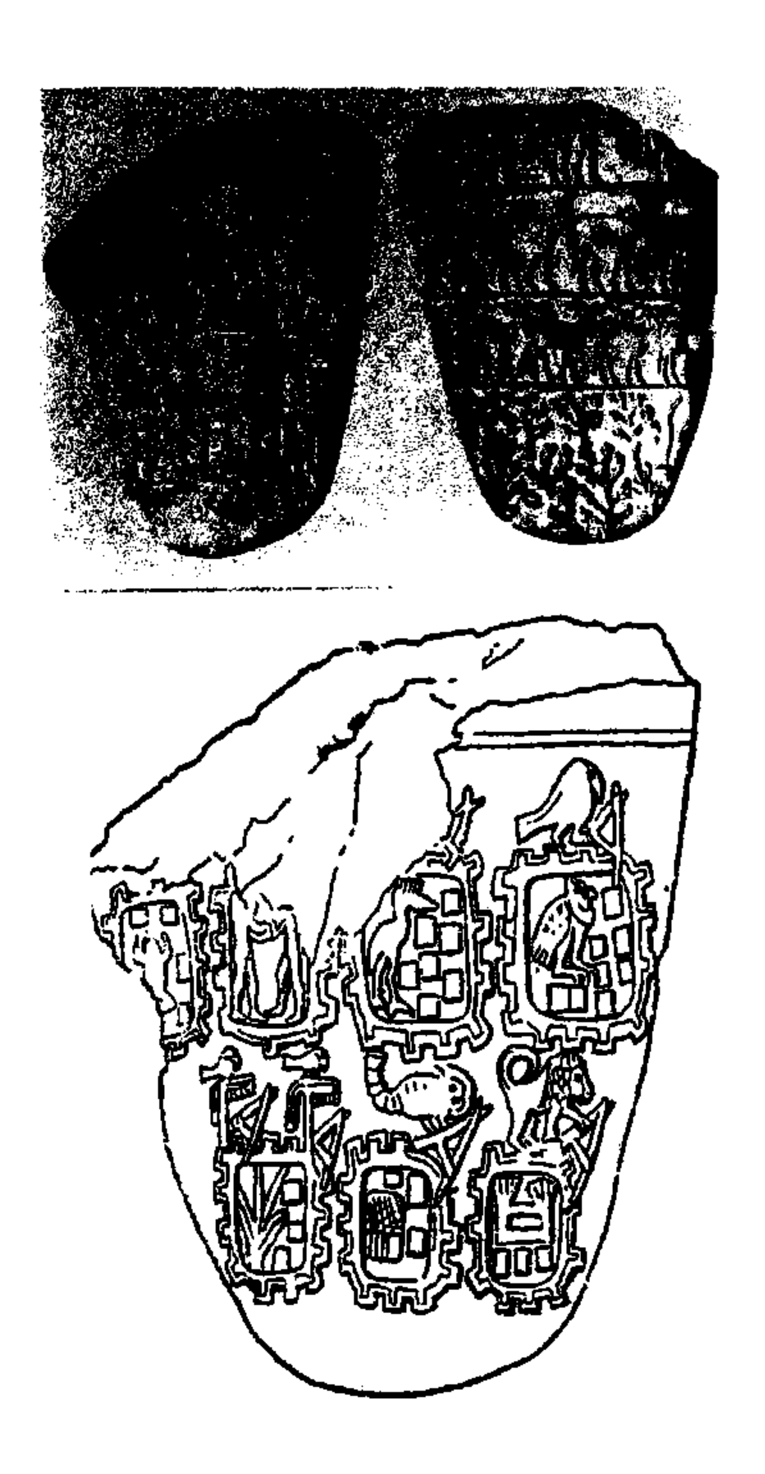
3)- لوحة الحصون والغنائم

وتسمى أيضا لوحة ليبيا، وتعتبر أقدم وثيقة وصلت إلينا عن ليبيا وهي لوحة بنية اكتشفت في أبيدوس في صعيد مصر. وتحتوي هذه اللوحة على الكتابة التصويرية التي تعد من أقدم الكتابات الدالة على أرض التحنو، واتخذت فيما بعد رمزا تقليديا يشير إلى ليبيا والليبيين في النقوش المصرية.[2] وهذه العلامة هي رمز "البومرنج" ( العصى المعقوفة)، وتستخدم كأداة صيد ثم أصبحت رمزا في الكتابة المصرية القديمة. وبدراسة النقوش المصورة على هذه اللوحة نستطيع التعرف على الحالة الاقتصادية لشعب التحنو.

- ولم يتبق من هذه اللوحة الا الجزء الأسفل وهي محفوظة في المتحف المصري بالقاهرة وتحمل رقم Je27434 ( أنظر اللوحة رقم 3)

1- عبد العزيز صالح، المرجع السابق. ص. 194.

2- جاردنر، المرجع السابق. ص. 426.



اللوحة رقم 3 و تسمى لوحة الحصون والغنائم موجودة بالمتحف المصري بالقاهرة

ولقد صور الفنان على أحد وجهيها ثلاثة قطعان من الثيران والحمير والكباش تسير فوق بعضها البعض، وتمثل غنيمة الملك المصري "العقرب" الذي حكم مصر العليا وهو سلف الملك " نعرمر" الموحد للمملكتين في مصر. وصور على الوجه الآخر أيضا سبعة مربعات محاطة بالأسوار تعبر عن مدن محصنة.

وقد يكون من المبالغة القول بأنها مدن، فالأمر لا يتعدى كونها قلاعا أكبر من المعسكرات، ولها أسوار من الطوب اللين ومزودة بأبراج، وتظهر فوقها أشكال رمزية تستعمل كآلة للهدم (قشه فأس)، كما تظهر بوضوح صورة عقرب وأسد وصقر (وهذه قد تكون صفات الملك) والملك كالأسد والعقرب والصقر، أي أنه يتصف بالقوة والمكر والدهاء وهي الصفات المستوحاة من هذه الحيوانات.[1]

وإن كان جاردنر لا يرى فيها صفات زعيم، وإنما تميز أقاليم معينة تحارب معا كحلف.

وفي كل مربع توجد صورة مميزة ليست إلا شعارات وأسماء لهذه القلاع وهي غير واضحة. ويعتقد أنها تمثل: الجعران، مصارعان، طائر ذا عنق، بومة، نبات يشبه النخلة، كوخ، ذراع مزدوج.[2] (يستخدم بعد ذلك في اللغة المصرية القديمة ليرمز إلى الكا kA أي القرين وهي العنصر الثالث في الإنسان مع الجسم KH خت والروح BA، و kA القرين). وفي حالة ارتباط الشكلين ببعضهما ببعض، فإن الوجه الأول يكون تخليدا لانتصار الملك، بينما يكون الوجه الآخر تسجيلا للغنائم التي استولى عليها، أو الضريبة المفروضة من الزرع والماشية.

تعتبر لوحة الغنائم والحصون أقدم وثيقة تبرهن لنا عن وجود ليبيا كأرض معروفة ومعمورة منذ حوالي ستين قرنا. وتتزامن مع بدايات الحضارة

---

1-أم الخير العقون، المرجع السابق . ص 147.

2- المرجع نفسه. ص.ص: 149-150.

المصرية القديمة وبالتالي فهي تخرج ليبيا وأيام حكم التحنو من ظلام ما قبل التاريخ.

ومن مزايا لوحة ليبيا إبراز بعض العلامات الأكثر قدما في الكتابة المصرية القديمة، إنها المرة الأولى التي يشار فيها إلى بلد أو إلى شعبه، وإنه لذو مغزى أن البلد أو الناس الذين تمت الإشارة إليهم، هم بالذات الليبيون.

يذهب Guissepi Galassi إلى حد الاعتقاد بأنه، إذا كانت الهوية المزعومة لهذه المدن لها أساس من الواقع، فإنما يجب أن نعتبرها صادقة خصوصا بالنسبة للمدن الموجودة على الشاطئ الغربي لنهر النيل، حيث يمكن أن تكون مدنا ليبية في عصر ما قبل الأسرات وقد غزاها الملك العقرب وأجلى سكانها التحنو.

وتتأكد هذه الفرضية مع المرحلة اللاحقة وهي مرحلة بداية الأسرات في تاريخ مصر أو مرحلة التأسيس التي تبين بوضوح استعادة الليبيين أراضيهم في مصر وردع الفراعنة لهم..

**ب) العلاقات الليبية المصرية أثناء مرحلة الأسرات[1]**

تتناول هذه الفترة من تاريخ العلاقات بين الطرفين، مصادر مصرية بالصورة والنص (بداية استخدام الكتابة التصويرية في مصر)، تؤكد أن هذه العلاقات لم تخل من المصادمات منذ أوائل الأسرة الأولى على الأقل.

لقد تواصلت الهجرات الليبية نحو مصر في هذه الفترة الحرجة من تأسيسها، فلم تكن الوحدة قد تأكدت بعد، ولم تتبين بعد سياسة مصر الخارجية، ولم تضع حدودا جغرافية ثابتة بعد، لذلك فإن الهجرات نحوها لم تتوقف. ويلاحظ أنها تركزت في شمال غرب الدلتا، مما جعله يصطبغ بصبغة ليبية. وتشير أقدم أخبار الوجه البحري الى منازعات ومشاحنات مستمرة مع الليبيين، لذلك فإن عالم المصريات "جيمس هنري برستد"، لا

---

1- تتضمن مرحلة بداية الاسرات، الأسرتين الأولى والثانية قبل أن تحقق مصر المركزية الكاملة في الحكم، وكانت تتبع نظام الازدواجية في كل مؤسسات الدولة.

يستبعد أن تكون مملكة الوجه البحري قد حكمها ملوك من ليبيا. ويكون في ذلك متفقا مع الرأي الذي ذهب إليه زميله غاردنر (و قدعرضناه سابقا).

يستند برستد في رأيه هذا، إلى كثرة الدلائل السابقة الذكر، بالإضافة إلى أن معبد مدينة صان الحجر (سايس) الواقعة غربي الدلتا كانت تعتبر مركز النفوذ الليبي في مصر. فقد سمي هذا المعبد قديما "قصر ملك الوجه البحري. وجدير بالذكر هنا أن معبودة ذلك المعبد هي الإلهة الليبية " نيت" أو التي يطلق عليها أيضا تحنوت نسبة إلى قبيلة تحنو الليبية .

كما أن رمز هذه المعبودة، قد استعمل في الوشم على أذرع الليبين، وبالتالي يعتقد "برستد أن صان الحجر (سايس) كانت وطنا لملك ليبي قديم.[1]

وبالإضافة إلى كل ما سبق ذكره من دلائل، إلا أن هناك دلائل أخرى سوف نتعرض لها، وتشير كلها إلى فرضية واحدة تجعل من الليبيين أو جزءا منهم سكانا أصليين للدلتاأقصاهم ملوك الجنوب وهم يحاربون الشمال لتوحيد القطرين، وهذا ما يفسر إصرارهم على العودة إلى دلتا مصر.

ومن هذه الدلائل التي ترجع في تاريخها إلى عهد الملك نعرمر مؤسس الدولة الموحدة في مصر.

**- الختم الأسطواني للملك "نعرمر" ولوحته**

لقد عثر على هذا الختم في هيراقنبوليس (صعيد مصر)، وهو موجود الآن في متحف أوكسفورد ببريطانيا، وتمثل المناظر المرسومة مرحلة من مراحل كفاح نعرمر في توحيد مصر.

وتصور ثلاثة صفوف من الأسرى الليبيين، قيدت أيديهم، وفي الطرف العلوي من المنظر كتب إسم "نعرمر"، والى اليسار من هذا الجزء كتبت الجملة التالية hsf thnw خسف التحنو أي قتل التحنو.

---

1- جيمس هنري برستد، المرجع السابق، ص 34.

أما اللوحة (الصلاية)، فقد تصدر أحد وجهيها صورة نعرمر في قوام وحجم كبير، وظهر بتاج الصعيد فقط، يأخذ بناصية زعيم خصومه. وأسفله صورة إثنين من الأسرى الليبيين في محاولة للهرب. ولقد ظهرت أمام أحد الأسرى علامتان كتابيتان تعبران عن إسم منطقة ويحتمل أن تكون "وع" أو "وعش ". ويتألف إسم بلد الأسير من صورة خطاف وحوض ماء أو ترعة ماء. وظل طائر الخطاف رمزا لأقصى الأقاليم الشمالية الغربية للدلتا، التي تسكنها الأقوام الليبية .[1]

ونذكر بأنه ظهر على لوحة ليبيا، أول رمز يشير إلى الليبيين (العصا المعقوفة)، باعتباره رمزا لسكان إقليم يقع في الشمال، ولكن، من خلال لوحة نعرمر، أضيف إلى هذا الرمز شكل إهليليجي (OVALE) يشير إلى جزيرة أو واحة في الصحراء أو البلاد الأجنبية، حسبما يذهب إليه "جاردنر"[2]. وبالتالي فإننا نفترض بأن فكرة ليبيا كبلد أجنبي، قد تبلورت في وقت وسط بين زمن لوحة "ليبيا" أو "الحصون والغنائم" وزمن لوحة "نعرمر"، عندما كان هذا الأخير في طريقه إلى توحيد مصر. وعليه فإن الحملة على ليبيا والحروب من أجل الوحدة لم تكن مختلفتين عن بعضهما.

وقد أشرنا فيما مضى بأن الباحثة "نيبي" Nibbi أثبتت بدراسة لغوية قامت بها، أن منطقة الخطاف وحوض الماء هي بحيرة الفيوم واعتبرتها من أماكن استقرار التحنو الليبيين.[3]

وعلى الوجه الثاني من لوحة نعرمر، يظهر رسم أكثر وضوحا، حيث يظهر الملك نعرمر وعلى رأسه تاج الدلتا (مصر السفلى).

---

1- عبد العزيز الصالح، المرجع السابق، ص .224.

2- راجع ذلك عند:

-ALAN GARDINER, EGYPTIAN GRAMMAR. 3the ED. REVISED, OXFORD: GRIFFITH INSTITUT, 1982 p.487.

3- ALESSANDER NIBBI, LAPWINGS AND LIBYANS IN ANCIENT EGYPT, P.P: 86-88.

ولقد ورد في متون الآثار بأن الملك "نعرمر" شن غارة على الليبيين غرب الدلتا وأسر منهم حوالي مائة وعشرين ألف نسمة، عدا مليون وأربعمائة وعشرين ألف من الأغنام وأربعمائة ألف من البهائم.

ويعلق عالم المصريات "برستد" بأن هذه الغارة كانت بمثابة طرد عام لليبيين من الدلتا.[1]

ونظرا للأرقام المقدمة فإننا نوافق برستد فيما يذهب إليه، من أن هذه الحملة، ربما كانت أكبر حملة طرد فيها الليبيون خارج حدود الدولة الجديدة عبر كل تاريخ العلاقات.

غير أن الدلائل بعد عهد نعرمر، تشير إلى أن الحضور الليبي بقي واردا على الآثار المصرية القديمة حيث اكتشف بتري Petrie (مكتشف حضارة نقادة)، قبرا في مدينة أبيدوس لملك أو ملكة من الأسرة الأولى يحمل إسم "مري . نيت " Merie – Neith أي محبوب الآلهة نيت، ويعتقد "كابار" بأن مدلول ذلك أنه من أصل ليبي.[2]

كما تشير الدلائل الأخرى، بأن مصر تعرضت أيام الأسرة الثانية إلى اضطرابات وقلاقل داخلية وخارجية؛ فالليبيون هاجموا من جديد الدلتا واحتلوها عنوة وانفصلوا بها عن الصعيد أيام الفرعون "ني- نشر" ولما أعقبه "برايب سن"، لم يحكم سوى الصعيد. وكذلك كان حال خليفته "خع- سخموي".الذي كافح من أجل طرد الليبيين من جديد واسترجاع الدلتا ثانية،ومن ذلك فقد هاجم أراضي الدلتا وقاتل الليبيين المسيطرين عليها حتى أخرجهم عن مصر.[3]

---

1- جيمس هنري برستد، المرجع السابق. ص ص 44 - 54.

2 - M.CAPART, Préhistorique égyptien, p. 6.

3–محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم،ج 3، حركات التحرر في مصر القديمة، القاهرة:دار المعارف 1976. ص 65 - 66.

وإن كانت مصادر أخرى ترجع سبب انهزام الليبيين إلى ظاهرة طبيعية وهي حدوث خسوف أفزعهم، فتراجعوا عن هدفهم[1]. ولولا ذلك لتغير مجرى أحداث التاريخ الفرعوني ... ولا نستبعد أن تكون غزوة الليبيين، من العوامل التي عجلت بتغيير السياسة المصرية الداخلية؛ فلقد ترك انفصام الوحدة . التي أنشأها الملك نعرمر وانفصال الدلتا مجددا أثرا كبيرا على المصريين القدماء. وكان ذلك من الأسباب المباشرة في تطور تاريخ مصر السياسي، فبعد أن طبقت سياسة الازدواجية (في الأسرتين الأولى والثانية) وفيه نوع من الإستقلال الذاتي لمملكة الوجه البحري (الدلتا)، انتقلت مصر إلى مرحلة جديدة هي الدولة القديمة (تحتوي الأسر الثالثة، الرابعة، الخامسة والسادسة) –التي تقوم أساسا على دعامتين أساسيتين: هما نقل عاصمة الدولة من نخن (في الجنوب) إلى منف ( في الشمال) لتكون قريبة من حدود مصر الشمالية الغربية المهددة دوما من طرف الليبيين.

أما الدعامة الثانية، فهي إدعاء النسل الإلهي لملوك مصر، لتقطع بذلك الطريق أمام كل طامع في مصر سواء كان من الداخل أو الخارج...

**ج- العلاقات الليبية المصرية منذ الدولة القديمة ولغاية الدولة الحديثة:**

تكاد أخبار ليبيا وشعبها لا تنقطع في المصادر المصرية، منذ مرحلة حكم الأسرة الثانية المصرية، بل إن أخبارهم قد ترددت بشكل غير عادي، حتى أمست شيئا مألوفا في مصر.

وفي هذا المقام، يجدر بنا الإشارة إلى تلك المسحة المميزة للتفكير المصري القديم، حيث الارتباط العجيب بالتراث التقليدي ومقابلته بالواقع، فكان كل ملك مصري يمثل وكأنه غاز.[2]

فكانت تردد أحيانا نصوص وتنجز رسوم تخلد انتصارا في معركة ضد الليبيين لم تحدث أصلا في الواقع.

---

1 -M. CAPART, « A propos d' un livre récent sur les libyens. » société d'anthropologie de Bruxelles T XX 1904, p.p: 5- 6. -

2- آلن غاردنر، المرجع السابق، ص 75.

وبما أن مصادرنا في هذا الموضوع هي الآثار المصرية فقط، وهي "معادية" أي ذات توجه سياسي محدد يشير دوما لخروج المصريين منتصرين على الليبيين، لأن التقليد الذي كان سائدا عندهم هو أن الملك يسجل أمجاده وانتصاراته فقط، وليس كل تاريخه، بما فيه الانهزام.

أولا-العلاقات أثناء الدولة القديمة

من مصادرنا في مرحلة الدولة القديمة، التي تضم الأسر من الثالثة لغاية السادسة (2800ق.م- 2300 ق.م)

1)- حوليات الملك سنفرو، ومقبرة مرسي- عنخ الثالثة.

لقد ورد على أثر مصري يعرف باسم حجر "بالرمو (موجود بمتحف عاصمة صقلية) يفيد بأن الملك سنفرو (رأس الأسرة الرابعة) عمل على تحصين حدود مصر الشمالية والجنوبية بإقامة حصون أطلق عليها إسم "بيوت سنفرو". ولا نستبعد أنه أقام حصونا في شمال غرب مصر أيضا.ذلك أنه قام نزاع مؤكد بين الطرفين، فقاد "سنفرو" حملة ضد التحنو الليبيين وأسر منهم أحد عشر ألفا، وغنم ثلاثة عشر ألفا ومائة رأس من الماشية [1]، وقد سجل كل ذلك على حجر بالرمو.

ومن جهة أخرى، تشير دراسة المناظر الواردة في بعض مقابر الأفراد وهم موظفون سامون في الدولة المصرية وبعض المقابر الملكية في جبانة الجيزة، التي ترجع إلى الأسرة الرابعة، إلى قيام علاقات ودية أيضا بين المصريين وبين التمحو، وأغلب الظن أنها كانت صلات نسب.

وأشهر هذه المقابر الملكية، مقبرة "مرسي عنخ الثالثة"، (ابنة الفرعون خوفو)، فقد صورت هذه الملكة ووالدتها بشعر أصفر وعيون زرقاء وبشرة بيضاء، وكانتا ترتديان أزياء خاصة تشبه أزياء قبيلة التمحو، كما أن هذه المواصفات هي نفسها المواصفات التي تخص أيضا قبيلة التمحو.[2]

---

1- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 65- 66.

2 - Alan Gardner, ancient egyptian onomastica , v I, p 115. & - John Wilson, The Libyans and the end of the Egyptian Empire. P. 74.

وهوالأمر الذي دفع بالدارسين إلى شبه إجماع بأن الملك خوفو قد تزوج من إحدى نساء قبيلة التمحو؛ غير أن هناك آراء تناقض ذلك، لكن الظروف التي أحاطت تولي"حدد فرع" العرش خلفا لأبيه "خوفو"، ثم تولى أخيه "خفرع" العرش خلفا له في ظروف غامضة، تؤكد الرأي الأول القائل بزواج الملك خوفو من امرأة تنتمي لقبيلة التمحو.[1] لأن التقليد يقتضي بأن يرث عرش مصر ابن الملك من أخته الزوجة الرئيسية، التي تحمل الدماء المقدسة، وليس ابنا من زوجة ثانوية..

2)- معبد الملك ساحورع (الأسرة الخامسة)

إن المناظر المصورة على الحائط الجنوبي من معبد الملك ساحورع، تدفعنا إلى الاعتقاد بأن شعب التحنو لجؤوا إلى مصر تحت ضغط زحف أقوام جديدة من الليبيين عرفوا باسم التمحو؛ فتصدى لهم الملك، وتبين اللوحة إلهة الكتابة "سشات" تسجل أعداد الأسرى والغنائم التي أخذها الملك، والتي بلغت أعدادا هائلة ومبالغ فيها حيث كانت عبارة عن 124440 بقرة و223400 حمار و232413 من الماعز و243688 ماشية.[2]

وأمام الإلهة "سشات" ظهرت ثلاثة صفوف من الأسرى يمثلون أفراد ثلاثة مدن، إسم المدينة الأولى مهشم والثانية هي"باش"، والثالثة هي"باكت"، بالإضافة إلى صور أمير التحنو وزوجته وأطفاله. ورسمت خلفه صورة الإله " آش" إله بلاد التحنو.

3)- معبد الملك بيبي PEPI الثاني (الأسرة السادسة)

رسم على الجزء الشرقي من ممر المعبد الجنزي للملك بيبي II، ثلاثة مناظر تكون مجموعة كاملة، لكن فيها تهشيم. غيرأن ذلك لم يمنع "جوستاف جاكيه"Gustave Jackie من استكمال الجزء الباقي من هذا المنظر، بمضاهاته بلوحة الملك دن (الأسرةالأولى) ومعبد ساحورع (الأسرة الخامسة).

---

1- عبد العزيز صالح، المرجع السابق ص – 345 346.

2- Percy. E. New Berry: ta Tehenu olive land, p. 99.

يمثل المنظر ككل الملك في وقفة المنتصر ينهال على رأس عدوه من التحنو (يمكن التعرف عليه من خلال تسريحة شعره،جراب العورة وذيل الحيوان) بينما جلس الليبي راكعا عند قدميه ممسكا بإحدى يدي الملك، ويرفع يده الأخرى ليحمي وجهه من ضرب بلطة الملك وأعلى المشهد مناظر الإنتصار من استعراض الغنائم والزعماء الليبيين[1]؛ بينما وقفت زوجة الأمير وولديه يطلبون من الفرعون الرحمة والغفران.

وهذا المشهد الأخير مطابق كليا لهيئة الأشخاص بملابسهم وأسمائهم لمشهد معبد ساحورع. لذلك يرى جمع من الباحثين بأن هذا التشابه شبه الكلي عند "بيبي" الثاني من ملوك الأسرة السادسة وسلفه "ساحورع" الذي سبقه بحوالي قرنين، يعطينا الدليل بأنه مشهد زخرفة لا حقيقة تاريخية.

4)- السير الذاتية

ومن المصادر الأخرى التي تتناول تاريخ هذه العلاقات وتخرج عن نطاق النقوش ما احتوته المتون في السير الذاتية التي تخلد انتصار الفراعنة، وهي نصوص تروي حياة أفراد مميزين في الدولة المصرية كانوا موظفين سامين أو قادة جيوش أو كهنة من ذلك ما سجله قائد الجيش " أوني".

يذكر " أوني" في مقبرته في بأبيدوس، بأن الملك بيبي الأول (الأسرة 6) عهد إليه بحماية التجارة المصرية من هجمات البدو الآسيويين، فاستعان بسكان مناطق مختلفة من مصر وبالنوبيين في السودان، وكذلك استعان بسكان أرض التمحو الليبيين. [2]

وبالتالي نتبين من خلال هذا النص أن جماعات من التمحو، قد انضموا منذ وقت مبكر من تاريخ مصر بالجيش كمرتزقة وتميزوا بشجاعة نادرة، ولذلك استعان بهم الفراعنة في المراحل اللاحقة..

---

1 -Gustave Jaquier, monument funéraire de Pépi II. T II le temple. Le Caire: imprimerie de L'IFAO, 1933. P.p: 13-14.

2- آلن غاردنر، المرجع السابق، ص 115.

ومن السير الذاتية أيضا نص مدون على مقبرة النبيل «حرخوف» حاكم إلفنتين (قرب أسوان)، نعلم منه أنه قام برحلات إلى النوبة، وفي أثناء رحلته الثالثة، صادف نزاعا بين قبائل "يام" النوبية وقبائل "التمحو" الليبيين، الذين كانوا يتنشرون في طريق الواحات غرب النيل، فلحق بملك "يام" وعمل على تهدئته.[1]

إن لهذا النص أهمية قصوى ويحمل مغزى عميق، فتدخل حاكم إلفنتين ومبعوث الفرعون لصالح التمحو الليبين، وتهدأة ملك يام بتعويضه بالأموال عن الخسائر التي ألحقتها قبائل النمحو به؛ هذه القبائل التي استغلت ضعف الدولة القديمة في أواخر أيامها وتدفقوا على مصر. هل نظر إليهم الفرعون كأتباع؟ وهل كانت السلطة المركزية للفرعون تشعر بالمسؤولية نحوهم؟ وإلا، فلماذا يتدخل مبعوث الملك لصالحهم؟ ...

ونتيجة لهذا الاستقرار المسالم، اغتنم التمحو زعزعة الأوضاع خلال عصر الانتقال الأول في مصر في أواخر القرن 23 وبداية القرن 21 ق،م، وتوغلوا في مصر بأعداد هائلة. وتشير الدلائل التاريخية إلى أنه حدث زحف كبير قام به قوم التمحو في هذه الفترة بالذات؛ حيث دخلوا مصر من الجنوب وانتشروا بمحاذاة النيل شمالا؛ فأصبح لقادتهم مكانة ونفوذ كبيرين؛ وترقوا في سلم الإدارة المصرية وبلغوا وظائف سامية.

والمصادر التي تكلمنا عن العلاقة بين الطرفين خلال هذا العصر قليلة، ويصعب تحديد نوعية هذه العلاقة في فترة تفككت البلاد أثناءها، وانحلت نظمها الاجتماعية، وتحارب أمراؤها وحكام مقاطعاتها، لكنها كانت في الوقت نفسه وضعية مغرية لتسلل الليبيين.

**ثانيا- العلاقات الليبية المصرية أثناء الدولة الوسطى:2052-1778ق، م.**

نكتفي في الكلام عن العلاقات بين الطرفين في هذه المرحلة ببعض الإشارات القليلة والمتقطعة التي جاءت بها المصادر المصرية...

---

1 -Jean Yoyotte, un document relatif aux rapports de la Libye & de la Nubie. P. 10.

لكن من المؤكد تاريخيا أن ملوك الأسرة الحادية عشر في طيبة، قد خاضوا الكثير من الحروب والمعارك ضد أمراء المقاطعات في الداخل والقبائل الأجنبية المتسللة عبر الحدود المصرية، من أجل استعادة الوحدة والمركزية للدولة المصرية، وإرساء دعائم مرحلة الدولة الوسطى..

ومن هذه المصادر هناك نقش في منطقة الجبلين، يرجع تاريخه لعهد الملك "منتوحتب الأول" (الأسرة الثانية عشر)، يمثل هذا الملك وهو يسحق أعداء له من الليبيين.[1]

أما من النصوص الكتابية، فيمكن ذكر مطلع قصة "سنوحي" أحد قادة الملك امنمحات الأول (الأسرة الثانية عشر). فنقرأ أن الملك أرسل ابنه الأمير سنوسرت للإغارة على الليبيين، فقاد ضدهم جيشا عظيما وعاد من الغرب وهو يجر وراءه أعدادا من الأسرى الليبيين وأعدادا لا تحصى من المواشي.[2]

ويبدو أن هذه الغزوة كانت حقيقية وليست مقطوعة أدبية، لأن صداها تردد في العصر الإغريقي، وقد أشار إليها ديودور الصقلي بقوله: "إن الأمير الشاب سنوسرت أرسل إلى بلاد الغرب ثم أخضع قسما واسعا من ليبيا".[3]

ويبدو أن الهجمات الليبية كانت خطيرة على غرب الدلتا، لذلك شيد الملك "أمنمحات الأول" قلاعا عند وادي النطرون، وقد واصل الأمير سنوسرت أعمال أبيه الدفاعية على الحدود.

أما عن الوضع داخل مصر، فقد أستقر الليبيون الذين تسللوا أثناء مرحلة الفوضى والاضطراب (المرحلة الانتقالية الأولى 2300 ق.م-2100 ق.م.)، ووصل بعضهم إلى مراتب عليا في الإدارة المصرية.

ففي عهد الملك أمنمحات الأول، وصل أحد الليبيين إلى منصب حاكم مقاطعة القوصية (مصر)، ويدعى سنبي SNBI، وهي وظيفة سامية في سلم

---

1 -Breasted, ancient records of Egypt. VI. Chicago 1906 - 1907, para 432 -

2 - Ibid.Para. 492.

3- عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق ص109.

الإدارة المصرية، فحكام المقاطعات بمثابة أعوان ومنفذي أوامر الفرعون، على مستوى المقاطعات (الولايات). ونتبين من خلال الرسوم المنقوشة على جدران مقبرة "سنبي" أنه حافظ على أصله الليبي، حيث حرص على أن يرسم بلباسه الليبي وهما الشريطان المتقاطعان وجراب العورة.[1]

وبعد عهد أمنمحات الأول، لم نعد نلتقي بما يشير إلى غزوات لببية، وربما عزف الليبيون عن هذه المناوشات والتسللات الجماعية، نتيجة كثرة الحملات التي شنها عليهم ملوك الأسرة الثانية عشرة بعد سنوسرت، لكننا لا نستبعد أن يكون الليبيون قد واصلوا توغلهم عبر الحدود المصرية بشكل غير ملفت للانتباه، وخاصة في الأسرة الثالثة عشر، إذ كانت قوة مصر أثناء حكم ملوكها، أضعف من أن ترد الخطر الليبي بالسلاح، فلجأوا إلى ما يعرف بين جمهرة المختصين بنصوص اللعنة.

وكانت نصوص اللعنة عبارة عن دعوات كتبها الكهنة بالمداد الأحمر، على قدور من الفخار، وصبوا اللعنة على أفراد من البلاط الفرعوني، وحكام النوبة وعدد من الشيوخ الليبيين، وكان الكهنة يحطمونها على أمل تحطيم الأعداء."[2]

**ثالثا: العلاقات الليبية المصرية أثناء الدولة الحديثة:1575 -1087 ق،م**

يعتبر عصر الدولة الحديثة، من أهم الفترات التي خلفت لنا من المصادر المكتوبة والمصورة ما يمكنه أن يلقي أكبر قدر من الضوء على التاريخ الليبي قبل هيرودوت. ذلك لأن العلاقات بين الطرفين زادت سوءا، حيث أمست الغارات الخاطفة غير المنظمة، أثناء الدولتين القديمة والوسطى على مصر، حروبا طويلة الأمد نسبيا، تتحالف فيها القبائل الليبية جميعها وأحيانا تتحالف مع الشعوب الأجنبية. ومن خلال بعض الآثار المصرية نتبين بأن الغزوة كانت منظمة شاملة تهدف إلى الاستيطان الكلي في مصر.

---

1- سليم حسن، مصر القديمة ج7، ص 40.

2- عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج1 مصر والعراق ط4، القاهرة: مكتبة الأنجلو-مصرية، 1984، ص 185.

ويعتقد فريق من الباحثين أن سبب هذه التحركات الليبية المتتالية، يرجع إلى جفاف متزايد على أوطانهم، وإن كنا قد بينا آنفا بأن عامل " فقر ليبيا" وارجاع هجمات قبائلها على مصر لا يرجع فقط إلى سبب اقتصادي، كما أننا بينا بأن المختصين قد بالغوا في تقدير تأثير عامل المناخ على القبائل الليبية .

والواقع أن السبب يعود إلى ظهور هجرات أوربية أشاعت التوتر في الشرق وقد خرجت طوائفها الأولى من موطنها حول البحر الأسود والبلقان في أوائل القرن 14 ق.م، فتسللت إلى حوض البحر المتوسط واختلطت بسكانه وعمل رجالها مرتزقة، في حين نزحت بعض طوائفهم إلى الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط، ولما انهزمت أمام فراعنة مصر اتجهت إلى الشواطئ الليبية فنازعتهم المكان ثم تحالفت معهم لغزو مصر.[1]

وقبل أن نتناول تلك الغزوات المنظمة في عهد الأسرتين 13 و20 وضغط الشعوب الهندو أوربية على الدول المحيطة بالبحر المتوسط، يجب أن نقول بأن الليبيين بقوا على اتصال دائم بالمصريين أثناء الأسرة 18 ( 1575- 1302 ق.م). من ذلك على سبيل المثال، أن قبيلة فرعية ليبية تسمى " الفهق " قد أغارت على حدود الدلتا، أثناء حكم الملك أمنحتب الأول ( ثاني ملوك الأسرة 18)، فتصدى لهم الفرعون المصري أو قائد جيشه ونسب الانتصار لملكه.

أما في عهد الفرعون المرأة الملكة "حتشبوست" فقد خلد الليبيون إلى المسالمة. وفي أثناء ذلك، زين الرسام المصري القديم جدران معبدها بالدير البحري برقصات ليبية وأفراد من الليبيين يقدمون ولاءهم للملكة، مصحوبا بجزية وعبارة عن كمية من العاج و700 سن فيل وعدد من جلود الفهود الجنوبية..[2]

ولقد زاد من مسالمة القبائل الليبية، وصول الفرعون الإمبراطور تحتمس III الذي قضى نصف عمره على صهوة جواده كما تصفه النصوص المصرية القديمة، وحظي بلقب نابليون الشرق عند المؤرخين المحدثين، لأنه لم يثبت

---

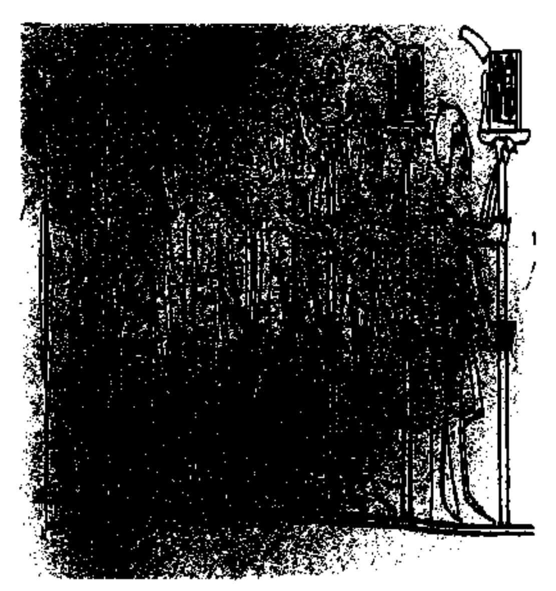
1- المرجع السابق، ص 231.

2- عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 118.

أركان الدولة المصرية فحسب بل زاد في حدودها أيضا على حساب الإمارات السورية بقوة السلاح، وغدت بذلك مصر دولة عسكرية في عهده.

ومن أعماله أيضا إخضاع كل الواحات تحت حكمه وتعيين حكام محليين عليها بعد أن كانت سيطرة مصر عليها غير قوية.[1] كما أرغم الرؤساء الليبيين على تقديم الجزية.

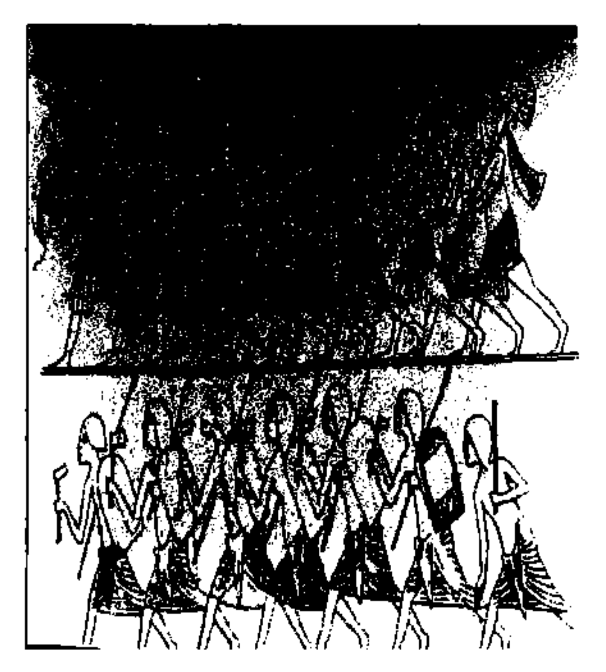
ومن كل هذا يتبين لن أن شخصيات فراعنة الأسرة 18 قد لعبت دورا كبيرا في استتبات الأمر بالصحراء الغربية، وكنتيجة لكل هذا سادت علاقات طيبة فظهر الليبيون ضمن السفراء الأجانب على جدران مقبرة "زعمور" بالبر الغربي بالأقصر في عهد الفرعون "أمنحتب الرابع" الملقب بأخانون، وكذلك نتبين من نقوش على مقبرة في منطقة تل العمارنة في عهد أخانون دائما، تبين انضمام الجندي الليبي إلى الجيش المصري فيظهر بشعره القصير والضفيرة المتدلية خلف أذنه وغيرها من مميزات الليبي،كما عمل الليبيون ضمن الحرس الخاص لنفس الملك.[2] (كما تبينه اللوحتان رقم 4 و5)



اللوحة رقم 4 وتمثل رجلا من الريبو ضمن حرس الفرعون أمنحتب الرابع (إخناتون) الأسرة 18

1 - AHMED FAKHRY, BAHRIA OASIS. P 59.

2 -N.DE G DAVES, ROCK TOMBS OF EL AMARNA. PART I. LONDON: 1903.P.P: 26-33.



اللوحة رقم9وتمثل جنديا في الجيش الليبي وهي من منطقة العمارنة بمصر وقد احتفظ هذا الجندي بشعر قصير وتتدلى ضفيرة جانبية على الصدغ وله لحية ويرتدي رداء طويلا مفتوحا على الجانب وتحته نقبة

## 1- العلاقات الليبية المصرية أثناء الأسرة 19. (1309 - 1194 ق.م)

لم تتوقف المناوشات بين الطرفين بقدوم الأسرة 19 بل ازدادت أكثر فأكثر حيث تزايد تغلغل الليبيين في الدلتا إلى حد كبير. ومن دلائل ذلك: نقوش على معبد الكرنك ترجع في تاريخها إلى عهد الملك سيتي الأول (ثاني ملوك الأسرة19) والتي تبين أن هذا الملك قدخاض حروبا عديدة ضد الآسيويين والليبيين معا.

والحقيقة أن هذه "الحرب"المصرية- الليبية، كانت مختلفة عن سابقاتها من الغارات، لأنها كانت عبارة عن حملتين متتاليتين (وإن اختلف الأثريون في ترتيبها زمنيا ) إلا أن الإجماع يذهب إلى حدوثها في السنة الثانية من حكم سيتي الأول أي حوالي 1308ق.م.[1]

1 -B REASTED, B A R VX III. PP 59-60.-

بالإضافة إلى أن هذه الحرب كانت خطرا يجثم على صدر مصر، مما جعل الملك سيتي الأول يقطع سلسلة انتصاراته على الحدود الشرقية، ويزيح هذا الخطر الذي لم يكن من طرف الليبيين فقط بل بإيعاز من شعوب البحر.[1]

ولولا خطورة هذا الموقف لوجه الملك الأمر لأحد قادته المتواجدين بمصر لرد هذه الغزوة بدلا من أن يقطع سلسلة انتصاراته ويرجع إلى مصر ويحاربهم بنفسه.

إضافة إلى هذه الخصائص فإن حرب "سيتي1" لم تكن ضد التحنو المعروفين لدى قدماء المصريين سابقا، وإن كان . على ما يبدو. قد اختلط الأمر على الرسام الذي خلد انتصار ملكه فكتب فوق المناظر اسم التحنو، في حين أن هذه الحرب كانت ضد أقوام جديدة لم تعهدها مصر من قبل وهم المشواش. والارتباك الذي وقع فيه الرسام يرجعه "وانرايت" إلى وجود نقاط تشابه في اللباس بين التحنو والمشواش. إلا أن الملامح مختلفة تماما، فهؤلاء بيض البشرة وعيونهم زرقاء، مختلفين كل الإختلاف عن التحنو الذين يتميزون بسمرة البشرة.[2]

وببدو أن الفرعون سيتي الأول اكتفى برد الهجوم على حدود مصر، "ولو أن الملك تابع انتصاراته متوغلا في ليبيا غربا، بدلا من التحول إلى سوريا في الشرق لتغير مجرى التاريخ الليبي المصري".[3]

ولذلك فإننا نشاهد بأن الليبيين قد استعادوا نشاطهم وتوغلهم في أيام ابن "سيتي الأول وخليفته الفرعون رمسيس الثاني.

وفي هذا الصدد يعتقد عالم المصريات "برستد" أن حرب الليبيين مع مصر في عهد الفرعون رمسيس الثاني كانت بسبب الإلحاح الدائم للاستقرار في مصر، بالإضافة إلى سبب جديد كان يتمثل في لجوء شعوب البحر الى

---

1 -R.O FAULKER, THE WARS OF SETHAS. JEA, V 33, 1943.-

2 --G.A WAINWRIGHT, THE MESHWESH. P89.

3 -O.BATES, OP.CIT. P 214.-

السواحل الليبية بعد الهزيمة التي ألحقها بهم رمسيس الثاني في السنة الثانية من حكمه أي حوالي 1289.ق.م

وقد خلدت " لوحة تانيس" هذا الحدث إذ تحدثنا عن قدوم الشردن في مراكب الحرب من وسط البحر و"أنه ليس هناك من يستطيع أن يقف أمامهم".[1]

غير أن الملك ألحق بهم شر هزيمة واستخدم بعضهم كمرتزقة في جيشه، بينما لجأ الباقون إلى السواحل الليبية .

وبمثابة الوسيلة التي يمكن اتقاء شر شعوب البحر والليبيين معا لجأ رمسيس الثاني إلى تحصين حدوده الغربية حيث أقام سلسلة من القلاع على طول شواطئ البحر المتوسط، والحدود الغربية من راكوتيس (الإسكندرية) إلى ما بعد العلمين.

غير أن هذه الاستحكامات لم تكن كافية لاتقاء مخاطر الليبيين الذين يتدفقون نحو غرب الدلتا، فقد تعرضت مصر في أخريات أيام ملكها رمسيس الثاني لهجمة ليبية بتحالف مع شعوب البحر.

ومن الآثار التي تخلد انتصار الملك عليهم ما هو على جدران معبد ابي سمبل ومعبد بيت الوايلي في صعيد مصر تبين مشاهد احتفال الغزو والاستيلاء على الغنائم دون تحديد السنة، وإن كان هناك فريق من الباحثين قد أخلط بينها وبين حروبه مع الشعوب البحر فأرخ لها بالسنة الثانية من حكمه.[2]

إلا أن الإجماع يذهب إلى أن الحرب جاء سنوات كثيرة بعد توليه الحكم[3]، ذلك لأن رمسيس الثاني اضطرته الظروف إلى عقد معاهدة صلح مع الحيثيين (في العام الواحد والعشرين من حكمه) على الرغم من انتصاره،

---

1 - J.H BRAESTED, B A R, V. III. P. 210.

2- نجيب إبراهيم ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم " مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الإسكندر" ط2 القاهرة: دار المعارف، 1962، ص 264.

3- حكم رمسيس الثاني فيما بين 1290ق.م – 1224ق.م من الأسرة التاسعة عشر.

وذلك حتى يضمن العودة والدفاع عن حدود مصر. ويعلق "غاردنر بأن مصر في حفاظها على السلام مع حاتي، كانت في الواقع تستبدل خصمها بخصم آخر أشد مراسا.[1]

فلم يعد الأمر هو احتفاظ مصر بسيادتها على أقاليم آسيوية نائية، بل إن حدودها كانت مهددة من طرف عدو شديد المراس على حسب وصف غاردنر..

وعلى الرغم من النصر الذي أحرزه رمسيس الثاني على الليبيين، فقد اكتفى بردع هجومهم دون متابعتهم، ويرى بعض الدارسين في هذا الشأن بأن الملك كان كبيرا في السن، وأن أحد قادته قد حل محله في هذه الحرب وأسندها لملكه.[2]

ويبدو أن أخريات رمسيس الثاني الهادئة، قد أعطت القبائل الليبية الفرصة لتدمير الحصون والقلاع والاندفاع بقواتهم صوب الواحات الشمالية.

لم تكن حرب الليبيين في عهده إلا مقدمة للغزوات الكبرى في عهد خلفائه من بعده "مرنبتاح" و"رمسيس الثالث". ويرجع المؤرخون أسباب هذه الغزوات لأسباب عدة تأتي على رأسها العوامل الاقتصادية، فهم يرون أن فقر بلاد ليبيا دفع أقوامها صوب مصر، لكنني اعتقد بأن هذا السبب يكون مقبولا فيما يخص نزوح قوم التحنو القاطنين على تخوم مصر وحواف الصحراء، ويزول هذا السبب في الغزوات الكبرى في عهد الملكين مرنبتاح ورمسيس الثالث لأن القبائل الليبية التي خاضت هذه الحروب هي الربيو والمشواش، وهؤلاء مستقرون على ساحر البحر المتوسط ابتداء من برقة شرقا وباتجاه الغرب، وهي أراضي شهد لها المؤرخون الكلاسيكيون بالخصوبة وكثرة خيراتها ومواشيها في القرون الأخيرة لما قبل الميلاد، أي لما أشتد الجفاف وزاد التصحر، في حين أننا لا نستبعد أن يكون زعيم الليبيين

---

1- آلن غاردنر، تر. إبراهيم ميخائيل: مصر الفراعنة. ص298.

2- نجيب إبراهيم ميخائيل، المرجع السابق، ص 274.

قد قرر تحت ضغط الوافدين الجدد من شعوب البحر، الهجرة بشعبه والاستقرار بمصر.

وتفسير "ويلسون" للعامل الاقتصادي في هذه التحركات مقبول إلى حد ما،فهو يرى بأن شعوب البحر حين أخضعوا كريت قد أصبحوا الخلفاء الطبيعيين للتجارة البحرية الكريتية. وبالتالي فإن التجارة البحرية المصرية قد أصابها الخمول، ومن هنا كان الصراع بين شعوب البحر ومصر من أجل تجارة البحر المتوسط وربما كان ذلك هو السبب الذي جعلهم (أي شعوب البحر) ينضمون لليبيين ضد مصر في هاتين المعركتين.[1]

ومن هنا نرى أن شعوب البحر كانوا يعرفون دوافع الليبيين من محاولاتهم الدائمة للنزوح إلى مصر، فلذلك تحالفوا معهم من أجل وحدة الهدف.

لكن تبقى مسألة أخرى، انقسم المؤرخين حيالها، بحيث يرى فريق بأن هذا التحالف قد تم على الأرض الليبية وانت برقه أقرب إليهم من أي نقطة أخرى، ومن هنا نشأت علاقات ودية بين الطرفين، وكانت الزعامة في هذا التحالف لللبيين.[2] وهذا يعني أن القبائل الليبية كانت قوية ومتحضرة بما سمح بأن يدين لها بالزعامة أصحاب الحضارة الإيجية.

أما الفريق الثاني فيرى أصحابه أن الفراعنة قد اصطدموا بشعوب البحر على سواحل دلتا النيل في حربهم مع رمسيس الثاني، وهذا يعني أن تحالفهم قد تم داخل الأراضي المصرية، ولو أن شعوب البحر قد استقرت في ليبيا لكان لها الزعامة بصفتها الفريق الأقوى المنتصر الذي استطاع أن ينزل إلى الأراضي الليبية بصرف النظر عن المستوى الحضارة الذي لا يمكن أن يفرض زعامة فريق مهزوم على فريق منتصر..

---

1 - J. WILSON, THE LIBYAN AND THE END OF THE EGYPTIAN EMPIRE. A.J.S.L No 47 Chicago: 1935 p.75.

2 -Ibid, p. 75.

بالإضافة إلى كل هذا، فإنه لم يعثر على آثار تشهد بأن شعوب البحر هذه، قد استقرت بليبيا، اللهم إلا إذا كان استقرارهم هذا قصير المدى، يناسب الوقت الذي تطلب التفاوض أو التحالف، ثم السير باتجاه الأراضي المصرية..

وتشير الكتابات اليونانية عند هيكاتيوس وهيرودوت فيما بعد أن سكان المغرب القديم يعتقدون بأن أسلافهم من طروادة، ثم ينقل إلينا المؤرخ الروماني سالوست بأن سكان المنطقة يعتقدون أن جنود هرقل بعد انهزامهم في إسبانيا نزلوا على شواطىء المغرب القديم وكانوا من الميديين، الأرمن، الفرس واندمجوا مع السكان المحليين.[1]

وإن كانت المصادر المصرية من جهة أخرى، تؤكد بأن الربيو أو الليبو قد نجحوا في الاستيطان بالأراضي المصرية وبسط سيطرتهم عليها، مما شجع المرتزقة من المشواش، ومن شعوب البحر المنضوين تحت راية الجيش المصري على التمرد والانضمام إلى الليبيين. وقد كانوا على دراية بطرق قتال المصريين، وأعرف بمسالك البلاد.

كما أن خطاب الملك مرنبتاح لرجال بلاطه يؤكد وقوع الغزو الخارجي والثورة الداخلية في وقت واحد: "إن أقوام الأقواس التسعة (الليبيون) ينهبون تخومها، والثوار يغزونها كل يوم، لقد نزلوا وأمضوا أياما كاملة وشهورا قاطنين ..."[2]

وانطلاقا مما يمكن أن يوحي به هذا النص، نستطيع القول فرضا بأن الليبيين وشعوب البحر، لم يدخلوا مصر دفعة واحدة، وإنما التقوا داخل الأراضي المصرية وحسب..

---

1 - Salluste. G.C, op.cit, para.18.

2- سليم حسن، المرجع السابق، ص 86.

## 2-حرب مرنبتاح[1] ضد الليبين

يستند علماء المصريات في تناولهم لحروب مرنبتاح مع ليبيا إلى أربعة مصادر هي: نقوش الكرنك – عمود القاهرة- لوحة أتريب وأنشودة النصر.

- **نقوش الكرنك**: وتشمل 80 سطرا توجد على الجدار الشرقي الذي يربط معبد كرنك بالبوابة السابعة، وبها وصف كامل لانتصار مرنبتاح على لوبيا، ولقد اهتم بدراستها وترجمتها جمع من علماء المصريات، ويعتبر نقل برستد لهذا النص هو الأتقن والأحسن.

-**عمود القاهرة**: وهو محفوظ الآن بمتحف القاهرة، وتحتوي نقوش هذا العمود على ملخص ومختصر عن إعلان الغزو للفرعون. ولقد ترجمها كل من بروس BRUGSCH وماسبيرو.

- لوحة أتريب: أتريب وهي التسمية التي أطلقها عالم المصريات برستد، أما أصلها فهي لوحة السنة الخامسة من حكم مرنبناح، وهي الآن بمتحف القاهرة أيضا، وقد ترجم ونشر أسطرها الواد والأربعين، الأثري الشهير "ماسيرو".

- **قصيدة انتصار مرنبتاح**: وهي قصيدة منقوشة على لوحة مسماة " لوحة إسرائيل"، وهي في مجموعها فخر بالنصر العظيم الذي أحرزه الفرعون على الليبيين.

ولقد وقعت هذه الغزوة في السنة الخامسة من حكم مرنبتاح وأحسن وصف لها هو ما قاله العلامة "برستد" بأنها كانت "واحدة من أخطر الغزوات التي تعرضت لها مصر في تاريخها".[2] ذلك لأنها لم تكن حربا عادية بل كانت عملية استيطان ونقل شعب بأكمله وإسكانه بمصر مثلما فعل الهكسوس من قبل. وتفيد نقوش الكرنك في السطرين 8و9 بأن أخريات أيام رمسيس الثاني الهادئة، أعطت قبائل البدو الفرصة لتحطيم الحصون والتوغل في

---

1- مرنبتاح هو رابع ملوك الأسرة التاسعة عشر، حكم فيما بين 1224 - 1214ق.م.

2 - J.H BREASTED, BAR VI. III, P. 239.

مصر، وإن جزءا من أرض مصر كان غير معتنى به بسبب أقوام الأقواس التسعة، وقد تركت خرابا منذ زمن الأجداد، وأن ملوك الوجه البحري ظلوا وسط مدنهم محصورين في القصور لقلة الجنود.[1]

ومن هنا يتضح لنا بأن الليبيين قد توغلوا في الأراضي المصرية، وجمعوا شملهم ثم كونوا قوة نظامية للاستيلاء على مصر، مكونين حلفا تزعمه ملك الربو مري بن دد« MERRY SON OF DED » الذي كان يحكم بلدا شاسعا.. يبدأ من الفيوم إلى سرت وقد خضع له القهق والمشواش وأخيرا التحنو، بالإضافة إلى خمسة قبائل من شعوب البحر هي: هو أكوش Ekwesh، ترش Tereshروم الأتروكس على ما يرى برستد والشردن Sherdon والشكلاس Shekles وهم من صقلية.

وبهذه القوات المتحالفة، بدأ الزحف من الغرب، لكن ليس عن طريق البحر المعتاد وإنما اتخذوا الطريق الداخلي، فأجبروا التحنو في طريقهم على الانضمام إليهم، ثم احتلوا بعد ذلك واحتي الفرافرة والبحرية، واتخذوهما كقاعدة لغاراتهم المستقبلية. ولما بلغ خبر زحفهم على الدلتا، استدعى مرنبتاح موظفيه وأمرهم بحشد جيوشه في ظرف أربعة عشر يوما.

ويرى "غاردنر" أن الهجوم لابد وأن يكون قد جاء من مكان بعيد في الغرب من برقة وربما من ورائها، ما دام التحرك الأول لجيش المتحالفين كان يستهدف النزول على أرض التحنو واحتلالها.[2]

ويؤكد هذا الرأي أيضا وصول الحملة إلى مصر بعد ثلاث أسابيع من انطلاق الربو من سكناهم، وبالتالي يكونون قد قطعوا حوالي 700كم بمعدل 35 كم يوميا. وبالتالي فالانطلاق كان من منطقة ما وراء برقة.[3]

وبعد احتلال الواحات، تقدمت الجيوش الليبية ووصلت لغاية الفرع الكانوبي للنيل، وسرت أخبارهم فأفزعت المصريين لأن السلام الذي نعموا به

---

1- سليم حسن: المرجع السابق، ص 89.

2- آلن غاردنر، المرجع السابق، ص 300.

3 - O.Bates, op. cit. p 50.

مدة خمسين سنة، قد أفسد أنظمة الجيوش، فانحل الجيش الأساسي المنظم وأصبح الرماة من عامة الشعب وأصحاب العربات لم يكونوا مدربين بدرجة كافية.

أما من حيث وقائع هذه المعركة، فقد التقى الجيشان في الثالث من الشهر الحادي عشر في مكان يطلق عليه اسم بر- إيب، ودامت المعركة ساعات، تمزقت خلالها صفوف الجيش الليبي، أدت إلى تراجع في الصفوف: الأمر الذي دفع مرنبتاح إلى تعقبهم لغاية جبل قرون الأرض (آخر حدود الدلتا الغربية ) وألحق بهم الهزيمة.[1]

أما فيما يخص مشاركة الفرعون في هذه المعركة، فإن "ماسبيرو" يشك في أن يكون مرنبتاح قد قاد هذه المعركة والسبب في ذلك يعود إلى كون الفرعون كان طاعنا في السن حيث تجاوز 63 سنة. كما أن مسألة عدم قيادة جنوده كانت ستؤثر على معنوياتهم. لذلك قال إنه تراءى له الإله بتاح في الحلم ومنعه من التقدم: « ابق وأبعد عن نفسك الخوف والانهزام وأرسل مشاتك وعرباتك بأعداد على الحدود إلى بر-إر».[2]

لقد استولى المصريون في هذه المعركة على أسرى عديدين، كما قتلوا حوالي تسعة آلاف شخص(6359 من الليبيين، 2370 من غير الليبيين، 218 من القهق، وأسروا ما لا يقل عن ثلاثة آلاف أسير.[3]

ومن القتلى في هذه المعركة في صفوف الليبيين: أبناء الملك الستة، كما غنم المصريون أشياء ثمينة تمثلت في سيوف المشواش النحاسية التي كان عددها حسبما تذكره المصادر 9111 قطعة، أما الأسلحة الصغيرة فكانت بعدد 120214(؟)، فالخيول التي حملت الأمير الليبي بـ12 زوج، ومواشي متنوعة

---

1 - J. M. Breasted. B A R III, p.239.

2 - Maspero, Histoire ancienne des peuples de l' Orient classique: les premières mélees des peuples. Paris: librairie HACHETTE, 1897. p434.

3 - ALAN BUTTERY, Armies and ennemies of ancient Egypt and Assyria, 3200-612 b.c.England: Wargames Research Group,1974, P.04. & Wilson J. op-cit. p76

قدرت بـ1308 رأسا من الماعز. أما الأواني الفضية المختلفة فقدرها بعض المؤرخين بـ 3174 قطعة بالإضافة إلى 300 قدر.[1]

وعلى الرغم من ذلك، فقد تمكن "مري بن ديد" من النجاة بنفسه بأعجوبة.

وبهذه الأعداد الهائلة من القتلى والأسرى، نتبين مدى الخطر الذي كان يحوم حول مصر في تلك الآونة، إذ بلغ عدد الجيوش الليبية حسب تقدير "بتس" و"برستد" ما بين 20 و25 ألف جنديا.

وقد كانوا جميعا. حسب تعبير. ماسبيرو الصفوة من كل الجنود وكل الأبطال في كل بلد[2] وكذلك وصفتهم الآثار المصرية «.. بأنهم يحبون الموت ويحتقرون الحياة وقلوبهم متعالية على أهل مصر.. ».

وعلى أثر هذا النصر الحربي الكبير، عرف أهالي مصر موجة عارمة من الأفراح، التي لم تكن لمجرد الفوز العسكري فقط، بل لشعورهم بخلاص مصر من الوقوع في أيدي هذا العدو الشديد المراس، كما وصفتهم بذلك الآثار المصرية ذاتها. ولأن الهجرات المتقطعة التي شهدتها مصر لغاية ذلك التاريخ قد تطورت إلى غزوة حقيقية هذه المرة، وانتقل مركز القيادة فيها إلى قبائل ليبية جديدة هي الربو والمشواش وهما أقوى القبائل الليبية عددا وعدة.

ويعتقد أن الحظ قد لعب دوره في هذه المعركة، فكان إلى جانب المصريين ولم تكن شجاعة المصريين هي سبب الانتصار..حيث أن الليبيين وحلفاءهم قد أنهكهم السير لمسافة كبيرة حتى واقع المعركة؛ وأيضا لأن مختلف ألوية الجيش المتحالفة لم يسبق لها أن حاربت تحت قيادة واحدة..

### 3- حروب رمسيس الثالث ضد الليبيين ( الأسرة 20)

لقد انتهز الليبيون فرصة الضعف التي أتت على مصر بعد حكم مرنباح ليحافظوا على استقلالهم، حيث حكم مصر بعد مرنبتاح خمسة ملوك لم

1 -Maspéro, op. cit, p.433.

2- السطر 21 من نقوش الكرنك، سليم حسن، ج7، ص 86.

يقوموا بأي عمل يذكر على الصعيد الخارجي، بل تفشت الفوضى والحركات الاستقلالية داخل مصر، مما سمح لموظف سامي سوري الأصل يدعى أرسو أن يغتصب العرش ...

ولا يستبعد في ظرف كهذه أن يكون الليبيون، قد اغتنموا الفرصة ودخلوا مصر فرادى وجماعات. ومما يذكره "دريوتون" في هذا المقام هو أن الأجانب قد دخلوا مصر في هذه الفترة الحرجة من تاريخ مصر، حيث تسلل البدو من الشرق (كنعانيون وسوريون فارون من هجومات شعوب البحر على بلدانهم)، ومن الغرب، الليبيون الذين كانوا يطمعون دوما في حياة رغدة بمصر، «.. ولقد امتنع هؤلاء الأجانب بمجرد إقامتهم في مصر عن احترام المواثيق التي قطعوها على أنفسهم، فلم يبادروا بدفع الضرائب وأعمال السخرة والعمل في الجيش.. ».[1]

واستمر الحال على هذا النحو إلى أن وصل إلى عرش مصر "ست نخت" والد رمسيس الثالث فقضى سنين في إصلاح الإدارة وإعادة تنظيم الجيش، وذلك بعد الوضع المتردي الذي أورثه إياه سلفه، حيث تعرض الجيش المصري هو الآخر إلى التفتت والتجزؤ، بعدما دخل الفلاحون الجندية، ذلك لأن "البرجوازية" قد رفضت الاشتغال في صفوف الجيش، كما أصبح المشاة من المرتزقة الشردن والقهق ونصف البحارة من الأسرى الليبيين.[2]

وفي هذه الأثناء كانت مصر بين فكي كماشة شعوب البحر، يهددون حدودها الشرقية من ناحية فلسطين وسواحلها الشرقية، والليبيون يهددون حدودها الغربية.

وفي هذا الوقت بالذات، المشوب بالاضطراب وصل رمسيس III إلى سدة الحكم.

1 -Etienne Drioton ; Jaques vandier, les peuples de l'Orient méditéranéen. T. II, l'Egypte. 4ème édition augmentée, Paris: presse universitaire de france, 1962. p. 433.
2 -G. MASPERO, op. cit, p. 457.

ومعلوماتنا عن رمسيس III وحروبه تكاد تكون مستقاة من كتابات ونقوش على جدران معبده الكبير الموجود في مدينة "هابو" في طيبة الغربية المقابلة لمدينة الأقصر الحالية.. ومن هذه الكتابات والنقوش نعرف أنه خاض ثلاثة حروب، اثنتان منها ضد الليبيين تتوسطهما حرب خاضها ضد شعوب البحر.

- الحرب الأولى: حوالي 1194 ق. م

ويؤرخ لها بالسنة الخامسة من حكم رمسيس الثالث ويجمع المؤرخون على أن سبب هذه الحرب مثل سابقتها مع مرنبتاح، يرجع إلى ضغط الأقوام الأوروبية على الليبيين في إفريقيا ومقاسمتهم أرزاقهم.

ويبدو أن السبب المباشر في ذلك يرجع الى تدخل "الفرعون" رمسيس في شؤون الليبيين، إذ حاول أن يفرض عليهم ملكا منهم رباه في مصر[1]، بعد وفاة الملك الليبي "ورمر wermer " ويقول السطرمن 28-30 من المتن الذي جاء في معبد مدينة هابو: ".. وقد طلبوا رئيسا بأفواههم غير أن ذلك لم يكن في قلوبهم "..." وقد كان جلالته قد ربى ولدا صغيرا من أرض التمحو وهو طفل عضده بقوة ساعديه ونصبه عليهم رئيسا لينظم الأرض ..."[2]

لكن الليبيين رفضوا هذا الملك لأنه كان في نظرهم حاكما مصريا، الأمر الذي أدى بالوضع إلى التأزم والتمرد فنشوب الحرب بين الطرفين..

ولقد اتخذ الليبيون من الريبو والمشواش والسبد جيشا تحركوا به شرقا فأجبروا التحنو على الانضمام إليهم، ودخلوا مصر حيث تجمعوا في مكان غير بعيد عن الفرع الكانوبي للنيل. وكان هدفهم من ذلك هو الهجوم على منف؛ غير أن الفرعون تفطن لخططهم، فبادر بالهجوم وألحق بهم الهزيمة.

---

1- لقد عزل الليبيون ملكهم المهزم " مري بن دد " بعد ما هزمه مرنتباح ثم ملكوا بدله شخصا آخر يدعى Wermer ولما مات هذا تولى بعده الملك تيمير THEMER. راجع ذلك في: برستيد. تاريخ مصر منذ أقدم العصور الى العصر الفارسي. ص 390.

2 - W.F Edgarton. J. A. Wilson, Historical records of Ramsses III. Chicago: 1936. p 25.

ومن خلال نصوص معبد مدينة هابو، وبردية "هاريس"، نتبين أن جيش الليبيين المتحالفين بلغ تعداده حوالي ثلاثين ألف رجل تزعمهم الملك الذي اختاره الليبيون أنفسهم "تيمير THEMER ".و قد قتل منهم حسب نفس البردية في هذه المعركة حوالي 12 ألف. وأسر حوالي ألف أسير استخدموا فيما بعد في الجيش وفي خدمة المعابد المصرية.

- **الحرب الثانية:** حوالي 1188ق.م

تفيدنا النقوش على معبد مدينة هابو بأن أحداث المعركة وقعت في اليوم العاشر من الشهر الرابع من الفصل الثالث للعام الحادي عشر من حكم رمسيس الثالث[1]

ويبدو أن قبيلة المشواش العظيمة قد لعبت دورا كبيرا في إزالة الفوضى والاضطراب الذي تركه انهزام الليبيين بزعامة ملك الريبو "وارمر" أمام المصريين فبادرت إلى إصلاح الشؤون الداخلية وتهدئة الأوضاع، وتوحيد القبائل الليبية تحت زعامة رئيسها الجديد من المشواش يدعى "كيبر Keper" الذي أنشأ جيشا عظيما عهد برئاسة الى ابنه" مشثىر MESHESHER "للسير باتجاه مصر.

ويبدو أن حرب رمسيس الثالث مع شعوب البحر في السنة الثامنة من حكمه قد جذبت المصريين عن الحدود الغربية فتركوها بدون حراسة، وبذلك أعطوا الفرصة لليبيين في أن يخترقوا الدلتا بسهولة [2] في السنة الثامنة من حكم رمسيس الثالث.

وأغلب الظن أن شعوب البحر هذه وبعد تقهقرها عن مصر قد حاولت الاستقرار على الساحل الشمالي لإفريقيا، مما دفع بالسكان الأصليين بالهجرة إلي مصر.

---

1 - Edgarton, Wilson, op. Cit. P: 74.

2--Op-Cit., p. 79.

لكن واقع الأمر أن وراء هذا الضغط إن وجد فعلا، رغبة جامحة من الليبيين من أجل الاستقرار في مصر، بالإضافة إلى عدم رضى قبيلة المشواش على نتائج الحرب السابقة وتخاذل قبيلة الربو التي قادت الحلفاء.

وعن ذلك جاء في السطر 46 من متن على معبد مدينة هابو: ".. لقد تسبب الليبيون في ارتباكنا وارتباكهم لأننا أصغينا إلى نصيحتهم.. "[1]

لذلك تزعم مششر جيش الليبيين المتكون من المشواش والربو والقبائل الأوربية المنضمة إليهما ومنهم أسبن، شاي، يكن، كيكش وهس.

وكانت أول خطوة أقدم عليها جيش "الحلفاء"، هو إرغام قبيلة التحنو المسالمة على الانضمام إليهم، ولما رفضت كان نصيبها - كما ذكرت النصوص المصرية- الدمار: "..و انقضوا على بلاد التحنو الذين أصبحوا رمادا، فقد خربت مدنهم، وأصبحت قفرا ولم يعد لبذرهم وجود.." [2]ثم واصل جيش الحلفاء الزحف على مصر، إلى أن وصلوا الشاطئ الغربي للنيل حتى قاعدته أي من القاهرة حاليا إلى الإسكندرية.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على خطورة الموقف أمام الفرعون المصري، وأن دلتا مصر لم تقاوم أو لم تتمكن من الوقوف أمام الاجتياح الليبي، إلى أن وصلت جيوش رمسيس الثالث الذي انقض عليهم بعرباته وألحق بهم هزيمة نكراء، ورد فلول من تبقى عن المدن المصرية، فلاذوا بالفرار باتجاه الصحراء[3]، ولحق بهم الفرعون المصري مسافة تقارب 18 كم غرب مدينة أوسر ماعت رعت.[4]

ولقد اعتبر رمسيس الثالث هذا الانتصار العظيم عيدا احتفل به سنويا وسماه: "عيد قتل المشواش"، وفي هذا إشارة إلى الخطر الذي كان يهدد مصر.

---

1- سليم حسن، ج7، ص. 323.

2 - J.H Breasted, B.A.R. T IV. p 52.

3 - Edgarton & Wilson, Op. Cit p. 49 – 50.

4- أوسر ماعت رعت: حصن مدينة رمسيس III، تبعد حوالي 11 ميلا عن حدود الدلتا.

ولقد استولى الجيش المنتصر على غنائم كبيرة وأسلحة جديدة متطورة، تدل على مدى قوة وقدرة الليبيين العسكرية التي يردها بعض المؤرخين إلى احتكاكهم بشعوب البحر.

وتنص المصادر المصرية أن عدد القتلى من الجيش الليبي قد وصل إلى 2175 قتيل، بينما أسر ما يقارب من2052 أسير، اشتغل ألف منهم كرعاة في معبد آمون.[1]

أما زعيم الليبيين وملكهم "كابر" وحسب المصدر المصري دائما فقد سقط قتيلا تحت أقدام حصان الفرعون كما لقي نفس المصير ابنه "مششر" وزوجته وخمسة من معاونيه وزعماء القبائل.

وتذكر النصوص المصرية أن زعيم الليبيين "كابر" لم يؤسر وإنما جاء إلى الفرعون طواعية حيث جاء متذرعا لرمسيس الثالث مقدما أسلحة جيشه، صارخا حتى وصل صوته السماء طالبا الرحمة والمغفرة لابنه، لكنه قتل هو الآخر بيد الفرعون.

وإن كثرة الغنائم التي استولى عليها المصريون، إنما تشير إلى الهدف المنشود من هذه الغزوة ألا وهو الاستقرار الدائم في مصر.

ولقد ورد ما يؤكد هذا الرأي، على لسان الفرعون نفسه على جدران معبده ".. صمم هؤلاء الأقوام أن يعيشوا في مصر، ويستولوا على تلالها وسهولها، فصاحوا بصوت واحد "لنستوطن مصر" ثم عبروا الحدود المصرية باستمرار.. ".[2]

ولقد أورد "برستد" قائمة الغنائم، فكانت كالتالي:

119 رأسا من الماشية والثيران.

---

1 - J.H.Breasted, op.cit. P. 53. & Edgartaon; wilson, Op. cit. P. 60.

2- برستد المرجع السابق، ص 392.

115سيفا بطول خمسة سواعد و124 سيفا بطول ثلاثة سواعد، 603 أقواس و93عربة حربية و2310 جعبة سهام و92 رمحا و183بين خيل وحمير.[1]

في حين يرى سليم حسن أن الماشية قد بلغ عددها 4272 رأسا، وتشمل ثيرانا وأبقارا من مختلف الأنواع والأعمار.[2] لكنني أرى بأن الأعداد الهائلة من الماشية التي تعود فراعنة مصر الاستيلاء عليها تفوق هذه الأعداد مئات المرات، كما أن شعبا يطمح في الاستقرار في أرض مصر، لا يجلب معه 119 رأسا من الماشية فقط.[3] لذلك أعتقد أن الأرقام التي قدمها إيدغارتون أقرب إلى الصواب حيث لا تختلف كثيرا عن أرقام الغنائم في سابق الغزوات الليبية في الدولة القديمة مثلا.

يرى إيدغارتون أن رمسيس الثالث قد استولى على 42721 من حيوانات مختلفة، 107 ثيران من ذوي القرون الطويلة، 7340 رأسا من الماشية مختلفة الأعمار، و34738 رأسا من الغنم و9452 رأسا من الماعز، و184 حمارا و92 زوجا من الخيول[4].

إن الخلاصة التي يمكن الخروج بها حول أمانة روايات فراعنة مصر هي أن هذه الروايات مغرضة وتقليدية وأيضا مبالغ فيها في كثير من الأحيان. ولابد من إعادة النظر فيها على ضوء ما تدل عليه الآثار، ومنها لوحة ليبيا السابقة الذكر.

فلم يعد الليبيون هم أولئك الناس الذين ظلوا لقرون عديدة، بدون دور إلا الإنهزام أمام الفرعون، إنه بمرور الوقت، وبقدر ما يتاح لنا الكشف عن أحد

1 - BREASTED, OP. CIT. P.66.

2- سليم حسن، المرجع السابق، ص 329.

3- لقد إعتمد برستد على نقوش ونصوص المعبد، التي ربما لحقها بعض التخريب، في حين أن إدغارتون وولسون قد اعتمدا على بردية هاريس، وقدما رقم 107 من الثيران فقط، وربما الجزء الذي لحقه التخريب يتكلم عن باقي الغنيمة بالتفصيل كما ورد في البردية. أعتقد أنه خطأ طبيعي فسقط رقم 1 على اليمين.

4- EDGARTON & WILSON, OP.CIT, P.P: 64-65.

معالم ما قبل التاريخ أو مرحلة فجر التريخ في مصر بقدر ما نتأكد من أهمية دور الليبيين، وبقدر ما يصبح هذا الدور أساسيا في تاريخ مصر الحضاري.

وبعد فشل الليبيين في دخول مصر عنوة، إتخذ ضغطهم شكلا آخر فيما بعد، وهو أن أمسى أقل ظهورا للعيان، إلا أنه ربما كان أكثر فعالية حيث تمثل ذلك في التغلغل البطيء الذي شجعه تجنيد المصريين للمرتزقة في جيوشهم؛ إذ بعد انتصارات رمسيس الثالث واستقرار الأمور في مصر، بدأ الفرعون في استجلاب أعداد كثيرة من الليبيين الأشداء لتدعيم الجيش بهم، ويتخذ من صفوتهم حرسه الخاص.

وبالتدريج أصبح الجيش المصري مع نهاية الأسرة العشرين في أغلبه يتألف من "المرتزقة" الليبيين..

# الفصل الرابع

## ظروف وصول الليبيين الأمازيغ إلى السلطة

درج الدارسون المتخصصون في مصر الفرعونية، على تقسيم التاريخ الفرعوني إلى واحد وثلاثين أسرة، وذلك إلى غاية الربع الأول من القرن 19م.

ويعد هذا التأريخ منعرجا خطيرا في دراسة الحضارة المصرية الفرعونية كلها، إذ توجت أبحاث العلماء بفك رموز الكتابة المصرية القديمة على يد العالم الشاب شامبليون حوالي 1822م.

ومنذ ذلك التاريخ نشأ علم المصريات وأجمع علماؤه على تقسيم التاريخ السياسي الفرعوني إلى وحدات زمنية. غير أن هذا التقسيم هو في الحقيقة تبسيطي فقط، أي انه ليس دقيقا،يمكن الدارس من التحكم في مجريات أحداث التاريخ المتلاحقة؛ ذلك أن هذه الوحدات الزمنية السبع، وان تمايزت من حيث أمدها الزمني، وطاقتها البشرية وخاصة مستوياتها الحضارية، فإنما اتصلت كل وحدة اتصالا تطوريا وثيقا بالوحدة السابقة لها، كما مهدت للوحدة اللاحقة بها.

هذا من جهة، أما من جهة أخرى، فإن حكم الليبيين لمصر، كان في آخر هذه المراحل التي أطلق عليها العصر المتأخر، أي أنها تمثل مرحلة شيخوخة واضمحلال في تاريخ مصر القديمة؛ غير أن فريقا آخر يعارض هذا المذهب لأن هذه المرحلة في نظرهم تمثل فقط انهيار المركزية في الحكم،ذلك أن المؤسسات قد بقيت قائمة وحافظت على الدولة المصرية ردحا. من الزمن (أي أكثر من عشرة قرون) وبالتالي فإن هذا الرأي أقرب الى الصواب وأكثر موضوعية وهو محق في معارضة مصطلح العصر المتأخر، لأن مصر في هذه المرحلة الأخيرة وإن شاخ جهازها السياسي، وتراجعت مكانتها أمام القوى الناشئة الآشورية مثلا، فإنها لم تنهار نهائيا، بل شهدت وصول أسر - وان كانت أجنبية- إلى سدة الحكم، فبذلت مجهودات جبارة لإعادة مصر إلى ماضيها التليد.

وهذا الفريق من علماء المصريات يحبذون استخدام مصطلح "العصر الانتقالي الثالث" تشبيها لحالة مصر في هذه المرحلة، بمرحلتين سابقتين.[1]

وبالتالي، فإنني أجد من الموضوعية، أن نطلق على المرحلة التي تضمنت حكم الأسر المصرية القديمة من 21 ولغاية 25، مرحلة انتقالية ثالثة، لأن حدوث هذه المرحلة كان نتيجة أسباب وعوامل اقتصادية واجتماعية تمخضت عن سياسة الحكام، مما جعل مصر تهوي في فوضى واضطرابات على كل الأصعدة، فتقاسم الحكم فيها أكثر من بيت مالك، إلى أن توحدت السلطات بين أيدي الفرعون الليبي العظيم "شيشنق" الذي حاول جاهدا استرجاع هيبة مصر ووحدتها وبعث عجلة الحضارة فيها من جديد. ولذلك اعتقد أنه بعيدا عن الإنصاف أن ندخل حكم عاهل مثل شيشنق في مرحلة نطلق عليه عصر الانحطاط والانهيار.

إن الدارس المتفحص لأحوال مصر، يرى بأن الدولة الفرعونية فقدت مقومات الدولة المركزية المتحكمة في زمام الأمور منذ النصف الثاني لعهد الفرعون رمسيس الثالث، وأن أخريات أيام هذا الملك كانت من الضعف بمكان، بحيث يصعب أن نضعها في نفس الخانة مع أيام عظمة الإمبراطورية الفرعونية(تضم الأسر18-19-20).

ولذلك أرى بأن المرحلة الانتقالية الثالثة قد بدأت سماتها منذ النصف الثاني للأسرة العشرين .

ووصول الليبيين إلى كرسي عرش الفراعنة لم يأت بصورة مفاجئة، أي دفعة واحدة أو عن طريق انقلاب، وإنما ساهمت في حدوثه ظروف وأحوال مصر الداخلية في أواخر الأسرة العشرين. حتى وإن تميز النصف الأول من عهد الفرعون رمسيس الثالث بنهضة معمارية عظيمة تشهد لها آثار الصعيد

---

1 - حدثت الأولى منهما بعد مرحلة دولة بناة الأهرامات ( الدولة القديمة) ومهدت لظهور المركزية في الحكم من جديد في عهد مرحلة الدولة الوسطى. أما المرحلة الانتقالية الثانية، فقد مثلت الاستعمار الهكسوسي لمصر. (تقهقر مكانة مصر بين جيرانها، كما تمثل الهوان الذي لحق بالشعب المصري) لكنها مهدت لمرحلة لاحقة، لقيام أعظم مراحل الدولة الفرعونية، ألا وهي الإمبراطورية الفرعونية، التي شهدت فيها مصر والحضارة المصرية أزهى عصورها.

والدلتا، مكنته منها الأحوال الاقتصادية المزدهرة، وتدفق غنائم الحروب وجزية المدن ( دويلات مدن سوريا) التابعة لها، فإن النصف الثاني من هذا العهد كان أقل رخاء من النصف الأول؛ فلقد تبع هذا الفرعون العظيم ثمانية ملوك، كان يحمل كل منهم اللقب اللامع "رمسيس"، الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة العظمة الفرعونية، لكنهم كانوا قليلي الشأن، نتيجة سياستهم الفاشلة التي اتسمت في أغلبها بتأزم أمور مصر، فكانت فترة حكمهم بداية من1166 -1085 ق.م بداية لمرحلة الضعف والتقهقر التي أفقدت مصر وحدتها فتقاسم الحكم في الأسرة الواحدة والعشرين بيتان، واحد في تانيس وآخر في طيبة وهي إحدى الظروف التي مكنت الليبيين من الوصول إلى الحكم.

## أ)-عصر الرعامسة المتأخرين، من الرابع إلى الحادي عشر

لعل من الأمور التي ساهمت في الإسراع بوصول الليبيين إلى سدة الحكم، هي الظروف الداخلية لمصر في عهد خلفاء رمسيس الثالث وإن كانت هناك نصوص تؤكد أن حالة مصر الاقتصادية قد بدأت في التدهور منذ السنين الأخيرة للفرعون العظيم رمسيس الثالث وأن النصف الثاني من عهده كان أقل رخاء من نصفه الأول، فعرف الاقتصاد المصري تضخما لم يشهده من قبل، فضلا عن تفشي الفتن الداخلية وقيام المؤامرات الأسرية داخل القصر الفرعوني.

### 1)- تمرد الوزير ومؤامرة الحريم

لا شك في أن العوامل السيئة التي كانت تنخر في جسم الإمبراطورية المصرية قد أخذت نتائجها تظهر تدريجيا، فكانت أولى هذه النتائج عصيان وتمرد وزير رمسيس الثالث في الدلتا وجمعه لقوة كبيرة وتحصنه بمدينة ATHRIKIS( بنها حاليا)، لكن هذه القوة لم تكن كافية، وكان الفرعون ما يزال يحافظ على بعض قوته فتمكن من القضاء عليها، وأرجع النظام إلى أصله، فأقصى الوزير وأتباعه وأسند عمله إلى المدعو" تو " الذي كان وزيرا للصعيد منذ فترة مبكرة من عهد رمسيس الثالث .

أما الحادثة الثانية التي هزت عرش هذا الفرعون فهي تآمر بعض حريم القصر ضده. إن هذه الحادثة غامضة نوعا ما بحيث لم تتكلم عنها النصوص كثيرا، ويعتقد أنها ترجع إلى العام السادس عشر من حكم هذا الفرعون.[1] وهناك ما يشير إلى أن الأمور بدأت تتغير، وأن حياة رمسيس الثالث، قد أصبحت خطرا على البلاد وعلى مصالح بعض الأفراد، فسارعوا بتدبير المؤامرة لاغتياله، وقد عرفت هذه الحادثة باسم "مؤامرة الحريم".

ويذهب المؤرخون في ذلك إلى أن زوجة رمسيس الثالث، الملكة " تي TIY"، قد شعرت أن ولدها "بنتاور" أحق بالعرش من الوريث الرسمي الذي هيأه الفرعون لهذا المنصب، ومن ثمة أخذت تسعى بعون من بعض الحريم الملكي إلى قتل الفرعون؛ ولقد اختارت لذلك يوم وصول سفينة الإله آمون الى العاصمة للمشاركة في عيد الوادي، وهو اختيار مناسب.

كما استدعت لهذه المهمة أطرافا مهمة من داخل القصر تمثلت في كبير أمناء القصر المدعو "باي بكامون"، مع عشرة موظفين من مختلف المراتب من الحرم الفرعوني وأربعة حجاب ورئيس خزانة وثلاث كتاب، وبالتالي تظهر لنا خطورة هذه المؤامرة ولاسيما أن معظم أعضائها من رجال البلاط الملكي. والادهى من هذا كله أن المتآمرين كانوا يهدفون إلى تدبير شغب خارج القصر. وللربط بين المتآمرين داخل الحرم والمتعاونين خارجه، فقد انضم إلى المتآمرين ستة من زوجات ضباط حرس باب الحرم في القصر، وقد سهل هذا الأمر المراسلات بين المتآمرين.

لقد احتفظت لنا بردية "هاريس" بنصوص المؤامرة كاملة وقد جاء على لسان "باي بكامون: "اجمعوا الشعب وأثيروا الخصومات، حتى يعلنوا العصيان ضد مولاهم ".[2]

---

1 - ج.هـ برستد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى العصر الفارسي. ص 405.

- محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم. ج2، مصر. الإسكندرية: دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 1984، ص158.

2 - آلن جاردنر، مصر الفراعنة. ص319.

كما اتصلت إحدى نساء الحريم بأخيها وكان قائد جيش كوش فحرضته حتى يقود انقلابا في نفس اليوم، وبالتالي وصل عدد المتآمرين تسعة وعشرون شخص. وعلى الرغم من الخطة المحكمة لإنجاح المؤامرة، الا ان أمرها قد انكشف لدى الحزب المناصر للملك، وباءت المحاولة بالفشل، واصر الفرعون رغم سنه المتقدمة أن تجرى محاكمة المتهمين بمن فيهم زوجته وابنه الأمير "بنتاور".

لقد تناولت المتون المصرية خبر هذه المحاكمة وعدد أعضاء اللجنة، وان اختلفت في بعض حيثياتها وحول عدد أعضائها الأربعة عشرة (14) عضوا،حسب دريوتون وفانديه؛[1]والسبعة عشرة (17) عضوا حسب رأي برستد.

ومهما كان عدد أفراد هذه اللجنة فإن الأخطر من ذلك كله هو هويات هؤلاء الموظفين الذين عينهم الفرعون لمحاكمة زوجته وابنه وقائد جيش كوش وموظفين سامين في حكومته. فتذكر النصوص، بأن من بين أعضاء المحكمة، سبعة حجاب وكان أحدهم ليبيا، وآخر ليديا وثالثا سوريا ورابعا آسيويا، وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على أن الفرعون رمسيس الثالث قد أحاط نفسه ببطانة من الأجانب تقلدوا وظائف مهمة في إدارة الدولة. كما أن التسيب وعدم الانضباط في هذه الإدارة قد وصل حده؛ ففي محاكمة كان المقصود بها شخص الفرعون نفسه، تمكن بعض النسوة المتهمات من إغراء قاضيان ثبتت عليهما التهمة وعوقبا بجدع الأنف والآذان، لكن أحدهما فضل الانتحار لما وصله من كثرة تأنيب الضمير[2]

أما عقوبة المتورطين في المؤامرة فقد كان حكم رمسيس الثالث واضحا، فلقد وردت فقرة من بردية هاريس، وبعد ذكر أسماء القضاة الذين عينهم

---

[1] - E.DRIOTON & J.VANDIER, LES PEUPLES DE L' ORIENT MEDITERANEEN , T. II, L' EGYPTE. QUATRIEME EDITION, PARIS: PRESSE UNIVERSITAIRE DE FRANCE , 1962. P.358 .

2-..456J.H BRESTED, ANCIENT RECORD OF EGYPT, PART IV, PARA 454

رمسيس الثالث وذكر ما أوصاهم به"...وذهبوا إليهم وفحصوهم وأمروهم،بأن يقتل بأيديهم كل من كان سببا ".( ابرز الشخصيات ومن بينهم الأمير بنتاور)، أما الآخرون الذين تركوا بغير أن ينالهم ضر فقد ماتوا طواعية (ربما يعني الموت جوعا).[1]

أما عن الفرعون نفسه فإن جل المصادر تذكر بأن رمسيس الثالث قد توفي سنة 1167ق.م قبل أن يعدم المتهمون في مؤامرة اغتياله، إلا أنه وبالتدقيق لغويا في نص الأمر الذي أصدره رمسيس الثالث.بمحاكمة الجناة، لاحظ كل من "برستد" و"جاردنر" أنه في معظم البرديات التي تعرضت لذكر هذه الحادثة، تذكر إسم الفرعون وقد سبقه نعت "الإله العظيم" وهي صفة ينعت بها الملوك المتوفون فقط. ويؤكد جاردنر على ذلك بقوله بأن الملك عوض أن يعطي الأمر في صيغة المضارع، تبدو رواية النص كله كأنها أحداث في الماضي، "...ذهبوا إليهم وفحصوهم، وأمروهم.... إلى آخر الرواية.

ثم ختم الفرعون كلامه بعد ذكر العقوبات التي وقعت على المجرمين بـ"...أما أنا فإني معفى ومحمي إلى أبد الأبدين، بصحبة الملوك العادلين في حضرة آمون رع ملك الآلهة وفي حضرة أوزيريس سيد العالم الآخر".[2]

وعلى هذا يفسر أن الفرعون العظيم رمسيس الثالث قد أصدر قراره بإجراء المحاكمة، إلا أن الجراح التي أصيب بها بلغت من الخطورة حدا أودت بحياته، قبل أن يقدم "المجرمين" للمحاكمة. ونعتقد أن هذه المؤامرة قد نجحت في تحقيق الشطر الأول من هدفها وهو اغتيال الملك، إلا أن المتآمرين انكشفوا وأنزل بهم العقاب قبل تحقيق الشطر الثاني من الخطة، وهو رفع الأمير بنتاور إلى كرسي العرش.

---

1 - آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 320-321.

2-E.DERIOTON & J.VANDIER, OP. CIT., P. 357.

2)- إضراب العمال ونهب المقابر الملكية

لقد كان العمال يشتغلون في بناء قبور ملوك الدولة الحديثة في وادي الملوك، وقبور الملكات في وادي الملكات بطيبة (الأقصر حاليا)، وذلك منذ الأسرة الثامنة عشر، وبالضبط منذ عهد الفرعون تحوتمس الأول. ولقد استقر هؤلاء العمال في حوالي سبعين بيتا، في مكان يعرف الآن "بدير المدينة" غير بعيد عن الجبانة.

ولقد استفاد الدارسون كثيرا من اليوميات التي كان يدونها كاتب الجبانة عن العمال أولا بأول، فيكتب أسماء المتغيبين، الأسباب الداعية لذلك، عدد سلال التراب المستخرجة من المقابر، وغير ذلك. ونعلم من هذه اليوميات أيضا أن هؤلاء العمال كانوا يشتغلون على مدار السنة ويرتاحون ثلاث مرات في الشهر.(في اليوم العاشر والعشرين والثلاثين)، كما نعلم أن عددهم وصل إلى 120 فردا في عهد رمسيس الرابع مثلا.[1]

وتعتبر هذه اليوميات مصدر موثوق منه في التطلع إلى معرفة أحوال مصر الاقتصادية والأمنية وهي محفوظة اليوم في متحف تورين Turin الإيطالي. ولعل من الأهمية بمكان الإشارة بشيء من التفصيل عن حالة البلاد الاقتصادية في مصر آنذاك. ذلك أن رمسيس الثالث قد أغدق على معابد الإله آمون أموالا طائلة بل ذهب أتباعه إلى إعفاء الكهان من دفع الضريبة لخزينة الدولة. هذا من جهة ومن جهة أخرى تمثلت الأزمة الاقتصادية في ارتفاع الأسعار التي بدأت مع بداية الأسرة العشرين، واستمرت كذلك طيلة ثلاثين عاما. وهناك بردية من القاهرة تثبت أن غرارة القمح كانت تساوي دبنا واحدا من النحاس، ثم أصبحت تساوي دبنا ونصف في العام التاسع والعشرين من عهد رمسيس الثالث، ثم ارتفعت إلى دبنين ثم إلى أربعة ثم إلى خمسة في عهد رمسيس التاسع.[2]

---

1-CERNEY EGYPT FROM THE DEATH OF RAMSSES III TO THE END OF THE TWENTITH DYNASTY.CAMBRIDG: C.A.H. 1980, P. 620 – 621.

2-محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 155

وهكذا عظم عبء الخزانة المصرية، فأخذت تضعف تدريجيا نتيجة هذا التبذير في إغداق الهدايا على المعابد وتضخم الاقتصاد، فاستمر عمال الجبانة محرومين من رواتبهم الشهرية وهي خمسون كيسا من القمح،لأكثر من شهرين فأضربوا عن العمل. ولقد تراوحت تفسيرات الباحثين لهذه الظاهرة (الإضراب)، فذهب البعض إلى أن مبعث ذلك هو البطء في دفع المرتبات. وهذا أمر يتكرر حدوثه منذ أقدم الأزمان وليومنا هذا، في حين يعتقد العلامة برستد أن التفسير الحقيقي للظاهرة هو إفلاس الخزينة، خاصة وأنه ورد على لسان العمال أنهم استمروا على هذه الحالة عدة أشهر.

ولقد صورت متاعب عمال جبانة طيبة بالإضافة إلى يوميات كاتب الجبانة، بردية نسبت حوادثها إلى العام 29 من عهد رمسيس الثالث.

ومفاد هذا النص أنه: "في اليوم العاشر من الشهر الثاني من الفصل الثاني من العام التاسع والعشرين من عهد رمسيس الثالث، اخترق فريق من العمال الأسوار وجلسوا خلف معبد تحوتمس الثالث الجنائزي، وصاحوا "نحن جياع" وهددوا بنهب مخازن المعابد.[1]

ورغم أن بعض المسؤولين قد عملوا على تهدئة العمال، فقد استمر هؤلاء العمال في إضرابهم حتى نهاية اليوم الثاني، وتواصل الإضراب لمدة ثمانية أيام، أصر فيها العمال على أن تصرف لهم مستحقات الشهر الحالي والشهر السابق.

وعاد العمال إلى مركز عملهم بعد تحقيق طلبهم ليتوقفوا من جديد عن العمل بعد شهرين واستمرت الإضرابات على هذا المنوال لغاية العام الثالث من حكم رمسيس العاشر، وكان موظفو ورسل الفرعون يجيبون في كل مرة "بألا غلة في مخازن غلال الحكومة.[2]

---

1- J.H.BRESTED, ANCIENT RECORDS OF EGYPT, PART IV PARA 415 -416.

2- J.CERNEY, OP.CIT. P.624.

ويستخلص سليم حسن بأن خلفاء رمسيس الثالث لم يكونوا يتسلمون إلا القليل جدا من الإيرادات التي كانت تفرض على رعاياهم كما أن إعفاء معابد آمون من الضريبة قد أثر كثيرا على اقتصاد الدولة.[1]

وفي عهد الرعامسة المتأخرين قلت الغلال، فاشتدت الضائقة بالفئات العاملة أكثر فأكثر وحدثت مجاعة طويلة في أواخر أيام الفرعون رمسيس التاسع، أطلق عليها الناس "عام الضياع" وارتفعت الأسعار وتسببت في إضعاف الوازع الديني لدى الأفراد، فتطاولوا على حرمة الأموات.

وبدأ نهب المقابر في السنة 14 من حكم الفرعون رمسيس التاسع، وكانت في البداية في مقابر الأفراد، ثم تعدتها إلى مقابر الملوك، ويبدو من خلال النصوص أن هذه السرقات لم تكن خفية، لأن اللصوص وجدوا الحماية لدى الموظف المسؤول على أمن مقابر الملوك نفسه وهو المسمى "باور".

وأمام تفشي الظاهرة وتطاول اللصوص، أسرع عمدة طيبة "بازر" بإبلاغ الوزير، الذي سارع في الحضور إلى طيبة، نظرا لخطورة الموقف لأن عملية النبش والسرقة مست قبورا ملكية، مثل قبر سيتي الأول ورمسيس الثاني .

وأمر الوزير الموظف المسؤول على أمن الجبانة، بإيجاد المجرمين، فكان له ذلك وبسرعة،مما يفسر أن الموظف "باور" كان على علم بهذه السرقات وذلك مقابل الحصول على نصيب منها، وهي التهمة ذاتها التي وجهها له عمدة طيبة، غير أنه خرج بريئا من المحاكمة التي أجريت لهذا الغرض.

لقد تمكن علماء المصريات الذين درسوا بردية "أبوت" التي ذكرت قضية سرقة المقابر من الوقوف على تدهور الحياة الاجتماعية في ذلك العهد، وتدهور الإدارة المصرية وفساد ذمة الموظفين، وضعف سلطة الدولة لدرجة

---

1 - سليم حسن، مصر القديمة، ج8 "نهاية عصر الرعامسة وقيام دولة الكهنة بطيبة في عهد الأسرة 21" القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001، ص. 234.

أما جاردنر، فهو أكثر قناعة بأن معبد الكرنك وعلى رأسه كبير كهنة آمون هو المنتفع الرئيسي من ذلك وليس الفرعون، وخاصة أن رئيس جامعي الضرائب المدعو"وسرماعت رع نحت"، كان إبنا للكاهن الأكبر "رعمسة نحت" في عهد رمسيس الرابع.[1]

والحقيقة أن شواهد الأحوال تبين بأن البلاد كانت ترزح تحت عبء الفقر، ولقد أصبحت الحالة المالية على درجة من التدهور في نهاية حكم الفرعون القوي رمسيس الثالث أن أصبح الحاكم عاجزا عن دفع أجور عمال الجبانة مما أدى إلى إضرابهم، كما بينا سابقا-بالإضافة إلى حدوث ما عرف بعام الضياع، وهو تعبير عن فقر الدولة والشعب معا، غير أنه بالمقابل تكدست ثروات البلاد على مر الأيام في يد طائفة كهان الإله آمون رع، فأصبحت وظيفة كبير الكهنة وراثية ابتدءا من الكاهن "رعمسة نحت"، الذي ورثها لابنه"تسامون"، ثم انتقلت إلى الأيدي القوية لابن آخر هو " امنحتب".

وبالرجوع إلى آثار الكرنك، نتبين أنه أصبح لهذا الكاهن سلطان عظيم، وانتحل لنفسه مالم يسبقه إليه أحد من قبل.

ففي السنة العاشرة من حكم رمسيس التاسع، تحدى "امنحتب" التقليد المصري في مواصفات وشروط رسم شخص الفرعون، حيث كان الفرعون يرسم بحجم كبير يزيد في نسبته كثيرا عن جميع المصريين الآخرين- وهم أفراد من البشر وليسوا حائزين على الطبيعة الإلهية مثل الفرعون. ففي نقش معبد الكرنك يظهر الكاهن "امنحتب"، بنفس قامة الفرعون وهو يقف أمامه وجها لوجه يتسلم الهدايا. ويظهر واضحا ادعاء الكاهن بما يقارب المركز المتساوي مع الفرعون.[2]

---

1 - آلن جاردنر، مصر الفراعنة. ص 327.

2- J.YOYOTTE, PHARAONS, GUERRIERS LIBYENS ET GRANDS PRETRES," LA TROISIEME PERIODE INTERMEDIARE ". in TANIS,L'or des pharaons. Paris: Galeries Nationales du Grand Palais, 1987. P.54-

لكن الواقع يبين من جهة أخرى بأن هذا الادعاء يتفق تماما مع الحقيقة وتسنده حقائق تؤكدها أحداث تاريخية، ولا نستطيع إنكاره.

فالاتجاه العام لمرحلة الرعامسة المتأخرين تشير إلى أنهم كانوا يفضلون الاستقرار في الدلتا نتيجة لازدياد أهمية وثراء الكاهن الأكبر لآمون رع في طيبة.

بل إن الفرعون نفسه اعترف ضمنيا بسلطانهم المتزايد، إذ نجد مع النقش السابق ذكره نص نتبين منه أن رمسيس التاسع، تنازل لرئيس الكهنة بالتدخل في شؤون الدولة، والنص يقول: "إن هناك أموالا كانت تجمعها الخزانة الملكية لتدفعها إلى معبد آمون، يجب من الآن فصاعدا أن تورد مباشرة إلى خزانة آمون بدلا من توريدها أولا إلى خزانة الدولة".[1]

ويفهم من مضمون هذا النص أن الملك سمح لكتبة آمون أن يجنوا أموال المعبد بأنفسهم.

لكنني أعتقد أن رمسيس التاسع اعترف بشيء كان واقعا ملموسا منذ عهد الملك رمسيس الرابع، إذ أن الكاهن "رعمسة نخت" ولى أحد أبنائه مهمة جمع الضرائب.

وهناك احتمالان،الأول: بأن هذه الضرائب كانت تدفع لخزينة الحكومة بعد تلاعب كبير فيها،والثاني:هوأن هذه الضرائب كانت تدخل مباشرة لخزينة المعبد. والاحتمالان معا كانا من أسباب المجاعة التي وقعت في مصر.

لقد أصبح المعبد مؤسسة مستقلة يحكمها ورثة الكاهن "رعمسة نخت"، وطال عهد الكاهن"امنحتب" في حكم الملكين رمسيس التاسع ثم العاشر، وازدادت سلطته وتضخم التذمر الشعبي ضد طموحه وضد الثروات التي تكدست بين أيدي أسرته، ولم يكن هناك من يقف في وجهه إلا نائب الملك في كوش؛ وهو حاكم لمقاطعة كوش المعروفة "ببلاد الذهب".

---

1- J.H.BRESTED, ANCIENT RECORDS OF EGYPT. PART IV. PARA. 595.

وقد كان هذا الحاكم بنحاسي PENAHSY معاديا لكهان طيبة الذين طمحوا في ضريبة كوش الغنية، فلما رأى تجاوزات الكاهن"امنحتب"، قاد جيشا دخل به طيبة، ثم واصل سيره نحو مصر الوسطى متعقبا أثر الكاهن الفار. ولقد شجع الفرعون"رمسيس الحادي عشر هذا التصرف لأن نائبه بانحسي كان الوحيد القادر على الوقوف في وجه "امنحتب".[1]

هذه الحادثة مدونة في بردية "ماير-MAYERH " والمؤرخة بالسنة التاسعة عشر من حكم رمسيس الحادي عشر.وهناك من يعتقد أن "بانجسي" في حربه هذه، قد حارب الليبيين المتمردين[2]

.وتشير هذه المدونة أن هذا الفرعون قد خرج عن صمته وأقال الكاهن الأكبر لأمون رع. وربما كان ذلك بسبب محاولته التمرد والاستيلاء على السلطة، وقد جمع لهذا الغرض جيشا من النوبيين والليبيين، وبعد تجريد هذا الكاهن من ألقابه وطرده بقيت طيبة بدون كاهن أعظم طيلة أشهر.[3]

4)- تزايد نفوذ الجنود المرتزقة الليبيين

لم تكن لدى رمسيس الثالث وحلفاؤه حيلة يقاومون بها نفوذ الكهنة، إلا الأسرى الأجانب التابعين للملك رأسا والموسومين باسمه، وقد ضم هؤلاء إلى جنوده المأجورين فزادت بذلك قوته وعظم نفوذه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم قوات رمسيس الثالث، التي صد بها "أعداءه" من الليبيين أو شعوب البحر كانت أجنبية، لكن نسبة هؤلاء الأجانب بالجيش أخذت تكبر بمرور الزمن وبزيادة مصاعب ومشاكل الكهان الداخلية. وكان عنصر المشواش هو العنصر المميز بين هؤلاء الجنود، نتيجة لما لمسه الملوك المصريون من قوتهم وشجاعتهم في حروبهم مع الفرعونين مرنتباح ورمسيس الثالث.

---

1 - J. CERNEY, OP. CIT. PP: 628 -629.

2 -J.YOYOTTE, OP. CIT. P. 55.

3- J.DRIOTON & J.VANDIER. OP. CIT. P.364.

ودخول العنصر الليبي في الجيش المصري، لم يكن أمرا مبتدعا ظهر في الأسرة العشرين فحسب، بل لدينا أقدم دليل أثري ظهر في الأسرة السادسة عندما ورد ذكر جنود التمحو الليبيين في جيش الضابط "أوني" ثم صادفناهم في الأسرة 18 في جيش اخناتون وضمن حرسه الخاص. أما في الأسرة 19و20 فقد ازدادت العناصر الأجنبية نتيجة تكاسل المصريين وانصرافهم إلى التمتع بالرخاء الذي حققه الملوك في النصف الأول من عهد الإمبراطورية. لذلك لجأ الملوك إلى الاستعانة بخدمات المرتزقة، وفي ذلك يؤكد "ماسبيرو" أن سبل الترقي والتقدم قد فتحت أمام المرتزقة الأجانب، باستثناء مراكز الضباط التي كانت حكرا على الليبيين والنوبيين.[1]

ولقد كان تجنيد هؤلاء المرتزقة مقابل نصيب من غنائم الحروب، غير أنه وبفتور روح القتال لدى الرعامسة المتأخرين،فقد لجأوا إلى إقطاع هؤلاء المرتزقة الأجانب إقطاعات أرض مقابل الالتزام بالخدمة العسكرية.

وهو الأمر الذي تؤكده بردية "فلبور" وكان من أسباب نشأة طبقة الإقطاعيين الحربيين ويوضح ذلك أهمية الدور الذي قام به هؤلاء في تلك الفترة.[2]

وتفيد نصوص الأحداث أن رمسيس الثالث، وبعد أن هزم جيش الليبيين المتحالفين أسر في المرة الأولى 4000 ليبيا. وفي المرة الثانية 2052 ليبيا منهم 1700امرأة وطفل. ولقد جاء على لسان رمسيس الثالث عن معاملة هؤلاء الأسرى: "لقد اعتقلت رؤساءهم في قلاعي بإسمي، ووسمت (علامة بالنار على الكتف) قادتهم ورؤساءهم الذين وهبتهم لتلك القلاع كعبيد باسمي وعاملت نساءهم وأطفالهم بنفس المعاملة."[3]

ومن بين الأسرى من قدموا لخدمة المعابد، وآخرين لخدمة الملك الخاصة، وقد رفع رمسيس الثالث بعض هؤلاء الأجانب إلى مناصب القيادة، فكان

---

1- A. G. MASPERO, HISTOIRE ANCIENNE DES PEUPLES DE L' ORIENT CLASSIQUE " LES PREMIERES MELEES DES PEUPLES ".PARIS: LIBRAIRIE HACHETTE & C. 1897. P.766. -

2- R. O. FAULKNER, EGYPTIAN MILITARY ORGANISATION. in J. E. A N° 39. LONDAN: 1953. P45.

3- Wilson, the Libyans and the end of the Egyptian empire. p. p: 77- 80.

يعلن لهم قرارته إلى جانب غيرهم من المصريين، بل إن بعض هؤلاء الأجانب قد عملوا في القصر الملكي واستطاعوا أن يكون لهم تاثير الفرعون، وكان أحدهم ضمن هيئة المحكمة في قضية مؤامرة الحريم. وآخرون انضموا كمرتزقة في الجيش المصري. ولقد نقل المشواش الذين هاجموا غرب الدلتا إلى مدن شرق الدلتا مثل سايس، دمنهور وغيرهما، ثم نجدهم أيضا في نواحي الفيوم وحوالي هيراقليوبوليس، غير بعيد عن أبيدوس.[1]

لكننا لا نستبعد توافد أعداد أخرى من الليبيين، دخلوا فرادى أو جماعات واستقروا في أقرب الأماكن إليهم مثل الواحات.

والوثائق التي تحدثنا عن المشواش في أواخر الأسرة 20، نادرة وغامضة ولا تعطينا في عمومها فكرة بأنهم كانوا أعداء مصر، بل تبين أنهم اندمجوا مع الشعب المصري وتمصروا طواعية أو مجبرين. ففي عهد رمسيس الحادي عشر وفي بردية "ماير" نص لصاحب حانة (مخمرة) غرب طيبة يذكر أنه تحصل على نصيب من الفضة من المشواش؛ ويعتقد أنه أجرى تبادل سلع معهم. وفي نفس الفترة تقريبا، يخبرنا نص هو عبارة عن أمر من قائد جيش يأمر الأهالي الذين تعودوا على تزويد المشواش بالخبز، أن يمونوهم في الحال. وتفسير ذلك أن الأهالي كانوا يزودون فيالق الجيش أو يساهمون بنصيب. ولدينا من الأخبار ما يؤكد وجود المشواش في الدلتا أيضا؛ فقد بعث الوزير برسالة إلى مبعوثه في إرسال شرطة "المجاي"[2] المرابطة في مدينة " بي أح بو" Pi.eh.bo في الدلتا، كما أمره بألا يرجع إلا بعد الاطمئنان من تصرفات المشواش ومدى بعدهم عن المدينة.[3]

وبالتالي نخلص إلى القول بأن الليبيين كانوا متواجدين تقريبا في كل مصر، وليس فقط في المدن السابقة الذكر،والتي وضعهم فها رمسيس الثالث،

---

1- Maspéro, OP. CIT. P: 467.

2 - المجاي Medjay: نسبة إلى مدينة Medja، أفراد من قبيلة نوبية، استخدموا ابتداء من الأسرة 18، كشرطة تجوب الصحراء والحدود. ثم ادخل معهم أسرى الحرب وعلى الخصوص منهم الشردن.

راجع ذلك في: ........................ -R.O Faulkner , Egyptian military organization. P44

3- Cerney, OP. CIT. P 619.

وأنهم كانوا يعيشون ويتعاملون مع المصريين بصورة طبيعية، فطالهم الجوع مثلهم مثل المصريين في عام الضباع، لكنهم كانوا أشد خطرا لحيازتهم الأسلحة. والإشارات الأولى عن تمرد الليبيين وإثارتهم للمشاكل ترجع في تاريخها الى عهد الفرعون رمسيس التاسع.

فقد وجد في بردية "تورين"، وهي يوميات عمال مقابر الملوك، وبتاريخ العام العاشر من حكم ملك فقد إسمه، أنه في تاريخ محدد، نزل بدو الصحراء، على مدينة "سمن" Smen (جنوب طيبة) أربع مرات متتالية، وبعد يومين من هذا التاريخ نزل الليبيون غرب طيبة. ونلاحظ أن العمال وفي تدوين آخر كانوا أكثر دقة في تمييز المعتدين، فجاء في النص: "تغيب العمال خمسة أيام خوفا من المشواش"، وكان ذلك الجزء مؤرخا بالعام الخامس عشر من حكم ملك ما. وبالتالي يعتقد "سارني" أن هذا الملك هو رمسيس التاسع،لأنه الوحيد الذي حكم في تلك الفترة أكثر من عشر سنوات.[1]

غير أن عالم المصريات"كتشن Kitchen"يختلف مع جمع كبير من زملائه-ومنهم سارني-الذين قالوا بتدخل الليبيين في أحوال مصر جاء ستين سنة بعد أن هزمهم رمسيس الثالث أي في العام العاشر من حكم رمسيس التاسع كما أشار إلى ذلك سارني Cerney.

ويعتقد "كتشن" أن تمرد الليبيين وبداية إثارتهم للقلاقل والمشاكل في مصر كان مبكرا جدا، حيث تحرك الليبيون سبعة عشر سنة فقط بعد هزيمتهم على يد رمسيس الثالث (أي في السنة 28 من حكمه) إذ ورد نص مؤرخ: "بالشهر الثاني من فصل الشتاء، اليوم الرابع والعشرين، قادة الشرطة "الماجاي" جاؤوا وقالوا، لقد نزل العدو. وفي اليوم الخامس والعشرين، كان عمال القبر الملكي ينتظرون للدفاع عن أنفسهم ".[2]

1- Op.cit, P. 617.

2- K. A Kitchen,« les suites des guèrres libyennes de Ramasses III, » revue Egyptologie. S. F. E, tome 36. Louvain, Belgique: édition Peeters, 1985, P. 177

وبالتالي فهؤلاء الاعداء هم الليبيون، وقد تكررت العملية بعد ذلك في عهد الفرعون رمسيس السادس،اذ توقف العمال خوفا من الأجانب وذلك في السنة الاولى من حكمه .

ويعتقد كتشن بأن زميله "سارني" وآخرن، أخطأوا في تقدير وقت تمرد الليبيين، لأن النص جاء فيه كلمة رمث Rmt [1] وهي إشارة للمصريين، لكن برجوع كتشن إلى النصوص القديمة تبين له أن مرنبتاح استخدم هذه الكلمة للاشارة إلى الليبيين أيضا، وكذلك رمسيس الثاني استخدمها للاشارة للحيثيين. لهذا يعتقد أنها في هذين النصين المؤرخين بعهدي رمسيس الثالث والسادس فإن المقصود بها هم الليبيون،[2] لأنهم هم الأجانب الوحيدون المتوافدون على أرض مصر. ويشاطره في الرأي "يويوت" أيضا.

وتواصلت اعتداءات الليبيين على العمال بعد ذلك،ففي العام الثالث من حكم رمسيس العاشر توقف العمال لمدة شهر كامل (الشهر الثالث من فصل الشتاء) ووجدت التواريخ التالية اليوم 6 – 9 – 11 – 12 – 18 – 21و24 من الشهر المذكور.

والحقيقة أننا لا نستبعد أبدا أن يكون الليبيون قد تحركوا في السنوات الاخيرة من حكم رمسيس الثالث، مع ما علمناه من تدهور أحوال مصر الداخلية السابقة الذكر. ونضيف إلى ذلك كله أنه إذا كان انتصار رمسيس الثالث على الليبيين قد حل المشكلة المصرية، فإنه لم يحل مشكلة الليبيين إذ تدفقت على سواحلهم شعوب البحر فقاسمتهم الطعام..

وبالتالي كان عليهم البحث عن مخرج للمأزق، إذ سرعان ما عاودوا توغلاتهم داخل الأراضي المصرية.[3]

ولقد سهل مهمة دخولهم صعوبة التحكم في حراسة حدود مصر الغربية وهي عبارة عن صحراء قاحلة،بالاضافة إلى أن توغلهم هذه المرة جاء سلميا،

1 –Op-Cit, p 178.

2-Yoyotte, OP. CIT, P 55 -

3- K. A. Kitchen, OP. CIT, P 179

أي الدخول في شكل جماعات وأفراد، فاستقروا في الواحات كمرحلة أولى، ومنها عبروا الطرق التي تربط هذه الواحات بوادي النيل، وأهمها جميعا كانت الطريق التي تصل طيبة؛ فأثاروا الرعب في صفوف عمال الجبانة كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

وانطلاقا من هذه النقطة، يمكن أن نفترض بأن المشاكل التي أثارها الليبيون في أواخر الأسرة العشرين، كانت من طرف هؤلاء القادمين الجدد، في حين نجد أن الليبيين المرتزقة قد استقروا شرق الدلتا حيث امتلك قادتهم ضياعا وعبيدا.

وشواهد الأحوال تبين لنا أن أول شيء قام به رمسيس الثالث لما وصل إلى الحكم هو إصلاح الادارة، فقسم المجتمع إلى عدة طبقات: طبقة موظفي القصر، الأمراء (حكام المقاطعات)،الجيش ويشمل المشاة والعربات،و يتكون من الليبيين (الشردن والقهق) وأخيرا المزارعون. ونعلم بعد ذلك أن أعداد الشردن قد تراجعت بعد هجوم شعوب البحر على مصر، لكنه في مقابل ذلك تزايدت أعداد المشواش الليبيين .

ونعتقد أن هذا التقسيم لم يتغير كثيرا، بل إن طبقة المحاربين تسلقت طبقات الهرم الاجتماعي؛ فعن هيرودوت نتبين بأنه كان بمصر سبع طبقات: طبقة الكهنة وطبقة المحاربين، ورعاة البقر، ورعاة الخنازير والتجار والمترجمين والملاحين.[1]

ويبدو أن أسماء هذه الطبقات ناتجة عن حرفها، والمحاربون في تخصصين أحدهما يسمى "كلاسيريس" والثاني "هرموتوبيس" والكلاسيريس من أصل قبطي وتعني الرجل القوي الأبدي، وتترجم أيضا إلى المشاة أما "الهرموتوبيس" فهي من أصل مصري قديم بمعنى الفرسان، ويترجمها آخرون بالعربات.[2]

---

1 -Hérodote, Histoires II, p. 163, para 164-.

2 - هيرودوت، هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، ص.299.

والحقيقة أن الترجمتين غير مختلفين تماما، فالمشاة يتصفون دوما بالقوة البدنية العالية،والأحصنة تجر العربات.والجيش المصري في عهد الامبراطورية كان يشمل المشاة والعربات،وهذه الأخيرة يمكن أن نشبهها بالمدرعات في وقتنا الحالي.[1]

وكان عدد "الكلاسيريس" يصل الى 160 ألف عندما يبلغ أقصاه. أما عدد "الهرموتوبيس" فكان يصل كحد أقصى 250 ألفا. ولا يحترف أفراد السلاحين مهنة أخرى غير الجندية وهي متوارثة أبا عن جد..

وكان المحاربون وحدهم من بين المصريين، ما عدا الكهان، يمنحون امتيازات منها الحصول على 12 أرورا من الأراضي الزراعية، معفاة من الضرائب، ومن امتيازاتهم أيضا، الحصول على خمسة أمنان من القمح للفرد الواحد، و2 أمنان من اللحم البقري و4 أقداح من النبيذ. وهذه الامتيازات الأخيرة يحصلون عليها لما يصلهم الدور للإنضمام في الحرس الملكي وهو مرة واحدة فقط.[2]

وكل هذه الامتيازات قد تحصل عليها المرتزقة ومنهم الليبيون؛ لكن هذا لا يعني بأن الازمة الاقتصادية التي حلت بمصر، وتأذى منها الشعب المصري القديم، لم تصل لظاها إلى الجنود البسطاء والذين عجزت الحكومة على توفير مرتباتهم بانتظام، فكان طبيعيا أن يعوضوا ذلك بسلب ونهب أهل البلاد، وكان هذا سببا من أسباب اضطراب الأمن الداخلي.

ولقد احتفظت لنا النصوص بخبر خروج نائب الملك رمسيس الحادي عشر في كوش "بلنحسي"[3] الذي قاد جيشه حتى الجزء الشمالي من مصر، مخربا بلدة "حارادي" عاصمة المقاطعة 17 "كينوبوليت" من مقاطعات مصر

1- R. O, Faulkner, op. Cit.,p. 43

2 - هيرودوت يتحدث عن مصر، ص. 301

3 - هو نفسه الذي تصدى للكاهن الاكبر لآمون رع المسمى " امنحتب ".

الوسطى ضد قوات الاسرات الليبية المتزايدة التي كانت معسكرة في "هيراقليوبوليس "[1] .

وتفسير ذلك بأنه في الوقت الذي اتجه الليبيون المدنيون إلى الاعتداء على أفراد الشعب، فإن قادة الليبيين من المرتزقة تمتعوا بنفوذ كبير بين جالياتهم، وتحصنوا في مقاطعاتهم، واغتنموا فرصة ضعف مصر لمحاولة التمرد والعصيان.

من ذلك أن ظهرت جاليات ليبية جمع قادتها بين أيديهم السلطات الدينية والعسكرية، وكانت أقواها جميعا تلك التي استقرت بأهناسيا في نواحي الفيوم..

ب: ازدواجية السلطة في الأسرة الحادية والعشرين

فقدت مصر وحدتها الداخلية بانتهاء أسرة الرعامسة حوالي 1085 ق م، ثم انتقلت إلى حالتها الاولى من الانقسام قبل أن توحد على يد "مينا" في الأسرة الاولى. فأصبحت مصر تحكم من طرف عاصمتين منفصلتين:الأولى هي طيبة،عاصمة الوجه القبلي وتحكمها ثيوقراطية (دينية) أقامها كهان آمون – رع خلفاء حريحور.أما العاصمة الثانية فكانت "تانيس" عاصمة الوجه البحري، حيث قامت حكومة بسطت نفوذها على كل من مصر السفلى والوسطى.

غير أن هناك من يفترض قيام ثلاث بيوتات حاكمة في آن واحد، ادعت كلها الشرعية في الحكم. فيعتقد "بروش" أن البيتين السابقي الذكر، نالا شهرة على حساب البيت الثالث وهو الأحق بحكم مصر؛ وقد تمثل في خلفاء رمسيس الحادي عشر، الذين نافسوا الكهنة في طيبة، ولكنهم فشلوا في تحقيق الهدف، مما جعلهم يلجؤون إلى المنفى في الواحة الكبرى (الخارجة). ولقد لجأ هؤلاء إلى ربط صلات مصاهرة مع الأشوريين في العراق، فتزوج رمسيس السادس عشر بأميرة أشورية، وأراد بذلك مساعدة الأشوريين له

---

1- E. Drioton & vandier. Op.cit., p. 364 - Yoyotte, op. Cit., p. 55.

لاسترجاع حقه في العرش، فنفي إلى الواحة الكبرى مع أتباعه والموالين له وكانوا حوالي 100 ألف شخص.[1]

وبناء على ذلك، أعتقد أن الفوضى واقتسام النفوذ بين كل من الكهان والجنود المرتزقة من جهة. ثم تزامن البيوت المالكة الثلاث، وتمرد تانيس وطيبة على سلطة رمسيس الحادي عشر واغتصاب الكثير من الألقاب الملكية قبل وفاته،من جهة أخرى، هو السبب في تأجج الجدل الذي لا يزال قائما لحد الآن حول تحديد تاريخ واحد لعصر الأسرة الحادية والعشرين. فنقلا عن "مانيتون" الذي اعترف بالأسرة المالكة في تانيس فقط، ولم يعترف بحكم الكهان في طيبة، فقد أعطى 130 عاما كمجموع حكم سبعة ملوك حكموا مصر من عاصمتهم تانيس.

بينما يفترض الرأي الغالب بين المؤرخين المحدثين لمجموع حكم أولئك الملوك 142 سنة (أي فيما بين 1087 – 945 ق م)، ومن الآراء من يفترض أصحابها 124 سنة فقط (أي بين 1069 لغاية 945ق م)،و رأي ثالث مجموع 144 سنة (بين 1089– 945 ق.م).[2]

وتفسير هذا الاختلاف في التواريخ هو أن فترة الإحدى عشر سنة محل الاختلاف هي الفترة التي مهدت لهذا العصر أي العصر الانتقالي الثالث، فكانت بدايتها بما اعتبره كهنة امون- رع، عصر "تجديد الولادات" أي النهضة، حيث اقتسم السلطة الفعلية خلالها- كل من "رمسيس الحادي عشر" و"سمندس" في تانيس، وكاهن آمون-رع "حريحور" في طيبة .

**-الحكومة الثيوقراطية في طيبة**

يعتبر الدين من أهم السمات التي طبعت حياة المجتمع المصري القديم طيلة الحكم الفرعوني، حتى أن هذا ذلك أدى بعالم المصريات "برستد" إلى مقولة مشهورة مفادها أن الديانة المصرية تكون نصف علم المصريات. وفي هذا

---

1-H. Brugch. bey, History of Egypt under the pharaons. Translated from german by Henry Donby Seyman. London: 1879. P.P:193 - 194.

2– J.H. Breasted, Ancient records of Egypt, Part 4, para. 606 – 607. -

إشارة إلى أن الشعب المصري كان شعبا متدينا، وأن الكهان كانوا فئة متميزة في قمة الهرم (الاجتماعي) تكاد تتدخل في كل أمور الحياة اليومية، فالطبيب والمهندس والمعلم كانوا كلهم من الكهنة، إذ تدخل كهان آمون حتى في شؤون الإمبراطورية المصرية، بل إن هذا التدخل قد زادت حدته في أواخر الأسرة العشرين كما أشرنا إلى ذلك سالفا.

والكاهن الأكبر في طيبة كان يحكم القوم عن طريق استلهام آمون- رع، الذي يتدخل في كل شيء، حتى في أدق الأمور الشخصية. وبوصول " حريحور" إلى هذا المنصب، أصبح الاله آمون- رع هو القاضي الذي يفصل بين المتخاصمين، وينفي المتمردين السياسيين ويعاقب لصوص المقابر. وكل ذلك كان بمجرد أن يهز التمثال رأسه. وبمشاركة كبار كهنة آمون في مسؤوليات الدولة تمت السيطرة على عقول الناس باسم الدين.

ويشك "جاردنر" أن يكون "حريحور" قد تنقل في مختلف مراتب الكهانة التي تنتهي بمنصب الكاهن الأكبر. ولذلك يفترض بأنه كان أصلا ضابطا في الجيش، وعلى هذا الأساس استخدم لقب "القائد الاكبر لجيش مصر العليا والسفلى"، ثم استخدمه إبنه وحفيده من بعده.[1]

ولقد أشرنا سابقا بأن "حريحور" هذا قد شارك ابن الملك في كوش المدعو "بانحسي" لإطفاء نار الفتنة والثورة الشعبية التي تسبب فيها الكاهن الأسبق "امحتب" للاستيلاء على عرش رمسيس الحادي عشر .

إلا أن "جون يويوت" يعتقد بأن حريحور من قادة المرتزقة الليبيين الذين استقروا في طيبة، ودليله في ذلك أن كثيرا من أبنائه يحملون أسماء ليبية.[2]

لكن ذلك يبقى مجرد رأي صاحبه الذي لم يجد تأكيدا أو نفيا من طرف علماء المصريات، وإن كان هنالك من المؤرخين من يرى بأن حريحور، الكاهن الأكبر، قد وصل إلى منصبه هذا، بعدما تزوج أرملة الكاهن السابق. غير أن

---

1 - الن جاردنر، المرجع السابق. ص.ص: 332–333.

2 -J.Yoyotte, op.cit. p. 55.

الشواهد التاريخية تثبت بأن شخصيته القوية، كان لها الدور الأساسي فيما وصله من سلطان ونفوذ. لقد كان حريحور وليد الثورة التي قامت في مصر في تلك الفترة المضطربة من تاريخها، فأعاد إليها الهدوء والنظام وانتهى الأمر بتوليه مقاليد الأمور. وبدأ عصر النهضة؛ إلا أن هذه النهضة ظلت إسما فقط لم تتجسد على أرض الواقع ولم تخص الشمال أبدا.

ولقد جمع حريحور بين أيديه في السنوات الأولى من توليه كهانة آمون- رع، كل الوظائف في الدولة. فبالإضافة إلى وظيفة القائد الأعلى للجيوش، كان نائبا للملك في كوش(النوبة والسودان) وكان أيضا وزيرا، كما استخدم لقب ابن آمون ووضع اسمه ووظيفته ككاهن آمون في خرطوش تقليدا للفراعنة.

وباستيلاء حريحور على هذه الوظائف، أصبح شبه ملك، بل إن هناك إجماعا بأن حريحور قد تولى العرش. وكان حينئذ طاعنا في السن، فلم يعش كثيرا بعد رمسيس 12 الذي لجأ إليه لما لقيه من جفاء حاشيته في تانيس وتمرد البعض عليه.[1]

لقد تنازل حريحور عن القيادة العليا للجيش لولده "باي عنخ"، كما أن النصوص تذكر أسماء أولاده بأنهم أبناء ملك.

غير أن"جاردنر" ينفي على حريحور أن يكون قد توج نفسه ملكا، وإنما عمل واجتهد من أجل بلوغ هذا الهدف. وذلك بتوحيد كل قوى الدولة في شخصه،ثم سلمها إلى سلالته وهي ألقاب حربية، قضائية، إدارية وكهنوتية.

ويستدل "جاردنر" على ذلك بوجود منظر ونص منقوشين بالكرنك ومؤرخين بالعام السابع "لتجديد الولاءات" في عهد رمسيس الحادي عشر، ولقد صحب هذا النقش نص مفاده: "..وحامل المروحة إلى يمين الملك (رمسيس الحادي عشر) ابن الملك في كوش، الكاهن الاكبر لآمون رع ملك الآلهة، قائد الجيش باي عنخ.."[2]

---

1 - ج.هـ برستد، المرجع السابق. ص 426. وأيضا:...... .Drioton & Vandier, op. cit,p.511 -

2 - الن جاردنر، مصر الفراعنة. ص 335.

وهذا الأمر إنما يفسر بأن "حريحور" كان شخصية فذة، إذ بعد أن تمكن من إجلاء الكاهن السابق "إمحتب" بأمر من الفرعون، تمكن بطريقة ما من إبعاد القائد "بانحسي" من طريقه،و أصبح هو السيد في طيبة. ولقد اعتمد على ما تخلف لمدينة طيبة مقر أمون- رع، الاله الرسمي للدولة، من ثراء موروث وسيادة دينية وإشراف على إقليم كوش الغني بالذهب؛ فأصبح الحاكم الفعلي للوجه القبلي لمصر، بعيدا عن الفرعون الشرعي في الشمال. لكنه لم يجرؤ على التأريخ بسنين حكمه، فلجأ إلى تقليد الشائع في مصر، وهو إعلان بداية عصر سماه "تجديد الولادات" أو كما اصطلح عليه بعصر النهضة. والسنة الاولى من عصر النهضة (أي حكم الملك حريحور) يوازي السنة 19 من حكم رمسيس الحادي عشر .

لذلك يمكن تفسير السنوات السبع الاولى من عصر النهضة، بأنها كانت بمثابة حكم داخلي مستقل؛ فلما توفي رمسيس الحادي عشر (الفرعون الشرعي) كان في العاصمة "تانيس" من هو أقوى من حريحور، الذي لم يتمكن من إعلان عرشه أو توريثه لخليفته.

ففي السنة السابعة من عصر النهضة، خلف حريحور في منصب "كاهن آمون- رع" ولده "باي عنخ"، أما في تانيس فقد خلف رمسيس الحادي عشر وزيره المدعو "سمندس". وقد نال الشرعية في وراثة عرش الفراعنة بزواجه من أميرة من أسرة الرعامسة، وبذلك أصبح حاكم الأرضين أي مصر السفلى والعليا، فبسط سلطانه على طيبة ولو ظاهريا ويشهد على ذلك نص في محجرة الجبلين، مفادها أن حاكم الأرضين قد أصلح معبد تحوتمس الثالث في طيبة.[1]

ويظهر مما سبق أن حريحور كان صاحب رؤية ثاقبة، إذ تنبأ سلفا بقوة خصمه في تانيس، لذلك سعى إلى ربط علاقات ود وصداقة معه، ثم وثقها

1-E. Drioton & vandier, op. cit, p. 512. -

بزواجه من أخت "سمندس"، وربما كان هذا تخطيطا منه، لكي لا يغدر حاكم تانيس بذريته من بعده ويبعدهم عن طيبة.[1]

وفعلا، لقد أبقى الفرعون "سمندس" ابن حريحور "باي عنخ" في منصبه ككاهن أكبر لاله آمون- رع، ولم يجرؤ هذا الأخير على طلب المزيد من السلطان والنفوذ واكتفى بالمنصب الكهنوتي .

ولما توفي "باي عنخ"، تبعه في منصبه ولده "باي نجم" وكان قوي الشخصية، فاستحوذ على مزيد من النفوذ في الوجه القبلي لمصر. وإن لم يتوج نفسه ملكا، فقد لجأ مجددا إلى مصاهرة البيت المالك في الشمال، حيث تزوج بابنة الفرعون الثاني للأسرة المدعو "بسوسنس" بحثا عن مزيد من السلطة والشرعية .

وبوفاة هذا الأخير استرجع الكاهن الأكبر "باي نجم" ملك جده حريحور، وأصبح ملكا على الأرضن (مصر السفلى والعليا) مستخدما في ذلك حقه الشرعي بزواجه من الاميرة الملكية، خاصة وأن والدها الفرعون "بسوسنس" لم يخلف ذكورا.

وتدل شواهد الأحوال أن "باي نجم" قام بنفس الدور الذي قام به جده حريحور من قبل. فلما أصبح "باي نجم" ملكا تنازل لولده "منخبرع" عن وظيفته ككاهن أكبر لآمون-رع.

لقد حكم "باي- نجم" حوالي أربعين سنة، متخذا من تانيس عاصمة له، ويعتبره "جاردنر" الوحيد من بين كهان آمون المعاصرين له، الذي أكد تاكيدا قاطعا حقه في أن يعتبر فرعونا فانتحل لنفسه لقبا، ومع ذلك فإن الوثائق التي تحمل إسمه تسجله في أغلب الاحيان بغير خرطوش. [2](وهو الإطار الذي يكتب فيه اسم الفرعون الشرعي).

---

1- J.Yoyotte, op. cit, p. 59.

2- ألن جاردنر، المرجع السابق. ص 349.

لقد احتفظت لنا الآثار بما يشهد على الاصلاحات التي قام بها باي نجم في معابد الكرنك ومدينة هابو. كما وجه عناية خاصة لاصلاح ما لحق بالموميات الملكية من تهشيم وعبث. ولقد أشرنا سلفا، بأنه منذ أواخر أيام الأسرة العشرين، لجأ اللصوص إلى نهب محتويات المقابر، وبعد ان أفرغوا مقابر النبلاء من محتوياتها، نهبوا مقابر الفراعنة المؤلهين ونكلوا بأجسامهم، مما استدعى تدخل الفرعون "باي نجم" إلى تصليحها وإعادة تكفينها ووضعها في توابيت جديدة .

ولقد أفادت هذه العملية كثيرا في دراسة تاريخ هذه الفترة (الأسرة الحادية والعشرين)، لأن كل ملك أو كاهن يقوم بعملية تجديد دفن الملوك هذه، يأمر بكتابة نصوص على اللفائف أو التوابيت.[1]

وتوالى على رأس كهانة آمون-رع بطيبة، بعد "باي نجم" ولده ماساهارتا، وأخذ لقب القائد الأكبر للجيوش، لكننا لا نعرف عنه الا القليل، وقد يفسر هذا بأنه لم يقم بدور هام في شؤون البلاد. ثم خلفه أخوه "منخبرع" بعد ذلك..

وتشير شواهد الأحوال أيضا بأن طيبة قد عرفت فوضى وقلاقل، فأمره والده الملك "باي نجم" بالسير إلى طيبة وتهدئة الاوضاع، فطلب من الاله آمون- رع أن يسمح له بالعفو على المنفيين في الواحة الكبرى (الخارجة). ولا يستبعد "بروش" بأن يكون هؤلاء هم الموالين للرعامسة، وهم الذين فروا مع طغيان كهان آمون ملوك تانيس.[2]

وبقي "منخبرع" على رأس كهانة آمون لغاية وفاة والده الفرعون في تانيس. وقد انتحل لنفسه بعض الالقاب الفرعونية وكتب إسمه داخل خرطوش، لكنه لم يعتل عرش مصر لأن شخصا آخر اغتصب منه العرش، يدعى "أمنموبة " .

---

1 - سليم حسن، مصر القديمة، ج 8 ص 714.

2- H. Brucsgh, op. cit,p. 194.

غير أن "برستد" يرى فيه وريثا شرعيا للفرعون السابق بسوسن، وهذا يشير إلى عدم الاستقرار الذي منيت به مصر، وكيف استعان الطامعون في عرش مصر على عدد الموالين لهم، وعلى ثرائهم أكثر من الاستناد إلى الشرعية.

أما كهانة آمون، فقد توالى عليها بعد "منخبررع"، ولده "سمندس" الذي لم يعش طويلا، حيث خلفه أخوه "باي نجم الثاني" ثم ولده "بسوسنس".

وقد بقي هذا الأخير في منصبه ردحا من الزمن، بحيث عاصر كلا من الفرعونيين سيامون وبسوس الثاني في تانيس.

لقد اعتمد كهان آمون في حكم طيبة على ماضي مدينتهم التليد، مقر الاله آمون- رع، أب الالهة، واستفادوا من ولاء الناس لهم فاستخدموا صيتهم وثروة آمون الطائلة، فكانوا بذلك أصحاب السلطان في مصر العليا، وملوك تانيس أصحاب القوة والنفوذ في الدلتا، لكن ملوك تانيس كانوا هم الفراعنة الحقيقيين في البلاد كلها. وأن الكاهن الاكبر كان يحكم البلاد أحيانا إذا آل اليه العرش بالوراثة مثلما حدث مع باي نجم، وحينئذ يولي كاهنا اكبر من نسله في منصبه هذا، ويحتمل أن هذا السبب هو الذي كان وراء إسقاط "مانيتون" حكام طيبة من قائمة ملوك مصر، واكتفى بملوك تانيس فقط .

**-الحكومة المدنية في تانيس**

بدأت الأسرة الحادية والعشرون حكمها من تانيس، بعد وفاة رمسيس الحادي عشر في حين لجأ رمسيس الثاني عشر إلى حريحور في طيبة)، ولقد اعتبرها مانيتون الأسرة الحاكمة الشرعية في مصر، لأن سمندس .رأس هذه الأسرة قد تزوج بالوريثة الشرعية الأميرة "موت نجمت" ابنة الفرعون رمسيس الحادي عشر.

ولا يزال الجدل قائما حول تأريخ عصر هذه الأسرة وتتابع ملوكها، فـ"مانيتون" مثلا يقول أن هذا البيت قد حكمه سبعة ملوك، غير أن الأثار التي اكتشفت حتى الآن لم تظهر سوى خمسة منهم، ويعتقد أن آخر ملوكها بسوسنس الثاني هو نفسه آخر كهان آمون المدعو "بسوسنس". أما الجدل حول المدة

الزمنية التي حكمها ملوك هذه الأسرة، فمرجعه اغتصاب الشخصيتين النافذتين سمندس وحريحور، للألقاب الملكية قبل وفاة الفرعون. وكان سمندس رأس الأسرة 21 يشغل منصب وزير الشمال والملحق السياسي لآسيا، وكان مقر سكناه في تانيس.[1] ولما شعر بضعف رمسيس الحادي عشر، اغتصب الكثير من الالقاب واستحوذ على أهم الوظائف، ثم تولى عرش تانيس، ولما تزوج بالأميرة الملكية أصبح هو الفرعون. ولقد طال حكم سمندس بعد وفاة رمسيس الحادي عشر نحو ستة وعشرين سنة، وحكم البلاد موحدة. ويعتبر الملك "التانيسي" الوحيد الذي فرض وصايته على طيبة وترك آثارا على ذلك، منها نص الجبلين ومفاده أن هذا الفرعون بعث بثلاثة آلاف عامل لإصلاح بهو الأعمدة الذي شيده "تحوتمس الثالث "(الأسرة 18 ).

ويعتبر هذا التدخل في أمور طيبة إعلانا صريحا على اهتمام فرعون تانيس بطيبة كامتداد لملكه.[2]

لقد تتابع على عرش تانيس بعد الملك سمندس ستة ملوك اختلف علماء المصريات في ترتيبهم؛ بل تشككوا حتى في حكم بعضهم. ويعتبر"بسوسنس" اكبر أولاد "سمندس" من الأميرة الملكية "موت نجمت" التي نقلت له ولأولادها من بعده حق حكم مصر وأكسبته الشرعية. ولذلك فبسونس هذا، كان الملك الشرعي ووريث الرعامسة. وترجع شهرته الكبيرة إلى كثرة الاثار التي تشهد على حكم مستقر وطويل وبوفاته، خلفه على عرش مصر الكاهن الأكبر لآمون "باي نجم" حفيد حريحور، معتمدا في ذلك على زوجته ابنة الملك بسوسنس.

وطبقا للتقالهد المصرية، تحصل على الحق الشرعي في وراثته للعرش، غير أن هناك من يرى بأن"باي نجم" لم يحكم مصر في يوم من الأيام، خاصة أن قائمة مانيتون تصل حكم " بسوسنس" بالملك أمنموبة.[3]

---

1 - سليم حسن، المرجع السابق، ص 538.

2 - J. Yoyotte, op. cit, p. 59.

3 - عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 262.

وربما مرجع ذلك أن مانيتون أسقط حق كهان آمون في حكم مصر، إذ جاء في قائمته إسم ملك توسط "بسوسنس" و"أمنموبة" وهو الملك "نفرخرس" الذي لم يوجد ما يؤكده على الآثار. ويعتقد "دريوتون" أنه هو الوريث الشرعي لبسوسنس؛ لكن الظاهر أنه لم يمارس حقه في الحكم، ذلك أن "أمنموبة"حسب قائمة "مانيتون" دائما قد شارك سلفه "بسوسنس" سنتين ثم استقل بالحكم مدة تسع سنوات. والارتباك واضح في قائمة مانيتون،ومرد ذلك هوعدم الاستقرار في انتقال العرش داخل سلالة الأسرة الحاكمة، حيث حدثت حالات اغتصاب العرش في أحيان عديدة. وما يزيد الامور تعقيدا هو ذكر اسم الملك "اسوخور" الذي اشترك مع "أمنموبة" ثلاث سنوات ثم انفرد بالحكم ست سنوات، وحكم هذا الملك هو الآخر موقع شك وتردد لم يحسم فيه المختصون، فإذا كان فريق من علماء المصريات يشكون في حكمه لأن إسمه لم يرد على الاثار، فإنه بالمقابل نجد "جاردنر" يعتقد بأن "اوسوخور" هذا هو ملك من الأسرة 22وليس من الأسرة21. أما "يويوت " فيرى بأنه من عائلة المشواش الليبيين وأنه اغتصب العرش، من "أمنموبة"[1].

ثم خلف أوسوخور هذا، ملك حكم فترة تتراوح بين 17و19 سنة وهو الفرعون سيامون الذي يعد من أبرز شخصيات الأسرة 21، وقد وقعت في عهده أكبر السرقات في جبانة طيبة، وأقام المنشآت في تانيس بإجراء التوسعات في معبدي "آمون" و"حورس". كما شيد معبدا بمنف. وفي عهده أيضا،أخذت مصر بسياسة خارجية أكثر ديناميكية؛ إذ احتفظت لنا التوراة والإنجيل ببعض أخباره، وقد تزامن حكمه بالفترة التي وحد فيها " داوود " القبائل، ودارت معارك بينه وبين الفلسطينيين. وفي تلك الأثناء فر الأمير "حدد" من بطش القائد يوءاب اليهودي الذي قتل والده ودمر إمارة أدوم، فوجد الترحاب من طرف الفرعون المصري وزوجه بأخت زوجته وعاش في بلاطه. وفي مقام آخر ذكر كتاب سفر الملوك الأول الإصحاح 19: الآية16، أن

1 - الن جاردنر، المرجع السابق، ص 354. و J.Yoyotte, op. cit,p. 64 -

الفرعون زوج ابنته للملك سليمان وأنه أحرق مدينة جازر[1] وقتل الكنعايين ثم أهداها كمهر لابنته زوجة سليمان.[2]

ولقد خلف هذا الفرعون النشيط الذي أعاد لمصر بعضا من ماضيها التليد، الفرعون بسوسنس الثاني وهو خاتمة الأسرة 21 .

وما يمكن استخلاصه مما سبق هو أن ملوك تانيس، وفي سبيل تحقيق الوفاق مع السلطات الدينية في طيبة، ومن أجل تزكية نفوذهم فيها في الوقت نفسه، زوجوا بناتهم لكبار كهنة آمون أحفاد حريحور. ولقد كفل ملوك تانيس لبناتهم بهذه المصاهرات ممارسة نصيب من النفوذ الديني في طيبة، ورئاسة كل منهن لكاهنات آمون، وأخذ لقب "الحرم المقدس لامون"، وإن نقلت بنات الملوك إلى أزواجهن وأولادهن بهذه المصاهرات في الوقت نفسه حقوقا شرعية استغلها بعضهم في اتخاذ ألقاب الملوك كما فعل باي نجم الاول.

وعلى أية حال، فلقد أدت سياسة المسالمة واقتسام الغنائم في عصر الأسرة21 بين البيتين في تانيس وطيبة، إلى الإبقاء على نظام الحكم الثنائي لفترة طويلة اتسمت بالفتور وبالسياسة الانطوائية في مجملها، لأن هذا العصر، وإن وفر لمصر استقرارا، فقد كان استقرارا فاترا لم يخل من خصومات بين الحكام.

ولا نكاد نعرف من نشاط هذه الأسرة في الداخل غير استمرارهم في الاهتمام بعمائر الإله آمون- رع، ثم تغليب طابع الدين على روح العصر وسياسة الحكم فيه. ومن الثابت أن هؤلاء الملوك التانيسيين، لم يكونوا عظماء ولا محبين للعمارات الضخمة، باستثناء عدد قليل في عهد بسوستس وباي نجم

---

1 - لقد كانت مجدو وجزر احصن قلعتين يسكنها الكنعانيون، وقد تمكن داوود من هزم الفلسطينيين والاستيلاء على مجدو في حين بقيت جزر مستقلة.

2- Frédéric Thieberger, Traduit par S. M.Guittenien, Le roi Salomon et son temps: un des carrefours de l'histoire. PARIS: Payot, 1957.p. 136

وسيامون؛ وإن كانت هذه الإنجازات أيضا، بعيدة كل البعد عن عمارة الدولة الحديثة.

ويعتقد برستد أن سبب الثنائية في حكم مصر وتقهقر حالة البلاد الاقتصادية، لم يظهر فيها، ملوك هذه الأسرة طيلة القرن أي استعداد إلى الرقي والتقدم والنشاط[1].

ففي تلك الفترة من تاريخ مصر التي تمزقت فيها وحدتها على أيدي أبنائها أنفسهم، وكان ملوك تانيس يستعينون على قضاء مآربهم وتنفيذ أغراضهم بالجنود المرتزقة الأجانب الذين كانوا قد وطدوا أقدامهم في داخل البلاد، باحتلال المناصب العليا والتدخل في شؤون إدارة البلاد. ومن الواضح أن السيطرة على مقاطعات مصر ومنذ عهد آخر فراعنة الأسرة21، كانت ضعيفة جدا، لأن السلطة الفعلية كانت بين أيدي الليبيين المشواش، فقد فرض قادة المشواش سلطتهم على كل الأقليات المتواجدة في مصر آنذاك وتدخلوا في شؤون تانيس وطيبة ومنف وأقاموا قلعة في مدينة الهيبة.

وفي هذه الأثناء نمت وعظم شأن عائلة ليبية في بوبسطة، وكان جد هذه الأسرة المدعو"بويوواوا" رجلا ثريا تمكن أحد أحفاده من السلالة الرابعة وإسمه شيشنق أن يتزوج بامرأة تحمل في عروقها الدماء الملكية المصرية. وعندما توفي أحد أبنائه وهو"نمرود" دفنه في أبيدوس[2] وأوقف على قبره الكثير من الأرزاق نهبها الموظفون المكلفون بأداء الشعائر الدينية.[3]

لقد كان رئيس المشواش"شيشنق" شخصية نافذة، وقد وصل به المقام أن الفرعون ذاته يخشى إزعاجه. فلما اشتكى له مما حصل لقبر ولده، تنقل الفرعون شخصيا معه إلى طيبة لاستطلاع وحي آمون.

---

1 - ج.هـ.برستد، المرجع السابق، ص 427.

2 - أبيدوس: مدينة بصعيد مصر تقع بين أسيوط وطيبة، بها كثير من المعابد ومقابر الملوك ويرجع عهدها إلى ما قبل الأسرة الأولى .

3- MASPERO, OP. CIT, P .769

وهناك فقرات كاملة على آثار معبد الكرنك، تبين لنا مكانة الليبيين ورؤساءهم من أمثال" شيشنق" في مصر الممزقة، فهذا الفرعون يخاطب الإله آمون-رع ويقدم له شيشنق بهذه العبارات: ".. رئيس الرؤساء "شيشنق" المنتصر... إنك ستجعله يبقى ليصل إلى سن الشيخوخة في حين أن قلبه...وإنك ستجعله ينضم إلى أعياد جلالته متقبلا انتصارا تاما..".ثم يواصل كلامه: "..إنك (آمون) ستذبح.. [ضابط حربي].. والمدير والكاتب والمراقب وكل فرد قد أرسل.. هؤلاء الذين سرقوا أشياء على قربان"أوزير" عظيم "مي" (المشواش) نمرود المنتصر بن محت توسخت (أمه) الذي في العرابة".[1]

وهذه العبارات تبين مدى تقرب الفرعون من شيشنق رئيس رؤساء المشواش.

ولم يكتف الفرعون بذلك، بل بعث تمثالا إلى شيشنق هدية من طرفه لتوضع في قبر نمرود.

إن هذه الحادثة تعطينا صورة واضحة عن حال البلاد الداخلية التي تقاسمها حكام المقاطعات ورؤساء الجند الأجانب الذين كان الفرعون نفسه يخشاهم.

ثم إن وصول الليبيين إلى هذه المكانة المتميزة لم يحدث بين عشية وضحاها، وإنما كان ذلك نتيجة حتمية لتسلل الليبيين إلى مصر والاحتماء برؤساء المشواش الذين وصلوا أعلى المراتب في الجيش المصري والإدارة المصرية.

فقد بلغوا بالوسائل السلمية، مالم ينالوه في سلسلة حروبهم التي ختمها الفرعون رمسيس الثالث. وكان يعتقد بأن انتصاره على الليبيين في حربيه الأولى والثانية قد أبعد خطرهم نهائيا على مصر، لكنه في الحقيقة كان قد منحهم السبل والفرص لبلوغ هدفهم، وقد ساهم في نجاحهم، بالإضافة إلى

---

1 - سليم حسن،المرجع السابق، ج8، ص766.

صبرهم وجلدهم، ضعف خلفاء رمسيس الثالث وتمزق وحدة مصر في الأسرة الحادية والعشرين.

أما على الساحة الخارجية، فقد فقدت مصر هيبتها وتقلصت رقعة إمبراطوريتها منذ أواخر الرعامسة، ولم تحافظ على نفوذها إلا في النوبة، وأما عن ولاء سوريا وأقاليمها الكثيرة الغنية، فهناك وثيقة أدبية قصة الكاهن وينآمون والمؤرخة بالعام الخامس لعصر تجديد الولادات،لم يكن حريحور أو سمندس قد استولى على الحكم بعد.

فهذه القصة تبين لنا استقلال المدن السورية وعدم اعترافها بمصر وضياع سلطانها عليها، وذلك مع مطلع الأسرة 21، وكان ذلك قبل أن يتفشى الضعف والهوان في جسد مصر.. [1]

## ج- أصل الملوك الليبيين

لقد أشرنا فيما سبق، بأن العلاقات الليبية المصرية قد اتسمت عموما بالصبغة العدائية. فهذه شواهد الأحوال تصور لنا المشادات العنيفة بين الطرفين منذ فجر تاريخ مصر، ونتبين ذلك من خلال لوحات "الأسد والعقبان" و"الحصون والغنائم"، لتعرف العلاقات بعد ذلك منعرجا خطيرا، فلقد شن الملك "مينا" غارة عنيفة، أسر فيها مائة وعشرين ألف من الليبيين، وأجلى المتبقيين عن موطنهم الأصلي غرب الدلتا المصرية، وقد كانت مدينة سايس عاصمة ملكهم.

ويعتقد "برستد" أن هذه الغارة التي خاضها "مينا" كانت بمثابة طرد عام لليبيين. ومنذ ذلك التاريخ عزم الليبيون على الرجوع والاستقرار في مصر، فلا يكاد يمر حكم ملك، دون أن تذكر لنا النصوص أخبار معارك مصرية ليبية،

---

1 - خرج الكاهن وينامون ليحضر الخشب لبناء سفينة أمون – رع، ملك الآلهة، وقد تعود أمراء سوريا إرسال هذا الخشب بالمجان هدية لملك الالهة. أما هذه المرة ومصر بهذا الضعف الذي شهدناه، فقد قوبل طلب الكاهن وينأمون بازدراء واستخفاف من طرف امراء المدن السورية، الأمر الذي يوحي بعدم الاكترات بمصر.

- ج. هـ برستد، المرجع السابق،ص.34 وص.44.

وإجهاض محاولات توغل إلى مصر.و مع ذلك بقي إصرار الليبيين وبقي الخطر الليبي محدقا بالدولة المصرية.

فالمواقف الحربية الهامة التي وقعت بين الفرعون مرنبتاح (الأسرة التاسعة عشر)، وكذلك الأعداد الهائلة لليبيين الذين هاجموا مصر في عهده، قد دلت بأن الغزوة الليبية لم تكن لمجرد السلب والنهب كما درجت المصادر المصرية على وصفها، بل إنهم زحفوا بجيش له قيادته العليا المنظمة، وكان غرضه احتلال مصر واستيطانها.

ولقد تبين الليبيون بعد انهزامهم على يد رمسيس الثالث، فشلهم في بلوغ الهدف بالوسائل العسكرية، وذلك لعدم تكافؤ بين جيش نظامي دائم، وجيش تجتمع وحداته للضرورة فقط، مهما بلغت ضراوة وبأس جنده. فلما تيقنوا من ذلك عكفوا في ديارهم الجديدة بمصر، وقد أتيحت لهم فرصة العمل كمرتزقة في الجيش المصري، يتحينون الفرص ويستخدمون كفاءاتهم العسكرية في خدمة حكام تانيس وكهان طيبة، ويوطدون أقدامهم في مصر، ويتدفقون بكثرة وينتشرون في أرجاء مصر، فأصبحوا أسياد البلاد، وبدأت المناصب الإدارية والعسكرية والكهنوتية في الإنتقال بالتدريج إلى أيدي المشواش الليبيين.

ومن الواضح أن هؤلاء المشواش كانوا من نسل المرتزقة والأسرى الليبيين الذين استخدمهم رمسيس الثالث وحلفاؤه من بعده لتولي مهمة الدفاع على مصر، ومنحت لهم أراضي مشروطة بالتزام الخدمة العسكرية. كما أننا لا ننكر توافد أعداد أخرى من الليبيين، تسللت بطرق سلمية، واحتمت بالزعماء الكبار للمشواش الذين تحولوا إلى إقطاعيين بمرور الوقت، ووفروا فرص العمل لأبناء عمومتهم.

لقد تكاثر المشواش عبر الأجيال وكونوا جاليات مهمة في كل أنحاء مصر، وخاصة في الدلتا ومصر الوسطى، فزاد نفوذ بعض أسرهم ما مكنهم من الوصول إلى عرش مصر بأقل احتكاك ممكن.

ومن الأهمية بمكان، الإشارة إلى أن المشواش الليبيين على الرغم من محاولة إظهار أنفسهم كمصريين، فإنهم حافظوا على شخصيتهم الليبية المتميزة ولم يذوبوا في المجتمع المصري، كما حصل للمرتزقة الشردن.[1]

وقد أقام رمسيس الثالث ضياعا في المقاطعة العاشرة من الوجه البحري لمنفعة المرتزقة، وذكرت بردية "فلبور" ضمن قائمة الأسماء التي تحوي أسماء ملاك الأراضي، عددا من الملاك الليبيين.[2]

ومع ذلك فان الليبيين حافظوا على شخصيتهم، ونتبين هذا من خلال أسمائهم كشيشنق–نمرود–أوسركون وتكلوت. وكذلك وضع زعماؤهم الريشة على رؤوسهم وهي رمز الليبيين، واتخذوا لقب "الرئيس الكبير للمشواش"، وافتخروا بهذا اللقب وحرصوا عليه أكثر من الألقاب المصرية، على الرغم من أن بعض زعمائهم كانوا الشخصية الثانية بعد الفرعون، ونالوا لقب أمير الأمراء،[3] لكنهم فضلوا عليه لقب الرئيس العظيم للمشواش. ولهذه الأسباب، اختلفت نظرة المختصين في علم المصريات، للحكام الليبيين، إذ صعب على بعضهم، تشبيه حكم الليبيين باستعمار الهكسوس أو الكوشين أوا لآشوريين أو الفرس لمصر، لأن هؤلاء قد استخدموا القوة في الوصول إلى عرش مصر، وحكموا مصر لصالح أنظمة أجنبية، في حين انتقل الحكم من أيدي المصريين إلى زعماء المشواش في ظروف هادئة وبدون اغتصاب أو انقلاب. لقد انتظر "شيشنق الأول" وفاة آخر فراعنة الأسرة الحادية والعشرين، المدعو "بسوسنس الثاني" للجلوس على عرش مصر، بل الأكثر من ذلك، احترم المشاعر المصرية، وعمل بالتقليد المصري القديم، فزوج بكر أبنائه من الأميرة "ماعت كارع" الوريثة الشرعية للعرش. وبالتالي اكتسب الشرعية عن

---

1-G. Maspero, Histoire ancienne des peuples de l' orient classique et des premières mêlées, P.766.
(كان الشردن مرتزقة في الجيش المصري منذ عهد اخناتون. وكان عددهم ضعف عدد المرتزقة الليبين في جيش الفرعون رمسيس الثاني. )

2- سليم حسن، مصر القديمة، ج .8 ص.ص: 199 - .201

3- G. Maspero, op. cit, p 769.

طريق هذه الزيجة، ولقد عمل بها ملوك مصريون من قبل، ومنهم "سمندس" مؤسس الأسرة الحادية العشرين.

ولهذا لا يمكننا اعتبار حكم الليبيين لمصر استعمارا، لأنهم حكموا ولم يكن لهم ولاء لدولة أخرى غير مصر،على الرغم من حفاظهم على مميزات شخصيتهم الليبية.[1]

لقد حكم الليبيون مصر حوالي 945 ق م، لأزيد من قرنين من الزمن، أنشأوا خلالها الأسر الفرعونية الثانية والعشرين، الثالثة والعشرين والرابعة العشرين،هذه الأخيرة التي انهارت تحت ضربات الكوشيين حوالي 715 ق م.

وترجع أصول شيشنق الأول، أول الملوك الليبيين إلى أسرة قديمة استقرت بأهناسيا "هيراقليوبوليس" ويرجع عهد استيطانها في مصر إلى أواسط الأسرة العشرين، كما دلت على ذلك الوثائق.

وفي العادة يعتمد علماء المصريات، لمعرفة تسلسل ملوك الأسر الفرعونية، على مصدر موثوق للمؤرخ "مانيتون" المصري السالف الذكر، الذي عاش في عهد البطالمة. وهذا المصدر تؤكده معظم النصوص المدونة على الآثار، وكذلك كان الحال، في معرفة ملوك الأسر الليبية الثلاث. أما في البحث عن أصل هذه الأسر ولمعرفة سلسلة نسب أجداد مؤسس الأسرة الثانية والعشرين، فقد اعتمد المختصون ومنذ منتصف القرن التاسع عشر على لوحة للكاهن "حاربسون" أو " باس حوار" كما ورد في مراجع أخرى.

- لوحة حاربسون

تعد هذه اللوحة أهم وثيقة تحدثنا عن أصل ملوك الأسرة الثانية والعشرين، وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف "اللوفر" بباريس وتحمل رقم 278. عثر عليها عالم المصريات أوجست ماربيت Auguste Mariette عام 1851 في السرابيوم (مدافن العجل أبيس) بمنف التي أقامها "حورباسن" القائد الحربي والكاهن الأعظم للإلهة "نيت" الليبية، وترجع في تاريخها إلى السنة

1 - آلن جاردنر، المرجع السابق، ص356.

السابعة والثلاثين من حكم الفرعون شيشنق الخامس، أي نهايته الأسرة الثانية والعشرين.[1]

ويحدثنا "حورباسن" في لوحته هذه عن أجداده حتى الجيل السادس عشر من أسرته، وها هي الترجمة الكاملة للنص حسب سليم حسن.

-**الجيل السادس عشر**: ليته (أي الإله) يمنح الحياة والسعادة والصحة وفرح القلب لابنه المحبوب كاهن الآلهة " نيت" المسمى "حاربسون" (صاحب اللوحة) .

- **الجيل الخامس عشر**: إبن الأمير حاكم الجنوب ورئيس كهنة "أهناسيا المدينة" وقائد الجيش "حمبتاح"، الذي أنجبته كاهنة حتحور صاحبة "أهناسيا المدينة "أخته ربة البيت (التي تدعى) " أرنزو ".

-الجيل الرابع عشر: إبن مثيله (أي أن والده كان يحمل نفس الألقاب ويشغل نفس الوظائف مثل الابن) "حورباسن"، الذي أنجبته حاملة الصاجات التابعة للإله "حرشف" ملك الأرضين وحاكم الشاطئين واسمها "بتبتدس".

-**الجيل الثالث عشر**: إبن مثيله "حمبتاح" الذي أنجبته مثيلها (أي أنها مثيلة بتبندس في ألقابها) التي تدعى " تانقمت ".

-**الجيل الثاني عشرة**: إبن مثيله المسمى"وز- بتاح- عنخ" الذي أنجبته كاهنة "حتحور" صاحبة أهناسيا المدينة، بنت الملك السيدة "تنتسبح".

-**الجيل الحادي عشر**: إبن مثيله المسمى "نمروت" الذي أنجبته حاملة الصاجات الأولى للإله "حرشف" ملك الارضين وحاكم الشاطئين المسماة "تنتسبح ".

---

1 - Pierre Montet, Le drame d'Avaris: Essai sur la pénétration des sémites en Egypte. Paris: Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1941. p. 199. -

-الجيل العاشر: إبن رب الأرضين "أوسركون الثاني" الذي أنجبته "وازموت انخوس ".

-الجيل التاسع: إبن الملك "تاكلوت الأول" والأم الإلهية " كابس".

-الجيل الثامن: إبن الملك "أوسركون الأول " والأم الإلهية " تاشد خنسو".

-الجيل السابع:إبن الملك " شيشنق"الأول والأم الإلهية " كارع معت".

-الجيل السادس:إبن الكاهن والد الإله الرئيس العظيم:نمروت "والأم الإلهية "تنسبح".

-الجيل الخامس: إبن مثيله (في الألقاب) "شيشنق" وابن والدة الملك "محتنوسخت".

الجيل الرابع: إبن مثيله " يائوث".

الجيل الثالث: إبن مثيله " نبنشي".

الجيل الثاني: إبن مثيله "ماواساتا".

الجيل الأول: إبن اللوبي ( تحنو) المسمى " بويوواوا ".[1]

نلاحظ في هذه اللوحة أن "حورباسون" يبتدئ بذكر أربعة أشخاص، لا نعلم عنهم شيئا أكثر من أسمائهم، وهم بويوواوا، (وهو ليبي من قبيلة التحنو) ثم ابنه ماواساتا، ثم إبنه الآخرنبنشي وأخيرا بائوث.

ولم يذكر "حاربسون" ألقاب هؤلاء الأجداد الأربعة. كما لم يذكر أسماء زوجاتهم، كما هو في الحال الأسماء الأخرى، ولم يذكر العلاقات الأسرية، إلا عندما ذكر " شيشنق" وهو ابن " بائوث" في الجيل الخامس.

ولذلك يجمع المختصون في علم المصريات بأن التقليد عند المصري القديم (وحاربسون بعد مضي ستة عشر جيل أصبح مصري)، أنه يستعمل كلمة

---

1 - سليم حسن، مصر القديمة، ج9. نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبين لمصر حتى بداية العهد الاثيوبي ولمحة في تاريخ العبرانيين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، .1994ص.ص: 83 - 84.

"والد" و"إبن" بمعناها الواسع. ولذلك يعتقدون بأن الأجداد الأربعة الأوائل في قائمة "حاربسون"، أجداد ينتسبون إلى الماضي البعيد، هذا إن لم نعدهم شخصيات أسطورية؛ وأن هناك فاصلا زمنيا كبيرا بين الجد الرابع والشخصية التي تليه وهو "شيشنق"، فهذا الأخير شخصية حقيقية ورد ذكرها في وثائق عديدة .

**-أصل الأسرة من خلال وثائق أخرى**

لقد ذكر أجداد " شيشنق الأول" في وثيقتين أخريتين .

الأولى وهي لوحة نشرها الأثري دراسي – Daressy– سنة 1916، وتمثل اللوحة في أعلاها شخصية واقفة تتعبد للإله "أوزير" رب السماء، وتلقب هذه الشخصية الرئيس العظيم لقوم "مي" (أي المشواش) المرحوم.

وفي الجزء الأسفل نقرأ النص الثاني: "عمله الرئيس العظيم لقوم"مي" عظيم العظماء "شيشنق" المرحوم، إبن الرئيس العظيم لقوم "مي" المسمى "نمرود" المرحوم، وأمه هي بنت الرئيس العظيم لقوم "مي" وتسمى"تنتسبح" Tentsepeh المرحومة بجوار العائش للأبد[1] ( يقصد به الاله أوزير إله الموتى).
أما الوثيقة الثانية فهي صدرية عثر عليها في "تانيس" على مومياء الملك "حقاخبرع شيشنق" وقد نقش عليها نسب هذا الملك والنص هو كما يلي: "ليت آمون". [2]

والظاهر أن الشخصيين اللتين تم ذكرهما على اللوحة والصدرية، شخصية واحدة، ويعتقد "دارسي" أن اللوحة قد عملت قبل تولي شيشنق الأول العرش، لذلك ذكر على أنه الرئيس العظيم لقوم " مي" في حين نجد أن "مونتيه" يشك في أن يكون شيشنق المذكور هو نفسه شيشنق الملك، ويستند في ذلك بأن لا وجود لمصادر أخرى موثوق بها، يمكن أن نعلم منها ما إذا كان الملك شيشنق قد حمل لقب الرئيس العظيم لقوم " مي" قبل توليه العرش أم لا؟

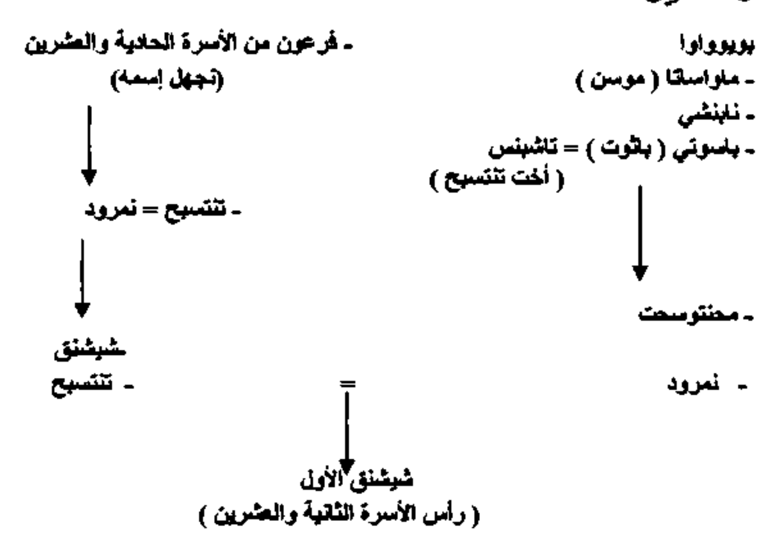
---

1– P. Montet, op. cit. P. 199.

2 - سليم حسن، المرجع السابق، ص 87 - 88 .

غير أنه، من جهة أخرى نعرف ان جد هذا الملك كان يسمى كذلك شيشنق، وأنه كان يحمل لقب الرئيس العظيم لقوم "مي" وعلى ذلك تكون هذه اللوحة قد أهديت للجد وليس للحفيد.

وعليه يفترض"مونتيه Montet"، التصور التالي لأصل الأسرة الثانية والعشرين.[1]




ويذكر "مونتيه" في هذا الصدد بأن "تاشينس" والدة "محتنوسخت" قد ورد إسمها في كتاب الملوك الأول، الفصل الحادي عشر، الآيتين 19و20، ومفادها أن الفرعون قد استقبل عدو سليمان "حدد" وزوجه بأخت زوجته الملكة "تاشبنس".

ويعتقد "مونتيه" أن هذا الفرعون يمكن أن يكون هو "سيامون" الفرعون ما قبل الأخير في الأسرة الحادية والعشرين،وأن "تاشبنس" هذه كانت زوجة للرئيس العظيم لقوم "مي" (المشواش)، وقد أنجبت منه "محتنوسخت". ولما تزوجت الفرعون أنجبت منه الأميرة "تنتسبح". واستدل "مونتيه" على ذلك بنص نقش على تمثال في متحف القاهرة يحمل رقم 741 للكاهن

---

1- P. Montet, op. cit. P.200.

"شدسونفرتوم". ولقد ذكر هذا الاخير بأن "محتنوسخت" ابنة تاشبنس من رئيس المشواش العظيم وأختها الأميرة الملكية.[1]
وإن كان هناك من يستبعد فرضية مونتيه هذه.

وفي هذا المقام يجدر بنا ذكر فرضية أخرى عن أصل الأسرة الثانية والعشرين، لقيت الكثير من المعارضة منذ صدورها، واستغنى عنها كل من كتب تاريخ هذه الأسرة، ذلك لأن صاحبها وهو"بروش" H.Brugcsh قد أخطأ في قراءة بعض الألقاب، مما حدا به إلى الاعتقاد بأن الأسرة الثانية والعشرين، أسرة سامية آشورية.

وتعتمد هذه الفرضية على أن رمسيس السادس عشر، وهو من أحفاد رمسيس الثالث عشر، أراد استرجاع عرشه الذي اغتصبه الكاهن حريحور وأحفاده، فلجأ إلى الزواج من أميرة آشورية، ثم استنجد بالأشوريين لاسترجاع حقه، فهب الملك الأشوري "شيشنق" وابنه الأمير"نمرود" الذي قاد جيشا جرارا، تمكن به من هزم المصريين، غير أنه توفي في مصر، وبما أنه توفي في مصر، وأن والدته كانت مصرية وهي ابنة رمسيس الرابع عشر (و تدعى " محتنوسخت") فقد دفن في مصر في أبيدوس، وحكم إبنه شيشنق في بوباسطة.

لقد بنى "بروش" فرضيته هذه على خطأ في قراءة اللقب Ser– aa– mat، فقرأه الأمير العظيم للشعوب الأجنبية، وهو لقب آشوري معروف اتخذه أكثر من ملك. في حين أن القراءة الصحيحة والتي أجمع علماء المصريات عليها هي الأمير العظيم "مي" (أي المشواش)، وهو لقب تكررت كتابته كثيرا بعد ذلك في الآثار.

والحقيقة أن "بروش" نفسه، يتعجب من أن الآثار المصرية لم تحتفظ بذكرى هذا الملك الأشوري العظيم في وادي النيل، وتكون بذلك قرينا يؤكد

1- P. Montet, op.cit. p. 198.

فرضيته، غير أنه يبرر غياب الآثار من هذا النوع، لأن المصريين قد حطموا كل شيء ارتبط بوجود هؤلاء الأشوريين.[1]

لقد لقيت هذه الفرضية معارضة كبيرة من طرف المتخصصين، وكان على رأسهم "ماسبيرو" الذي يبرر خطأ "بروش" بأنه لم يكن تقصيرا، وإنما لأنه اعتمد على نص مهشم، يستحيل قراءته، وأن المتخصصين قاموا بمقارنة هذا النص بنصوص أخرى فأجمعوا على قراءته Sar – aa – ma بدون T، وعليه ترجم اللقب إلى الزعيم العظيم للمشواش، والتي تختصر في أغلب الاحيان إلى "ما".

وبرجوع "ماسبيرو" إلى قائمة ملوك الأشوريين- وهي قائمة مضبوطة بدقة متناهية- لم يجد مكانا للملوك الذين ذكرهم "بروش". وبالتالي، انطلق ماسبيرو من اعتقاد مفاده أن "بروش" استعجل في الربط بين أسماء الملوك الليبيين مثل أوسركون الليبي وشروكين الاشوري، وكذلك بين تكلوت الليبي و" تجلات " الأشوري..[2]

هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن التاريخ المقارن لا يسند فرضية " بروش"، لأن الفترة الزمنية المفترضة لسير هذا الجيش الأشوري، وهي أواخر الأسرة الحادية والعشرين تتزامن وفترة قوة المملكة اليهودية في عهد كل من داوود وسليمان (عليهما السلام)، والمعروف أن كتاب الملوك والانجيل إن أغفلا هذه الحادثة فلانها لم تحدث أصلا.

وهناك وثيقة أخرى تتكلم عن أصل الأسرة الثانية والعشرين، ولم يولها المؤرخون اهتماما كبيرا، واعتمدوا كليا على لوحة "حاريسون"، اللهم إلا الباحث "ج. يويوت" الذي انفرد – على ما أعلم – بالتعليق على هذه اللوحة فقط.

---

1- H. Brugcsh –Bey, History of Egypt under the Pharaons, P.P: 193 – 198.

2- G. Maspéro «CARCHEMIS OPPIDI SITU ET HISTORIA ANTIQUISSIMA »,in Revue critique d'histoire et de littérature N° 6, Février, LUTETIALE PARISIORUM, Eug. Muntz: 1880, P.P: 113 – 114.

هذه اللوحة مؤرخة بالسنة السابعة، من الشهر الأول من شمو (إسم فصل) من عهد الفرعون الليبي تكلوت الثالث(الأسرة الثالثة والعشرين)، وصاحبها كاهن الإله خونسو المدعو "باشرنس" Pasherenese. وفيها سلسلة نسب أجداد هذا الكاهن الذين توالوا على هذا المنصب؛ وقد بلغ عددهم إثنا عشر كاهنا للإله خونسو بطيبة. ويعطينا صاحب اللوحة اسم أب وأم كل جد من أجداده. فنعلم مثلا أن أجداده الثلاثة الأوائل من ناحية أبيه كانوا يحملون أسماء ليبية وينتمون إلى المشواش ويلقبون بـ Rywhan أي البطل.

أما من ناحية والدته، فوالد جدها يحمل لقب نمرود رئيس المشواش العظيم (ويعتقد" يويوت" بأنه نفس والد الملك شيشنق الأول ) .

أما والدة جده (أي الكاهن باشرنس) فهي "تاشع خبر" Tashaa Keper، الزوجة الملكية للفرعون، "أوسركون بن ماحتنوسخت". واعتمادا على تسلسل هؤلاء الأجداد، فإن "يويوت" يفترض بأن يكون الملك "أوسركون بن ماحتنوسخت" هذا، قد عاش أربعة أجيال قبل الكاهن صاحب اللوحة.[1] في حين أننا نعلم من الوثائق السابق ذكرها - لوحة حاربسون، لوحة دارسي، والصدرية - بأن "محتنوسخت" هذه هي أم نمرود والد شيشنق الأول.

وفي لوحة حاربسون ورد إسمها مصحوبا بلقب " الأم الملكية"، ونحن نعلم أن نمرود لم يحكم أبدا. كذلك أعطيت لوحة حاربسون لكل من نمرود ووالده شيشنق لقب "والد الإله " Le père divin، وهذا اللقب لا يعطى عادة إلا للأشخاص الذين تولى أحد أبنائهم الحكم.

وإن كنا نعلم من خلال الوثائق السابقة أن نمرود يستحق هذا اللقب لأن إبنه شيشنق الأول حكم مصر وأسس الأسرة الثانية والعشرين، فإننا نجهل سبب تسمية شيشنق الجد بأب الإله؟ .

---

1- J. Yoyotte, « Osorkon fils de MéhyTouskhé » un pharaon oublié. Bulletin de la société Française d' Egyptologie, No 77 – 78. Dordogne, France: 1976-1977, P.P: 43-46.

وعليه، يفترض "يويوت" بأن شيشنق وزوجته "محتنوسخت" قد أنجبا بالإضافة إلى نمرود، ولدا آخر إسمه "أوسركون" وأصبح ملكا في أواخر الأسرة الحادية والعشرين. لذلك استحقت أمه "محتنوسخت" هي الأخرى لقب "الأم الملكية "كما جاء في لوحة حاربسون، التي تساءل بشأنها المتخصصون، وعن كنه هذا اللقب.

الحقيقة أن "يويوت" لم ينفرد بهذا التصور لأصل الأسرة الثانية والعشرين، إذ وضع المؤرخ "نيكولا جريمال" مخططا لأصل الأسرة، وجعل على رأس السلالة الجد شيشنق "الزعيم العظيم لقوم المشواش"، ثم يليه ولداه: نمرود زعيم "ما" و"أوسركون الكبير". كما يعتقد جريمال في وجود ملك إسمه أوسركون سبق الفرعون سيامون في حكم مصر ويتساءل عن العلاقة والعلة التي ترتبط بين الاثنين.[1]

إن شواهد الأحوال (الآثار) وتاريخ "مانيتون" يسندان هذه الفرضية، فقد ذكر مانيتون ملكا مرتبا، الخامس بين ملوك الأسرة الحادية والعشرين في تانيس واسمه "أوسوخور"، أما من ناحية الآثار، فقد ورد نص في الكرنك يحتفظ بلقب فرعون لم يذكر اسمه، أما لقبه فهو "عنخ خبر رع" وذكر بأنه حكم سنتين، وهو يوافق حكم الملك "أوسوخور"، وإن أعطاه "مانيتون" ست سنوات حكم. وحكم قبل الملكين الآخرين من الأسرة الحادية والعشرين.

استنادا إلى المصادر المصرية، يفترض يويوت بأن يكون أوسركون قد حكم ثلاثة وثلاثين سنة قبل مؤسس الأسرة الثانية والعشرين، ويقترح اسم "أوسركون القديم" "لكي لا نربك الترتيب المعتاد لأسماء ملوك الأسرة الثانية والعشرين"على حد تعبيره.[2]

وفي الأخير يمكننا أن نخلص إلى أن الفرضيات التي قدمها كل من بروش - على الرغم من القراءة الخاطئة- وكذلك فرضية "مونتيه"، الذي جعل

---

1 -N. Grimal, Histoire de L'Egypte ancienne .France: Librairie A. Fayard, 1988. p.p: 387 – 388.

2 -J. Yoyotte, op.cit., p. 49-

"تاشبنس" والدة "محتنوسخت" قد تزوجت فرعونا (حاكما) قبل أن تتزوج الرئيس العظيم للمشواش، والد محتنوسخت، بالإضافة إلى فرضية "يوبوت" هذه، فإننا لا نستبعد أن يكون أحد "الإقطاعيين" العسكريين الليبيين قد وصل إلى عرش مصر في أواخر الأسرة الحادية والعشرين. فالوثائق تشير في مجموعها بأن أفرادا من أسرة المشواش قد أخذوا ألقابا ملكية مثل " الأم الملكية" و"والد الإله" قبل وصول شيشنق الأول إلى عرش مصر. ولقد حصل في عهد الأسرة الحادية والعشرين، أن استوطن أحد الليبيين المدعو "بويوواوا" مدينة أهناسيا (هيراقليوبوليس)، ورزق ولدا يدعى "موسن" أو "ماواساتا" عين بعد ذلك في وظيفتي كاهن معبد أهناسيا وقائد حرس تلك المدينة. وبعد ذلك صارت الوظيفتان وراثيتين مقصورتين على أفراد هذه الأسرة، ثم رزق موسن هذا بحفيد يدعى شيشنق رئيس المشواش، وكان قويا وثريا، حتى أنه لما توفي ابنه المدعو "نمرود" دفن في "مقبرة العرابة" في احتفال عظيم، وأوقف له خيرات وحدائق وعبيد وخدم وقرابين يومية. وبعد ذلك اتضح له حصول تلاعب من الرؤساء الموكل إليهم تنفيذ هذه المهمات، فتوسط شيشنق لدى الفرعون– ويجمع المؤرخون بأنه آخر فراعنة الأسرة، الحادية والعشرين المدعو "بسوسنس الثاني"[1] - ليصدر أمرا من آمون– رع في طيبة، كما أسلفنا هذه القصة في حديثنا عن حكام تانيس.

لكننا نرى من الأهمية بمكان الإشارة إلى فقرة وردت في نص لوحة "أبيدوس"، فبعد أن رأينا كيف كان الفرعون يتقرب من شيشنق الزعيم العظيم للمشواش، وأرسل تمثالا هدية منه لتوضع في قبر نمرود، هناك فقرة أخيرة وكانت بمثابة الصلاة النهائية لهذا الفرعون للإله آمون: « ..وقد قبل جلالته الأرض أمامه، وقال جلالته (أي الفرعون ): إجعل "شيشنق" المنتصر يظفر – رئيس "مي" العظيم، ورئيس الرؤساء العظيم [...] وكل من أمامك وكل الجنود...[وقال له] " آمون رع " ملك الآلهة: [...] سأفعل[...] لك

1- G. Maspero, Histoire des peuples de l' orient classique p. 768. &

-سليم حسن، المرجع السابق، ص427.

وإنك ستبلغ سن الشيخوخة عائشا على الأرض، وسيكون وارثك على عرشك أبديا ..».[1]

إنني أعتقد بأن مضمون هذا النص، يوحي أو أنه كالإتفاق المبرم مسبقا بين هذا الفرعون بسوسنس الثاني والشخصية الثانية في ملكه والحاكم الفعلي في مملكته الزعيم العظيم للمشواش"شيشنق" ليحكم هو أو أحد أحفاده، بعد أن يبلغ هذا الفرعون سن الشيخوخة أو يلقى ربه.

ولقد استمرت الأسرة الحادية والعشرين في الضعف المطرد طيلة مدة حكمها البالغة حوالي مئة وخمسين سنة تقريبا، كانت أثناءها ذرية "بويوواوا" الليبي بمدينة أهناسيا تظهر وتعظم، فتمكن أحد أفرادها، وهو شيشنق – حفيد شيشنق السالف الذكر – من قيادة أسرته للجلوس على عرش الفراعنة حوالي 945 ق. م.

وبالتالي يتضح لنا أن الليبيين قد وصلوا إلى الحكم بالطرق السلمية، مائتي سنة بعد وفاة رمسيس الثالث، وأن شيشنق الأول لم يغتصب العرش بل انتظر وفاة الفرعون الشرعي، ليجلس على العرش، ويؤكد هذه الشرعية بزواج وريثه على الحكم الأمير أوسركون من الأميرة "ماعت كالرع" ابنه الفرعون بسوسنس الثاني آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين.

---

1 - سليم حسن، مصر القديمة، ج 8. ص763.

# الفصل الخامس

## الدولة الليبية الأمازيغية في مرحلة القوة

## 950-850 ق.م.

أ- الدولة الليبية

- غموض تاريخها، بداياتها ومراحلها

يعتبر التأريخ للفترة الانتقالية الثالثة من تاريخ مصر الفرعوني، من أصعب المراحل دراسة بسبب قلة المادة المدونة، وإن كان هذا النقص يعكس عموما، عدم استقرار الأحوال السياسية آنذاك، فإنما يضيف المختصون، إلى ذلك أن الانقطاع المفاجئ للوثائق التاريخية مع بداية الألف الأولى بالذات يرجع لأسباب متنوعة،أهمها الأسباب الإدارية، أو بمعنى آخر تمركز مؤسسات الدولة في شمال مصر فقط وبالتالي فإن رطوبة المناخ وطبيعة التربة لم تحافظ على صحة الآثار وخاصة البرديات منها.[1]

ومن هذا المنطلق، فإن التأريخ للدولة الليبية - الذي يمتد على فترة كبيرة من هذه المرحلة- يعتبر بالنسبة للمؤرخ مهمة صعبة، إذ أن تاريخها يشوبه الكثير من الغموض بسبب الغياب شبه النهائي لتاريخ الملوك الذين اختاروا إحدى مدن الشمال إما بوبسطة أو تانيس عاصمة لملكهم. ولهذا السبب يعتمد دارسو هذه المرحلة، على آثار الكرنك في طيبة بالدرجة الأولى، وإن كانت هذه الآثار تهتم بتاريخ كهنتها، أكثر من الملوك أنفسهم.

وبسبب هذا النقص أيضا في الوثائق، اختلف الدارسون حول رصد تاريخ واحد لبداية الدولة الليبية، فإذا كان فريق يفترض سنة 950 ق. م، فإن فريقا آخر يعطي تاريخ 945 ق.م.

أما إذا اعتمدنا على مصادر الأسرة السابقة للدولة الليبية، وهي الأسرة الحادية والعشرين، فلا نجد أمامنا سوى النصوص المدونة على لفائف الكتان المستخدمة في إعادة دفن موميات الفراعنة والكهان والتي تعتبر بمثابة المصدر الوحيد تقريبا حول هذه الأسرة. وحسب هذا المصدر، فإن هذه الأسرة تنتهي بتقدير حوالي 950 ق.م، وبالتالي يكون هذا التاريخ هو بداية الأسرة الثانية والعشرين الليبية .

---

1 -G. Husson & D.Valbelle, l'état et les institutions en Egypte: des premiers Pharaons aux empéreurs romains. Paris: Armand Colin, 1992. P. 162.

في حين لجأ فريق آخر من الباحثين إلى التاريخ المقارن وخاصة تاريخ الأمم التي كانت تربطها بمصر علاقات، ومن هؤلاء اليهود فقد حدثت مصاهرات بينهم وبين البيت الحاكم في مصر أثناء الأسرة الحادية والعشرين والثانية والعشرين على حد سواء.

ولقد سمحت بعض الأحداث المهمة تاريخيا عند اليهود أو تلك المؤرخة تأريخا يكاد يكون دقيقا في تأريخ أحداث مصرية، ومن ذلك اعتمادهم على كتاب الملوك في الإنجيل لتحديد سنة 950 ق.م كبداية لحكم شيشنق الأول مؤسس الدولة الليبية، ذلك لأن شيشنق دخل أورشليم عاصمة المملكة اليهودية غازيا، في السنة الخامسة من حكم رحبعام بن سليمان حوالي 930 ق.م، وهو التاريخ الذي يوافق السنة العشرين من حكم شيشنق الأول؛ بل إن حتى هذا التاريخ لم يلق اتفاقا عاما بين المختصين. فمن المؤرخين من يميل إلى سنة 945 ق.م ويعتقد أن وفاة الملك سليمان كانت في سنة 930 ق.م وبالتالي دخول شيشنق أورشليم كان حوالي 925 ق.م.[1]

إن الاختلاف في تحديد بداية معينة للدولة الليبية، لا يرجع أساسا إلى الاختلاف حول تاريخ وفاة سليمان فقط، وإنما لأن هناك من المؤرخين من يعتقد بأن شيشنق الاول قد اشترك مع آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين في السنوات الأخيرة من حكمه.[2]

غير أنني أستبعد هذا الافتراض، لأن علماء المصريات أجمعوا بأن انتقال الحكم من الأسرة الحادية والعشرين إلى الأسرة الثانية والعشرين، قد تم في ظروف عادية.

---

1 - J.Yoyotte, Pharaons, guerriers libyens, et grands prêtres. P. 66.

2 -G.Daressy, « Notes sur les 22-23-24 dynasties » recueil de travaux relatifs, n° 35, 1913, p. 144.

ولقد انتظر شيشنق الأول وفاة آخر ملوك الأسرة ليعلن نفسه ملكا؛ واحترم سلفه، فدفنه في تابوت من فضة خالصة مزينة بالذهب، كما صنع له قناعا يغطي الرأس والصدر كله بالذهب الخالص.[1]

والافتراض الأكثر تقبلا عندي هو أن الاختلاف في السنة 950 أو 945 ق.م، أن هذين التاريخين يمثل الأول منهما تاريخ إعلان شيشنق فرعونا في كل من مصر السفلى ومصر الوسطى. أما التاريخ الثاني فيمثل بسط نفوذ الفرعون الجديد على كامل تراب مصر. والسبب أن شيشنق الأول في بداية عهده لم يلق إقبالا وترحابا في كل أرجاء مصر. ففي طيبة لم يعترف به كهنة آمون ملكا فرعونا على مصر إلا في السنة الخامسة من حكمه، ونستدل على ذلك بما جاء في اللوحة التي تحمل رقم أربعة (04) وهي من ألواح مقياس النيل في الكرنك،مدون علها النص التالي: "في العام الثاني، الشهر الثالث "آخت" اليوم السابع عشر من عهد القائد العظيم للمشواش شيشنق...".[2]

وبالتالي فقد وصفه كهان آمون، بأنه القائد العظيم للمشواش الأجانب فقط، بدون ألقاب فرعونية.

ولهذا السبب ربما خرج شيشنق من عاصمته بوباسطة، وسار إلى طيبة على رأس جيش كبير في عام حكمه الرابع، فاستقبله الأهالي غير آبهين بكهنتهم المعارضين لحكمه. ولما وصل شيشنق إلى طيبة أبعد أحفاد حريحور، رأس سلالة تناوبت على كهانة أمون، ونصب ابنه الأمير أيوبوت Iwuput، كاهنا أكبر للإله آمون –رع. في طيبة، يذهب بعض المؤرخين إلى أنه ظهر على هذه اللوحة المخلدة للذكرى، وصف شيشنق بالفرعون محبوب أمون ومعها باقي الألقاب الفرعوني.[3] في حين يختلف معه آخرون ويرون بأن طيبة لم تعترف بشيشنق فرعونا إلا في عام حكمه الثالث عشر[4].

---

1 - J.Pirenne, histoire de la civilisation de l'Egypte ancienne. troisièmes cycle « de la 21dynastie aux Ptolémés, 1085 -30a.c » Suisse, Neuchâtel: édition de la baconnière.1963.p.33.
2-K.A.Kitchen , the third intermediate period of Egypte. Oxford:1972, P.288.
3-Klauser. Baer, the Libyan and Nubian kings of Egypt notes on the chronology of dynasties XXII- XXVI journal of near eastern studies.volume32.1932 p4.
4 -E.Drioton & J.Vandier, op cit, p 524.

غير أنني أتساءل كيف يتأخر اعتراف طيبة بشيشنق فرعونا لغاية السنة الثالثة عشر من حكمه، وابنه الأمير أيوبوت كاهنا أكبر بها، منذ السنة الخامسة من حكم أبيه؟

كان هذا في طيبة ومن جهة أخرى، هناك ما يشير إلى حدوث فوضى وشغب بل ثورة في واحة الداخلة، واعتمادا على نص مدون على لوحة توجد الآن بمتحف الأشمونين بأوكسفورد: "العام الخامس، الشهر الرابع من فصل الشتاء، اليوم السادس عشر من حكم الفرعون شيشنق محبوب أمون- ابن الأمير زعيم المشواش، رئيس الجند،كاهن حتحور... أمير الأرضين في الواحة، المدعو "وايهيست"، جاء إلى مدينة "سا-واحت" بعد أن أرسله الفرعون ليعيد الأمن في الواحة، بعد أن وجدها في حالة حرب وفوضى".[1]

ويعتقد "جاردنر" (مترجم نص هذه اللوحة) بأن النص واضح ويشير إلى حدوث فوضى ليس في واحة "الداخلة" فقط، بل في واحة "الخارجة" أيضا. ونستدل على ذلك من عبارة "الأرضين" التي عرفت في التاريخ الفرعوني باسم الواحة الكبيرة، وهي تعرف الأن باسم الواحة الجنوبية وتضم "الداخلة والخارجة" ولا استبعد حدوث بعض الفوضى والتمرد من طرف قادة هذا الفرعون، الذين تعودوا في فترة سابقة باعتبارهم مرتزقة، على تقديم الولاء والطاعة لمن يدفع أكثر، في حين أن شيشنق الأول وجد خزائن الأسرة الحادية والعشرين فارغة.

وعلى أساس ما تقدم، يمكننا أن نأخذ بتاريخ 950 ق.م كبداية للدولة الليبية في مصر، مع ظهور معارضة في أجزاء محدودة من مصر، أمكن القضاء عليها بسرعة – ويدوم حكمها لغاية 715 ق.م وهو تاريخ موثق في أكثر من أثر ومصدر.

ولقد أقام الليبيون أثناء هذه الفترة ثلاثة أسر وهي تلك التي تحمل ترتيب الثانية والعشرين،الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين عند مانيتون. وعنه

1-A. H. Gardner, " the Dakhleh stela" journal of Egyptian archeology. N° 19. 1933,p.p: 22-24.

أخذت الكتابات الكلاسيكية والمحدثة بعد ذلك، وهو الترتيب الذي اتفق عليه علماء المصريات بعد قراءة النصوص المدونة على الآثار مباشرة، مع اختلافات طفيفة في سنين حكمهم، خاصة بعد القرن الأول من عمر هذه الدولة، لما سادت الفوضى وتفشي ظاهرة اغتصاب الألقاب الملكية بين أمراء المشواش.

ويعتبر ترتيب "كتشن" أحدث وأدق هذه الترتيبات إذ اعتمد على الآثار المكتشفة حديثا.

**1) - الأسرة الثانية والعشرون: 945- 715 ق.م**

- شيشنق الأول من 945-924 ق.م.

- أوسركون الأول من 924-889 ق.م، ولقد اشترك معه في الحكم ولده شيشنق الثاني من 890 ق.م.

- تكلوت الأول من 889-874 ق.م.

-أوسركون الثاني 874-850 ق.م،ولقد اشترك معه في الحكم حارسيسي من 870إلى860 ق.م

- تلكوت الثاني 850-825 ق.م

- شيشنق الثالث 825-773 ق.م

- بماي 773-767 ق.م

- شيشنق الخمس 767-730 ق.م

- أوسركون الرابع 730-715 ق.م

ولقد تزامن حكم الملوك الأربعة الأخيرين مع ملوك الأسرة الثالثة والعشرين.

2- **الأسرة الثالثة والعشرين 818-715 ق.م**

- بدوباست 818-793 ق.م
- أيوبوت الأول 804-783 ق.م اشترك في الحكم مع والده
- **شيشنق الرابع 783-777 ق.م**
- أوسركون الثالث 777-749 ق.م
- تلكوت الثالث 754-734 ق.م اشترك في الحكم مع والده
- رود آمون 734-731 ق.م
- أيوبوت الثاني 731-720 ق.م
- شيشنق السادس 720-715 ق.م

و لقد تزامن حكم ملكها الأخيرين مع ملوك الأسرة الرابعة والعشرين.

3- **الأسرة الرابعة والعشرين 727-715 ق.م**

- تاف نخت الأول 727-720 ق.م
- باكنرنف ( بوخوريس عند الاغريق)720-715 ق.م.[1]

ومما يلاحظ في هذه الجداول هو تكرار الأسماء الليبية مثل شيشنق، أوسركون، تكلوت، أيوبوت، وأن الليبيين القدامى كانوا يطلقون اسم الجد على الابن البكر.

وإذا كان المؤرخون قد ساروا على هذا التقليد في تقسيم تاريخ الدولة الليبية إلى أسر ثلاث تزامنت في بعض مراحلها، فإن الكشوف الأخيرة التي قام بها الأثريون تميز بين عصرين ظاهرين وواضحين في حكم الدولة الليبية.

فنجد ما يمكن أن نسميه الدولة الليبية في مصر في عهد عظمتها منذ حكم شيشنق الأول ولغاية حكم أورسكون الثاني (رابع ملوك الأسرة 22)، حيث نعمت مصر ولمدة قرن، بالوحدة والاستقرار والازدهار، فكان الوجه القبلى (الصعيد) والوجه البحري (الدلتا) موحدين توحيدا قويا تحت صولجان فرعون واحد ثم نلحظ منذ حكم أوسركون الثاني بداية ظهور الفوضى في

1 - K.A. Kitchen, op. cit. P.P: 467-468, table n°3 & n°4.

هذه الدولة. فأخذ أمراء الدلتا الصغار، وقادة المشواش يغتصبون الألقاب والامتيازات الملكية، وقد ساهم هذا الأمر في إضعاف الحكومة المركزية مما أدى في نهاية الأمر إلى تأليف نوع من الإقطاع، فاعترف معظم الأمراء بالملك أوسركون الثاني، في بادئ الأمر فقط، ولما بدأت السلطة تفلت بين أيدي الفرعون في أواخر أيامه، انفصل كهان طيبة عن عاصمة الحكم ببوبسطة.

وعن عاصمة الأسرة الثانية والعشرين، فقد اختلف المؤرخون حولها، فإذا كان "مانيتون" يرجع أصل الأسرة إلى بوبسطة (الزقازيق حاليا، في شرق الدالتا) فإن هناك من يرى بأن أصلها، كما أشارت لوحة حاربسون السالفة الذكر، من مدينة هيراقليوبوليس (أهناسيا المدينة) على مداخل الفيوم، وأن الجد شيشنق كان أمير هذه المدينة، غير أن حفيده الفرعون شيشنق الأول تمكن من بسط نفوذه في أواخر عهد الأسرة الحادية والعشرين حتى مدينة بوبسطة.

ويستدل أصحاب هذا الرأي بقاعدة تمثال لشيشنق عثر عليها في بوبسطة كتب عليها "الرئيس العظيم لقوم" مي "شيشنق" أي أن شيشنق كان في بوبسطة وهو الرئيس العظيم للمشواش، قبل أن يحمل لقب الفرعون [1].

أما بعد سنة 1936 تاريخ الاكتشافات العظيمة لـ"مونتيه"Montet، والمتمثلة في المقابر الملكية في تانيس (عاصمة الأسرة21)، لكل من بسوسنسII، أوسركونII، تلكوت II شيشنقII، فقد افترض "مونتيه" بأن عاصمة الملك كانت في تانيس.[2]

لكنني اعتقد بأن العثور على مقابر بعض الملوك الليبين في تانيس لا يكفي للتأكيد بأن العاصمة كانت تانيس، ويكفي القول بأن تانيس ثارت ضد آخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين، وناصرت آخر ملوك الأسرة الثالثة والعشرين.

---

1- E. Drioton & J.Vandier, op. cit, p 523. & - J.Pirenne, op.cit, p 23.
2 -P. Montet, les constructions et le tombeau d'Osorkon II a Tanis. Bulletin de la société française d' égyptologie. Paris: 1947, p. 10.

كما أن كثرة وعظمة البناءات التي أقامها كل من أوسركون الأول والثاني في بوبسطة، تؤكد بأنها كانت عاصمة ملكهم ومحل إقامتهم، كما أشار إلى ذلك مانيتون. أما سبب اختيارهم لـ"تانيس" كمأوى لجثمانهم، فلأن تانيس كانت هي طيبة الشمال، أي العاصمة الدينية في الدالتا.[1]

كما أرجح أن كلا من أوسركون الثاني وولده تكلوت الثاني، فضلا الابتعاد عن طيبة وقد بدأ يظهر بها كهان ينافسونهم ويعملون للانفصال عنهم. في حين أن بسوسنس الثاني دفن في تانيس لأنها كانت عاصمة ملكهم وشيشنق الثاني هو حفيده، ابن الأميرة "ماعت كارع". وهذا الأمر يمنعنا من التأكيد بأن مدينة "تانيس" كانت مقرا ثان للملوك بوبسطة.

### ب- أسس دولة الليبيين في مصر:

لقد ارسى شيشنق أسس دولة قوية قامت على ثلاثة ركائز مهمة لم يجد مفرا منها نظرا للظروف التي أحاطت بتوليه الحكم والحالة التي آلت إليها مصر بعد حكم بيتين أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب استنزفا موارد البلاد وزادا من حدة الانقسام والاختلاف.

#### 1)- البحث عن الشرعية

لقد عرفت مصر في مرحلة الدولة الحديثة بناء جيش نظامي عظيم، وفتحت أبواب الترقية في المناصب أمام الأجانب، واحتفظت بالمناصب العليا للنوبيين والليبيين على الخصوص.

وقد برزت هذه الظاهرة بجلاء في أواخر الأسرة العشرين حيث ظهرت جاليات "المرتزقة" من الريبو والمشواش في الضفاف الغربية للدالتا. وبدخول مصر في مرحلة الضعف واللامركزية المعروفة باسم "المرحلة الانتقالية الثالثة" وخصوصا في أثناء حكم الأسرة الحادية والعشرين، غطى وفاق نشاط المرتزقة المشواش على الريبو الذين كان نشاطهم محدودا، ومحتشما نوعا ما.

---

1- سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 264.

[1] فظهرت على الساحة السياسية المصرية بعض الأسر المتميزة من المشواش[2]

وتدل شواهد الأحوال بان أسرة شيشنق مؤسس الدولة الليبية كان لها شأن خاص إذا ما قورنت بالأسر الليبية الأخرى، حيث كانت أقواها - وقد استوطنت في مقاطعة هيراقليوبوليس أهناسيا المدينة- وكان أبناؤها أصحاب نفوذ وسلطان منذ زمن بعيد، أي قبل وصول شيشنق إلى الحكم. وقد زاد نفوذها وتضاعف نشاط أعضائها خلال الأسرة الحادية والعشرين إلى حد أن وصل أحد أفرادها المدعو "أوسركون" إلى حكم مصر لفترة وجيزة بين حكم الفرعونيين امنموبت وسيآمون.[3]

لقد أشرنا فيما مضى إلى وجود علاقات نسب وزواج أحد رؤساء المشواش من أميرة من الرعامسة ( الملوك الشرعيون للأسرة 20) بل إن "آلغود El Good" يعتقد بأن شيشنق الأول هو حفيد أميرة من أسرة الرعامسة؛ وأنه استخدم هذا الامتياز في الوصول إلى مراتب رئيسية وقيادية في عهد الفرعون المصري بسوسنس الثاني، ونستدل على ذلك من نص مدون لحاكم مقاطعة بررعمسيس مفاده أنه: "ابن الملك لرعمسيس وقائد الجنود المشاة نمرود صادق القول، ووالدته بانوراشناس صادقة القول، ابنة الرئيس العظيم للمشواش نمرود."[4]

وبانوراشناش هذه، هي أخت شيشنق الأول، وبالتالي فهذا الأمير ينحدر من جهة والدته من إحدى فروع أسرة الرعامسة القديمة.

---

1- G. Husson & D. Volbelle, op. cit. P.P: 160-161.

2- لا بأس هنا أن نذكر بأن المشواش، هم آخر القبائل الليبية التي تعرف عليها قدماء المصريين. وقد حدث شبه إجماع بين المختصين بأنهم الماكسيون الذين ذكرهم هيرودوت وقال إنهم يسكنون غرب بحيرة تريتونيس ( شط الجريد بتونس) أما عالم المصريات، "برستد" فقال بأنهم أصل البربر الذين عمروا شمال إفريقيا. أنظر ج.هـ برستد، تاريخ مصر. ص 381.

3 - N. Grimal, op. cit. P. 377.

4 - P.G. EL Good, the later dynasties of Egypt. Oxford, England: imprimerie Basil Blackwell.1951. P.70.

لقد زاد شيشنق الأول في اللجوء إلى الشرعية، وسد الطريق أمام أي طامع من قادة الجند الليبين الأقوياء، فزوج ابنه وولي عهده أوسركون Osorkon من الوريثة الشرعية للأسرة الحادية والعشرين، الأميرة " ماعت كارع".

وبالتالي نلاحظ أن الركيزة الأساسية التي قامت عليها الأسرة الثانية والعشرين كانت تتمثل في البحث عن تأكيد الشرعية في حكم مصر ليس فقط في نظر المصريين بل أيضا في صفوف الليبيين الذين أصبحوا الدعامة الثانية التي قامت عليها أسس الدولة الليبية.

2) - النظام الإقطاعي

لم يجلس شيشنق على عرش الفراعنة، لأنه كان يمثل الشرعية عن طريق المصاهرة مع الأسر الحاكمة القديمة العشرين، ثم الحادية والعشرين على السواء، بل لأنه كان يمثل أيضا القوة الفعلية في البلاد أي القوة العسكرية المتكونة كليا من الليبيين.

ولقد وصل شيشنق إلى الحكم بمساندة قادته وبالمقابل اعترف لهم بالكثير من الصلاحيات، ومنها تعيينهم على رأس كل المدن المهمة بالإضافة إلى رئاسة معابدها، خاصة حينما كان يجد الخزائن الملكية فارغة، فكان يعوضهم بمقاطعات وراثية ترسخ توريث الألقاب والمتاع من الآباء إلى الأبناء.[1]

ففي أثناء الدولة الحديثة – التي تمثل قوة السلطة والمركزية في الحكم- كان الوزير وقادة الجيوش وحكام المقاطعات، يعينون من طرف الفرعون ولا يورثون وظائفهم لأولادهم إلا إذا أنعم الفرعون عليهم بذلك. غير أنه في عهد الدولة الليبية، تغيرت الأمور، فقد نصب شيشنق الأول، أمراء من البيت المالك الجديد (الليبي) وقادة عسكريين على رأس مقاطعات مصر؛ خاصة في الدلتا ومصر الوسطى، في حين أبقى على بعض الأسر المصرية النبيلة في مقاطعات الجنوب. كما منح لهم الألقاب مثل الوزارة، لكنها أصبحت مجردة

1 - P.G El Good, op.cit. p. 39. - & J.Yoyotte, op. cit. P.70.

من صلاحيتها القديمة حيث أصبحت شرفية فقط، واستحوذ أصحابه على الألقاب الدينية العليا في المقاطعات التي ينتمون إليها.[1]

ولقد ورث هؤلاء الميينون ألقابهم ومتاعهم لأبنائهم من بعدهم، ولم يظهر خطر هذا النظام في عهد الملوك الليبيين الأوائل الأقوياء.

ويعلق بيران "Pirenne" "بأن هبات الفرعون «أوسركون الأول» للمعابد كانت في معظمها أموال منقولة، عكس هبات الدولة الحديثة التي كانت في معظمها عقارات وأراضي. وكان السبب في ذلك هو أن العقارات قد تجزأت وتوزعت على قادة المشواش المساندين لحكمهم.[2]

لقد حاول شيشنق الأول الحفاظ على مركزية السلطة بقدر المستطاع، ولم يقدم على هذه الخطوة - منح الاقطاعات - إلا لأنه لم يجد بديلا لذلك. ويظهر من خلال سياسته أنه كان واعيا بالأمر، وقد حاول الحد من الضرر. فمقابل العقارات التي منحها لقادته ألغى اللقب الليبي الذي كان يحمله قبل وصوله إلى الحكم وهو"زعيم المشواش العظيم". وفي هذا التنازل عن لقب كان يفتخر به أيام الحكم المصري ويفضله عن لقب "أمير – حاتي عا" الذي منحه إياه آخر فراعنة الأسرة الحادية والعشرين يوحي لنا بأن شيشنق كان ربما متخوفا من قادة الجند، فقرر قطع الجسر الذي كان بينهم وهو اللقب المشترك، وحافظ على اللقب الذي لا يحمله إلا هو بين أقرانه من قادة المشواش، ألا وهو ممثل السلطة الشرعية "الفرعون". وبتدهور أمور الدولة في أواخر عهد أسركون الثاني وتولي خلفائه الضعفاء، رجع استخدام اللقب من جديد.

وهنا يعتقد بأن زعماء الليبين قد اغتصبوه،أو أن أوسركون الثاني نفسه قد منحه لبعض الأمراء في أخريات أيامه.[3]

---

1 - G.Husson & D. Volbelle, op. cit. P. 162.
2- J.Pirenne, op. cit. p. 35.
3- J.Pirènne, op.cit., p 24.

3)- الاستيلاء على طيبة

إذا كان الفرعون شيشنق الأول قد أرسى ثوابت الإقطاع من جهة، فقد سعى جاهدا على إبقاء النفوذ والسلطة مركزة بين أفراد عائلته من جهة أخرى. ولقد نجح هذا الملك العظيم في تحقيق الانسجام بين هذين المبدأين المتنافرين، نظرا لقوته وحنكته السياسية، لكن إلى حين فقط. لأنه في الحقيقة لم يرمي المركزية في حكم شطري مصر بل وفي توحيد مقاطعات مصر لأن عيوب هذه السياسة ستظهر بوصول ملوك أقل حكمة ودهاء منه إلى سدة الحكم.

ومعنى ذلك أن السيادة على طيبة تعني سيادة مصر، لذلك اتبع شيشنق الأول سياسة داخلية أراد بها أن يتفادى، ما حصل لمصر من ضعف وهوان أدى بانقسامها إلى مملكتين نتيجة تزايد نفوذ كهنة الاله "آمون- رع" أيام الأسرة الحادية والعشرين. لذلك عزم الفرعون شيشنق الأول على الاستيلاء على هذا المنصب العظيم من أحفاد حريحور (أسرة21) وعين فيه إبنه "أيوبوت" في العام الخامس من حكمه، كما أرسى أسسا تمنع توارث هذا المنصب في فرع واحد من الأسرة المالكة، بمعنى، أن خليفته وولي عهده لمايخلفه على العرش ويصبح الملك الجديد، يستوجب عليه تعيين ابنه من صلبه في منصب الكاهن الأول لآمون، ولا يبقي أبناء أخيه في منصب والدهم الكاهن الأكبر السابق، تفاديا لتمردهم واعلانهم بيت حاكم مواز.

ولقد نجح شيشنق الأول في تحقيق هدفه ومراده، أي عدم ظهور بيتين مالكين في مصر (أثناء العصر الذهبي لهذه الدولة)، وبالتالي فإن الدولة الليبية في مصر كما خطط لها الفرعون شيشنق، مؤسس الدولة، كانت تهدف إلى أن الحكومة في بوبسطة وفي طيبة تكون في يد أمير ابن الملك الحاكم.

لكن شواهد الأحوال تبين بأنه بتكريس مبدأ التوريث والإقطاع، فإن طيبة كانت تهتز كل مرة يفتح بها باب تعيين الكاهن الأكبر لآمون، فيظهر حزبان أو مترشحان هما ابن الملك الجديد، وكاهن آمون الأمير ابن الملك المتوفى.

ولمزيد من الحيطة وتوثيق الروابط التي تربط كهان آمون بالعاصمة بوبسطة، فقد ترك الفرعون شيشنق منصب الكاهن الثالث والرابع بين أيدي نبلاء طيبة، مع الحرص على ربط علاقات مصاهرة معهم.

ومن أمثلة ذلك أن شيشنق الأول زوج ابنته الوحيدة " تاشب- ان- بست" مع كاهن آمون الثالث وهو من عائلة عسكرية مرموقة توارثت المنصب لمدة خمسة أجيال.

في حين عين حليفا له وهو رئيس قبيلة "محسن Mahasun" المدعو نسي Nesy، في منصب كاهن آمون الرابع، وتوالى على المنصب ابنه ثم حفيده،[1] إلى أن جاء الملك أوسركون الذي قطع توارث المنصب في هذه العائلة التي عظم شأنها وزاد نفوذها وسلطتها، ليعين فيه صهر أخيه أيوبوت (كاهن آمون السابق).[2]

وأعتقد أن الملك الجديد أوسركون قد اتخذ هذا الإجراء لاستمالة هذا الصهر إلى جانب الكاهن الأول الجديد ابنه الأمير شيشنق.

أما عن مصر الوسطى - التي لعبت دورا خطيرا عبر كل مراحل تاريخ مصر الفرعونية ألا وهو ترجيح كفة ميزان القوة التي تساندها- فلقد تنبه شيشنق الفرعون "الحكيم" لهذه النقطة الحساسة والموقع الاستراتيجي الذي يلعبه هذا الجزء من مصر في إبقاء التوازن بين الشمال والجنوب.

فمن الأولويات لتي اعتمد عليها الفرعون شيشنق في ذلك هو عدم ترك كل السلطة جنوب "منف" "Menphis" بين أيدي حاكم واحد، حتى وإن كان هذا الرجل هو ابنه من صلبه، لذلك عين ابنه الأمير نمرود Nemrod على رأس مقاطعة هيراقليوبوليس، مسقط رأس الأسرة الليبية المالكة.كما منحه لقب رئيس الجيش كله وكاهن إلهها "حرشيف".

1 - K. A. Kitchen, op. cit. p. 289.

2- K.A. Kitchen, op. cit. p.308.

أما مقاطعة منف وهي المنطقة التي تفصل بين الدلتا ومصر الوسطى، وقد كانت عاصمة دينية قديمة، فقد عين فيها صهره المدعو "شدسونفرتوم .Shedsunefertum.

ومن المناصب الهامة التي أبقاها شيشنق الأول لأفراد عائلته والمقربين منه، منصب حاكم مقاطعة الواحة الكبيرة الحدودية التي كانت تضم الواحتين الداخلة والخارجة وهي منطقة عبور، ومحطة رئيسية بين مصر وليبيا.

ولقد أرسل لها الفرعون الجديد في العام الخامس من حكمه، المدعو "وايهست Wayheset" ابن زعيم المشواش وقد اعتقد بعض الباحثين والمختصين أنه ابن رابع للملك شيشنق[1]، لكن الآثار لم تؤكد هذا الاعتقاد.[2]

لذلك نرجح أن وايهست هذا هو ابن زعيم من زعماء المشواش المقربين من شيشنق، وأن هذا اللقب قد بقي متداولا لغاية السنة الخامسة من حكم الملك الجديد؛ وهي السنة نفسها التي أرسل فيها "وايهست" للواحة لإخماد ثورة، ربما كانت تمردا قام بها قادة من زعماء المشواش، نظرا لبعد الواحة عن عاصمة الملك وقد تمكن مبعوث الملك الجديد من القضاء عليها، وبالتالي فالسنة الخامسة من حكم شيشنق الأول كانت سنة حامسة وفاصلة من حكمه.

وبالإضافة إلى المناطق الإستراتيجية المذكورة، يمكن ذكر "مقاطعة بررعمسيس[3] التي عين فيها ابن أخته "بانوراشناس" المدعو نمرود. وهناك من يعتقد، أن هذا الأمير هو حفيد الملك شيشنق الأول وابن ابنته الوحيدة، لكنني أستبعد هذا الأمر لأن إسم والدة هذا الأمير معروف وهو

---

1- أبناء شيشنق هم: أوسركون (ولي العهد) أيوبوت (كاهن آمون الأول) ونمرود حاكم المقاطعة هيرافليوبوليس (مسقط رأس الأسرة) والأميرة " تاشب- ن- بست" زوجة كاهن آمون الثالث.

2 - A. Gardner, the Dakhleb stela. p 21.

3- بررعمسيس: بيت رعمسيس، والمقصود هنا هو رعمسيس الثاني، ذكر في سفر الخروج أن الإسرائيليين أجبروا على صنع آجر المدينة. وموقعها في شرق الدلتا يختلف عن موقعها بين " تانيس" ولا تفصلها إلا 12 ميلا.)

انظر: جورج بوزنر، معجم الحضارة المصرية القديمة.تر: أمين سلامة. القاهرة:الهيئة المصرية االعامة للكتاب،سلسلة مكتبة الأسرة، 2001. ص 173.

"بانوراشناس". أما ابنة شيشنق الأول فهي " تاشب-ن-يست" ولا يدل ذلك على الصلة بالملك؛ أما كونه يحمل لقب "ابن الملك لبررعمسيس" فهو مجرد لقب ولقد صادفنا مثل هذا اللقب في أواخر الأسرة العشرين" مثل ابن الملك لكوش". ونعتقد أن هذا التعيين في هذه المدينة التي كانت مقربة ولها مكانة خاصة في قلوب الرعاسمة،أجداد نمرود من جهة والدته، وكذلك لأن هذه المدينة تحتل مكان استراتيجي في الدلتا الشرقية، والطرق الرابطة بين مصر وفلسطين.

كما نتبين من خلال سلك التعيينات هذا، أن الريبو من الليبيين كانوا مسالمين في بداية عهد الدولة الليبية في مصرالتي أقامها أبناء عمومتهم من المشواش، ولأنهم ساندوا الفرعون الجديد، فقام بتعيين زعيم منهم يدعى "نيو-ما-تين Niw Ma.tepen على الحدود الغربية للدلتا[1]، وطرق مواصلاته البرية مع الواحات، حيث استقرت القبائل الليبية من أصل الريبو.

ولقد بقي الوضع على هذه الحال إلى غاية نهاية الدولة الليبية.والدليل على ذلك هو الأثر الذي يرجع في تاريخه إلى عهد الفرعون شيشنق الرابع (وهو آخر فراعنة الأسرة 22)، يبين لنا الاهتمام الشديد الذي أولاه الفراعنة ذوي الأصل الليبي للواحات الليبية، وهي الطريق إلى الوطن الأم " ليبيا".

ويعرف هذا الأثر باسم "لوحة واشاتهاتا"، التي وجدت في منطقة غربي الدلتا، وقد كان صاحبها على ما يبدو هو "واشاتهاتا" الليبي، الذي كان يتولى وظيفة مراقب على طرق المواصلات بين غربي الدلتا والواحات الليبية. وقد كان رئيسه المباشر المدعو "حاتيحنكار" ذي الأصل الليبي أيضا هو الحاكم على جزء من الدلتا الغربية والواحات الليبية.[2] وهذا دليل على استمرار النظام الذي وضعه شيشنق الأول، والمتمثل في تكريس الإقطاع والتوريث في كل أرجاء مصر باستثناء مدينة "طيبة".

---

1 -K. A. Kitchen, op. Cit. p. 291.

2 - J. H.Breasted, op.cit. para: 782-784.

وبالإضافة إلى هؤلاء، فقد عين شيشنق الأول نبلاء من أصل مصري على مقاطعات أخرى، ويكاد يجمع المختصون بأن اعتلاء المشواش عرش مصر، لم يشعر المصريين أبدا بأنه استعمار، كما لم يعامِل الليبيون المشواش الشعب المصري معاملة تختلف عن معاملة الليبين أنفسهم.[1]

ج) - شيشنق وخلفاؤه: (السياسة الداخلية)

لقد أرسى الفرعون شيشنق الأول "عظيم عظماء المشواش" اللبنة الأولى لدولة الليبين في مصر حوالي 950 ق.م، وكان بذلك رأس الأسرة الثانية والعشرين.

وقد أعطى مانيتون" لهذه الأسرة مدة حكم تناهز مائة وعشرين سنة فقط، لكن وعلى ضوء الاكتشافات الأثرية الجديدة، يجد المؤرخ نفسه مضطرا أن يسجل لها قرنين كاملين وهو التاريخ الأقرب إلى الصواب.. ولم يلف الغموض فترة واحدة من فترات الدولة الليبية، بل كان الغموض السمة العامة لتاريخ الحكم الليبي لمصر. وبناء على ذلك يتحتم علينا أن نكتفي هنا باختيار وصف أبرز الشخصيات الليبية والأحداث الهامة في تاريخ حكمهم، بالقدر الذي تسمح به الوثائق المتوفرة.

إن تتابع ملوك هذه الأسرة أكيد، والخطأ في عدة سنوات حكمهم كما أعطاها مانيتون- وخاصة الملوك الأربعة الأوائل- قليل وغير ذي قيمة تذكر، في حين أن التأريخات للنصف الثاني من عهد الأسرة يشوبه غموض بسبب مشاركة الأمراء في الحكم قبل الانفراد به، أو ادعاء كهان آمون الحكم في نفس وقت وجود حاكم في بوبسطة.

وبالتالي فإن الغموض في التأريخ لهذا الجزء من عهد الأسرة، حدث بسبب تناقض السياستين اللتين حاول الفرعونان العظيمان، شيشنق الأول وابنه أوسركون الأول، التوفيق بينهما.

---

1- G.Husson & D. Volbelle, l'Etat et les institutions en Egypte. p. 169.

وكانت السياسة الأولى المتبعة من طرف شيشنق الأول، تهدف إلى تجميع وتركيز السلطان والنفوذ بين أيدي أبنائه ثم أحفاده، بينما كانت السياسة الثانية - وهي التي تغلبت في نهاية المطاف– متمثلة في توارث المهن نتيجة الحكم الإقطاعي، فظهرت المتاعب داخل الأسرة المالكة نفسها من أجل الاستيلاء على منصب كاهن آمون الأكبر.

ومما يلاحظ في هذا الشأن، أنه منذ عهد رابع ملوك الأسرة وهو أوسركون الثاني قد أخذت السلطة في البلاد تنقسم إلى قسمين، وهو ما سوف نتناوله بالتفصيل لاحقا...

**1-شيشنق الأول**

يعرف مؤسس الدولة الليبية في مصر باسم شيشنق الأول، ذلك أن الدولة عرفت طوال فترة حكمها ستة ملوك يحملون نفس الإسم: شيشنق. وأربعة ملوك آخرين يحملون إسم أوسركون وثلاثة يحملون إسم تكلوت.

لقد حكم شيشنق الأول واحدا وعشرين سنة كما ورد عند "مانيتون"، وهو ما تؤكده أيضا بعض الآثار التي تقول بأن آخر سنة حكم له كما هو مدون، هي الحادية والعشرين.[1] غير أن "مونتيه"و خلافا لذلك، يفترض مدة أكبر وهي أربع وعشرين سنة.[2]

وأعتقد أن الاختلاف في تحديد فترة الحكم، يرجع أساسا إلى عدم الاتفاق حول سنة جلوس شيشنق على عرش مصر سنة 950.ق.م أم سنة 945ق.م، كما أسلفنا سابقا.

وبمجرد جلوس الفرعون الجديد عل عرش مصر، حصر هذا الشرف الرفيع في أفراد أسرته، وقد توصل إلى ذلك بمصاهرة البيت الحاكم السابق.

ويجمع علماء المصريات بأن الفرعون شيشنق الأول، كان حاكما قويا شجاعا نهض بمصر، وعزم على استرجاع مكانتها وتاريخها المجيد. ولما كانت حالة

---

1 - B. Klauser, the Libyan and Nubian kings of Egypt. p 6.
2 - P. Montet, les constructions d' Osorkon II. p 10.

البلاد الاقتصادية سيئة، كان مجهود هذا الملك كما شبهه برستد "أشبه بمن يبني عمارة عظيمة على أنقاض عتيقة."[1]

كما نضيف إلى هذا الأمر،أن القطر المصري كله كان تحت نفوذ قادة المشواش الليبيين، وهو الأمر الذي حسن الحالة نوعا ما، لأن هؤلاء كانوا يهابون شيشنق، ويعرفون أصله وكيفية وصوله إلى الحكم.

وتبعا لهذه الظروف التي اتسمت بها البلاد، فقد انتهج شيشنق في حكم البلاد سياستين متنافرتين، تحرص الأولى على تكريس المركزية وتجميع السلطة بين أفراد أسرته- كما أسلفنا سابقا- حيث قام بتعيين أبنائه وأصهاره في المناصب الرئيسية والحساسة.

أما السياسة الثانية– وهي الإقطاع- فقد كانت ضرورية ن لإرضاء مناصريه من القادة العسكريين، حيث قام بتعيينهم حكاما على المقاطعات وربما حاول بعضهم التمرد وإثارة المشاكل في السنوات الأولى من حكمه، مثلما حدث في طيبة والواحة الكبرى.

ومن المصادر الأثرية التي تشير إلى حصول فوضى امتدت إلى مسقط رأس الأسرة الحاكمة – هيراقنيوليس- لوحة تعرف باسم "لوحة الضرائب" لهذه المقاطعة.

تشير نصوص هذه اللوحة، بأن هيراقلنيوس" كانت في فوضى واضطراب. فلما عين الفرعون شيشنق الأول ابنه "نمرود" حاكما عليها وجد أن معبد إله المدينة "حرشيف" قد جرد من الثيران اللازمة للأضاحي. لذلك تقدم الأمير نمرود، وطلب من والده إجراء بعض الإصلاحات في المدينة، وتخصيص جزء من ضرائب المقاطعة لتوفير الأضاحي اللازمة، مع مساهمة الأمير بستين (60) ثورا من ماله الخاص.[2]

---

1- ج.هـ برستد. تاريخ مصر، تر. حسن كمال. ص 430.

2- آلن جاردنر، مصر الفراعنة.. ص 359.

لقد دلت شواهد الأحوال بأن حلم الفرعون شيشنق الأول، كان حكم مصر واحدة موحدة، غنية مزدهرة، لكنه وجد الاقتصاد المصري شبه منهار، نتيجة تحول تجارة العالم القديم آنذاك إلى محطات وموانئ جديدة، كان يسيطر عليها "الملك سليمان". لذلك وجه الفرعون شيشنق الأول أنظاره إلى الخارج، صوب مستعمرات مصر القديمة، وقرر إعادة السلطة المصرية عليها. ومن ذلك الحصول على جزيتها وفوائد تجارتها. وتظهر لنا حكمة هذا الملك العظيم بأنه،على الرغم من الضائقة المالية التي كانت تشهدها مصر في بداية عهده إلا أنه قرر ألا يغامر ويستعجل خروج جيوشه صوب سوريا وهو يعلم مدى قوة سليمان ملك فلسطين، لذلك أجل حملته على فلسطين لغاية وفاة ملكها " سليمان".

ولقد انعكست نتائج هذه الحملة إيجابا على مصر حيث انتعش اقتصادها وعرفت الدولة الليبية رخاء عظيما،. سوف نتعرض لموضوع السياسة الخارجية لاحقا..

## 2- أوسركون الأول

بعد وفاة الملك شيشنق الأول، تولى الحكم ولده "أوسركون Osorkon" زوج الأميرة "المصرية ماعت-كارع" التي "تجري في عروقها الدماء المقدسة للفراعنة"، وهي حسب التقليد المصري تنقل هذا الحق لزوجها. والأمثلة عن ذلك كثيرة في التاريخ الفرعوني،حيث قام أصحابها باعتلاء عرش الفراعنة باللجوء إلى الزواج من الأميرة الشرعية، بل كان يتوجب على الأمير ابن الفرعون المصري من زوجة ثانوية، الزواج بأخته الأميرة ابنة الزوجة الملكية أخت الفرعون لتنقل له الشرعية في حكم مصر الفراعنة.

وبالتالي فإن اعتلاء "أوسركون الأول" عرش الفراعنة، كان مطابقا للتقاليد والعادات والقوانين المصرية القديمة.

ولقد أعطى"مانيتون" الفرعون أوسركون الأول فترة حكم تساوي خمسة عشر(15) سنة، [1] غير أن هناك من يعتقد بأن هناك لوحة من عهده مؤرخة بالعام السادس والثلاثين وهو ما يجمع عليه علماء المصريات. فقد قدم لنا الباحث "كتشن" في الجداول السابقة مدة خمسة وثلاثين سنة.[2]

إلا أن الأثرى "دارسي" أبدى الشك في أن يكون هذا الملك قد حكم هذه الفترة كلها بمفرده، لذلك يفترض أنه أشرك ابنه تكلوت Takelot معه في الحكم ابتداء من السنة الثانية عشر.[3]

ولقد ورث أوسركون الأول عن والده مملكة غنية واسعة الثروة، لدرجة أنه تبرع لمعابد مصر في السنوات الأربعة الأولى من حكمه بهبات معتبرة، ومبالغ هذه الهبات مدونة على معبد "آتوم Atum" في العاصمة بوبسطة وهي مليونان دبنا من الفضة ومليونان وثلاثة مائة دبنا من الفضة والذهب.[4]

لقد فاقت مبالغ هذه الهبات حد الخيال، لذلك حاول المختصون تفسير مثل هذا الإسراف بأن أوسركون الأول بعطائه السخي هذا، ربما أراد استمالة معابد مصر إلى صفه. غير أن شواهد الأحوال تجمع بأنه كان عظيما مثل والده، وأنه ورث مملكة أوضاعها الداخلية مستقرة، وبالتالي فهو لم يكن في حاجة إلى مثل هذا السخاء لتأكيد سلطته، لذلك أرجح الفرضية الثانية، وهي أن أوسركون الأول ربما اغتنم فرصة تقديم هبات للمعابد لإحصاء ورصد ممتلكات هذه المعابد لغاية ذلك التاريخ فوجدها سبعة وعشرين ألف كغ من الذهب و180 ألف كغ من الفضة.[5]

(وهي الكميات الموازية للكميات بالدبن وهي وحدة ميزان عند قدماء المصريين، فالدبن تساوي 91 غراما)

---

1- B. Klauser, op. Cit. P.7.

2- K.A.Kitchen, op. Cit. P.467.

3 - سليم حسن، مصر القديمة، ج 9، ص 177 ثم ص 194.

4- K.A.Kitchen, the third intermediate period of Egypt. P.303.

5- J.Prenne, op. Cit. p.p: 35-36.

لقد اتبع أوسركون الأول سياسة والده اتجاه كهانة آمون في طيبة، ونفذ توصيات والده، فعين ابنه الأمير شيشنق على رأس هذا الجهاز. ولقد ظهر هذا الأمير – وجده من أمه هو الفرعون المصري بسوسنس الثاني- بمظهر الأبهة والجلال، واتخذ لنفسه ألقابا ملكية إلى جانب لقبه الديني، غير أن هناك فريقا من المختصين، يعتقد أن شيشنق اشترك في الحكم مع والده أوسركون، وكان يحكم من طيبة ثم ترك المنصب الديني لولده "حور-سا-إيزيس" (الاله حورس بن الإلهة إيزيس) ويختصر "حارسيسي"، وقد حكم بمفرده مدة قصيرة بعد والده.[1]

أما الفريق الثاني فيعتقد بأن شيشنق توفي وأبوه أوسركون الأول على قيد الحياة، لذلك عين ابنه الثاني " تكلوت" ليخلفه على عرش مصر.[2]

لقد أثار شيشنق بهذا الأمر مشكلا كبيرا لدى علماء المصريات، واختلفوا حول ترتيبه.

والسبب في هذا الاختلاف يكمن في حكم الأمير شيشنق بن الفرعون أوسركون، فإذا كان قد حكم فعلا، فسوف يحمل رقم إثنين، بعد الفرعون شيشنق الأول مؤسس الأسرة. أما إذا لم يتول مهام الحكم وكان كاهنا فقط- وهذا ما لم يتفق حوله علماء المصريات – فيسقط عنه الترتيب الثاني لملك حكم فعلا.

فعالم المصريات "برستد"، يفترض أن شيشنق لم يحكم أبدا بمفرده،بل شارك اسميا فقط، وأنه توفي قبل والده ولم يخلفه أبدا، ثم توفي أبوه بعده حسرة عليه وفي نفس السنة.[3]

وكذلك كان رأى "كتشن" الذي يرى بأن أوسركون الأول قد أشرك ولده شيشنق وهيأه لخلافته، لأنه كان بكر أولاده (وجده لأمه هوالفرعون

---

1 - سليم حسن، المرجع السابق، ص 199.

2 -N.Grimal , op. cit. p. 391.

3 - J.H.Breasted, ancient records of Egypt, part. IV. p 772.

بسوسنس) وكان يبلغ من العمر يومئذ خمسين سنة، لكن الحظ لم يسعفه فتوفي قبل والده.[1]

أما "جوتيه" فرأيه أن "أوسركون" لم يشرك شيشنق في الحكم. ويستند في ذلك إلى آثار مؤرخة بالسنة الثانية والعشرين من حكم أوسركون بمفرده، ثم قام بإشراك "تكلوت" في السنة الرابعة والعشرين. وعليه يفترض"جوتيه" بأن شيشنق لم يشترك في الحكم وأنه توفي في السنة الثالثة والعشرين من حكم والده، ويجب شطبه من قائمة ملوك الأسرة.[2]

واعتقد أن هذا الاختلاف بين المتخصصين، يكمن في أن هذا الأمير كاهن "آمون–رع"، وكان جده من أمه آخر فراعنة مصر للأسرة الحادية والعشرين، كان يرى في نفسه الوريث الشرعي لعرش الفراعنة لذلك اتخذ ألقابا ملكية، بل هناك من يرى أنه كتب اسمه في خرطوش (طغراء) وهو الإطار الخاص لكتابة اسم الفرعون فقط. وربما كانت هذه بداية أزمة الحكم التي سوف سنتعرض لها لاحقا، لأن الأمير شيشنق قد ورث منصبه الديني لابنه "حارسيسي"، وبذلك لم يحترم الأسس التي أقرها مؤسس الدولة شيشنق الأول.

### 3- تكلوت الأول

يجد المؤرخون صعوبة في التمييز بين تكلوت هذا، ثالث ملوك الأسرة الثانية والعشرين، وآخر يحمل نفس الاسم. وأحدث تاريخ عرف حتى الآن لهذا الفرعون على الآثار هو السنة السابعة من حكمه.[3] في حين يعتقد بأن تكلوت الأول حكم خمسة عشر سنة؛[4] وأفترض أن هذه المدة هي مجموع سنوات حكمه منفردا ثم أضاف إليها الفترة التي اشترك فيها في الحكم مع والده.

---

1 - K..A.Kitchen, op. cit. p 310.

2 - H. Gauthier: « les rois Chechanq » in Bulletin de l'institut français d'archéologie orientale. Tome XI Le Caire: imprimerie IFAO, 1914. PP 203-204.

3 - P. G. EL Good, Op. cit. P 47. - &- B. Klauser, op.cit. p 7.

4 - K.A. Kitchen, Op. cit. p 310.

وتكلوت الأول هو إبن أوسركون من زوجة ليبية ويبدو أن شخصية هذا الفرعون باهتة، إذ لم يترك بصمات أو آثار تذكر، فلا يكاد التاريخ يذكر له(أوعنه) شيئا.

4- أوسركون الثاني

وكان آخر الملوك الأقوياء في الأسرة الثانية والعشرين مثل سلفيه أسركون الأول وشيشنق الأول. ويشهد التاريخ أن حكمته السياسية قد مكنته من حكم فترة تناهز الثلاثة عقود، فهي من 879- 851 ق.م، وكانت فترة حرجة، كادت مصر أثناءها أن ترجع إلى سابق عهدها من الانقسام والتشتت..

ونستدل من شواهد الأحوال. أن فترة حكم هذا الفرعون، قد شابها نوع من الاضطراب. فلدينا أثر، هو عبارة عن تمثال له راكع وبيده لوحة – ولقد وجد هذا التمثال بمعبد آمون في تانيس– وقد نقش على اللوحة صلوات يتقدم بها أوسركون الثاني أمام معبوده آمون، غير أن الأهداف التي يصلي من أجلها كانت أهداف سياسية عظيمة.

ونظرا للأهمية القصوى التي يكتسها هذا الدعاء من الوجهة السياسية، إليكم هذه الفقرة التي يقول فيها: "ليت نسلي – البذر الذي خرج من أعضائي يحكم... ( فراغ) العظيم... التابعين لمصر الأمراء الوارثون، الكهنة العظام لآمون ملك الآلهة والرؤساء العظام لقوم "مي" المشواش... واللوبيون "كهك" وكهنة الإله حرشف، ملك الوجه القبلي والوجه البحري... وقد استمال قلوبهم نحو "ابن– رع مري آمون" ابن باست" أوسركون لينه يضعهم... وإنك ستثبت أولادي في الوظائف التي أعطيتها إياهم ولا تدع الأخ ينتهج على أخيه..."[1]

1 - Breasted, op. cit. para 745-747. &- K.A. KITCHEN, The Third intermediate period of Egypt. P. 317.

من هذا النص الخطير، يمكن أن نتبين ظروف مصر أثناء حكم أوسركون الثاني، والمناسبة التي كتب فيها هذا النص هو احتفاله بعيد السد[1] في السنة الثانية والعشرين من حكمه.كما يبين لنا هذا لنص بأنه كان يحكم بمفرده.

لما وصل أوسركون الثاني إلى الحكم، وجد على رأس كهانة آمون عمه "أيولوت"

ثم تلاه في المنصب عمه الثاني "سمندس الثالث"[2]، ولم يشأ أوسركون الثاني أن ينصب أحد أبنائه في هذا المنصب–كما يقتضي التقليد الذي وضعه مؤسس الأسرة الثانية والعشرين - أو ربما لم يكن ليستطيع أن يفعل ذلك.

وفي ظروف نجهلها تولى هذا المنصب الخطير، كاهن آمون الأول "حارسيسي بن شيشنق" حفيد الفرعون المصري بسوسنس الثاني– وكان يدعي أنه أحق بحكم مصر وأنه الملك، فاستولى على كل شارات الملك وظهر كملك في طيبة، بل يعتقد أنه نصب نفسه بنفسه ملكا منذ العام الرابع من حكم أوسركون الثاني [3].

وعلى ضوء هذا نفهم النص السابق الذكر، ويمكننا أن نتصور بأن مصر عند تولي الفرعون أوسركون الثاني كانت مقسمة بالشكل التالي:

- **طيبة**: وكان عليها الكاهن "حارسيسي" الذي طالب بها ضمن ملكه، وكان يسيطر على الأراضي الممتدة من الشلال الأول في النوبة، إلى هيراقنيوليس في مصر الوسطى على أقل تقدير.
- **هيراقنيوليس**: (أهناسيا المدينة)، وكان على رأسها أمير وهو في نفس الوقت كاهن الالهة "حرشف". يسيطر على الأراضي من مصر الوسطى إلى الدلتا.
- **أما الدلتا**: لقد كانت مقسمة تقسيما إقطاعيا بين أمراء المشواش وقادة الجنود المأجورين، وكانوا دوما على استعداد لإثارة الفتن، إذ وجدوا أنفسهم

---

1- عيد السد، هو عيد يحتفل به الفرعون بعد ثلاثين سنة حكم، كرمز لاستعادة لشباب ومواصلة الحكم.

2 - B. Klauser, op. cit. P. 14.

3 - N. Grimal, op. cit , p. 392.

يمتلكون القوة الكافية أو شعروا بضعف الخصم. وبالإضافة إلى هذا الانقسام، كان أفراد الأسرة الحاكمة نفسها منشقين بعضهم على بعض ومتنافسين وهذا ما نفهمه من النص التالي "إنك ستثبت أولادي في الوظائف ولا تدع الأخ يبتهج على أخيه..".

ولكن، ونظرا لقوة شخصية أوسركون الثاني، كانوا كلهم مسؤولين أمامه في بوبسطة، غير أن الموقف هذا كان بمثابة القنبلة الموقوتة تنتظر الفتيل لانفجارها...

إن أخطر الخصوم جميعهم، كان حارسيسي في طيبة وقد جمع حزبا مناصرا له. لذلك اغتنم الفرعون أوسركون الثاني فرصة احتفاله بعيد السد، في السنة الثانية والعشرين من حكمه الشهر الرابع من فصل الصيف، - قبل أوانه- وربما أشار عليه أعضاء حاشيته. بالاحتفال به مبكرا واتخاذه مناسبة لإعلان قراراته، نظرا لتأزم الوضع في طيبة.

ولقد أصدر الفرعون أثناء هذا الاحتفال قرار الإعفاء من كل أنواع الخدمة لنساء حريم معبد آمون – رع، وكل المعابد الأخرى في طيبة. وها هو تلخيص المرسوم في بقية النص: "إن جلالته جاء في عمل خير عظيم لأبيه آمون- رع، لقد أعفيت طيبة في ارتفاعها وعرضها بوصفها متطهرة ومزينة لسيدها، بحيث لا يكون هناك تدخل في شؤونها من قبل مفتشي بيت الملك، كما يعطي أهلها إلى الأبد من أجل الاسم العظيم للإله العظيم.[1]

و لا يمكن أن نفهم هذا بغير كونه تصريحا باستقلال طيبة، إما اعترافا بالأمر الواقع، أو أن أوسركون الثاني قد وجد من حسن السياسة أن يقوم بهذا الأمر –وقد أسلفت- أن التاريخ يشهد له بالحنكة السياسية في أكثر من موقف.

إلا أن الخطأ الذي وقع فيه "أوسركون الثاني" عند توليه الحكم، هو إبقاء منصب الكاهن الأكبر، الخطير بين عميه على التوالي "أيوبوت" ثم

1 - K.a.Kitchen, op. cit. p. 321. & - Breasted, op.cit. p.p: 750-751.

"سمندسIII " ولم يسارع في انتزاع المنصب منهما لصالح أحد أبنائه. غير أن "أوسركون الثاني"، وعندما وجد في نفسه القدرة على ذلك،قام بتصحيح الخطأ، فسارع بعد وفاة حارسيسي (في نفس السنة التي اعترف به الفرعون ملكا، وربما لم تكن هذه الوفاة أمرا طبيعيا؟) في إبعاد ابن هذا الأخير من طيبة، وعين أوسركون الثاني ابنه الأمير "نمرود" على رأس كهان طيبة، بل زاد على ذلك أن عين ولدا آخر اسمه "شيشنق" أيضا، كاهنا للإله "بتاح" في منف. كما عين ابنه الأصغر الذي لم يتجاوز التسع سنوات واسمه "حورنخت" كاهنا في تانيس.

ونستدل من هذه الخطوة، أن التعيينات كانت لأمر سياسي أكثر منه لأداء وظيفة دينية، وأن المقصود منها هو جمع المقاطعات الرئيسية حول البيت المالك في بوبسطة، حيث أشرك إبنا آخر هو تكلوت ليخلفه على عرش مصر.

أما ما تبقى من حكم الأسرة الثانية والعشرين، فهي فترة غامضة جدا، من الصعوبة بمكان أن يتفق المؤرخون حولها، نتيجة انتشار ظاهرة اغتصاب الملك وتكتل الأحزاب، وظهور الثورات الشعبية مثل ثورة طيبة، التي سنتعرض لها بالتفصيل لاحقا.

ويمكن حصر الملوك الذين حكموا في هذه الفترة، من أصل الأسرة الثانية والعشرين في أربعة ملوك، كانوا معاصرين لملوك في أجزاء أخرى من مصر، أعلنوا أحيانا قيام أسرة جديدة هي الأسرة الثالثة والعشرين...

**5- تكلوت الثاني**

وهو إبن الفرعون السابق أوسركون الثاني، وقد حكم حسب "مانيتون" ثلاثة عشر سنة، غير أن الآثار التي تنسب إلى الفترة التي حكم فيها، تعطيه فترة حكم تصل إلى خمسة وعشرين سنة[1] وربما أضيفت له فترة مشاركته لوالده.

---

1- B. Klauser, op. cit. p. 47. & -Kitchen, op. cit. p. 467.

ولقد ساد سلام نسبي بين بوبسطة وطيبة على امتداد السنوات العشر الأولى من حكمه لأن تكلوت الثاني قام بحركة حكيمة وهي الزواج "بكاروماما " ابنة أخيه كاهن آمون "نمرود"، فضمن بذلك ولاء أخيه وقطع الطريق أمام الطامعين، فيرث أبناؤه من صلبه، منصب جدهم في طيبة. ولما توفي كاهن آمون نمرود في السنة الحادية عشر من حكم تكلوت الثاني، سارع بتعيين ولده المدعو "أوسركون" خلفا لجده على رأس جهاز كهان آمون. في حين أبقى أبناء أخيه نمرود على كهانة "حرشيف" في أهناسيا المدينة.

غير أن هذا التعيين لم يلق إقبالا داخل طيبة فقامت ثورة على الكاهن الجديد، هي ما عرف بثورة طيبة.

لقد اغتنم شيشنق الثالث (يحتمل أنه أصغر أبناء تكلوتII) هذه الثورة واغتصب الملك من أخيه الأكبر الكاهن "أوسركون" فقام صراع أسري عنيف بسبب النزاع حول وراثة العرش؛ الأمر الذي أدى بعالم المصريات "برستد" إلى الشك في أن يكون شيشنق الثالث هذا ابن تكلوت الثاني. ويقول بأنه لم يهتد لمعرفة نوع العلاقة التي ربطت الملوك الثلاثة المتأخرين الذين حكموا في بوبسطة بعد تكلوت الثاني وهم: شيشنق الثالث– بماي- وشيشنق الرابع، ولظاهر أنهم لم يرتبطوا بصلة بتكلوت.[1]

ومما نعجب له حقا هو أنه على الرغم من كل هذه الفوضى والاضطرابات، فقد طال حكم شيشنق الثالث مدة اختلف المؤرخون حولها. فإذا كان " مانيتون" يعطيه 39 سنة، فإن "جوتيه" يسميه شيشنق الثاني وليس الثالث (لأنه لا يعترف بحكم شيشنق بن أوسركون الأول) ويعطيه فترة حكم 46 سنة.[2] ويذهب فريق آخر إلى فترة أطول تصل إلى 52 سنة.[3]

---

1- ج.هـ برستد، المرجع السابق، ص 435.

2 - H. Gauthier, les rois Shechanq. p. 215

3-. B.Klauser, op. cit. P. 7. &- K.A.Kitchen, op. cit. p. 467.

واعتقد أن طول مدة الحكم لا تدل بالضرورة على استقرار الأوضاع، وربما كانت هذه الفترة الطويلة في حكم جزء من مصر فقط، والدليل على ذلك ما تشير إليه شواهد الأحوال بأنه في السنة الثامنة من حكم شيشنق الثالث حكم "بادي باست" جزءا آخر من مصر وأعلن قيام الأسرة الثالثة والعشرين.

أما في الأسرة الثانية والعشرين، فقد خلف شيشنق الثالث، إبنه "بماي PIMAY" لمدة لم تتجاوز ستة سنوات. وبوفاته خلفه إبنه شيشنق الرابع وحكم فترة طويلة تصل إلى سبع وثلاثين سنة.

وبالتالي فقد كان حكم الملوك الثلاثة الأخيرين معاصرا للأسرة الثالثة والعشرين ثم الرابعة والعشرين.

**د) - سياسة مصر الخارجية في عهد الفراعنة ذوي الأصول الليبية**

لقد كان حلم الفرعون شيشنق الأول هو حكم مصر موحدة غنية ومزدهرة. هذا ما أجمع عليه علماء المصريات كخلاصة حول شخصية الفرعون العظيم الليبي الأصل، شيشنق الأول.

لاشك أن تولي "شيشنق" أول فراعنة الدولة الليبية عرش مصر، يعتبر بداية إنعاش للروح الحربية والسياسية في تاريخ مصر الحربي والسياسي، مما أعاد لها بعض مجدها السالف. ولقد دلت شواهد الأحوال، بأن هذا الملك كان بطبيعته جنديا وقائدا عظيما صاحب مطامح واسعة؛ فقد كان يتوق لنيل السيطرة الحربية على مستعمرات مصر القديمة، ليعيدها إلى الولاء والطاعة ودفع الجزية كما فعل الفراعنة العظماء أمثال تحوتمس الثالث ورمسيس الثاني...

وقد لاحظنا أن مصر أثناء حكم الرعاسمة المتأخرين في الأسرة العشرين، ثم انقسام السلطة أثناء حكم الأسرة الحادية والعشرين، قد أضعف مصر وأفقدها صيت فراعنتها العسكريين العظماء، وقد ذكرنا- فيما سلف- قصة الكاهن "وينآمون"، وما تعرض له من إذلال. فما حدث لمبعوث الإله آمون شاهد على ذهاب سمعة مصر على الصعيد الخارجي وخاصة مع أقاليم

سوريا وفلسطين. وإن كانت العلاقات بينهما قد شهدت نوعا من التحسن في أواخر الأسرة الحادية والعشرين في عهد الفرعونين "سيآمون" و"بسوسنس الثاني".

وما تجدر الإشارة إليه هو أننا في الحديث في موضوع العلاقات الخارجية لمصر في هذه الفترة بالذات، سوف نكثف الحديث ونركز على المملكة العبرانية، لأنها أصبحت مع مطلع الألف الأولى ق.م أكبر وأغنى دولة مزدهرة ليس فقط في سوريا، بل في الشرق الأدنى القديم كله، وذلك مقارنة بما آلت إليه حالة مصر أثناء حكم الأسرة الحادية والعشرين. أما العراق القديم فقد كان يتخبط في مشاكل داخلية، ولم يكن قد ظهر بعد أباطرته الفاتحين.

لذلك سوف نتناول بالبحث موضوع العلاقات مع فلسطين ثم باقي أقاليم سوريا.

وما نأسف له حقا، ولا نشعر بالرضي عنه، هو النقص الفادح في الوثائق التي تتناول موضوع العلاقات. لذلك اعتمد المختصون كليا على الكتب المقدسة – الإنجيل والتوراة- وقد كتبت قرونا طويلة بعد الحدث.

فإن كنا نعلم تدهور العلاقات الخارجية بين مصر وجيرانها في بداية الأسرة الحادية والعشرين من المصادر المصرية نفسها مثل ما جاء في بردية "وينآمون"، فإننا بالمقابل نجهل كل شيء عن هذه العلاقات أثناء حكم الفراعنة ذوي الأصل الليبي.

في حين أن الكتب المقدسة تشير إلى أن العلاقات المصرية - العبرانية، قد شهدت نوعا من التحسن في أواخر الأسرة 21 وحصلت مصاهرات بين البيتين الحاكمين في مصر وفلسطين.

لقد ورد في سفر الملوك الأول، الإصحاح 11، السطر 14 لغاية السطر 22، بأن "داوود" خاض الكثير من الحروب لإنشاء الدولة العبرانية، وأنه أولى مهمة إبادة الكثير من القبائل المناوئة له لقائده "يوءاب". وأثناء إحدى المجازر التي قام بها هذا القائد على الأدوميين، قتل كل ذكر فيها إلا الأمير

"هدد" الذي فر مع أصحابه إلى مصر، فاستقبله الفرعون وآواه في قصره، وزوجه بأخت الملكة " تاشبينس".

وإن كان الكتاب المقدس، لا يذكر اسم هذا الملك، فإن المختصين يفترضون بأن يكون "سيآمون أو خليفته "بسوسنس الثاني" وإن كان الاحتمال الأكثر تقبلا هو "سيآمون". بل هناك من المؤرخين من يعتقد أن سيآمون قرب منه الأمير "هدد" وأراده إلى جانبه لمحاربة العدو الداخلي للعرش المصري، أي الليبيين.[1] غير أن "هدد" رجع إلى وطنه.

في حين يعتقد جمع آخر من المؤرخين، بأن الفرعون الذي ذكر في الكتب المقدسة هو "بسوسنس الثاني" وأنه أراد التقرب من جارته فلسطين فأعطى ابنته زوجة لـ"سليمان"، وأهداها مدينة "جازر" الكنعانية كمهر[2].

لقد كانت هذه هي طبيعة السياسة المصرية اتجاه جارتها القوية في فلسطين أثناء حكم الأسرة الحادية والعشرين. ونظرا لظروف مصر آنذاك، فقد كانت تعتمد على سياسة ذات وجهين، فأحيانا تستقبل أعداء سليمان على أمل عودتهم إلى أوطانهم والقضاء عليه، وأحيانا أخرى تصاهره فتزف له أميرة فرعونية ومعها إحدى المدن التي استعصي على سليمان فتحها في وقت سابق.

ويعتبر أواخر القرن الحادي عشر وبداية القرن العاشر قبل الميلاد البداية الحقيقية للدولة العبرانية التي أقامها الملك داوود ثم ابنه سليمان، فقد سخرا الكنعانيين والأدوميين، كما حولا تجارة العالم القديم إلى موانئهما، بعد أن كانت تجارة إفريقيا وشبه الجزيرة العربية تأخذ طريق الموانئ المصرية ومدن الدلتا، ومنها إلى موانئ سوريا،فأصبحت تخرج مباشرة من شبه الجزيرة العربية ومن البحر الأحمر، لآدوم حيث أقام سليمان مرفأ على

---

1 - F.Thieberger, le roi Salomon et son temps. Trad. par S.M. Guittmen. p. 136.

2 - Jean Leclant, le rayonnement de l'Egypte au temps des rois tanites et libyens. P. 79.

خليج العقبة وهو "إزيون جبر Ezion Geber " تنزل فيه السفن حمولتها، ثم تأخذ القوافل المشحونة طريقها برا باتجاه أورشليم ثم صور.[1]

لقد كان سليمان يجني من وراء هذه التجارة رسوما جمركية قدرها "بيران PIRENNE" بـ 666 تالنت (تالنت وحدة اغريقية تساوي حوالي 26كغ)من الذهب.[2]

وما كاد ينتهي عهد سليمان، حتى أصبح شيشنق الأول فرعونا على مصر، وكان من أهدافه الأساسية، بعث اقتصاد مصر المنهار، لكنه لم يجد في الداخل ما يساعده على تحقيق هذا الهدف، فكان لزاما عليه الاصطدام بالدولة العبرانية.

## 1- حملة الفرعون شيشنق الأول على أورشليم

اهتم المختصون كثيرا بالحملة التي شنها شيشنق الأول على الدولة العبرانية بشطريها: مملكة إسرائيل ومملكة يهودا وعاصمتها أورشليم. وقد ركز المختصون في ذلك كله على أورشليم أكثر من غيرها على أساس أنها تحتضن معبد "يهوه"، أي أنها مدينة مقدسة.

ولقد فحص المختصون "الكتاب المقدس" فحصا مستفيضا لمعرفة طبيعة هذه الحملة وخاصة من أجل معرفة، إن كانت هذه الحملة قصدت مملكة يهودا فقط أو شملت مملكة إسرائيل أيضا، علما بأن ملكها "يربعام" قد لجأ إلى قصر شيشنق في وقت سابق. غير أنهم اعترفوا في النهاية بأن التوراة لم تحفظ القصة كاملة.

لكن فريقا آخر من الباحثين أكثر موضوعية، انكب في البحث عن الأسباب الحقيقية لهذه الحملة وتاريخ وقوعها والنتائج الفعلية التي ترتبت عنها؛ وهي مسائل منتهية بالنسبة للفريق الأول الذي اعتمد على الكتاب المقدس فقط.

---

1 -El Good, op.cit. p. 39.

2 - J.Pirenne, op.cit. p.p: 28-29.

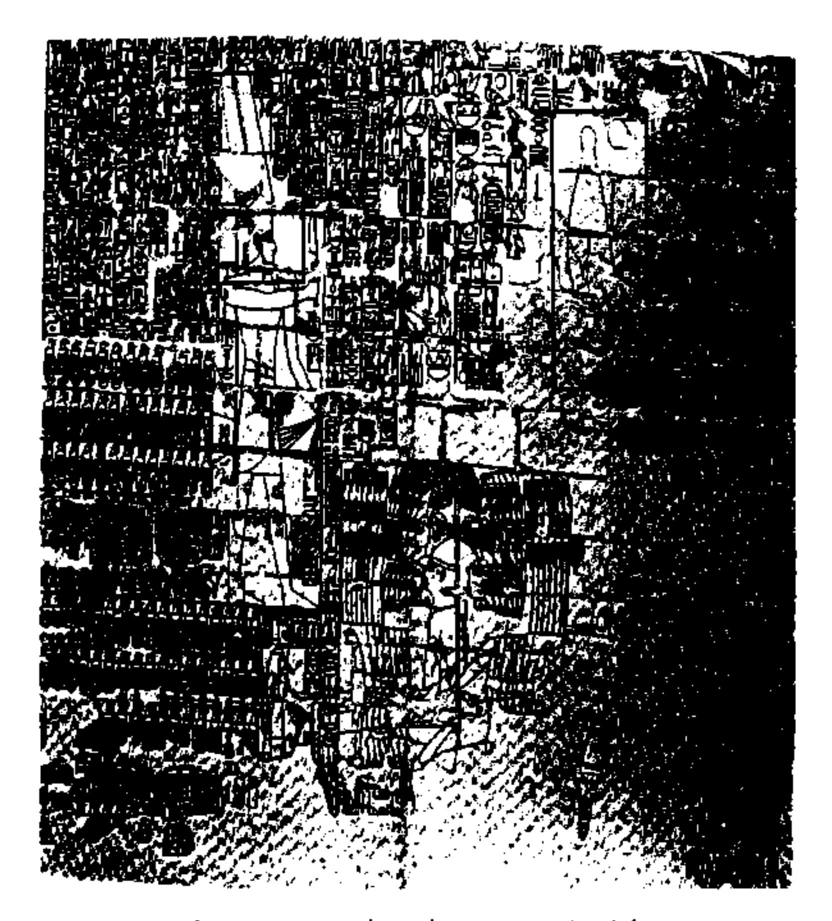
لقد جاء في التوراة ومنه في الإنجيل بأن حملة شيشنق كانت في السنة الخامسة من حكم "رحبعام بن سليمان". أما السبب في ذلك، فقد كان عقابا من الله على عصيان ابن سليمان وتخليه عن عبادة الله، فسلط عليه غضب الفرعون.

لقد اختلف المؤرخون في تاريخ حملة شيشنق، وكذلك في أسبابها.أولا لأن الآثار المصرية التي خلدت حدث انتصار شيشنق الأول وهي "البوابة البوبسطية" التي أقامها الفرعون خصيصا لهذا الغرض لم تذكر التاريخ. في حين عثر في محاجر جبال سلسة (جنوب كوم امبو بصعيد مصر) التي جلبت منها الحجارة اللازمة لبناء البوابة، بأن الأعمال بدأت في العام 21 من حكم شيشنق، الشهر "الثاني" شومو، اليوم الأول" أي في جانفي من سنة924 ق.م.[1]

ويأخذ بهذا التاريخ فريق من الباحثين ويؤكدون عليه، لأن رسم الملك شيشنق الأول أمام الإله لآمون- رع في معبد الكرنك، غير مكتمل (أنظر اللوحة رقم 6)؛ بمعنى أن الفرعون توفي أثناء عملية نقش البوابة. ولم يهتم خليفته بأمر إكمال النقش، أي أن الحملة كانت في أواخر عهد الفرعون شيشنق الأول.

---

1 - K. A. Kitchen, op. cit. p. 301.



اللّوحة رقم) تمثل الفرعون شيشنق الأول وهو يُقدم الهدايا والقرابين للإله آمون.
ولاحظ على الصورة أن نقش الرأس غير مكتمل÷ذا المنظر موجود على البوّابة البوبسطية
بمعبد الكرنك

أما الفريق الثاني فيرى بأن خروج شيشنق إلى فلسطين لم يكن في أخريات أيامه بل مع بداية عهده، خاصة وأنه اصطدم بمعارضة داخلية شديدة في بداية حكمه لما وجد الخزائن فارغة، ولم يجد ما يرضي به قادة الجند الذين وقفوا معه، لذلك وجه أنظاره إلى فلسطين.)[1]

غير أن كل شواهد الأحوال ترجح الرأي الأول، ليس لأنه يعتمد على الكتب المقدسة، وإنما لأنها حدثت أمور سبقت هذا الحادث (أي الحملة).

---

1 - El Good, op. cit. p. 39. & -R. Redford, op. cit. p. 78.

من هذه الأمور: استقبال بلاط الفرعون شيشنق الأول لعدو سليمان "يربعام بن نباط" الأفرامي من صدرة (غرب الأردن) الذي كان رئيس العمال المسخرين لتعبيد الطريق النازل (ويسمى عند اليهود Mello ) من مدينة "داوود" إلى الأحياء الجديدة التي أقامها "سليمان".

وأثناء هذه الأعمال، لاحظ الملك "سليمان" قوة شخصية الرجل وتحكمه في عماله، لذلك قربه سليمان منه.

وتقول النبوءة أن سليمان، كان في بداية عهده يسخر الكنعانيين، ثم بدأ في تسخير بني إسرائيل أيضا، ومنهم قبيلة إفرايم، لذلك استاءوا لهذا العمل وبحثوا عن قائد يتزعمهم للتمرد على سليمان، فلم يجدوا أحسن من "يربعام"، لكن هذا الأخير رفض في بداية الأمر. ولما سمع النبوءة على لسان النبي "أخيا الشلوني" والتي يعده فيها الله بحكم مملكة إسرائيل وعشرة أسباط من اليهود، قبل أمر القيادة. ولما وصل الخبر إلى الملك سليمان، بعث وراءه لقتله، ففر "يربعام" إلى عدو سليمان، الفرعون شيشنق الأول، الذي استقبله في قصره..[1].

إن إقامة الطريق النازل أي "ميلو" كان في أواخر عهد سليمان وهو أمر موثق ومعلوم. وبوفاته تمزقت المملكة العبرانية بين ولده "رحبعام"، الذي حكم سبطين فقط (قبيلتين) وهما "يهودا" و"بنيامين" وأنشأ مملكة يهودا وعاصمتها أورشليم.

في حين حكم "يربعام" النصف الشمالي، وأنشأ "إسرائيل" وعاصمتها السامرة.

لقد حدث هذا حوالي 935 ق.م أو 930 ق.م.

---

1 - F.Thieberger , Op. Cit. p 161. & - J.Yoyotte, Op. Cit. p 66. &p. 525.

وبعد هذا التاريخ بخمس سنوات - إذا أخذنا بما جاء في الكتب المقدسة- حصلت حملة شيشنق على فلسطين. وإن كان هناك من يرى بأن الحملة وقعت سنة 917 ق.م، على أساس أن سليمان توفي سنة 922 ق. م.[1]

ويجدر التذكير هنا بأن علماء المصريات يكادون يجمعون بأن شيشنق الأول توفي سنة 924 ق. م؟

ويعتقد بأن شيشنق الأول قد استشار اللاجئ الإفرامي " يربعام " في موضوع خروج جيش مصري إلى مملكة سليمان، فأشار عليه بالتريث، لأن سليمان يملك جيشا قويا. وقد اغتنم شيشنق الفرصة، فأنشأ جيشا أدخل فيه العنصر الإثيوبي ليوازن بينه وبين الليبيين. [2]فهل نفهم من هذا أن شيشنق الأول كان يتخوف من قادته الليبيين، ويخشى تمردهم عليه؟ ؟

- أسباب الحملة

بصرف النظر عن السبب الذي ذكرته التوراة في ذلك،فإن المؤرخين قد اختلفوا أيضا حول الأسباب الحقيقية لحملة شيشنق على فلسطين؛ فيرى فريق بأنها كانت حركة وتكتيك من طرف الفرعون الجديد ليظهر أمام الإله "آمون – رع" وكهنته - الذين رفضوا أصله الأجنبي- بمظهر الفراعنة العظماء الفاتحين في عهد الإمبراطورية المصرية، والذين أغرقوا خزائن معبد آمون بالخيرات والكنوز.[3]

في حين يرى فريق آخر بأن شيشنق الأول خرج بجيشه لتأديب الشاسو– سيامون من أتباع رحبعام- الذين توغلوا شمال سيناء، ومنها سار نحو أورشليم في صائفة العام الخامس من حكم رحبعام أي حوالي 925 ق.م[4]. ورأى جمع آخر من المؤرخين بأن شيشنق الأول، كان يريد الاستحواذ على كنوز سليمان، وقد اشتهرت أورشليم بأنها أغنى مدينة في العالم آنذاك...

---

1- محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم. ج3. منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة 31. ص 614.

2 - El Good, the later dynasties of Egypt. p 144.

3 - D.B. Redford, op.cit. p.11.

4 - K. A. Kitchen, the third intermediate period. p 294 -295.

إن الباحث المتبصر، يجد كل هذه الأسباب متوفرة في القرار الذي اتخذه شيشنق الأول، وقد كان لديه أكثر من سبب لغزو فلسطين.

لقد عانت مصر كثيرا من محاولات الشاسو والفلستيون على السواء، في الاستقرار بصحراء النقب، شمال شرق شبه جزيرة سيناء. وهناك آثار للفرعون "سيآمون" تخلد انتصاره على فلسطين، كما أن شيشنق الأول رجل عسكري بطبيعة وظيفته ووظيفة أجداده من قبله- قادة الجند المشواش-، لم يكن ضعيفا قط ليقنع بعرش مصر وبالفتات الذي تركه ملوك الأسرة الحادية والعشرين الضعفاء، بل إنه لم يستطع أن يسمع أنين الشعب وهو تحت عبء الفقر من جراء الفوضى التي عاشتها مصر طيلة حكم الأسرة السابقة. فشيشنق الأول تميز بين أقرانه ليس فقط بقوته، بل أيضا بذكائه وطموحه.

وطموحه الكبير الذي أجلسه على عرش الفراعنة، لم يكن ليقلل من عزيمته أمام قوة وتعداد جيش الملك سليمان، الذي قدره بعض المؤرخون بألف وأربعة مائة عربة واثنى عشر ألف فارس[1].

لقد اتخذ شيشنق الأول قرار غزو فلسطين لأسباب كثيرة منها،أن يظهر بمظهر الفراعنة العسكريين العظماء. ولقد أثبتت شواهد الأحول بأنه لم يكن بأقل منهم؛ ومن جهة أخرى كان يتوق أن يثبت للكهنة ولكل المصريين جدارته بعرش مصر. ولكن السبب الرئيسي هو أن هذا الفرعون وهو القائد العسكري كان يطمح في أن يعيد إلى مصر هيبتها وسمعتها على الصعيد الخارجي وخاصة استرجاع مصدر رزق، فقدته مصر على حين غفلة أثناء تناحر حكام تانيس وطيبة (الأسرة 21)، وهو السيطرة على تجارة العالم القديم.

إن ما تجدر الإشارة إليه هنا، هو حكمة ورجاحة عقل الفرعون شيشنق الأول، فقوته وطموحه لم يكونا ليجعلاه يخطئ في تقدير قوة خصمه. لذلك

---

1 - J. Pirenne, op.cit. p.p: 28-29.

تريث وأجل تاريخ الحملة رغم سوء أحوال مصر الاقتصادية آنذاك. وما يؤكد ويرجح السبب الاقتصادي في هذه الحملة، هو أنه كان يقصد مملكة يهودا، فقد ورث "رحبعام" في مملكته المدن المؤدية إلى البحر الأحمر، أي أن الطريق التجاري الذي حول المصالح التجارية عن مصر، كان ضمن إرث "رحبعام"، فسعي هذا الأخير (رحبعام) إلى تحصين المدن، وتهيئة الذخيرة من السلاح والمؤونة اللازمة ووضع أبنائه الثمانية والعشرين(28) من نسائه الثمانية عشر(18) وإماءه الستين (60) على المدن.

لذلك تبنى شيشنق مطلب مدن الدلتا المصرية مثل تانيس، بوبسطة، سايس- منداس وأثريبس ومنف في استرجاع تجارة شبه الجزيرة لتعبر موانئها نحو سوريا.[1]

وللأسباب السابقة كلها تذرع الفرعون شيشنق الأول بسبب مباشر وهو دخول بعض الساميين الأراضي المصرية.

ومن التوراة جاء في كتاب الملوك، الإصحاح 14، السطران 25 و26 مايلي: "في السنة الخامسة للملك "رحبعام" صعد شيشنق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب، وخزائن بيت الملك وأخذ كل شيء، وأخذ جميع تروس الذهب التي عملها سليمان، فعمل الملك رحبعام عوضا عنها أتراس من نحاس أعطاها للحرس على أبواب القصر"

أما في كتاب أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 12، السطران 2و5 فقد جاء ما يلي: "في السنة الخامسة للملك "رحبعام" صعد شيشنق ملك مصر إلى أورشليم، لأنهم خانوا الرب، بألف ومائتي مركبة، وستين ألف فارس، ولم يكن يحص عدد الشعب الذين جاءوا معه من مصر، لوبيين وسيكيين ونوبيين وأخذ المدن المحصنة التي ليهودا وأتى إلى أورشليم".[2]

---

1 - J. Pirenne, op.cit. p. 32. & - F. Josephe, op. cit. p. 255.

2 - K.A. Kitchen, op. Cit. p 295 –296.. . . ....& محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 612.

ويضيف "جوزيفوس" إلى هذه الأعداد، أربعة مائة ألف من المشاة. ويقول بأنه لما وصلت الجيوش مشارف أورشليم هرع رحبعام لله باكيا شاكيا، فأمره الرب على لسان النبي Samea بأنه لن يبيدهم نهائيا، وإنما سيجعلهم عبيدا للمصريين، ليفرقوا بين العبودية لله والعبودية للإنسان. لذلك استسلم "رحبعام" وسلم المدينة لشيشنق . حسب جوزيفوس دائما- الذي لم يحترم قداستها واستولى على كنوزها.[1]

أما عن المصدر المصري، فإننا نعلم بأن شيشنق الأول وفور عودته من فلسطين، أمر ببناء البوابة البوبسطية في معبد الكرنك وتخليد الغزوة عليها.

وعلى جدران "البوابة البوبسطية" تلك، توجد مناظر تقليدية تمثل ذبح الأسرى أمام الإله آمون وبجانبه نص من عشرة صفوف من الأسماء الموضوعة داخل أطر وهي أسماء المدن التي احتلها شيشنق.

ولقد اختلف المختصون حول عدد هذه المدن، فيعتقد فريق بأن عددها كان في الأصل مائة وثمانين مدينة أو موقع، وأن كثيرا من هذه الأسماء مهشم. في حين يرى فريق آخر بأنها مائة وخمسون مدينة. ويرى آخرون بأنها مائة وستة وخمسون.[2]

غير أن فريقا من المؤرخين الذين اعتمدوا على التوراة فقط، يعتقدون بأن الحملة قصدت مملكة يهودا وعاصمتها أورشليم فقط، وأن الفرعون شيشنق الأول كان يبالغ عندما ذكر على البوابة البوبسطية أسماء مواقع توجد في مملكة إسرائيل شمالا، خاصة وأن "يربعام" كان محسوبا عليه (أي انه كان حليفه). وقد بقي هذا الاعتقاد ساريا إلى أن عثر في قلعة "مجدو" شمال فلسطين على نقش عليه خرطوش الفرعون، يخلد ذكرى وصوله إلى

---

1 - F.Josephe, les juifs «histoire ancienne des juifs». la guerre des juifs contre les romains.France,LIDIS Editions,1982,p.255.

2 - Drioton & Vandier, op. cit., p. 525. – leclant, op. cit. p. 80.

شمال فلسطين.[1] وهو الأمر الذي يفسر وجود أسماء مدن الشمال لإسرائيل على البوابة.

ويذهب فريق آخر أيضا إلى أن مدن الشمال دفعت طواعية جزية لشيشنق الأول، مقابل حمايتها من اعتداء محتمل من مملكة يهودا الجنوبية.

لقد بالغ بعض المؤرخين كثيرا عندما اعتبروا أن الرخاء الذي شهدته مصر – طيلة القرن الأول من حكم الليبين لها- كان من الكنوز التي أخذها شيشنق الأول من أورشليم، وأن أورشليم كانت من أغنى مدائن العالم في القرن العاشر ق.م.[2]

واعتقد أن هذا الكنز، مهما كان كبيرا كان بإمكان شيشنق الأول أن يقسمه بين جنده وقادته كغنيمة حرب، أو ينفقه في سنة أو سنتين، خاصة إذا علمنا بأن هذه الكنوز كانت عبارة عن مائتي ترس من ذهب مصهور، زنة الواحد منها ثلاثة أمنان من الذهب وثلاثة مائة مجن[3] من ذهب أيضا" كما جاء في كتاب الملوك الأول الإصحاح العاشر، السطر16-18.[4]

ويشهد التاريخ للفرعون شيشنق الاول بأنه استخدم هذا الكنز في بعث عجلة البناء والتعمير، ويعتبر الأول منذ عهد رمسيس الثالث (منذ حوالي قرنين من الزمن) الذي فكر في توسيع معبد آمون بالكرنك. ولا استبعد أن جزءا من هذه الكنوز، كان ضمن الهدايا التي قدمها أوسركون الأول لمعابد مصر في السنوات الأولى من حكمه كما سلف الذكر. وأغلب الظن في ذلك هو أن انتعاش اقتصاد مصر بعد حملة شيشنق على فلسطين يرجع أساسا إلى أن هذا الفرعون قد نجح في تحويل طريق التجارة من المملكة العبرانية إلى

---

1 - J.Yoyotte, pharaons, guerriers libyens et grands prêtres « la troisième période intermédiaire ». p. 66.

2- Drioton & Vandier, op. Cit. p 426.

3- مجن في اللغة العربية هو الترس، بمعنى مقدار 300 مجن أو ترس مملوءة بقطع الذهب. أما 200 ترس فهي مجن مصنوعة من الذهب (تفسير الباحث).

4 - La Bible. Op.cit. p.389.

موانئ مصر. وأن مدن فلسطين وسوريا تسابقت لتقديم فروض الولاء والطاعة والتعهد بدفع جزية سنوية.

وفي هذا المقام أؤكد أكثر على ضمان مصدر رزق دائم لمصر، تجنيه من "جمركة" السلع التي تعبر مدن الدلتا باتجاه سوريا ومنها إلى مواقع كثيرة من العالم القديم.

## 2- العلاقات المصرية الفلسطينية بعد شيشنق الأول

لقد عادت مصر تفرض سيادتها لفترة من الزمن على مملكتي العبرانيين. ولم تعد هاتان المملكتان تدفعان الجزية السنوية فقط بل تأثرهما أيضا، وبشكل كبير بالثقافة المصرية، حيث استخدمتا الكتابة الهيراطيقية والموازين والمكاييل المصرية.[1]

وتذكر لنا التوراة دائما- في كتاب أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 14، الأسطر 8 إلى 15 بأن قائدا كوشيا يدعى "زراش" ZERACH، جرد حملة ضد مملكة يهودا، وكان تعدادها مليون رجل وثلاثة مائة عربة، غير أن "آسا ASA" ملك يهودا تصدى لهذه الجيوش وهزمها.

لم يرد هذا الخبر في أي مصدر آخر غير التوراة، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل التالي: إذا كانت مصر في تلك الفترة محكومة من طرف الملوك ذوي الأصل الليبي، فلماذا يقود الجيوش المصرية قائد كوشي؟.

وذهب - مونتييه– إلى أن هذا الكوشي هو قائد لملك من الملوك الليبيين، وقد يكون أوسركون الثاني، وأن الملك اليهودي " آسا" كان معاصرا له.[2]

لكن، على الرغم من ذلك فإنني أشك أن يكون الملك الذي أرسل "زراش" إلى فلسطين هو أوسركون الثاني، ذلك أن فترة حكمه كانت مليئة بالفوضى والاضطراب وقد شهد البيت الحاكم نفسه انشقاقا في صفوفه، وكان

1 - D.B.Redford, studies in relations between Palestine and Egypt during the first millennium B.C, p. 15.

2 -P. Montet, les constructions et le tombeau d'Osorkon II. p.22.-

أوسركون الثاني يكافح من أجل جمع شمل قادته وأمراء مملكته غير آبه لما يحدث في فلسطين وما كان بإمكانه إرسال جيش بهذا العدد الهائل.

لذلك أرجح أن يكون هذا الملك هو أوسركون الأول، وقد ورث عن أبيه شيشنق الأول مملكة موحدة مزدهرة، وذكرى حملة والده على فلسطين كانت راسخة في الأذهان. فلما تمرد الملك "آسا" ورفض دفع الجزية السنوية لمصر، أرسل أوسركون الأول وكان في سن متقدمة- قائده الكوشي ليؤدب العصاة.

وبدراسة مقارنة تمكن- كتشن- من التوصل إلى أن هذه الحملة حدثت في السنة الرابعة عشرة من حكم ملك يهودا "آسا" وهي توافق سنة 879 ق.م أي العام الثامن والعشرين من حكم أوسركون الأول، وكان طاعنا في السن آنذاك. [1]

إلا أن ما نأسف له في هذا المقام هو عدم وجود وثائق أخرى تمكننا من ترجيح كفة على أخرى، تؤكيد أو ترفض ما جاء في التوراة. إذ أننا نشكك في تمكن "آسا" -ملك يهودا هذه المملكة الصغيرة التي انضوى تحت لوائها سبطان فقط من أسباط اليهود – من التغلب على جيش مصر. ومهما كان تعداد جنده المبالغ فيه، فإننا نعتقد بأنه كان جيشا فتيا منظما، أقامه شيشنق الأول ليتصدى به للملك سليمان في وقت سابق.

غير أن هناك من المؤرخين من يرى بأن شيشنق الأول كان آخر الفراعنة العظماء الذين خاضوا حروبا في سوريا، وأن خلفاءه من بعده قد انشغلوا بأمور مملكتهم، ولم يفكروا في الأقاليم السورية، إلا بظهور خطر الأباطرة الأشوريين وخاصة في عهد شلمنصر الثالث (859-824 ق.م) الذي خاض حروبا عديدة من أجل ابتلاع ممالك سوريا. ولم تكن هذه الممالك قادرة على مقاومته منفردة، فكونت حلفا اشترك فيه "أوسركون الثاني" مضطرا، لأن الخطر الأشوري أصبح على أبواب مصر، ومشاركة مصر في هذا الحلف كانت

---

1 - K.A. Kitchen, op. cit. P. 309. & - G.A. El Good, op. cit. p. 45.

مشاركة رمزية، إذ بعث أوسركون الثاني بألف (1000) جندي. بل هناك من يعتقد أن مصر قد اشتركت بخمس مائة فقط، ومثل هذا العدد اشتركت به حليفتها الدائمة "جبيل". ومجموع ما تقدما به كان ألف جندي، انضموا إلى جنود مملكة إسرائيل ومملكة دمشق. ودارت معركة شهيرة تعرف بمعركة " قرقر" عام 835 ق.م على نهر العاصي، انتصر فيها "شلمنصر الثالث". لذلك اتبعت مصر سياستها المعهودة وهي مساندة الأقاليم السورية لتجعل منها درعا تحتمي به، وأحيانا أخرى لتطلب ود الإمبراطور الآشوري القوي، وقد بعث له " أوسركون الثاني" هدية تشمل جمالا وحميرا وضباء. [1]

أما بعد هذا العهد، فقد عرفت دولة الليبيين في مصر حقبة جديدة من اللامركزية..

### 3- العلاقات المصرية الفينيقية أثناء حكم دولة الليبيين

كانت علاقة مصر مع دويلات مدن فينيقيا حسنة ومتصلة منذ أقدم مراحل تاريخ مصر، بل إن الأسطورة المصرية الشهيرة، "أسطورة أوزريس" تذكر مدينة جبيل، كما تذكر أن الإلهة "إزيس" وجدت أشلاء جثة زوجها أوزيريس في "جبيل" جنوب فينيقيا. وكانت دويلات مدن فينيقيا تمد مصر بالأخشاب اللازمة لبناء قوارب الإله "آمون-رع" ولأغراض أخرى. وكانت هذه البلاد تكاد أحيانا أن تكون مستعمرة مصرية وخاصة أثناء مرحلة الإمبراطورية أي عهد الدولة الحديثة.

وتدل "شواهد الأحوال" أن علاقة الفراعنة ذوي الأصل الليبي بملوك فينيقيا وخاصة جبيل كانت علاقة ود وصداقة، فقد أرسل الفرعون شيشنق الأول لحاكم جبيل "أبيبال Abibaal " تمثالا له ليوضع في معبد الإلهة "بعلات" كرمز لصداقتهما. وكذلك فعل أوسركون الأول مع ملك جبيل المعاصر له المدعو "أليبال Alibaal"، فأصبحت تقليدا عمل به أيضا الفرعون أوسركون الثاني الذي أرسل تمثاله لنظيره ملك جبيل.

1 - D.B. Redford, op. cit. P.14. & - J.Le Clant, op. cit. p. 85.

ويعتقد "مونتيه" بأن الفرعون شيشنق الأول حينما أرسل تمثاله إلى حاكم "جبيل" كان قد بعث مرسولا يحمل هذا التمثال ليناقش عقد صفقات لشراء الخشب، بالإضافة إلى إبلاغ الملك "أبيبال"، بنية شيشنق الأول بالقيام بحملة على مملكة يهودا.[1]

فهل يمكن أن نفهم من ذلك بأن شيشنق الأول كان يبحث عن حليف في هذه الحرب؟

هذا أمر نستبعده لأن جيش الفرعون كان على درجة من القوة – كما ذكرته التوراة- بحيث لا يكون الفرعون في حاجة إلى مساعدة، بينما نفترض أن الفرعون قد بعث رسله إلى فينيقيا "جبيل" ليطمئن ملكها ويفهمه بأنه غير مقصود بهذه الغزوة.وإنما كان الهدف من الغزوة هو المحافظة على المصالح التجارية المتبادلة بينهما.

ويتفق فريق من المختصين بأن العلاقة التي كانت تربط البلدين، مصر وفينيقيا، قد تطورت أثناء حكم الملوك الليبيين لها، ليس فقط أثناء فترة قوتها، أي أثناء القرن الأول من حكم الملوك ذوي الأصل الليبي ( 950-850 ق.م)، بل تواصلت هذه العلاقات أيضا أثناء الجزء الثاني من حكم الملوك الليبيين في مصر والذي كان يمثل مرحلة الفوضى والانقسام.

ولقد عثر الأثريون على دلائل تشير إلى وجود تعامل تجاري كبير بين مصر وفينيقيا، ومن هذه الآثار المنقولة، جرار ومزهريات من الألبستر Alabastre (وهو مرمر أبيض شفاف) مكتوب عليه بالهيروغليفية أسماء الفراعنة، أمثال أوسركون الأول وأوسركون الثاني وتكلوت الثاني. وقد وجد بعضها أيضا في السامرة عاصمة إسرائيل وكذلك في أشور. ويعتقد بأن الآشوريين قد أخذوا هذه الآنية ضمن غنيمة حرب من قصر مدينة صيدا الفينيقية".[2]

---

1 - P. Montet, Les constructions et le tombeau d'Osorkon II. p.21.

2 - K.A. Kitchen , op. oit. P. 324.

ثم انتقلت مثل هذه الآنية إلى أبعد من القارة الآسيوية، حيث عثر الأثريون في سنة 1960 على هذه الجرار والمزهريات في مواقع ومرافئ فينيقية، على شبه جزيرة أيبيريا وبالضبط في موقع المونيكار Almunecar (غرب مدينة ملاجة Malaga الإسبانية) وعلى هذه الأواني خراطيش كتبت عليها أسماء الفراعنة الليبيين ومنهم أوسركون الثاني- تكلوت الثاني،. وأخرى تحمل اسم شيشنق الثالث.كما وجدت مزهريات تحمل أسماء قادة جند من عهد الأسرة الليبية الثالثة والعشرين، وإن كان قد أرخ لها بعض الأثريين بالربع الأول من القرن السابع ق.م، فإن إجماع الأثريين يفترض تاريخا أقدم من هذا التاريخ بكثير.[1]

والسؤال الذي يبقى مطروحا هو: متى خرجت هذه الآنية من مصر وما هي الظروف التي خرجت فيها؟

هناك رأي يفترض أصحابه أن الإثيوبيين (الكوشيين) عندما تغلبوا على الفراعنة ذوي الأصل الليبي وأنشأوا بدورهم الأسرة المصرية الخامسة والعشرين– قد اقتحموا قداسة المقابر وجردوها من أثاثها الجنائزي. وبعد تنظيف هذه الآنية، أهدوها لأمراء سوريين..

وهو الرأي الذي استبعده جل الدارسين، منطلقين في ذلك من الأسباب التالية:

- إن مثل هذا الأثاث من جرار ومزهريات، قد وجد في "المونيكار" في مقبرة ترجع في تاريخها لبداية القرن الثامن قبل الميلاد، أي قبل وصول الإثيوبيين للحكم في مصر بحوالي قرن من الزمن.

– إن فريقا من المكتشفين وعلى رأسهم "بيير مونتييه"، لما نقبوا واكتشفوا مقبرة تانيس، وجدوا مومياء الفرعونين "بسوسنس الثاني وشيشنق الثالث"

1 - J. Leclant, le rayonnement de l'Egypte au temps des rois tanites et libyens. p.p: 80- 82.

بكامل حليتها من ذهب وحجارة كريمة. ولذلك يستبعد أن يكون اللصوص قد أخذوا الآنية الثقيلة وتركوا الكنوز الثمينة.[1]

واعتقد أن السر وراء انتشار مثل هذه الآنية المصرية ووصولها لغاية أقصى الحوض الغربي للبحر المتوسط (إسبانيا) هو أن التجارة بين مصر وفينيقيا كانت نشطة جدا في تلك الفترة، وأن مصر كانت تصدر هذه الجرارات الكبيرة مليئة بالخمر، بالإضافة إلى بضاعة أخرى، منها الدلايات التي تعلق في الأعناق ومنها التمائم والتعويذات مثل الجعران (الخنفساء) المصنوعة من الزجاج. ومقابل هذا، كانت مصر تستورد من المدن الفينيقية معدن البرونز (النحاس).

إذ أن مصر لم تعرف هذا المعدن قبل مطلع الألف الأولى قبل الميلاد وهو تاريخ يواكب خروج السفن الفينيقية إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط، وإنشاء أول مستعمرات فينيقيا في قادش (إسبانيا). لذلك يربط المختصون توفر النحاس في مصر وتطور مرفأ قادش بل ويؤكدون على ذلك باستخدام النحاس بكثرة في مصر أثناء حكم الأسرتين 22 و23 الليبيتين اللتين أنتجتا قطعا فنية مدهشة ومتقنة الصنع مثل تمثال "بدوباس الأول" وتمثال "كاروماما" زوجة الفرعون تكلوت الثاني.[2]

والأكثر من ذلك، يرى "يويوت" بأن مصر قد عرفت في عهد الأسرتين 22-23 صناعة معدنية– بكل أنواعها- جد متطورة وأنيقة، وأحسنوا تقنية مزج النحاس الأحمر بالأسود.[3]

وربما من الدلائل التي تؤكد استخدام النحاس وصهر بقية المعادن في مصر ابتداء من فترة حكم الملوك ذوي الأصل الليبي وأيضا استيراده من المدن الفينيقية بالذات، هو وجود جالية فينيقية (من صور) مهمة استقرت في

---

1 - Josep Padro «le rôle de l'Egypte dans les relations commerciales d'Orient et d'occident au premier millénaire ». in annales du service des antiquités de l'Egypte, tome LXXI. Le CAIRE: 1987. p. p: 216 –217.

2 - Josep. Padro, op.cit. p.215.

3 - J. Yoyotte, pharaons, guerriers libyens et grands prêtres. p. 74.

مدينة منف، (وقد كانت هذه المدينة مركزا هاما للصناعة المعدنية في مصر) ذكرها هيرودوت بعد ذلك، وقال بأن حيهم كان يسمى معسكر الصوريين.[1]

ويرجح إنه ربما لهذا السبب، وحد الإغريق بين إله منف (المدينة الصناعية) بتاح بآلهة الإغريق حماة الصناعات المعدنية مثل سوخوريس وهيباتوس Sokhoris- Hepaistas.[2]

وبالتالي فإننا نفترض بأن الفينيقيين ربما كانوا يمونون مصر بالمعادن. وكانوا يعلمون المصريين مهارات صهر هذه المعادن وصنعها. كما استقرت جالية أخرى في تانيس (شرق الدلتا)، وهي أقرب الأراضي المصرية لسوريا وكانت هذه الجالية تعقد صفقات تجارية مع كل من صور وصيدا وجبيل، أي مدن الفينيقيين الأصلية..[3]

### 4- علاقات مصر مع بقية جيرانها

أما عن علاقات مصر الخارجية مع جيرانها في الجنوب، أي النوبة جنوب أسوان، فقد كانت تابعة لمصر منذ عهد الدولة الوسطى، تمون مصر بتبر الذهب وبضائع أخرى متنوعة. وذلك لغاية الأسرة العشرين، ثم انفصلت عنها إثر تمرد القائد "بانحسي" على الفرعون رمسيس الحادي عشر، وبقيت مستقلة عن مصر طيلة حكم الأسرة الحادية والعشرين، أي حوالي قرن ونصف قرن من الزمن.إلى أن جلس الفرعون شيشنق الأول على عرش مصر، الذي استعاد سيطرته عليها.

وتشهد آثار على معبد الكرنك - إلى جانب نصوص انتصار شيشنق على العبرانيين- وهي عبارة عن رسوم ونصوص، تبين الفرعون يقدم خيرات النوبة لملك الآلهة آمون- رع. ولكننا لا نملك نصوصا حول ما إذا كان شيشنق الأول قد استخدم القوة لاسترجاع سلطته وسيادته على النوبة، أم أن النوبة

---

1- هيرودوت. ج2، ص 231، فقرة112.

2 - B.D.Redford, op. cit. p. 17.

3 - Josep. Padro, op.cit. p.218.

(السودان) قدمت فروض الطاعة والولاء لمصر فقط بسماع سمعة هذا الفرعون المحارب.[1]

وعن علاقة الفراعنة ذوي الأصل الليبي مع ليبيا وطنهم الأصلي، فإننا نأسف لعدم وجود نصوص تتحدث عن بقاء الصلة بين القادة المشواش والوطن الأم. ونشعر وكأن هؤلاء الملوك قد قطعوا أي صلة مع وطنهم الأصلي، كما أن شواهد الأحوال – تدل بأن الملوك ذوي الأصل الليبي، ومنذ بداية حكمهم في مصر وإلى غاية تاريخ زواله، لم يشعروا بأنهم مستعمرين لمصر، ولم يشعروا أبدا الشعب المصري بذلك، ولا يمكن مقارنة حكمهم بحكم الهكسوس الذين غزوا مصر في وقت سابق.

ومن خلال أخبار متناثرة هنا وهناك، نستطيع القول بأن هؤلاء الحكام ذوي الأصل الليبي أعطوا أهم الوظائف في الواحات الليبية أو رئاسة القوافل المؤدية إليها، لشخصيات قريبة من البيت المالك، وربما يشير هذا الأمر إلى اهتمام الفراعنة الليبيين بهذه المناطق المؤدية إلى الوطن الأم.

وهناك لوحة (واشاتهاتا) التي تنسب إلى صاحبها رئيس القوافل الفرعونية والمراقب على طرق المواصلات بين واحات الصحراء الليبية، وكان رئيسه المباشر (حاتيحنكر) يحمل لقب الرئيس العظيم لقوم المشواش، وكان حاكما من قبل الفرعون على جزء من الدلتا الغربية، ويحتمل أيضا أنه كان يحكم جزءا غير معين من بلاد ليبيا، يشمل الواحات.[2]

---

1 - K.A.Kitchen, op. cit. P. 293.

2- يقصد " دارسي" بشيشنق الرابع هنا، آخر ملوك الأسرة 22، الذي حكم 37 سنة، ويرتبه الرابع، لأنه لا يعتقد بحكم شيشنق الثاني بن أوسكرون الأول، في حين أن هناك شبه إجماع بين المتخصصين، ومنهم "كتشن" بأن مرتبته هي الخامسة. أما شيشنق في الأسرة الثالثة والعشرين، فلم يحكم إلا ست سنوات فقط.

راجع ذلك عند:

- G. Daressy, « Notes sur les 22-23-24 è dynasties » , in recueil de travaux relatifs à la philologie & l'archéologie égyptiennes & assyriennes, numéro 35. PARIS: 1913. P. 136.

وإذا كانت اللوحة ترجع في تاريخها إلى عهد آخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين، فلا شك أن هذا النظام الخاص بالتعيينات كان استمرارا للنظام الذي وضعه مؤسس الدولة الليبية "شيشنق الأول".

كما تجدر الإشارة إلى أن قرطاجة كانت لها أطماع في مصر أثناء مرحلة الفوضى، ويحتمل أنها استولت على طيبة في العام37 من حكم شيشنق الرابع) [1] ، كما ورد ذلك عند "دارسي Daressy "، ولا نجد مادة كافية لتعطي تفاصيل أكثر حول هذا الخبر، ويمكن اعتبارها– إن حدثت فعلا- مجرد حملة ضد طيبة، ثم انسحبت قرطاجة بعد ذلك، لأننا لا نجد ذكرا لها بعد ذلك. كما يمكن الإشارة إلى أن حكام مصر في تلك الفترة في طيبة، أو غيرها من المدن الكبرى التي أقامت إمارات مستقلة، كان يحكمها قادة من الليبيين من قبيلة الريبو أو من قبيلة المشواش، وأنهم لم يقدموا أي مساعدة، لأنهم كانوا متمصرين منذ زمن طويل..

لذلك فإنني أستبعد أن يكون زعيم الليبو "عنخ حور"، الذي كان معاصرا لشيشنق الخامس، قد قاد القرطاجيين إلى طيبة، لأننا نعلم من جهة أخرى بأن ابنته كانت ضمن حريم الإله آمون، وكانت رئيستهن آنذاك هي "آمنرديس" أخت الملك الكوشي "بي عنخ" الذي بسط نفوذه على طيبة وترك بها حامية عسكرية..

---

1- سليم حسن، مصر القديمة، ج9.ص. 387

# الفصل السادس

## بداية نهاية الدولة الليبية في مصر

أ- أزمة الحكم في الدولة الليبية

لم تكن الملكية في بداية حكم خلفاء شيشنق الأول وبصفة خاصة ابتداء من عهد أوسركون الثاني في وضع يمكن أن تحسد عليه، إذ تعتبر هذه الفترة الممتدة من 874 ق. م إلى غاية 850 ق.م، والتي حكمها الملك "أوسركون الثاني"، فترة حرجة من تاريخ الدولة الليبية، حيث بدأت تظهر البوادر الأولى لأزمة الحكم.

ولولا قوة شخصية هذا الملك لانفجرت الدولة الليبية، ذلك لأن الفوضى بدأت تضرب بعمق ابتداء من حكم خليفته " تكلوث الثاني" حوالي 850 ق.م وإلى غاية 730 ق.م. تاريخ إنشاء الأسرة الرابعة والعشرين التي يصطلح على تسميتها بمرحلة الفوضى الليبية .

لقد خرجت الملكية منهكة ولم تكن تملك من الامتيازات سوى اللقب الملكي، حيث توزعت السلطة والزعامة بين فئات عديدة منها الكهان والأمراء الملكيون وزعماء المشواش.

وبالتالي فمنذ عهد الملك أوسركون الثاني، أخذ الغموض والإبهام يلفان بتاريخ الأسرة الثانية والعشرين والدولة الليبية ككل. وأصبح من الصعب أن نتعرف على ترتيب الملوك، نتيجة لجوء الملوك إلى إشتراك أبنائهم في الحكم من جهة وإلى اغتصاب الألقاب الملكية من طرف أمراء وموظفين سامين في الدولة من جهة أخرى.

لقد تولدت أزمة الحكم أصلا من سياسة أرساها مؤسس الدولة الليبية، لما أقام دولته على مبدأين متنافرين؛ فلقد نجح الفرعون شيشنق الأول في تحقيق الانسجام والتوازن بين هذين المبدأين المتنافرين نظرا لقوته وحنكته السياسية التي شهد له بها المتخصصون في علم المصريات.

سعى شيشنق الأول إلى إرساء الإقطاع بالسماح لأمراء المشواش بتوريث مناصبهم كحكام مقاطعات، وكذلك أرزاقهم لأبنائهم من بعدهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى، حاول شيشنق الأول إبقاء المركزية في السلطة بتعيين

أمير من البيت الحاكم على رأس جهاز كهنوت الإله آمون في طيبة، بشرط عدم توارث هذا اللقب. بمعنى أن كل ملك جديد في بوبسطة، يأخذ المنصب من شاغله بعد وفاته أو بعزله، ليعين إبنه الأمير الملكي، أي أن خليفته في الحكم، يعين إبنه من صلبه ولا يبقى أبناء أخيه في منصب والدهم الكاهن الأول الأسبق، خوفا من ظهور فرع آخر يتوراث المنصب وبالتالي يظهر بيتان مالكان في وقت واحد.

لكن شواهد الأحوال تبين لنا بأن تكريس مبدأ الوراثة والإقطاع قد تغلب على مبدأ الحفاظ على المركزية في السلطة.

1- مكانة طيبة في عهد الأسرة 22

لقد كانت طيبة قبل الأسرة الفرعونية الحادية عشر مجرد قرية صغيرة في صعيد مصر، تمكن أمراؤها من إعادة توحيد مصر، بعد انقسامها إلى مقاطعات خلال المرحلة الانتقالية الأولى. ثم جعلوا من طيبة عاصمة الدولة الوسطى ورفعوا من شأن معبودها المحلي آنذاك "الإله آمون"، فجعلوا منه الإله الرسمي للدولة المصرية.

ولما فقدت مصر الفرعونية وحدتها مرة ثانية خلال المرحلة الانتقالية الثانية، فعرفت اللامركزية في الحكم، ثم تعرضت للاستعمار من طرف الهكسوس، تمكن أمراء طيبة من جديد، وبمساعدة الإله آمون من طرد وإجلاء المستعمرين من بلادهم، ثم إنشاء الإمبراطورية التي امتدت إلى أقاليم سوريا شرقا والنوبة جنوبا.

أما بعد ذلك فكان لزاما على " آمون الإله" الرسمي للدولة المصرية أن يتحد مع الإله رع، لأن الإله رع، إله الشمس يسطع في كل أنحاء الإمبراطورية المصرية بما فيها سوريا والنوبة، أما آمون فهو الخفي ولا يعرفه أحد خارج مصر.

وبذلك أصبح الإله "آمون رع" في عهد الدولة الحديثة (الإمبراطورية)، وحتى نهاية الأسرة الحادية والعشرين، القاضي الأول في البلاد، يتنبأ بالوحي.

ولقد استخدم هذا الأسلوب أي الوحي، كأداة في تنصيب الفرعون على العرش، ثم تعيين رئيس الكهنة وكبار الموظفين في المعبد، ثم استفاد منه بعد ذلك في الكشف عن السرقات والفصل في الخصومات بين أفراد الشعب.

أما داخل جهاز الكهنوت، فقد كان وفي أغلب الأحيان، يرث الابن عن أبيه مركزه الديني- على الرغم من أنه لم يكن هناك وراثة حتمية معروفة،لا بين أفراد الكهنة، ولا في الوظائف العامة الأخرى- في عهد الدولة الحديثة. فالفرعون وحده يعين كهان وموظفي المعبد وعلى الخصوص منصب الكاهن الأول أو الأعظم للإآله آمون. لذلك كانت طيبة في أواخر الدولة الحديثة، تكاد تكون مستقلة .

وأمام تنامي نفوذ الكاهن الأعظم "حريحور"، وبتراكم الوظائف الإدارية بين يديه، وزيرا، قائدا للجيش وكاهنا لآمون الأول، انفصلت طيبة فعليا وأصبح "حريحور" فيما بعد، أو أحد أحفاده فرعونا على طيبة طيلة حكم الأسرة الحادية والعشرين .

لقد كان الكهان يؤلفون طبقة أرستقراطية يرجع بعضها إلى أجيال. فكان الواحد منهم يورث إبنه وظائفه، وقد يزيد عليها خلفه، بما له من حظوة عند الكاهن الأكبر لآمون، أو بالزواج من أسرة الكاهن الأكبر أو الأسرة المالكة نفسها.

وعلى ذلك، فإننا نجد الواحد منهم يحمل لقب الكاهن الرابع - مثلا- وفي نفس الوقت حاكم مقاطعة. ومن ثمة فقد ظهرت طبقة أشراف الكهنة في طيبة، وكانت توكل إليهم، فضلا عن الكهانة، الأعمال الإدارية، كالإشراف على الخزانة وإدارة سجلات المعبد، وكاتب الوجه القبلي (الجنوب) ومدير الأعياد.[1] ومن ثمة فلا غرابة إن كان يمتد نفوذ طيبة من الشلال الأول (أسوان حاليا) جنوبا إلى غاية أسيوط شمالا. وخلال العهد الليبي كانت إمارة مستقلة من كل الوجوه، ولم يكن يربطها بالبيت المالك في بوبسطة شيء؛ إلا أن رئيس

1- Hussan & D. Volbelle, L'Etat et les institutions en Egypte. P.P: 171-172.

الكهنة كان الأمير من البيت الليبي الحاكم وكذلك منصب الكاهن الثاني كان يعهد به لاحد أمراء البيت المالك أو أحد أبنائهم .

أما بقية المناصب بما فيها منصب الكاهن الثالث والرابع فكانا وقفا على فئة توارثت هذا اللقب عبر أجيال، ولنا على ذلك مثال: فمن تماثيل الشخصيات العظيمة في عهد الفرعون أوسركون الأول، تماثيل لكاهنين إسمهما على التوالي "نسبا وتتاوي" و"نسي باحرنكات". ومن النقوش الموجودة على التمثالين، نصل إلى سلسلة نسبهما؛ فهما ينحدران من أسرة كاهن عاصر الفرعون رمسيس الثاني ومرنبتاح وسيتي (فراعنة الأسرة التاسعة عشرة)، ولقد توارثوا هذه الوظيفة طيلة ثلاثة قرون، حتى وصلت إلى أحفادهما من الجيل الحادي عشر في عهد أوسركون الأول.[1] ولما استولى الفرعون شيشنق الأول على عرش مصر، أنشأ حكومة تقوم على دعامة أساسية وهي الطبقة العسكرية الإقطاعية، ثم أخضع لسلطانه طيبة في العام الخامس من حكمه، إلا أنه لم يغير شيئا في النظام الذي كان قائما هناك. وبقيت مقاليد أمور طيبة كما كانت عليه من قبل، بين يدي الإله آمون، والموظفين السامين في معبد الكرنك. الأمر الذي أدى بالفرعون الجديد إلى التقرب منهم، وذلك بعقد مصاهرات مع البيت المالك ليضمن ولاءهم له، وبالمقابل زادت صلاحيات وامتيازات هؤلاء الموظفون نتيجة لهذه الزيجات.

ونظرا لأهمية منصب الكاهن الأول لآمون فقد كان شاغل هذا المنصب ينافس سلطة الفرعون أحيانا لما لهذا المنصب من سلطة ونفوذ على أفراد الشعب المصري القديم. وقد عرف الفرعون الجديد بتدينه الشديد، وحرصه على نيل رضى الإله آمون وكاهنه للانتقال للعالم الآخر وللحصول على الحياة الأبدية.

---

1-سليم حسن، مصر القديمة ج9. ص.ص: 206- 208.

هذا من جهة، أما من جهة أخرى، فقد تكدست في خزانة الإله آمون، عبر تاريخ الأسر الفرعونية وخاصة أثناء عهد الإمبراطورية أموال وكنوز طائلة، فاقت خزانة الفرعون نفسه في بعض الأحيان.

ولهذه الاعتبارات كلها، لم يترك الفرعون شيشنق الأول رئيس الكهنة السابق، وعين ابنه من صلبه، الأمير "أيوبوت"، وكسر بذلك تقليد الوراثة المتعارف عليه من قبل الأسرة المصرية الحادية والعشرين بالنسبة لهذا المركز الهام والخطير في نفس الوقت. وكان من نتائج هذه الحركة الحكيمة إشراف الفرعون المباشر على هذه الوظيفة البالغة الأهمية.

وبذلك كفل شيشنق الأول لأسرته، السلطتين السياسية والروحية معا، وحرصا منه على بقاء السلطة المصرية بين أيدي الأقلية الليبية الأجنبية، وعدم تمزقها وتناحرهم فيما بينهم، فقد أكد شيشنق الأول على ألا يورث هذا المنصب في فرع ثان من الأسرة الحاكمة ينمو ويترعرع ثم ينفصل عن الشمال،و بالتالي تكون بداية لزوال السلطة الليبية في مصر.

وتعود أهمية منصب آمون الأول أيضا إلى أن شاغله كان يحمل بالإضافة إلى اللقب الديني، اللقب العسكري: "الذي على رأس الجيش العظيم للجنوب كله". وهذا اللقب الحربي لم يكن مجرد لقب لا أهمية فعلية له، بل كان تحت إمرة الكاهن جيش مكون في معظمه من المشواش وهو بمثابة جيش السيادة الروحية.[1]

**2- التنازع على وراثة الحكم والوظائف العليا**

لما تولى الفرعون «أوسركون الأول » عرش مصر حوالي 924-889 ق.م، تنبه إلى مدى الخطورة التي قد تنجم عن تعاقب أبناء الأسرة الواحدة في وظيفة كاهن أمون الأول وقائد جيش مصر العليا، لذلك سارع بتعيين ولده الأمير

---

1 - E. Driotan & J. Vandier, op. cit. p. 528.

شيشنق في هذا المنصب وأزاح أخاه "أيوبوت". وإن كان هناك من يرى بأن الكاهن " أيوبوت" توفي قبل والده الفرعون شيشنق الأول.[1]

والأمير شيشنق هو حفيد آخر فراعنة الأسرة الحادية والعشرين من ناحية والدته، لذلك كان يرى في نفسه الوريث الشرعي لحكم مصر. ولما كان صاحب شخصية قوية، أضاف إلى اللقب السابق الذي حمله الكاهن أيوبوت، لقبا آخر وهو "سيد الشمال والجنوب والرئيس الأعلى للجيش". ولقد سمح له والده أن يضع إسمه في خرطوش مثل أبيه الفرعون، ولكنه لم يتخذ ألقابا ملكية، ويبدو أنه توفي قبل والده، فسارع الفرعون الحاكم أوسركون الأول - وكان حريصا على تطبيق سياسة والده شيشنق الأول - فعين ولدين آخرين على التوالي في هذا المنصب.

لكن حينما وصل الفرعون تاكلوت الأول 889-874 ق.م إلى الحكم بعد والده أوسركون الأول، لم يترك بصماته على تاريخ الأسرة، ويظهر أنه كان ضعيف الشخصية، أو أن الظروف لم تسمح له بإبعاد أخويه من منصب كاهن آمون الأول، إذ كان "أيوبوت الثاني" كاهنا أول في السنة الخامسة من حكمه، ثم تلاه سمندس الثالث، ولنا أثار له في هذا المنصب مؤرخة بالسنة الثامنة ثم الرابعة عشر من حكم الفرعون تكلوت الأول.[2] وقد كان بقاؤهما على رأس جهاز كهنوت آمون خطرا يهدد باستقلال طيبة.

وبقي الوضع على حاله عندما تولى الفرعون أوسركون الثاني الحكم بعد والده تكلوت الأول فلم يرد مثل أبيه أو أنه لم يستطع أن يعين أحد أبنائه في منصب الكاهن الأول لآمون. ولما وجد أن نفوذ عمه يهدد سلطانة وخاصة في أجزاء مصر الجنوبية، عمد إلى الاحتفاظ بهيبة الملكية في تلك الجهات، فقام بالتنقل إلى طيبة، والقيام بإصلاح بعض التلف الذي أصاب معابد طيبة، وحرص على نقش نص حول هذه الإصلاحات وختم بخرطوش الفرعون أوسركون الثاني.

---

1 - H. Brugsch, Tanslated From The germain by H. Danby Seymour. op. cit. p. 213.
2 - B. Klauser, op. cit. p. 15.

وأعتقد أن ذلك كان تلميحا منه لتذكير عمه الكاهن الأول بأنه الفرعون الفعلي والوحيد وله السلطة على العاصمة الدينية طيبة.

وعلى الرغم من كل ذلك يظهر أن الخطر ظل يهدد نفوذ هذا الفرعون - وقد أشرنا إلى تمثال أوسركون الثاني وقد نقشت عليه دعوات يطلب فيها من الإله آمون،أن يخلد أبناءه في الحكم وأن يمنحهم السلطة على رؤساء الكهنة....- ونستدل بعد الذي سبق ذكره،بأن أوسركون الثاني في بداية عهده، قد غامر بمبدأ عدم إبقاء كاهن آمون الأول في نفس الفرع من الأسرة المالكة وتغاضى عنه. والمحتمل فيما أعتقد أن هذا المركز يمكن أن يشغله أحد أفراد الأسرة ممن هم على صلة قرابة بالملك، وليس بالضرورة أن يكون ابنا للفرعون الحاكم. لذلك أبقى على حارسيس الأول في هذا المنصب الخطير- وحارسيس هو ابن الأمير شيشق بن الفرعون أوسركون الأول - وبهذا القرار وضع الفرعون نفسه في مشكل عويص، لأن حارسيس لم يكن من ناحية الأصل ينحدر من الأسرة المالكة الليبية فحسب، بل كانت تجري في عروقه دماء أسرة عريقة، فجدته "ماعب كارع" هي إبنة الفرعون المصري بسوسنس الثاني. وبالتالي فهو من ناحية، يمثل طموحات أهل طيبة المصريين وكهنتها الذين كانوا يرمون إلى احتكار مراكزهم بشكل أكثر استقلالا عن ملوك بوباسطة الليبين.[1] وبحكم هذه الصلة الشرعية، لم يكن حارسيس الأول "ليقنع بأقل من لقب ملك، ولقد فعل ذلك فعلا فنصب نفسه بنفسه ملكا في العام الرابع من حكم إبن عمه الفرعون أوسركون الثاني.[2] ولما شعر هذا الأخير باضطراب أمور مملكته، وظهور بوادر انقسامها،عجل بالاحتفال بعيد السد، واعترف بالأمر الواقع فأصدر مرسوما يدل مضمونه باستقلال طيبة في تسيير أمورها الداخلية..

1 - K.A. Kitchen, The Third intermediate Period. p. 314.

2 - N.Grimal, op. cit. P. 392 op. cit. p.144, &-B.Klauser, op. cit. P.13.

ولكن الأمر تفاقم أكثر لما عين حارسيس الأول ابنا له في منصب كاهن آمون الأول، واحتفظ لنفسه بلقب ملك. وبذلك يكون قد ضرب بمبدأ الفرعون شيشق الأول مؤسس الدولة الليبية- ألا وهو عدم توريث هذا المنصب- عرض الحائط.

لقد توفي الملك حارسيس الأول في نفس السنة التي اعترف به أوسركون الثاني ملكا، وكانت وفاته غير طبيعته.[1] وربما في ذلك إشارة إلى أن الفرعون أوسركون الثاني كان وراء ذلك.

لقد أدرك الفرعون أوسركون الثاني بعد تجربته مع ابن عمه حارسيس الأول ضرورة الربط ليس فقط بين الملكية والكهانة، بل بين كل الوظائف العسكرية والدينية التي قد تؤثر على وحدة البلاد. وعلى أساس ذلك قام بتعيين أبنائه - رغم صغر سن بعضهم - في المناصب الحساسة في الدولة - وهذا يؤكد على الطابع السياسي المحض لهذا التعيين، والذي لم يكن له من هدف سوى تجميع الإقطاعيات المنتشرة في طول البلاد وعرضها حول البيت المالك.

من ذلك على سبيل المثال قام الفرعون أوسركون الثاني بتعيين إبنه الأمير "نمرود" على رأس جهاز كهنوت آمون. ولما توفي أوسركون الثاني تولى العرش بعده الفرعون تكلوث الثاني الذي حكم فيما بين 850-825 ق.م، ولقد تحايل هذا الأخيرعلى حامل لقب كاهن آمون الأول وهو أخوه نمرود، فلجأ إلى المصاهرة، وتزوج بابنة أخيه نمرود المسماة "كاروماما". وبالتالي يكون قد ضمن بقاء المنصب "كاهن آمون الأول" لأبنائه من بعده، وهم في نفس الوقت أحفاد الكاهن السابق نمرود. وبوفاة هذا الأخير لجأ الفرعون تكلوث الثاني مرة أخرى الى تعيين ابنه الأمير أوسركون وكان شابا في العشرين من عمره، على رأس هذا الجهاز الخطير.[2]

---

2 - K.A.Kitchen , op. cit. p. 330.

### ب - ثورة طيبة وتمزيق السلطة

لقد عرفت اصطلاحا باسم ثورة طيبة، على الرغم من أن أحداثها اندلعت في العاصمة الدينية "طيبة" أولا، مما أعطاها الصبغة الدينية،و بعد أربع سنوات من الغليان المحلي (طيبة) انفجرت هذه الثورة، لتأخذ صبغة الحرب الأهلية فانتشرت شمالا وجنوبا كما جاء في نصوص الكرنك.

لقد اندلعت ثورة طيبة في العالم الحادي عشر من حكم الفرعون تكلوت الثاني إثر وفاة الكاهن الأول لآمون "نمرود"، وتعيين الأمير أوسركون بن الفرعون الحاكم لخلافته على رأس جهاز الكهنوت.

ومن خلال نصوص الحوليات، التي دونها الكاهن الأول أوسركون، على جدران معبد الكرنك، نتبين أنه تولى هذا المنصب منذ فترة طويلة من الزمن، أي منذ السنة الحادية عشر من حكم والده تكلوت الثاني، وإلى غاية السنة التاسعة والثلاثين من حكم الفرعون شيشق الثالث. ولذلك فإن برستد يعطيه فترة طويلة في خدمة الإله آمون، تزيد عن أربع وخمسين سنة.[1]

لكن شواهد الأحوال، تدل بأن فترة خدمته الطويلة هذه لم تكن متصلة، وأنه كان ضحية مؤامرات حاكها أمراء مغتصبون للعرش، وأمراء متمردون انفصلوا عن البيت المالك وأحزاب دينية عتيقة في طيبة..

فبمجرد تعيين "أوسركون" كاهنا أولا لآمون، ومن ثمة القائد العام للجيش وحاكم الجنوب، انفجرت أعمال عنف وتمرد في طيبة، واستدعي الأمير أوسركون بوصفه حاكما للجنوب للقضاء على الفتنة. ولكن يبدو أن الثورة في طيبة كانت أكثر غليانا وشدة مما كانوا يعتقدون؛ بحيث استمرت إلى غاية العام الخامس عشر من حكم تكلوت الثاني، وامتد لهيبها إلى الشمال وفشل أوسركون في إخمادها. وربما كان هو المستهدف بها، لذلك لجأ "أوسركون" إلى المنفى في النوبة وبقي هناك طيلة عشر سنوات، ثم عاد إلى

---

1 - J.H.Breasted , ancient records of Egypt, VIV, Para. 756.

منصبه الديني في العام الرابع والعشرين من حكم والده، غير أن الأمر لم يتجاوز مجرد هدنة، فبعد أقل من سنتين، استأنف أهل طيبة كفاحهم، وفقد أوسركون الكاهن وحاكم الجنوب، سيطرته على الوجه القبلي (الجنوب). الأمر الذي أدى إلى رجوعه إلى منفاه مرة ثانية. غير أنه عاد إلى العاصمة بوبسطة على جناح السرعة، لما توفي والده الفرعون تكلوت الثاني وجلس على العرش شيشق الثالث.

يختلف علماء المصريات حول أصل الفرعون الجديد، فمنهم من يراه ابنا أصغر لتكلوت الثاني، وقد أبقاه إلى جواره في العاصمة. ولما توفي والده، دفنه بسرعة ثم أعلن نفسه ملكا. ومما يثبت صغر سنه أنه تمكن من الحكم لفترة طويلة تزيد عن إثنين وخمسين سن[1]. ويعتقد فريق آخر من المختصين بأن شيشق الثالث لم يكن من أبناء تكلوت الثاني.[2]

ومهما يكن أصل شيشق الثالث- وإن كان هناك شبه إجماع بين المختصين بأنه إبن تكلوت الثاني- فقد أبقى الفرعون الجديد، الكاهن أوسركون في منصبه طيلة السنوات الستة الأولي من حكمه، ثم ابعد من جديد ليستبدل بغريمه حارسيس الثاني.[3]

- أسباب الثورة ونتائجها

لقد بدأت الثورة كما هو منقوش على الجدار الشرقي من "البوابة البوبسطية" في السنة الحادية عشر، الشهر الأول، الفصل الثاني، اليوم الأول من عهد جلالته "تكلوت الثاني" واستمرت لغاية السنة الخامسة عشر من حكم نفس الملك. وأمام تصاعد أحداث الثورة، اضطر الكاهن الأول أوسركون إلى اللجوء إلى المنفى، ثم يعود ليترأس جهاز الكهنوت لفترات قصيرة، فتندلع الفتنة من جديد ويغادر الكاهن العاصمة الدينية. وأثناء ذلك يترأس جهاز كهانة آمون خصمه وغريمه المدعو "حارسيسي الثاني".

1 -K.A.Kitchen , op. cit. p. 333. & N. Grimal , op. cit. p.395.
2 -B. Klauser , op. cit. P.16. & - ج.هـ برستد، المرجع السابق، ص. 435 .
3 -P.G.EL.Good , op.cit. p.50.

إن حيثيات الفتنة في بدايتها تشير إلى أن الكاهن الجديد "أوسركون" كان هو المستهدف بهذا التمرد، وأنه كان شخصا غير مرغوب فيه بطيبة وعلى الخصوص على رأس كهان آمون.

غير أن ما يلاحظ في الثورة هو طول عمرها في طيبة، أي من العام الحادي عشر وإلى غاية العام الخامس عشر من حكم الفرعون تكلوت الثاني، ثم انتشارها في مناطق أخرى لتتطور فتصبح حربا أهلية كما وصفها جمع كبير من علماء المصريات. وإذا رجعنا إلى النصوص المدونة على جدران الكرنك، فإننا نجد في النص: "العام الخامس عشر، الشهر الرابع من الفصل الثالث، اليوم الخامس والعشرين من عهد جلالته تكلوث الثاني" قد حدث هياج عظيم في هذه الأرض قبل أن تأكل السماء القمر (ربما حدث خسوف) والممقوتون والثوار...اشعلوا حربا في الجنوب والشمال،...دون أن ينقطعوا عن محاربة أولئك.. وعلى مر السنين في مناوشات، كان كل واحد يقبض على جاره، دون أن يذكر إبنه الذي ولده ليحميه...."[1]

لقد اختلف المختصون في قراءة هذا النص، فإذا كان "بروش" يعتقد بأن مصرشهدت فعلا عملية خسوف في الخامس والعشرين من شهر ميسوري، وأن الأمير أوسركون قد استغل الظاهرة الطبيعية لإخافة الثوار بعدم رضى الآلهة على ما يفعلون.[2] فإنما يرى آخرون بأن العبارة هي تشبيه مجازي فقط، ولم يحدث الخسوف، وإنما الثورة كانت عارمة مثل هيجان العاصفة التي تجتاح الأرض، فانقلب النهار سوادا،كأنما السماء التهمت القمر.[3]

إننا لا نملك لنؤكد إن كان فعلا قد حدث خسوف أم لا، لكننا نستطيع أن نجزم بأن الثورة قد تجاوزت إطارها المحلي وامتد لهيبها إلى الشمال والجنوب على حد سواء؛ حتى أضحت حربا أهلية. ونستدل على ذلك بنص لـ"برستد" من حوليات أوسركون على جدران معبد الكرنك دائما، وقد جاء فيه:"

---

1- سليم حسن، المرجع السابق. ص. ص: 346-347

2 - H. Brugesh , op. cit. p. 218.
3 - B. Klauser, op. cit. p. 8.

اندفعت مصر في حرب أهلية، وانتفضت الأرض انتفاضة عظيمة، واندفع أبناء الثورة بخطى عظيمة في الجنوب والشمال."[1]، وبقيت الأزمة قائمة إلى غاية العام الرابع والعشرين من حكم تكلوت الثاني.

وحول أسباب هذه الثورة هناك عدة فرضيات.

-الفرضية الأول

لقد اندلعت الثورة في العام الحادي عشر من حكم تكلوت الثاني إثر وفاة الكاهن الأول للآله آمون المدعو "نمرود". وبالتالي يبدو لنا أن هذه الثورة لها علاقة مباشرة بالمنصب الديني، وهي من المشاكل التي كثيرا ما كان يتعرض لها الفراعنة الليبيون قبل هذه الفترة، فالخلاف حول المنصب- هذه المرة - لم يكن بين إبن الملك الجديد، وهو المرشح الرسمي للعاصمة، وبين أ بناء الكاهن المتوفى.

لقد تقبل أبناء الكاهن السابق "نمرود" الكاهن الجديد الأمير أوسركون، ربما لأنه ابن أختهم "كاروماما". وأيضا بالدرجة الأولى لأنه المترشح الرسمي، وهو تقليد متعارف عليه في الدولة الليبية، ضف إلى ذلك أن الفرعون تكلوت الثاني قد نصب أكبر أبناء الكاهن المتوفي في منصب حاكم مقاطعة هيراقليوبوليس (أهناسيا) في الأغلب كتعويض وإرضاء له.[2]

لقد كان في طيبة حزب معادي لبوبسطة، فلما حدد تكلوت الثاني اختياره، كان من الصعب عليه إقناع أهل طيبة بتعيين وريث العرش الأمير أوسركون، خاصة وأن طيبة كان لها مرشحها المحلي المتمثل في شخص "حارسيس الثاني".

ومن المفترض أن عداوة أشراف طيبة للأسرة المالكة، قد بدأت تظهر منذ وقت مبكر من تاريخ اندلاع الثورة، وربما نجمت منذ تولي حارسيس الأول، حكم طيبة بصفته ملكا أرغم الفرعون السابق أوسركون الثاني على الاعتراف

1 - J. H. Breasted , op. cit. Para: 770. & K.A Kitchen , op. cit. p. 331.
2 - K.A.Kitchen, op.cit. p. 330.

به رسميا.. وقد رأى فيه أهل طيبة نصيرا لهم، لأن جدته مصرية (ابنة آخر فرعون مصري في الأسرة الحادية والعشرين).

ويجب التذكير في هذا المقام، بأن المشواش الليبيين قد استقروا بكثافة في مصر الوسطى والسفلى، أما في جنوب مصر فكانت هناك حامية عسكرية ليبية في إلفنتين جنوب أسوان وهي عند الشلال الأول بعيدا عن طيبة. وبالتالي فإن مقاطعة طيبة كان سوادها الأعظم من المصريين.

ونستند لترجيح كفة هذه الفرضية، إلى أن الفرعون تكلوت الثاني، وفور وصوله إلى الحكم لجأ إلى عقد قران العديد من أميرات البيت المالك، على شاغلي أعلى المناصب في طيبة من ذوي الأصول المصرية، الذين سادت بينهم نزعة قوية ترفض أن يكون للعائلة المالكة اليد العليا على أعيان طيبة.[1]

لذلك فإن الحزب المعادي للبيت المالك، وبزعامة حارسيسي الثاني قد حرض على الثورة ضد أوسركون الكاهن الجديد المعين من العاصمة، وربما لهذه الثورة أبعاد أخطر، وهي أن الثورة ربما كانت ضد البيت المالك نفسه.

كما يمكن افتراض أن جمعا من الكهان قد ساروا في صف حارسيسي الثاني، الذي يكون قد وعدهم بمناصب أعلى وأرق، فحاولوا التغيير في تقاليد معبد الكرنك وأزاحوا بعض الموظفين من مناصبهم. ويذكر نص من حوليات أوسركون على لسان الإله آمون: "...أحضروا إلي واحدا من كل من خالف عادة الأجداد..... وقد أحضروا في الحال أمامه مكبلين مثل جباة الضريبة...وضربهم لأنهم في......وضعوا مثل العظماء...وأحرقوا في المعابد ...فدعا بإحضار أولاد أعيان حكومة هذه الأرض المتعلمين...لأجل أن يضعهم في وظائف آبائهم".[2]

---

1 - N. Grimal, op. cit. p. 394.
2 -J.H.Breasted , op.cit. Para: 758-759

ولهذا فم المحتمل أن هذه الأزمة الدينية، قد أخذت أبعادا أخطر، وأصبحت تمردا أساسيا من طرف أشراف طيبة للحصول على الاستقلال الذاتي.

2) -الفرضية الثانية

يعتقد أصحاب هذه الفرضية بأن هذه الثورة ذات صبغة اجتماعية، ثورة مجتمع تمرد وثار من أجل تغيير أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية المزرية. ثورة يمكن تشبيهها بتلك التي اندلعت في أواسط الأسرة الفرعونية السادسة خاصة وأن الظروف الاقتصادية والمعيشية في نصف مصر الجنوبي، كانت أسوأ حالا من الدلتا التي تعاملت موانئها بالتجارة الخارجية وصناعة محدودة.

ويستدل أصحاب هذا الرأي ببعض ما جاء في حوليات الكاهن الأول لآمون أوسركون عن أحوال الشعب الاقتصادية، وإنه بعودته خرج النساء والرجال إلى الشوارع هاتفين: "لقد أعاده آمون ليزيل بؤسنا وفقرنا". كما يعتقدون بأنها كانت ثورة ضد النظام الإقطاعي وتوارث المهن، لأن الثوار أزاحوا الأبناء عن مناصب أبائهم. لذلك كان أول شيء قام به أوسركون بعد عودته، هو إعادة تنصيب الأبناء في مهام الآباء.[1]

إن ثورة طيبة التي انطلقت من العاصمة الدينية لمصر ومقر اله الدولة "آمون-رع" ذات مغزى أعمق، فطيبة كان لها وضعها الخاص ومكانتها طيلة الدولة الحديثة. وقد ازدادت امتيازات وصلاحيات حكامها - الكاهن الأول- إلى أن انفصلت عن الأسرة الحاكمة طيلة مدة حكم الأسرة الحادية والعشرين، ونشأت بها أسرة موازيه لأسرة تانيس، فحكمها ملوك كهان توارثوا الألقاب الملكية والدينية على السواء. فلما أنشأ الفرعون ذو الأصل الليبي، الأسرة الثانية والعشرين، تمرد كهان طيبة ولم يعترفوا به ملكا. مع الإشارة إلى أن الكهان الكبار قد فضلوا الهروب من مصر إلى النوبة - ولم

1 - J.Pirenne, op.cit. p. 44.

يعودوا الى طيبة ومبايعة الفرعون شيشنق الأول إلا بعد مدة وباستخدام القوة-

ولقد احتفظ مؤسس الدولة الليبية بإدارة معبد الكرنك كما كانت في حكم الأسر السابقة، ونتيجة ذلك فإن بعض الكهان النافذين قد توارثوا مناصبهم عبر أجيال ومنذ فترة زمنية طويلة، احتوت الأسرتين العشرين والحادية والعشرين على السواء،و هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن طيبة كانت تديرها دينيا وإداريا طبقة من الأشراف امتلكت الثروة والصلاحيات والامتيازات. طبقة نافذة كان لها وزنها في تسيير أمور جنوب مصر (مقاطعة طيبة).

وبالإضافة إلى كل هذا فإن مؤسس الدولة الليبية شيشنق الأول قد استثنى حكام طيبة (الكاهن الأول) من توريث مناصبهم، خلافا لبقية مقاطعات مصر، وبهذا جعل المتضررين من هذا القرار ينضمون إلى طبقة الأشراف الساعية دوما إلى الاستقلال بأكبر قدر ممكن عن العاصمة – ولذلك افترض أن العقاب الشديد الذي سلطه الإله آمون بإيحاء من الأمير أوسركون، على ثوار طيبة والمتمثل في إحراقهم أحياء. أي حرمانهم من البعث في العالم الأخر والتمتع بالحياة الأبدية...وهو في نظر المصريين، أقصى عقاب يسلط على الفرد ويتحاشاه كل مصري ثائر أو متمرد، إلا إذا كانت أهدافه وطموحاته كبيرة، وأن تكون الفتنة التي قامت في طيبة مخطط لها من طرف أشخاص يفترض أنهم الواسطة بين الشعب وبين الإله آمون...

إن هذه الثورة– التي ما كانت تنطفىء حتى تشتعل من جديد، قد أشعل فتيلها أشراف طيبة أنفسهم، وقد كان السواد الأعظم منهم من غير الليبيين، وربما كانت تمثل البوادر الأولى لتصاعد تيار المقاومة ضد الحكم الليبي.

كما أننا لا نستبعد السبب الاقتصادي لهذه الثورة، فإذا كانت مدن جنوب مصر أفقر من مدن الدلتا التي استعادت مكانتها ودورها الفعال في الوساطة بين تجارة شبه الجزيرة العربية وإفريقيا نحو سوريا وأوربا- كما أسلفنا، فإن

الوضعية الاقتصادية لمصر في عهد الفرعون تكلوت الثاني كانت سيئة للغاية، وربما انعكست الفوضى والاضطرابات سلبا على إمكانيات الدولة المادية، فالكميات الهائلة التي قدمها أوسركون الأول للمعابد، لا تقارن بما قدمه تكلوت الثاني طيلة فترة حكه وهي خمسة وعشرون سنة. وقد تمثلت هذه الهبات في 14.5 كغ من الذهب و18 كغ من الفضة وهبة سنوية تقدر بـ400 غرام فضة،أما الهبات في عهد خليفته شيشق الثالث فقد كانت أقل، أي حوالي 12.8 كغ فضة.[1]

لقد كان لهذه الثورة أيضا نتائج مباشرة تمثلت في تناوب كل من "أوسركون" المرشح الرسمي و"حارسيسي الثاني" مرشح طيبة،على منصب كاهن آمون الأول، فكان شاغل هذا المنصب يتأرجح بين قوة البيت وقوة الحزب المناهض كما يبينه الجدول التالي:

- أوسركون على رأس كهان آمون من العام 11 وإلى غاية العام 25 من حكم والده الفرعون تكلوت الثاني. (قضى عشرة سنوات منها في المنفى) .

- حارسيسي الثاني كاهن آمون الأول من العام السادس من حكم شيشق الثالث.

- أوسركون من جديد من العام العشرين إلى غاية الخامس والعشرين من حكم شيشق الثالث.

- حارسيسي الثاني من العام 18 إلى غاية العام21 من حكم بادي باست.

- أوسركون لمدة سنتين العام 28 و29 من حكم شيشق الثالث.

- تكلوت (يغتقد أنه ابن الكاهن نمرود (الكاهن السابق)،من العام 22 من حكم بادي باست إلى آخر حكم شيشق الرابع (الأسرة 23).

- عودة أوسركون إلى منصبه في العام 39 من حكم شيشق...[2]

وعلى أساس هذا الجدول، نلاحظ بأن أوسركون كان الضحية التعسة بين نفوذ الأسرتين الحاكمتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين المتعاصرتين.

---

1 - J.Pirenne, op.cit. p. 45.
2 - B.Klauser. op.cit p.21.

أما عن نتائجها البعيدة، فقد كان لهذه الثورة دور كبير في تقويض وتقليص سلطة حكام بوبسطة، ذلك أن الغموض الذي عاشته مصر آنذاك، قد أضعف من مركزية السلطة، وظهر التمزق السياسي، فحاولت طيبة الاستقلال، بالإضافة إلى التصرف الخطير الذي أقدم عليه شيشق الثالث والمتمثل في اغتصاب العرش من الوريث الشرعي "أوسركون" الأمر الذي مهد الطريق إلى ظهور مطالبين جدد للسلطة والزعامة، بل إلى وجود اشتراك حقيقي في الحكم من جانب الأسرة الثالثة والعشرين.

كما إننا نشهد في هذه الثورة، وبعد قرن من قيام الدولة الليبية في مصر بأن التوازن النسبي الذي أرساه الفرعون شيشق الأول، وحافظ عليه خليفته أوسركون الأول، ثم ناضل من أجله أوسركون الثاني - بين سياسيتين متنافرتين - قد أخذ يختل ويتقوض بالتدريج، وهذا يشهد على مدى صعوبة تطبيق سياسة مؤسس الدولة الليبية.

ج) -ازدواجية السلطة

1) - الأسرة الثالثة والعشرون

في السنة الثامنة من حكم شيشق الثالث 825-773 ق.م (سادس ملوك الأسرة الثانية والعشرين) صار "بادي باست" ملكا على طيبة، وأنشأ الأسرة الثالثة والعشرين، التي قال عنها "مانيتون" بأنها كانت معاصرة للأسرة الثانية والعشرين، وأنها كانت تانيسية، أي أن أصل ملوكها من مدينة تانيس، وأنهم اتخذوها عاصمة لملكهم. غير أن فريقا هاما من المختصين يجمعون بأن ماينتون قد جانب الصواب، وذلك للأسباب التالية:

- إن أصل "بادي باست"، كما تشير إليه التسمية، من بوبسطة عاصمة الأسرة الثانية والعشرين، وآله المدينة المحلي هو الإله ة باست (القطة)، أما إسمه فيعرب إلى "منحته" الإلهة باستت.[1]

---

1- سليم حسن، مصر القديمة.ج9.ص 396 .

كما أن تشابه أسماء ملوك الأسرة الثالثة والعشرين، مع أسماء ملوك الأسرة السابقة لها، يؤكد الأصل الواحد للأسرتين.

ولهذا السبب حاول "آل غود El Good" إعطاء ملوك هذه الأسرة صفة الشرعية،لأنهم في نظره فرع من الأسرة الثانية والعشرين.[1]

وهنا يمكن الاعتقاد بأن "مانيتون" ربما قد وقع في لبس، عندما اعتقد في الأصل التانيسي للأسرة. ومرد ذلك أن آخر ممثلي الأسرة الثالثة والعشرين كان مستقرا في مدينة تانيس لما وصل الملك الأثيوبي "بي عنخ" إلى الدلتا حوالي 730 ق.م .

أما عن ملوك هذه الأسرة فقد روى مانيتون، بأنه تعاقب أربعة ملوك من تانيس خلال فترة زمنية تقدر بتسعة وثمانين سنة، وهم: "بتوباستس الأول" لفترة أربعين سنة، و"أسرخو"لفترة ثماني سنوات، و"بساموس" لفترة عشر سنوات و"الملك زت " لفترة واحد وثلاثين سنة.[2]

أما عن الآثار، فقد مكنت الحفريات الكثيرة الأثريين من كشف آثار، تثبت أسماء حكام هذه الأسرة وترتيبهم. لكن ما تجدر الإشارة إليه هو أن تاريخ هذه الأسرة،لا يمثل فقط حكم مصر من طرف بيتين حاكمين متعاصرين، بل نجد أن هذه الازدواجية في الحكم قد شجعت الكثير من الأمراء والكهان وقادة الجند، على الانفصال وإدعاء السلطة والزعامة، فاتخذوا الألقاب الملكية جميعهم. ونتيجة لهذه الادعاءات، أصبح من الصعب جدا ترتيب الملوك وضبط سنوات حكمهم.

ولهذا السبب استخدمنا جداول عالم المصريات كتشن سابقا،لأنها آخر الدراسات التي استقت معلوماتها من الآثار مباشرة.

ولقد رتب- كتشن- ملوك هذه الأسرة على النحوالتالي:

- بادي باست، وحكم من 818 لغاية 739 ق.م .

---

1 - P.G.El Good, op. cit. p. 50.

2 - آلن جاردنر، مصر الفراعنة. ص499.

- أيوبوت، وحكم من 804 لغاية 783 ق.م (و قد اشترك مع والده في الحكم مدة 11 سنة).

- شيشق الرابع وحكم من 783 لغاية 777 ق.م .

- أوسركون الثالث وحكم من 777 لغاية 749 ق.م.

- تكلوت الثالث وحكم من 754 لغاية 734 ق.م (وقد اشترك مع والده مدة خمس سنوات).

- رود آمون وحكم من 734 لغاية 731 ق.م .

- أيوبوت الثاني وحكم من 731 لغاية 720 ق.م.

- شيشنق السادس وحكم من 720 لغاية 715 ق.م[1] .

ولقد اختلف المختصون حول أصل مؤسس هذه الأسرة، وهناك افتراضان: تفيد أولهما أن "بادي باست" هو ابن الملك الكاهن "حارسيسي الأول"- الذي أرغم الفرعون أوسركون الثاني على الاعتراف به - وأن حارسيسي الأول، لما تولى الملك، تنازل لابنه "بادي باست" على منصب كاهن آمون الأول- وقد أشرت الى ذلك آنفا- وكان آنذاك طفلا صغيرا لم يتجاوز ثماني أو تسع سنوات من عمره، وأنه شغل هذا المنصب الديني لمدة ثلاث سنوات.[2]

ويوافق رأي "كلوزر" جمع من المختصين، على رأسهم لوجران، ومنهم دارسي. وحسب رأي هذا الأثري، فقد تم العثور على قائمة بأسماء كهان تناوبوا على منصب كاهن آمون الأول، ووجد إسم سادس كاهن مهشم. أما لقبه فهو إبن الملك "حارسا إيزيس". كما عثر "دارسي" في وقت لاحق، في مدينة فقط " Coptos" على حوض من الغرانيت مكتوب عليه الاسم كاملا: الكاهن الأعظم "بادي باست" بن حارسا إيزيس".[3]

ولقد استعان الأثري "دارسي" بنقوش هذا الحوض لتصليح الاسم المهشم على القائمة، أما " كتشن" فيختلف معهم، ويعتقد بأن "بادي باست" هو إبن ثالث لتكلوت الثاني مثله مثل شيشق الثالث.[4]

1 - K.A. Kitchen, Op. Cit. p 467.
2 - B. Klauser, Op. Cit. p 15.
3 - G. Daressy, Op. Cit. p 144.
2- K.A Kitchen, Op. Cit. P 328. p 3.

وإذا صح هذا النسب، فإنه يمكن أن يكون السبب الذي كان وراء عدم استطاعة شيشنق الثالث أن يقف في وجه أخيه، لما أعلن انفصاله، خاصة وأنه سبقه في اغتصاب العرش من الوريث الشرعي الأمير أوسركون.

واعتقد بأنه سواء كان "بادي باست بن حارسيسي الأول "أو ابن تكلوث الثاني"، فما هو مؤكد هو أنه يشكل فرعا من أسرة شيشق الأول ،مؤسس الأسرة الثانية والعشرين، وقد اغتنم فرصة الفوضى والاضطرابات، فتمرد وانفصل لينشئ أسرة جديدة.

وبغض النظر عن أصله، فإن بودار الانفصال هذه المرة لم تكن من طيبة، كما تعودنا على ذلك، بل إن الانقسام حدث هذه المرة في الدلتا نفسها..

وبيدو أن "بادي باست" قد حكم وهو في سن السادسة والخمسين من عمره.[1] غير أنه طبقا لـ" ماينتون"، فقد حكم أربعين سنة فقط، كما أسلفنا. لكن الآثار التي خلفها تشير إلى مدة أقل لا تزيد عن أربع وعشرين أو خمس وعشرين سنة.

والأمر الثاني الذي يمكننا ملاحظته هو أن حكم مشاركة "بادي باست" السلطة مع شيشق الثالث، قد اختلفت عن غيرها من المشاركات السابقة؛ فقد حكم بادي باست بصفته فرعونا مثله في ذلك مثل شيشق الثالث.

ولذلك كان يؤرخ بسنوات حكمه، كما اختار عاصمة جديدة لحكمه في "لينتوبوليس" (تل المقام حاليا).

وفي عهد "بادي باست"عرفت أزمة السلطة في الدولة الليبية تصعيدا جديدا،لأنه لم يكتف بإعلان بيت حاكم مواز للبيت الأول، ولكن طرأ تغيير في أوضاع السلطة الليبية أدى إلى تمزيقها بشكل أعمق، لما أقدم في عام حكمه الخامس عشر على جعل ابنه "أيوبوت) شريكا له في الحكم.[2]

---

1- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص575.

2 - K. A. Kitchen, op.cit. p. 336.

وبالتالي أصبح يحكم مصر ثلاثة ملوك عوض إثنين، وأصبحت مقاطعات مصر، وخاصة ذات السيادة الدينية، تتأرجح في ولائها لأخذ البيتين الحاكمين أو الاعتراف بهما معا.

## 2) -طيبة: محور الصراع بين الأسرتين

بقيت مدينة "منف"عاصمة الاله بتاح، وعاصمة الدولة القديمة وفية في ولائها للأسرة الثانية والعشرين، ذلك لأنها كانت منذ نشأة الدولة الليبية إقطاعا لأحد أمراء الأسرة الحاكمة، أي الأسرة الثانية والعشرين.

أما طيبة، مقر الإله آمون، فقد اعترفت بالفرعون شيشق الثالث (الأسرة 22) في سنوات حكمه الأولى فقط. وكان ذلك فيما يبدو لأمرين إثننين،الأول: نظرا لاغتصابه الحكم من الأمير أوسركون فحال بذلك دون تقوية شوكته،الثاني: لأنه ترك لكهنة طيبة مطلق الحرية في البت في أمر اختيار كاهن آمون الأول. ولم يقف في صف أخيه الأمير أوسركون الذي ذهب إلى المنفى، فعاد حارسيسي الثاني إلى الظهور في منصبه الديني منذ العام السادس من حكم شيشق الثالث.[1]

وبالتالي فإن حارسيسي الثاني مدين بمنصبه الديني للفرعون شيشق الثالث. لكن شواهد الأحوال تبين بأن هذا الكاهن قد استغل منصبه وغير ولاءه فيما بعد باتجاه الفرعون الجديد "بادي باست". وجعل أهل طيبة يعترفون به فور اعتلائه العرش، ويؤرخون بسنوات حكم الفرعون الجديد بمفرده،وذلك لمدة أربع سنوات على الأقل. بل ذهب فتمادى في ذلك، حيث قام بتحريض أمراء الدلتا للتمرد والاعتراف بالفرعون الجديد. وقد نجح في التأثير على أربعة من أكبر أمراء الشمال وهم أمراء: تانيس،منداس،سينيتوس وأتريبيس، وقام بفرض وصايته الدينية على هؤلاء الأمراء أيضا. لذلك ثار كهان الاله "رع" في هليوبوليس وكان لهم ولاء أمراء الدلتا فيما مضى، وكذلك

1 - N. Grimal, op.cit. p. 395.

امير من الأسرة الثانية والعشرين، ووقفوا في وجه حارسيسي الثاني، وكادت أن تندلع حرب بين الطرفين، لولا تدخل "وحي الألهة لوقف الفتنة.."[1]

يعتقد "فانديه" و"دريوتون"، بأن ا الكاهن حارسيسي الثاني قد حصل على الإذن بكتابة اسمه داخل خرطوش (الاطار الملكي)، مقابل الخدمات التي قدمها لقضية "بادي باست"[2].

ويبدو أن البيتين المالكين تقاتلا في بداية الأمر، ثم رضيا بالأمر الواقع في آخر الأمر، كما يشير إلى ذلك مقياس النيل رقم 24 الذي أرخ بسنوات حكم الملكين معا، العام الثاني عشر لشيشق الثالث الموافق للعام الخامس من حكم بادي باست، وأضيف إلى إسمهما،إسم الكاهن الأول "حارسيسي الثاني".[3] وبالتالي يظهر أن فرعي الأسرة، اللذين يناهض أحدهما الأخر، لم يكمثا طويلا في نزاع، فالتاريخ المزدوج، يشير إلى أن الفرعونين المتخاصمين، قد أصبحا على قدر من الوفاق، خاصة إذا علمنا أن القائد الأعلى للجيش في طيبة - وكانت تابعة "لبادي باست" فرعون السرة الثالثة والعشرين-كان "باشد باست" ابن "شيشق الثالث" فرعون الأسرة الثانية والعشرين.

وفي عام حكمه الخامس عشر عين"بادي بست"،إبنه "أيوبوت" شريكا له في الحكم.

وهذه السنة توافق السنة الثانية والعشرين من حكم شيشق الثالث، وهي أيضا السنة التي استرجع فيها الأمير أوسركون منصبه الديني من غريمه حارسيسي الثاني.

فهل نفهم من هذا، أنه حصل اتفاق بين الفرعونين؟ ومقابل تعيين "أيوبوت" شريكا في الحكم مع والده، استرجع أوسركون- بعد غياب كبير، وقد تقدم به العمر، فلم يعد يشكل خطرا على أخيه شيشق الثالث - منصبه الديني ؟

---

1 - J. Pirenne, op.cit. p. 60.

2 - E. Drioton & J. Vandier, op.cit, p. 532.

3 - K. A. Kitchen, op.cit, p.337. & N. Grimal, op. cit. p. 395.

لقد حكم "أيوبوت" إحدى عشر سنة مشاركا لوالده بادي باست،ثم انفرد بالحكم لعشر سنوات أخرى. ولا يعرف عنه الكثير،لأن الفوضى قد تفشت في البلاد، وتمرد حكام المقاطعات، واسترجعوا اللقب القديم "الرئيس القديم للمشواش"، الذي أوقف تداوله مؤسس الدولة الليبية.

بل إن جمعا من المختصين يعتقدون، ومنهم "جريمال"، بأن أيوبوت اشترك مع والده في الحكم مدة سنتين فقط، ثم تزامن تاريخ وفاته مع وفاة والده بادي باست.[1]

وربما لهذا السبب نجد أن كلا من الباحثين "كلوزر وآل غود"، يجعلان من شيشق الرابع خليفة لبادي باست مباشرة.[2]

أما الفرعون "شيشق الرابع" فلم يحكم إلا لفترة قصيرة، أي ست سنوات، وربما لهذا السبب نجد "مانيتون"، يجعل من أوسركون الثالث خليفة بادي باست مباشرة، ولا بأس هنا أن نذكر أنه بات من الصعب إعطاء ترتيب قريب من الصحة، لأن اضطراب الوضع في مصر في تلك الآونة كان يزداد حدة وتوترا.

ولكن على الرغم من كل هذا، فإن هناك فرعونا اتفقت جل الآثار وكذلك "مانيتون" على ذكره، ألا وهو "أوسوخور" كما سماه مانيتون، وهو تحوير لاسم أوسركون الثالث، بعد أن تعرفنا على أوسركون الأول 924-889 ق.م وأسركون الثاني874-850 ق.م، وكلاهما حكما في الأسرة الثانية والعشرين، أما أوسركون الثالث فقد حكم في الأسرة الثالثة والعشرين. وتدل شواهد الأحوال بأنه كان قوي الشخصية، وقد ترك بصماته واضحة ليس فقط، في تاريخ أسرته، بل في تاريخ الدولة الليبية ككل. فإلى غاية تاريخ وصوله إلى الحكم، كانت الأسرتان تعيشان في نوع من الإنسجام المتبادل، وقد عرفتنا نوعا من التوازن، سرعان ما غيره أوسركون الثالث، حيث طغت شخصيته

---

1 - N. Grimal, op.cit, p. 396.
2 - B. Klauser, op.cit. p.p: 15-16. & P.G. E l – Good, op.cit. p. 50.

القوية على خلفاء شيشق الثالث (الأسرة22) وكاد أن يكون فرعونا على مصر كلها...

### 3) -أوسركون الثالث وبداية تفتت السلطة

إذا اعتمدنا على جدوال "كتشن"، كما في السابق، فإن أوسركون الثالث يعد رابع ملوك الأسرة الثالثة والعشرين، وقد حكم في الفترة ما بين 777-749 ق.م، ويكون بذلك قد حكم ثماني وعشرين سنة. أما "كلوزر"، فيعتقد بأنه حكم فيما بين 783-778 أي فترة قصيرة لا تتجاوز الخمس سنوات. [1] ونلاحظ بأن الفترة التي نسبها له "كلوزر" لا تختلف كثيرا عن الثماني سنوات التي أعطاها له مانيتون.

إن التطور الذي طرأ على أوضاع السلطة في مصر آنذاك، والذي كان من خطورة الاشتراك الإسمي في الحكم، مثلما شاهدنا في حالة حارسيسي الأول وأوسركون الثاني، إلى المشاركة الفعلية بين شيشق الثالث وبادي باست. ثم تعمقت الهوة بإعلان أيوبوت مشاركا في الحكم لوالده؛ ولعل ازدياد التنافس على حمل الألقاب الملكية منذ ذلك التاريخ، كان الدافع الذي جعل ملوك الأسرتين الحاكمتين تمعنان في إشراك أبنائها معهم في الحكم.

ولهذا السبب ازدادت مهمة علماء المصريات صعوبة وتعقيدا عن ذي قبل، وتعذر عليهم تحديد فترات حكم الملوك، فتشابكت الخيوط، ولم يعد بإمكانهم أحيانا حتى تحديد أصل الملوك مثلما حدث مع الفرعون أوسركون الثالث.

والفرعون أوسركون الثالث هو- كما يعتقد جمع من المختصين- إبن شيشنق الرابع. وأن سنة حكمه الثالثة توازي العام الحادي والخمسين من حكم شيشنق الثالث من الأسرة الثانية والعشرين. [2]

---

1 - B. Klauser, Op.Cit. p. 21

2 - K. A. Kitchen, op.cit. p. 324.

وأن الفرعون الجديد أي أوسركون الثالث، قد أشرك إبنه الكاهن الأكبر لآمون، المدعو تلكوت الثالث، معه في الحكم، في عام حكمه الثالث والعشرين، كما جرت العادة عند الفراعنة المعاصرين له.

لقد أثيرت عدة تساؤلات حول شخصية هذا الفرعون، منها:هل هو إبن ووريث شيشنق الرابع كما جاء عند "كتشن"؟، أم أنه هو الكاهن الأول لآمون،الأمير أوسركون بن تكلوت الثاني، الذي عايش أحداث ثورة طيبة؟ خاصة وأن عودة هذا الكاهن إلى منصبه الديني لآخر مرة، كان في العام التاسع والثلاثين من حكم شيشنق الثالث؛ وهذه السنة لا تبعد كثيرا عن سنة وفاة شيشنق الرابع.

لذلك يفترض أن الأمير أوسركون قد قضى هذه الفترة الفاصلة بين تاريخ احتفاله بعيد آمون في العام التاسع والثلاثين من حكم أخيه شيشنق- وتاريخ وفاة شيشنق الرابع، في هيراقليوبوليس مع أخيه الأصغر "بكنبتاح" .

ولقد وجد للكاهن الأول "أوسركون" أثر مؤرخ بالعام 39 من حكم شيشنق الثالث يخلد فيه احتفاله بعيد آمون،و كان معه أخوه "القائد الأعظم لجيش أهناسيا المدينة (هيراقليوبوليس) باكنبتاح،و قد كتب على هذا الأثر "هازمين كل من حاربهم" ويقصد هنا ب"هازمين" أي هو وأخوه.[1] وفي هذا إشارة واضحة، إلى أن أوسركون قد استعاد عرشه من خصوصه، وإن كان هناك من المؤرخين من يشك في أن يكون الكاهن أوسركون قد عاش قرنا [2] ليتولى الحكم بعد شيشق الرابع [3]، في حين يعتقد آخرون بأن أوسركون قد توفي سنوات قليلة بعد العام التاسع والثلاثين من حكم شيشق الثالث.[4]

---

1 - سليم حسن،المرجع السابق. ص351

2 - لقد افترض فانديه ودريوتون سنة 757 ق.م كبداية لحكم أوسركون الثالث،و هي تتأخر عشرين سنة أو اكثر على تواريخ كل من "كتشن" و" كلوزر "و ربما لهذا السبب اعتقدا بأن سن الامير أوسركون كان قرنا من الزمن،عندما حكم أوسركون الثالث.

3-B.KLAUSER. THE LIBYAN AND NUBIAN KINGS OF EGYPT.P.18.

4- Vandier, op.cit. p. 572. &Driotan

أما الفريق الذي يعتقد بأن الفرعون أوسركون الثالث هو نفسه الأمير أوسركون، فيعتمدون على إسم والدة كل منهما وهي "كاروماما مري موت". وقد ثبت على نصوص مدونة على مقياس النيل للفرعون أوسركون الثالث، وقد قام بترميمات في معبد الأقصر، لما حدث فيضان كبير أتلف جزءا منه، بأنه ابن "كاروماما مري موت".

وكذلك نعرف من حوليات الكاهن أوسركون بأنه ابن تكلوت الثاني وكاروماما مري موت.

إن ما يؤسف له حقا، ويطرح إشكالا في تاريخ الدولة الليبية في مصر، هو عادة تسمية بكر الذكور بأسماء أجدادهم،و قد لاحظنا ذلك عبر صفحات هذا البحث (وهي عادة ليبية قديمة على ما يبدو)، ومن ذلك تكرار نفس الأسماء، وأحيانا يحدث وأن يتكرر اسم الوالدة أيضا. بل الأصعب من كل هذا،هو أن بعض الفراعنة يتخذون نفس الألقاب والنعوت مثل أسلافهم. فكيف يكون الحل إذا ما تكرر مع اللقب، الإسم الشخصي، مع غياب أي تاريخ وتوثيق، لأن الفراعنة يؤرخون بسنوات حكمهم؟

لذلك يتعذر الأمر في التميز بين الأشخاص في حالة حدوثإلتباس مثل الذي سبق...

لقد اختلف المختصون حول سن الأمير أوسركون،عندما توفي الفرعون شيشق الرابع، فإذا كان "كلوزر" يعتقد بأن الفرعون "أوسركون الثالث" هو نفسه الكاهن. فقد وصل إلى الحكم في سن الثانية والسبعين من عمره، وأنه بسبب تقدمه في السن لم يحكم سوى خمس أو ست سنوات كما أسلفنا.

أما كتشن فيعتقد بأن الكاهن أوسركون كان في الثمانين من عمره لما احتفل بعيد آمون [1] وأنه لم يحكم أبدا.

أما الأثريان–"لوجران ودارمي"- فيشاطران رأي كلوزر، ويؤكدان بأن الكاهن أوسركون هو نفسه الفرعون الثالث، وأنه قد حكم في سن متقدمة (لم

1 - K. A. Kitchen, op.cit p. 340.

يحدداها)، غير أنهما يختلفان معه ومع- كتشن أيضا- في فترة حكم هذا الفرعون التي قدراها بأربع وعشرين سنة.[1]

ومهما اختلف المختصون حول ذلك، واضطربت أحكامهم نتيجة فقر المادة العلمية التي يمكنها أن تميط اللثام عن جزء مهم من تاريخ الدولة الليبية. وقد تضاعف اضطرابهم باضطراب أوضاع الدولة الليبية في الفترة التي عرفت اصطلاحا بفترة الفوضى الليبية، لكننا نستطيع على الرغم من كل ذلك نفترض مايلي:

- إذا افترضنا أن الفرعون أوسركون الثالث، هو نفسه الأمير أوسركون بن تكلوت الثاني، وبحكمه ضمن ملوك الأسرة الثالثة والعشرين، يكون قد استرجع حقه الضائع، لأن الأسرتين فرعان من أصل واحد،كما أسلفنا سابقا.

- بوصول الفرعون أوسركون الثالث للحكم، ورثت الأسرة الثالثة والعشرون تدريجيا الأسرة الثانية والعشرين في الكثير من مقاطعات مصر الوسطى. ومن ذلك أن أوسركون الثالث، قد عين إبنه "تكلوت"كاهنا أول للإله "حرسفيس" في هيراقليوبوليس، مسقط رأس الأمرة الثانية والعشرين. وهي مقاطعة ترأسها – وإلى لغاية ذلك التاريخ - أمير من الأسرة الحاكمة الثانية والعشرين، كما عين ابنه -"نرود"- أيضا حاكما على هرموبوليس (مصر الوسطى).[2]

ولم يحكم الفرعون "بماي" ابن شيشنق الثالث (الأسرة 22) سوى مدن بوبسطة، تانيس ومنف. أما إبن - بماي- الفرعون شيشق الخامس، فقد تقلص حكمه إلى مقاطعة صغيرة كبقية المدعين غير الشرعيين.[3]

وبالتالي فقد ورث أوسركون الثالث،الأسرة 22، في المراكز الرئيسية في مصر الوسطى والعليا واكتسب الولاء جنوب منف والدلتا.

---

1 - G. Daressy, op.cit. p.139.

2 - K. a. Kitchen, op.cit. p. 352. & N. Grimal, op.cit. p.397.

3 - B. Klauser, op.cit. p. 18.

ولم يكتف "أوسركون الثالث" بهذه التعيينات فقط، بل وضع ابنته – شبن وبت الأولى- Shapenoupert، -وكانت طفلة- في منصب المتعبدة الإلهية لآمون، وهو منصب ديني، عرف منذ الأسرة الفرعونية الثامنة عشرة، وكانت تحمله الملكة زوجة الفرعون، ثم انتقل بعد ذلك إلى زوجة الكاهن الأول، لكن الأمر تغير هذه المرة لأمرين:

- قبل تعيين "شبن وبت" كانت شاغلة هذا المنصب هي "الزوجة الإلهية" وتكون عادة زوجة الفرعون الحاكم أو زوجة الكاهن الأول لآمون. ولذلك كانت تترجم إلى Epouse divine، لكن هذه المرة اشترط في شاغلة المنصب، بالإضافة إلى العذرية، عدم الزواج الأبدي. وعلى أساس ذلك ترجم إسمها إلى Adoratrice de Dieu "متعبدة الإله"، ونفترض أن أوسركون الثالث قد وضع هذا الشرط، لكي لا تخلق مشكلة وراثة المنصب بعدها.[1]

- إن صاحبة هذا اللقب أصبحت الآمرة الناهية في طيبة، وغطت على شخصية الكاهن الأول لآمون.

وبالتالي نخلص إلى أن الفرعون أوسركون الثالث قد أحيا التقليد القديم واستخدمه لأهداف سياسية، وذلك من أجل أن يقطع الطريق أمام الكاهن الأول لآمون، مترجم وحي آمون والمتحكم في مصائر الشعب، والذي حول الشعب إلى دمى يستخدمها في إثارة المشاكل والفتن والقلاقل. واستغل منصبه الديني بحيث جعله جسرا يوصله إلى اتخاذ الألقاب الملكية...

وإذا صح هذا الأمر، فإن قرار تعيين المتعبدة الإلهية بهذه المواصفات، قرار لا يصدر إلا من شخص يعرف مدى خطورة منصب كاهن آمون الأول، وربما عانى الكثير بسببه وكان ضحية له......

ونستخلص من ذلك أيضا بأن التحول الذي طرأ، وإن بدا ظاهريا أو أمرا تقليديا، وجد منذ عهد الأسرة الثامنة عشر، إلا أن مكانة الجالسة في هذا المنصب كانت ذات فعالية، وأصبح منصبا سياسيا يضع صاحبته في درجة

1 - J. Pirenne, op.cit. p. 65.

المساواة مع الملك الذي تمثله في حالة غيابه عن طيبة، وكانت الوظيفة تورث من العمة إلى إبنه الأخ. كما حجبت صاحبة هذا المنصب، كاهن آمون تدريجيا، فأصبحت سلطته تكاد تكون منعدمة وتولى كاهن آمون الرابع الأمور الدينية لطيبة.[1]

كما نستنتج من ذلك أيضا أن الفرعون أوسركون الثالث، قد أدرك أن أسلافه الفراعنة الليبيين، كانوا عاجزين عن تثبيت أحد الأمراء في هذا المنصب، فوجد مخرجا، ورأى من الضروري إزالة المنصب نهائيا.

غير أن شواهد الأحوال تبين لنا بأن أوسركون الثالث، قد أراد إيجاد مخرج للأزمة السياسية التي شهدتها الدولة الليبية في مصر، طيلة القرن الثاني من حكمها وأنه وضع أصبعه على سبب الأزمة، والمتمثل في منصب الكاهن الأول.

لذلك أراد أن يقلص من سلطانه ليختفي نهائيا، غير أن الواقع يشير إلى أن أوسركرون الثالث، وبإزالة هذا المنصب قد زرع بوادر الفتنة والانقسام على ما تبقى من وحدة مصر.

وأنه بهذا التصرف، تسبب في فقدان "طيبة" العاصمة الدينية مكانتها وسلطانها على حاكم مصر الموحدة سابقا. أما والحالة هذه، المتسمة بالتفتت والانقسام، فقد أصبح حاكم المقاطعة، بالإضافة إلى تسيير أمورها مقاطعته إداريا، كاهن الإله المحلي لهذه المقاطعة أيضا. بل أصبح الإله المحلي لكل مقاطعة يشغل نفس المكانة والمهام التي كان يقوم بها الإله آمون في طيبة سابقا..

وبالتالي أصبح الأمير وحاكم المقاطعة يأخد التفويض الإلهي لحكم البشر، ومزاولة السلطة من هذا الإله المحلي، ولم يعد بذلك في حاجة إلى إله طيبة.[2]

والنتيجة النهائية بعد كل ذلك، هي عدم اقتصار التفتت والانقسام على المستوى السياسي، بل شمل هذا التفتت السلطة الدينية أيضا.

---

1 - G. Hussan & D. Valbelle, l' Etat et les institutions en Egypte. p.163.
2 - J. Pirenne, Troisième Période intermédiaire. p. 53.

وفي هذا المقام يقول "درامي" أن أوسركون الثالث يكاد يكون السبب الرئيسي في مرحلة الفوضى التي عرفتها الدولة الليبية . فبعد أن كان في شبابه يكافح من أجل قمع ثورة طيبة، والتصدى لمحاولات الانقسام، فإنه وعلى الرغم من تقدم السن والخبرة الطويلة، تيقن باستحالة بقاء سلام بين البيتين الحاكمين. لذلك عمد إلى تقسيم مصر من أجل ممارسة السلطة والحكم.[1]

وبالفعل، فقد حكم أوسركون الثالث فترة تناهز التسعة والعشرين سنة. وفي عام حكمه الثالث والعشرين شاركه ابنه تكلوت الثالث في الحكم، وحكم هذا الأخير ثلاثة وعشرين سنة. غير أن الأمراء اغتنموا وفاة والده القوي، فأعلنوا انفصالهم، واغتصبوا الألقاب الملكية. وإن كان الواحد منهم لم يحكم إلا مقاطعة واحدة أو أزيد بقليل.

وبعد تكلوت الثالث،حكم أخوه الأصغر "رود آمون". لكن فترة حكمه لم تكن فترة طويلة، إذ لم يترك إلا القليل من الآثار؛ وقد ازدادت مصر في عهده تفتتا وانقساما، فانفصل عنه صهره (زوج إبنته) المدعو "بف نف دوباست"، الذي أنشأ بيتا حاكما في هيراقليوبوليس، على الرغم من أنه لم تكن تربطه صلة بالأسرة الثالثة والعشرين "بينتوبوليس" المدعو "أيوبوت الثاني"، ولم تكن له أية صلة بالأسرة الحاكمة.

أما وريث عرش الأسرة الثانية والعشرين الملك "شيشق الخامس"، فقد كان لا يفوق هؤلاء المدعين من ناحية السلطة والزعامة، إذ كان يبسط سيطرته فقط على مقاطعة بوبسطة (عاصمة الأسرة) وسرعان ما انتزعها منه أوسركون الرابع ليضمها لأملاك الأسرة الثالثة والعشرين.[2]

وبهذا التفتت في السلطة والزعامة، بدأت بوادر اقتراب نهاية الدولة الليبية في مصر، بعد أن فقد فراعنتها السيطرة على التوازن الذي اقتضته سياسة مؤسس الدولة الليبية الفرعون شيشنق الأول.

---

1 - G. Daressy, op.cit. p.140.
2 - K. A. Kitchen, op.cit. 357. & N. Grimal, op.cit. p. 397.
وأيضا- سليم حسن، المرجع السابق،ص 425.

# الفصل السابع

## التفتت السياسي ونهاية الدولة

أ- تفتت السلطة بين زعماء المشواش

إن ظهور الأسرة الثالثة والعشرين حوالي عام 818 ق.م، قد عمق ظاهرة النظام الإقطاعي في مصر الليبية وطورها، غير أنه بالمقابل أفرغ اللقب الفرعوني من محتواه القديم، إذ لم يعد الملك إلها ولا ممثلا للمشيئة الإلهية. ووصلت البلاد إلى منتهى الفوضى الداخلية، فضلا عن التفكك والانهيار الشديدين.

ويكاد المختصون في علم المصريات يجمعون بأن غزو الملك الكوشي (السوداني) المدعو "بي عنخ" لمصر حوالي 730 ق.م، قد وضع حدا لأكثر عصور التاريخ المصري القديم غموضا؛ إذ لم يصل المؤرخون إلى نتائج حقيقية، وذلك على الرغم من دراستهم لكميات كبيرة من الوثائق الجزئية والمتفرقة، بسبب التجزئة السياسية التي عانت منها البلاد .

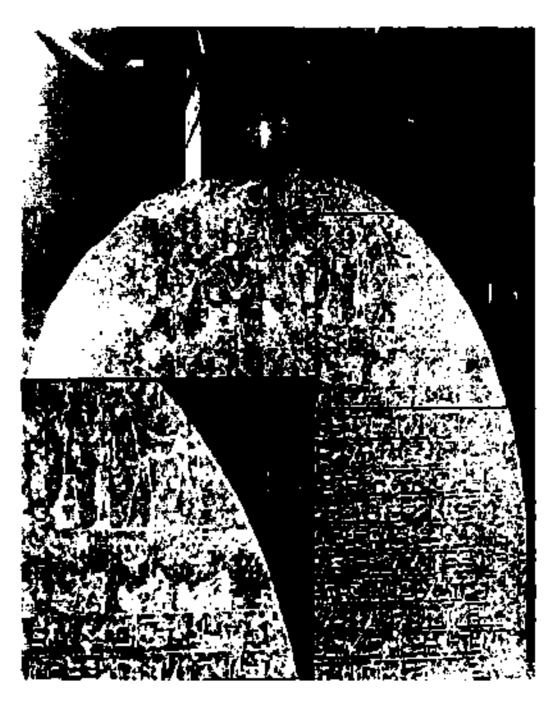
إن شدة الصراع على حق السيادة والزعامة المترتب على حمل الألقاب الملكية بين مختلف المدعين والمغتصبين، قد زاد من صعوبة تحديد تأريخ زمني متصل لحكام الدولة الليبية في أواخر عهدها. وبالتالي لا يجوز لنا أبدا أن ندعي أننا ندرس تاريخ أسر مالكة بقدر ما ندرس تاريخ حكام أقاليم ذوي سلطة محلية ومحدودة جدا.

وفي غياب تأريخ رسمي لهؤلاء الملوك والأمراء، وافتقار المصادر الكلاسيكية لمثل هذه المعلومات، فإن تاريخ هذه الفترة غامض وحلقة ضائعة من تاريخ الدولة الليبية في مصر، وذلك لغاية العثور على لوحة "بي عنخ" لتلقي بعض الضوء وينقشع جزءا من الظلام المخيم على أواخر حكم الليبيين لمصر .

I ) لوحة " بي عنخ PIANKHY " وحكام مصر

لقد اعتمد المؤرخون وإلى زمن غير بعيد على لوحة انتصار الملك الكوشي "بي عنخ" على الأمراء الليبيين في مصر. ولقد عثر على هذه اللوحة في معبد آمون بجبل البركل بالسودان، ثم نقلت إلى متحف القاهرة حيث تحمل الآن

رقم JE48862. وهذه اللوحة مؤرخة بالعام الحادي والعشرين من حكم هذا الملك.[1](أنظر اللوحة رقم 7)



**اللوحة رقم7:** ونصب لوحة النصر للملك الكوشي "بي عنخ" والإطار يمثل الملك

هرموبوليس(الأمشمونيون)نمرود وهو يمسك فرسا ورفقته زوجته

اللوحة موجودة بالمتحف المصري بالقاهرة

وقد كتب على هذه اللوحة وصف مسهب لسير الوقائع الحربية، بالإضافة إلى معلومات جغرافية عن المناطق المصرية التي قام جيش الملك بدخولها.

ومن خلال الخارطة الجغرافية التي قدمها لنا الملك الكوشي، فإننا في حقيقة الأمر نتعرف على الحالة السياسية للدولة الليبية في عام 730 ق.م .

---

1 - الملك بي عنخ: هو إبن الملك كاشتا، أول ملوك الدولة الكوشية بالسودان، من الشلال الثاني شمالا إلى الشلال الرابع على نهر النيل جنوبا. وقد حكم بين 751 – 716ق.م. وفي عام 730ق.م غزا مصر وخلد انتصاره على لوحة يبلغ طولها 1.80م وعرضها 1.84م وسمكها 43 سم. وتزن طنين وربع طن مغطاة بالنقوش على جهاتها الأربعة. ولقد عثر عليها بالصدفة ضابط مصري كان يعمل في الجيش بالسودان عام .1862

للمزيد من المعلومات، راجع: محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم. ط2، القاهرة: دار المعارف 1983،ص.141

سبقت الإشارة الى أن التفتت السياسي في أواخر الدولة الليبية قد صاحبه تفتت ديني أيضا، وقد أنعكس كل هذا سلبا على حياة المجتمع المصري، مثلما انعكس ذلك سلبا على وحدة السلطة الزمنية والروحية معا. فهذه الأقاليم التي استقل بها قادتها، أصبحت تدفع الضريبة مباشرة للأمير الحاكم وتوفر له كذلك عدد الجنود اللازمين لتكوين جيش محلي يوفر الأمن الداخلي ويدافع عن مصالح الإمارة. ومقابل ذلك فإن هذا الأمير لم يعد يدفع لخزانة مولاه- فرعونا كان أو ملكا- إلا نصيبا يسيرا من الضريبة المفروضة على سكان إقليمه، ويحتفظ لنفسه بحصة الأسد. وقد كان هذا الأمر من الأسباب المباشرة لإفلاس خزينة الفرعون. ويشهد على ذلك حالة القرابين والهدايا التي قدمها الفرعون شيشنق الثالث لآلهة مصر، مقارنة بهدايا سلفه الفرعون أوسركون الأول (924 -889 ق.م)، مع الإشارة إلى ان الأزمة السياسية كانت في بدايتها على أيام حكم شيشنق الثالث.

أما أفراد المجتمع البسطاء،فقد أرهقتهم الحروب المتتالية بين الأمراء وانعدام الأمن. ولما تعذر عليهم دفع الضريبة المستحقة لخزانة الأمير الحاكم، لجؤوا إلى الاستدانة من المعابد،وقد فرضت هذه الأخيرة فوائد مرتفعة، قدرت بمئة وعشرون بالمائة (120%) كفائدة سنوية. وفي حالة عجز الفلاح عن دفع هذه الفوائد في آجالها المحددة، يأخذ المعبد ممتلكاته، وإن كانت غير كافية يتحول الفلاح إلى خادم للمعبد.[1]

وأثناء هذه الفوضى السياسية، تباينت طبقات المجتمع الإقطاعي أكثر من ذي قبل وأصبحت المهن وراثية، خاصة في منطقة وادي النيل الأدنى أي من الشلال الأول جنوبا إلى منف شمالا. أما منطقة الدلتا فقد كانت أحسن حالا، نتيجة معاملتها التجارية مع الخارج. وكانت تانيس ميناء هاما، ومنف مدينة استقرت بها جالية فينيقية اشتغلت بصناعة المعادن، فنشطت

1- J.Pirenne, op.cit.P. 55.

الحياة اليومية في المقاطعة، وكان الجميع أحرارا، نبلاء كانوا أو كهان أو جندا أو حرفيين، سواسية لا يفرق بينهم سوى مقدار ثروتهم.[1]

ونتيجة لهذه الحرية وهذا الثراء، فقد حافظت مدن الدلتا على إشراق الحضارة المصرية، في وقت تدهورت فيه حالتها وفقدت المركزية السياسية.

وعن لامركزية السلطة في هذه الفترة، فقد زودنا "بي-عنخ" بقائمة الملوك والأمراء والزعماء الليبيين الذين سلموا وقدموا له فروض الولاء والطاعة. كما حرص على ذكر أسماء مقاطعتهم.وكانت هذه القائمة تحمل أسماء حوالي خمسة عشر شخصية.غير الفراعنة الأربعة، أي أن مصر كانت بمثابة فسيفساء سياسية عام 730 ق.م.

ويأتي على رأس قائمة "بي– عنخ"، أربعة فراعنة يحملون على رؤوسهم الصل الملكي ووضعت أسماؤهم في خراطيش .

-الفرعون " نمرود " في هرموبوليس(الأشموني حاليا ).

-الفرعون" أوسكرون" في بوبسطة.

-الفرعون " أيوبوت " في لنتو بوليس.

-الفرعون " بف نف دي باست" في هيراقليوبوليس.

ثم يأتي بعدهم الأمير الملكي المدعو "بدي إيزيس" الذي لم يكن يحمل الصل الملكي، وإنما احتفظ بضفيرة شعر جانبية، وهو حاكم أثريبس .

ثم يليهم زعماء مشواش يحملون لقب "حاتي – عا" h3T h.C3 الأمير العظيم، وآخرون لم يحملوا هذا اللقب.

- الأمير زعيم المشواش " زد منف عنخ " في منداس، وبكر أبنائه المدعو "عنخ حور" قائد وحاكم بلدة " تحوت بر حوري ".

- زعيم المشواش " شيشنق " في بوزريس.

- الأمير زعيم المشواش " نس ناووت" إبن الأمير الملكي "باكنفي" من مقاطعة "الثور حسب " .

---

1- J.Pirenne, p. 59..cit.Op

- الأمير زعيم المشواش العظيم كانوش في تب نتر (سبنيوتوس) وديوسيوليس وايزيديوليس .Isidopolis

- الأمير زعيم المشواش "باثنفي" في "بر- سبد"

وكذلك مخزن الجدار الأبيض (منف).

- زعيم المشواش العظيم "بماي"، من "بر أوزير" بوزريس.

- زعيم المشواش سيد مدينة "بنتاور".

- زعيم المشواش سيد مدينة "نيتي كهوي".

- كاهن حور سيد ليتوبوليس المدعو "بادي حرسماتوي".[1]

وبقراءة مركزة ونافدة للفقرات التي ترجمها "برستد" لنص "بي عنخ" نستخلص بأن الملك "بي عنخ"، في ترتيبه لملوك وحكام مصر، لم يراع القوة والسلطة الفعلية لهؤلاء الحكام، بقدر ما راعى الحفاظ على كرامة الممثلين الشرعيين للأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، أي أنه التزم بالبروتوكول.

ذلك أن الفرعونين أوسركون وأيوبوت، كانا يحكمان في الدلتا حكما محدودا جدا، لا يتجاوز حكم بقية زعماء المشواش.

والفرعون أوسركون في لوحة "بي عنخ" هو الفرعون الذي رتبه علماء المصريات تحت اسم أوسركون الرابع، وكان آخر ملوك الأسرة 22.

وقد حكم في بوبسطة وتانيس ظاهريا فقط، لأنه في الواقع قد اقتطعت أجزاء من هذه المملكة وأصبحت تحت زعامة أمراء، ومنها مقاطعة "فاربيتوس" (هوربيت على الخريطة) المستقلة التي شطرت المملكة إلى شطرين.[2]

أما الفرعون "أيوبوت" فهو "أيوبوت الثاني" آخر ملوك الأسرة 23، وقد حكم فيما بين سنة 731—720 ق.م، واقتصر حكمه على عاصمة المملكة لينتوبوليس فقط.

---

1 - J.H. BREASTED, ANCIENT RECORDS OF EGYPT. PART IV, para.878.

N. Grimal, op. cit. P. 398. -2

ويعتقد "كتشن" بأن "بي عنخ" قد وضع هؤلاء الثلاثة في المقدمة ومعهم الأمير الملكي "بدي باست" لأنهم يمثلون السلطة الشرعية.[1]

أما الفرعونان "نمرود"و "بف نف دي باست" فقد كانا في حقيقة الأمر أقوى الحكام جميعا (قبل تنامي قوة "تف نخت" غرب الدلتا) وكانا يتقاسمان كل مصر الوسطى .

وقد كانت أيضا قوة جيوش بعض زعماء المشواش، واتساع إمارتهم أقوى بكثير من تلك التي يحكمها ملوك وأمراء من الأسرة المالكة..

ونتبين من هذه اللوحة، أن معظم حكام مصر السفلى قد اشتركوا في اتخاذ لقب "زعيم المشواش العظيم"..

وعلى الرغم من ذلك، تبقى هذه اللوحة ناقصة لأنها لا تعطينا معلومات كافية عن الأقاليم،إذ بقي الكثير منها مجهولا إلى غاية تاريخ لاحق. كما أنها تصف لنا حالة مصر عام وصول "بي عنخ" إليها، وبالتالي نجهل كيف وصلت أحوال مصر إلى هذه النهاية الدرامية.

II) الإمارات والمقاطعات الليبية من خلال الآثار

تعتبر دراسة "جون يويوت JEAN YOYOTTE "حول" إمارات الدلتا في عهد الفوضى الليبية أوفى دراسة حول الموضوع حسب علمي، والدليل على ذلك هو اعتماد العديد من الباحثين والدارسين عليها اعتمادا يكاد يكون كليا. (صدرت عام 1961).

لقد انكب "يويوت" على دراسة كم كبير من الآثار المتفرقة والمجزئة، كان معظمها عبارة عن ألواح قرابين أو هبات وكذلك دلايات (AMULETTES). وتمكن من رصد أربعين اسم زعيم مشواش تقاسموا حكم الدلتا المصرية. والمفيد في هذه الآثار أن جزءا كبيرا منها مؤرخ بحكم فرعون ما، الأمر الذي

---

1-K.A kitchen, op. cit. p 366.

ساعده على وضع قائمة مرتبة لحكام بعض الأقاليم، وتعذر عليه الأمر بالنسبة في مقاطعات أخرى.

وعلى ضوء تلك النتائج، وضع يويوت خارطة سياسية دقيقة لحكام الدلتا (أنظر الخارطة رقم2)، وأعطى فكرة عن حكم بقية القطر المصري على أواخر حكم الليبيين في كل من مصر الوسطى وصعيد مصر.

خريطة رقم02: تمثل الإمارات الليبية في الدلتا المصرية حوالي 730 ق.م

وفي الدلتا، بدأ بمدينة منف، ثم غرب الدلتا، وسط الدلتا ثم العواصم الملكية .

1- منفMEMPHIS: ويطلق عليها اسم مفتاح مصر (رأس الدلتا وقمته). تقع على الضفة الشرقية لنهر النيل، وكانت عاصمته الدولة القديمة في مصر الفرعونية، وحافظت على مكانتها خلال حكم الليبيين، فجعلها الفرعون شيشنق الأول إقطاعا وراثيا لأمير من الأسرة الحاكمة، فعين عليها صهره (زوج أخته) .

وفي عهد الفرعون أوسركون الثاني، كانت إقطاعا لابنه الأمير شيشنق، ثم ورثها هذا الأخير لذريته من بعده، ومنهم تنحدر سلالة من زعماء المشواش حكموا منف .

ولقد احتفظ معبد السيرابيوم، بمنف على الكثير من الألواح التي تحمل أسماء هؤلاء الحكام.[1]

وقد نقلت هذه الألواح إلى متحف اللوفر ومنها لوحة تحمل رقم M3749، مؤرخة بعام 28 من عهد الفرعون شيشنق الثالث، ولوحة أخرى تحمل رقم M3697 مؤرخة بالعام الثاني من حكم الفرعون "بماي" واللوحتان تحملان أسماء ثلاثة حكام متتالين: الزعيم العظيم للمشواش "وحرفي (استقرت بمدينة منف جالية فينيقية تخصصت في صناعة المعادن) الإله بتاح "بدي إيزيس" ابن الزعيم العظيم للمشواش "تكلوت" كاهن بتاح بن الأمير الملكي شيشنق، بن سيد الأرضيين "الفرعون أوسكرون الثاني". أما إبن "بدي إيزيس" فلم يحمل اللقب مثل أبيه وجده، واكتفى بلقب الكاهن "حارسيسي".[2]

وبعد ذلك، تطور النظام السياسي في هذا الاقليم وانتقلت السلطة إلى أيدي زعماء الليبو أثناء حكم الفرعون شيشنق الخامس .

2) -غرب الدلتا

إذا رجعنا إلى وثائق بداية الدولة الليبية، نجد بأن مؤسس الدولة الليبية "الفرعون شيشنق الأول" قد وضع الأجزاء الغربية من الدلتا تحت إدارة زعيم قبيلة الليبو المدعو"نيو ماتين".[3] غير أن الآثار المتفرقة التي ترجع إلى أواخر فترة الفوضى الليبية تشير إلى أن هذه الأجزاء كانت تحت زعامة حكام،

---

1 - السرابيوم هو مدفن عجول الإآه أبيس Abis المقدسة، والثور أبيس رمز اله الإخصاب في مصر الفرعونية، ولقد اكتشف هذه المقبرة عالم المصريات أوجست ماريت AUGUSTE MARIETTE عام 1850.

- ج. بوزنر، معجم الحضارة المصرية القديمة، ص 10.

2-JEAN YOYOTTE, «LES PRINCIPAUTES DU DELTA AU TEMPS DE L 'ANARCHIE LIBYENNE». MELANGES MASPERO, T 66. LE CAIRE: I FAO, 1961. P P 124- 131.

3 - K.A KITCHEN, OP.CIT.P. 291.

يحملون اللقبين معا: زعماء الليبو وزعماء المشواش. ومن ذلك أثر موجود بمتحف القاهرة، يحمل رقم JE30972 مؤرخ بالعام 19 من عهد الفرعون شيشنق الخامس، لصاحبه رئيس الليبو العظيم والزعيم العظيم للمشواش، القائد والكاهن كر ker، الذي كان حاكما على منطقة غير معروفة تسمى "مفكي" غرب فرع دمياط .

وهناك أثر ثاني - دائما بمتحف القاهرة، ويحمل رقم JE85647 - قد وجد في كوم فرين (غرب الدلتا) مؤرخ بعهد شيشنق الخامس وصاحب الأثر يحمل الريشتين معا، واحدة موضوعة بطريقة المشواش والأخرى بطريقة الليبو.[1]

وعلى ضوء ما سبق، نتساءل ما إذا كانت ذرية زعماء الليبو، الذين عايشوا تأسيس ونشأة الدولة الليبية - وأمام تنامي نفوذ وسلطة المشواش أثناء حكمهم - قد حملوا لقب زعيم المشواش أيضا، وأضافوا على رؤوسهم ريشة ثانية مثبتة بنفس طريقة المشواش، ثم في مرحلة لاحقة، ومع ذهاب سلطة هؤلاء المشواش وتفتتها بين القادة، ظهر تطور ثان في ذهنية الليبو، فاستغنوا عن لقب زعيم المشواش واحتفظوا بلقبهم الأصلي؟ وهل كان ذلك في السنوات الأخيرة من حكم الدولة الليبية في مصر فقط؟

وهو الأمر الذي سنحاول أن نتبينه لاحقا .

3)- وسط الدلتا

عرف في وسط الدلتا ثلاثة زعماء مشواش وردت أسماؤهم في لوحة "بي عنخ"، وقد جاء ترتيبهم مباشرة بعد الفراعنة الأربعة والأمير الملكي، ومعنى ذلك أن سلطتهم ونفوذهم كانت أقوى من بقية الزعماء الذين تلت أسماؤهم في القائمة.

1- Jocelyne Berlandini « une stèle de donation du dynaste libyen Roudamon ». Paris: B.I.FAO N:78. 1978. p. 163.

- بوزريس BOUSIRIS (أبوصير حاليا)

بوزريس بالمصرية القديمة بر- أوزيس، أي بيت الإله أوزريس، وهي عاصمة الإمارة وموقعها وسط الدلتا، تحدها غربا إمارة تف نخت (زعيم الليبو ومؤسس الأسرة 24) وجنوبا إمارة أثريبس، وشمال شرق زعماء مقاطعة منداس، أما شمالا فتحدها مقاطعة سبنيتوس. وكانت مقاطعة بوزريس أصغر مساحة من الإمارات المجاورة القوية، ويبدو أنها لم يكن لها أمل كبير في التوسع على حساب جيرانها المتميزين بالقوة. وإن ذكرها الملك الكوشي "بي عنخ" ضمن قائمة الامارات القوية، فذلك لأن اقتصادها كان متطورا، وامتيازها عن بقية المدن الأخرى بكونها مدينة مقدسة يحج إليها قدماء المصريين.

ولقد ذكر "بي عنخ" في لوحة انتصاره، بأن زعيم المشواش "شيشنق" من بيت أوزريس، كان حليفا لـ " تف نخت" في معركة هيراقليوبوليس. ثم ذكر لنا زعيما آخر من نفس الإقليم جاء لتحيته وتقديم[1] فروض الولاء والطاعة، وهو زعيم المشواش "بماي" من بيت أوزريس.[2]

وتفسير ذلك أن الزعيم شيشنق يكون قد قتل في معركة ما أو توفي لأسباب طبيعية، فلما وصل الملك الكوشي الى الشمال وجدا زعيما جديدا على مدينة أوزريس هو بماي.

أما عن بقية الآثار، غير لوحة "بي عنخ"، فهناك لوحة مؤرخة بالعام 18 من عهد فرعون لم يذكر إسمه (الخرطوش فارغ لكن يويوت يعتقد انه شيشنق الخامس) لصاحبه قائد الجيوش "تكلوت" زعيم المشواش العظيم، وهذه السنة توازي تقريبا سنة 749 ق.م، وبالتالي يمكن أن نصل إلى أن المقاطعة كان يحكمها زعيم المشواش "تكلوت" تسعة عشر سنة قبل غزو"بي عنخ "للدلتا المصرية .

---

1- J.YOYOTTE, OP.CIT. P. 125.& P.14.

2– J.YOYOTTE, OP.CIT.P.165 & p 171. & Breasted,OP. CIT .Para.878 -830

- سبنيتوس Sebennytos : (أو سمنود)

وتتوسط هذه المدينة الدلتا، وتعتبر من أقدم مراكز استقرار المشواش قبل وصولهم إلى سدة الحكم، فهناك رسالة من أواسط الأسرة العشرين المصرية، تذكر تواجد المشواش حوالي هذه المدينة.

وقد كانت هذه المقاطعة شاسعة وقوية، وحسب لوحة "بي عنخ" دائما، فقد كانت تضم سبينيتوس-إيزيدوبوليس (مدينة بهبيت) وديوسبوليس شمالا. بمعنى أن إمارة سبينيتوس كانت تمتد من وسط الدلتا إلى غاية سواحل البحر الأبيض المتوسط (أنظر الخريطة)، تحدها شرقا مقاطعة منداس، وغربا مقاطعة سايس وبعد حاكمها نف-نخت هو مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين .

لقد ذكر "بي عنخ" أن أمير سنيتوس،زعيم المشواش المدعو "أكانوش" لم يدخل حلف الشمال الذي أنشأه "تف نخت" ضده، وفضل على ذلك الحياد، ولم يكن موقف أكانوش هذا منطلقا من مركز قوته، ذلك أنه سارع إلى منف جنوبا لتهنئة "بي عنخ" لانتصاره على "تف تحت" ولم ينتظر وصوله إلى الدلتا ليقدم له التهاني والولاء كبقية أمراء الشمال.

وبقي هذا التصرف مثيرا للتساؤلات، فالآثار المتفرقة تحاول استفسار ذلك، فهاهو "يويوت" يفترض وجود صلات مصاهرة تربط هذا الأمير الليبي "أكانوش" والكوشيين في الجنوب .

ثم هناك تمثال من البرونز موجود بمتحف "أثينا" يعرف باسم السيدة الكوشية، ويمثل امرأة نبيلة، وعلى التمثال كتب النص التالي: "تاكوش إبنة الزعيم العظيم للمشواش "أكانوشي" واسم ابنة الزعيم أكانوش يعني "الكوشية" أي التي تجري في عروقها دماء كوشية. لذلك يفترض يويوت بأن أكانوش، كان متزوجا بامرأة كوشية .

وقد ذكر على التمثال أسماء آلهة مدينة "إيزيدوبوليس". وبالتالي فلا مجال للشك بأن أكانوش هذا هو نفسه حاكم سبنيتوس.[1]

وربما هذا ما يفسر لنا أيضا سر عدم انضمام أكانوش لحلف الشمال، بالإضافة إلى أنه كان متخوفا من جيرانه إلى الغرب منه، "تف نخت" وقد كان في طريقه إلى ابتلاع المقاطعات الواقعة غرب فرع دمياط، لإنشاء الأسرة الرابعة والعشرين. لذلك لجأ أكانوش الى الأسرة الكوشية، وكانت مسيطرة على طيبة منذ وقت سابق، فتقرب منها علها تبسط حمايتها عليه.

- منداس .MENDES

لقد جاء في لوحة "بي عنخ" بان منداس كان يحكمها سنة 730 ق. م، الأمير زعيم المشواش "زد منف عنخ" وأن ابنه "عنخ حور" كان قائد الجيش في بلدة "تحوت بر رحوي" وقد جاء لتحيته ومعه 57 فارسا[2] .

وتفيدنا بقية الآثار، ومنها لوحة مؤرخة بالعام 22 من عهد الفرعون شيشنق الخامس، وصاحبها هو الزعيم العظيم للمشواش والقائد "حور نخت" بن الزعيم العظيم " أشهيبي".

أما اللوحة الثانية فهي مؤرخة بالعام 21 من عهد "أيوبوت الثاني" لصاحبها الزعيم العظيم للمشواش "سمندس" بن الزعيم العظيم للمشواش "حور نحت" واللوحة الثانية متأخرة من حيث الزمن عن اللوحة الأولى، وللتوضيح فإن شيشنق الخامس تولى العرش سنة 767ق.م، أما أيوبوت الثاني فقد حكم بدءا من سنة 731ق.م .

وعلى ضوء ما تفيدنا به هذه الألواح يفترض "يويوت" ترتيبا لحكام إمارة منداس الذين اتخذوا لقب زعيم المشواش العظيم. وهم ستة :

1- J.YOYOTTE, OP. CIT. P 160.
2- J.PIRENNE, OP. CIT. P 56.

-أشهيبي – حور نحت بن أشهيبي (صاحب اللوحة الأولى) ثم سمندس بن حور نخت (صاحب اللوحة الثانية) – حور نخت بن سمندس– ثم زد منف عنخ (الذي ذكره "بي عنخ" وفي المرتبة السادسة إبنه حورنخت.[1]

وهنا أعتقد بأن "يويوت" قد لجأ في هذا الترتيب بالإضافة إلى الآثار المتوفرة، إلى العادات الليبية القديمة التي تقتضي بأن يطلق إسم الجد على بكر الأبناء. وبالتالي افترض أسماء شخصيات قد تؤكدها الآثار التي ما تزال مدفونة تحت الأرض .

وقد شهدنا هذه العادة في شجرة نسب مؤسس الأسرة الثانية والعشرين منذ القرن العاشر ق.م، ويبدو أنها بقيت متوارثة لغاية أواخر الدولة الليبية أي أواخر القرن الثامن ق.م.

4- شرق الدلتا

لقد عرفت مقاطعات شرق الدلتا ثلاثة أنواع من الأنظمة السياسية، فهناك مقاطعات حكمها زعماء المشواش وأخرى كانت إقطاعا وراثيا لأمراء ملكيين. وهناك العواصم الملكية التي استقر بها فراعنة الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين .

- فاربيتوس PHARBAITOS

وهي مقاطعة هوربيت HORBEIET (على الخريطة)، ويعتقد يويوت، بأنها جزء من المقاطعة التي أشار إليها "بي عنخ" باسم مقاطعة "الثور حسب" التي كان يحكمها الأمير زعيم المشواش " نس ناووت" بن الأمير الملكي باكنفي .

وهناك لوحة مؤرخة بالعام 14 من عهد الفرعون شيشنق الثالث مفادها بأن الأمير باكنفي كان حاكما على هليوبوليس.[2]

وبالتالي يفترض "يويوت" بأن فاربيتوس كانت امتدادا لإمارة هليوبوليس. وهناك أثران آخران وجدا بمنطقة "طوخ الجاموس" وهي تابعة لفاربيتوس. يعود

---

1- - J.YOYOTTE, OP. CIT. P.132.
2- J.YOYOTTE, OP. CIT. P. 345 & P. 365.

الأثر الأول في تاريخه إلى عهد الفرعون شيشنق الثالث بدون ذكر السنة، وصاحب الأثر هو زعيم المشواش C3. FR. IW "او –فر – عا"، أما الأثر الثاني فهو مؤرخ بالعام الثالث والثلاثين من عهد فرعون لم يذكر إسمه، لكن "كتشن" يعتقد بأنه شيشنق الثالث وقد حكم أكثر من ثلاثين سنة وصاحب الأثر هو زعيم المشواش " بورام -POUREM في فاربيتوس.[1] ولذلك يفترض "كيتشن"، بأن "اوفرعا" ثم "بورام" حكما على توالي قبل "باكنفي" مقاطعة فاربيتوس، ولما توفي هذا الأخير حكم ابنه"بادي ايزيس" من أثريبس وحكم ابنه الثاني"نس-نقدي" أو "نس-ناووت"مدينة فاربيتوس وكان ذلك حوالي سنة 730ق.م.

- بي سبتس PISAPTI

وهي مدينة "سفت الحنا" حسبما يذهب إليه "برستد". ولقد أشار إليها "بي عنخ" وقال بأن حاكمها زعيم المشواش "بانتفي" قد جاء ليقدم تهانيه .

ويبدو أن بانتفي هذا، كان من أقوى الزعماء. ولذلك أشار إليه باستخدام اللقب "أمير". وقد كان سبعة إقطاعيين يدينون له بالولاء والطاعة.[2]

ولم يعثر "يويوت" على آثار أخرى تحمل اسم هذا الأمير أو مقاطعة "بي– سبتي" ترجع في عهدها للأسر الليبية، في حين ذكرت حوليات الأمبراطور الأشوري"أشوربانيبال" (غزا مصر سنة667ق.م ثم مرة ثانية سنة 663 ق.م)، الملك "بكرور" PEKROR حاكم "بي سبتي". ولذلك أفترض بأن حكام المشواش في هذه المقاطعة كانوا على درجة من القوة بحيث صمدوا في وجه خلفاء "بي عنخ" من الملوك الكوشيين، وإلى غاية دخول الأشوريين مصر.

وبالإضافة إلى هذه المقاطعات ذات المعالم والحدود الواضحة، فقد كانت هناك مقاطعات صغيرة متداخلة فيما بينها، حكمها زعماء مشواش، يمكن

---

1- K.KITCHEN, OP.CIT. P 345 & P 365

2- J. Pirenne, op.cit. p. 56. & Breasted, op.cit. para.830

تصنيفها من الدرجة الثانية. أو أن حكامها كانوا أتباعا في خدمة الأمراء الملكيين، كما مر بنا من قبل .

5 ) - العواصم الملكية

عرفت في شرق الدلتا مدن هامة لم يحكمها زعماء المشواش، وذلك لأنها كانت عواصم لفراعنة الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين؛ فقد اختار فراعنة الأسرة الثانية والعشرين مدينة بوبسطة عاصمة سياسية لملكهم، وأبقوا على العاصمة القديمة للأسرة الحادية والعشرين مدينة "تانيس" كعاصمة اقتصادية. وقد أشرنا بأنها كانت ميناء هاما، ولا نستبعد أن يكون بعض أفراد الأسرة المالكة قد استقروا بها لفترات .

وتشهد على ذلك المنشآت العمرانية التي أقامها فراعنة الأسرة بها، كما اختار كل من الأمير شيشنق بن أوسكرون الأول والفرعون أوسكرون الثاني والفرعون تكلوت الثالث، أن يدفنوا بها. ولذلك فقد كانت مكانتها مميزة لدى فراعنة الأسرة. وقد اعتقد بعض المؤرخين ومنهم "مونتيه" بأنها كانت عاصمة ملك الأسرة الثانية والعشرين، وفي نهاية حكم الليبيين، تقلص نفوذ هذه الأسرة ليشمل هاتين المدينتين فقط، وبالتالي، فلم يتجرأ زعماء المشواش على المساس بسلطتهم هناك .

ونفس الشيء ينطبق على اكتفاء آخر ملوك الأسرة الثالثة والعشرين بحكم العاصمة لينتوبوليس، وقد أشار إلى ذلك "بي عنخ" في لوحة انتصاره.

- أتريبس ATHERBIS

وهي مدينة بنها (حاليا)، ولقد أشار "بي عنخ" بأن هذه المدينة كان يحكمها الأمير الملكي "بدي إيزيس" PETISIS، وعلى لوحة انتصار الملك الكوشي، كان هذا الأمير واقفا مباشرة بعد الفراعنة الأربعة؛ مما يبين مكانته وأصله الملكي، وان لم يضع الصل الملكي على رأسه، فقد احتفظ بظفيرة جانبية على الصدغ .

كما أشار نص اللوحة بأن الأمير "بدي إيزيس" لم يكن من أنصار "تف نخت"، ولذلك سارع إلى مدينة "منف" بصحبة الفرعون "أيوبوت" وزعيم المشواش "أكانوش" لتهنئة "بي عنخ".

ولقد واصل الملك الكوشي انتصاراته إلى أن وصل إلى مدينة "أثريبس" حيث ترجاه الأمير بالدخول إلى مدينته وقصره واستخدام أمواله وكنوزه.

ولذلك فقد استولى "بي عنخ" على مدينة "موستاي" (15 كم شمال غرب أثريبس، على الحدود بينها وبين إمارة "تف نخت" القوي) وقدمها هدية لهذا الأمير تعبيرا منه على امتنانه وشكره.[1]

ومما يؤسف له في هذا المقام هو أنه لم يتم العثور لحد الآن على آثار يمكنها أن تمدنا بمعلومات عن هذه المقاطعة وحكامها قبل عام 730ق.م .

ولذلك نفترض بأن هذا الأمير مثله مثل "أكانوش" كانت لهما حدود مشركة مع إمارة زعيم الليبو "تف نخت" الطموح، ولذلك فضلا الحياد في البداية، ثم سارعا إلى "بي عنخ" في منف وقدما له فروض الولاء والطاعة.

**6)- زعماء المشواش ومصر العليا (الصعيد)**

قبل الوصول إلى عاصمة صعيد مصر، ومقر ملك الآلهة "آمون-رع" مدينة طيبة، ونزولا من منف، مر بأول مقاطعة وهي هيراقليوبوليس (أهناسيا المدينة حاليا). وقد أشرنا في الفصل الخامس بأن لهذه المدينة مكانة خاصة في نفس مؤسس الدولة الليبية، فهي مسقط رأس أسرة الفرعون شيشنق الأول. ولذلك فقط احتفظ بها كإقطاع وراثي في الأسرة وحكمها الأمير "نمرود" وأنعم عليه والده بلقب رئيس الجيش كله، وكاهن إله المدينة .

لقد كانت هذه المقاطعة تفصل بين حدود الدلتا وحدود مصر العليا، وبذلك فقد كان حاكمها يقيم التوازن بين مركزي الثقل: العاصمة السياسية في الشمال، والعاصمة الدينية في الجنوب، وفي النصف الأخير من مرحلة

---

1- K. A. KITCHEN, OP.CIT. P365..

الفوضى الليبية حوالي 760 ق.م، انقسمت مصر العليا إلى ثلاثة بيوت حاكمة يدير كل منها فرعون .

- الفرعون "بي نف دي باست" صهر الفرعون "رود آمون" من الأسرة الثالثة والعشرين، وقد أشار إليه "بي عنخ" بأنه كان يحمل الصل الملكي على رأسه، وكان يحكم من "هيراقليوبوليس" .

وإذا واصلنا السير جنوبا فإننا نصل إلى هرموبوليس(الأشمونين حاليا). وقد حكمها على التوالي "توتمحات" حوالي 760 ق.م، ثم نمرود، وقد ذكر هذا الأخير على لوحة انتصار الملك الكوشي، وقد وصفه الملك بأنه كان يحمل على رأسه الصل الملكي عام 730 ق.م، أي أنه كان فرعونا. ويعتقد "كتشن" بأن الفرعونين (توتمحات ونمرود) من ذرية "أوسركون الثالث".غير أن "كلوزر" يخالفه الرأي في ذلك، ويرى فيهما أبناء "رود آمون". 21 والحقيقة أن حكم "توتمحات" يقع في سنوات حكم الفرعون أوسركون الثالث، أما فترة حكم نمرود فهي معاصرة لحكم الفرعون "رود آمون". والفرعونان من الأسرة الثالثة والعشرين، ورود أمون هو أصغر أبناء "أوسركون" وبالتالي فثلاثتهم إخوة...[1]

أما في العاصمة طيبة فلا أثر لاستخدام لقب زعيم المشواش، وان وجدت بعض الآثار التي تخلد شجرة نسب، يذكر صاحبها بأن أحد أجداده هو الرئيس العظيم للمشواش، فإن هذا لا يعني بالضرورة أن هذا الزعيم كان يحكم من طيبة، ويؤكد هذا الافتراض أثر آخر وجد في طيبة، يذكر صاحبه بأنه حفيد الزعيم العظيم للمشواش "عنخ حور" حاكم منداس؛ وقد أشرنا لهذه الإمارة ضمن مقاطعات الشمال.

وفي هذا المقام،يمكن الإشارة إلى عادة اتبعها حكام ونبلاء الشمال، وهي إرسال أبنائهم وبناتهم لخدمة الإله "آمون". ومن ذلك أن زعيم المشواش تكلوت حاكم منف مثلا،قد أرسل ابنته، لتكون مغنية الإله .

---

1- K.A.KITCHEN, OP. CIT. P. 252. & B.KLAUSER, OP. CIT. P. 22.

ونفس الشيء ينطبق على عاصمة دينية أخرى تقع في الجنوب وهي مدينة "أبيدوس ABYDOS"، وكان يقصدها الكثيرون لاتربطها بالإله أوزريس في فترة "بداية الأسرات" قبل أن تنقل إلى العاصمة الشمالية "بوزريس". وفي هذه المدينة وجد أثر لصاحبه "بماي" قائد الجيش، إبن زعيم المشواش العظيم شيشنق.

ويعتقد "يويوت" بأن شيشنق هذا هو حاكم بوزريس (في الشمال) وأن ابنه ترك هذا الأثر كذكرى في المدينة المقدسة. [1]

ونستخلص من هذه الآثار المتفرقة، بأن زعماء المشواش في الشمال، قد احتفظوا بعلاقات طيبة مع العواصم الدينية في الجنوب. وليس معنى ذلك أنهم حكموا في هذه العواصم، لكن هذا لا يمنعنا أن نذكر بوجود المشواش في طيبة على عهد الرعامسة. ويبدو أن هذه الجالية (المشواش) قد فقدت مكانتها كأقلية، أو ربما نزحت إلى الشمال، حيث بقي المشواش محافظين على وحدتهم العرقية(الاثنية) طيلة حكم الأسرة الحادية والعشرين؛ أو أنهم نزحوا إلى "إلفنتين"ELEPHANTINE (الشلال الثاني بنواحي أسوان). وفي هذا الشأن، فقد ذكر هيرودوت جالية عسكرية ليبية عظيمة بلغ تعدادها حوالي مائتين وأربعين ألف محارب، سماهم "بالفارين"، لأنهم فروا -حسبه- من إلفنتين إلى إثيوبيا في عهد الفرعون بسماتيك (الأسرة السادسة والعشرين)[2] وعلى الرغم من أهمية ذلك، إلا أننا نكاد نجهل عن هذه الجالية كل شيء وربما يرجع سبب ذلك إلى بعد المسافة الفاصلة بينها وبين العواصم الشمالية .

غير أننا نعلم بأنه قد وجد بها زعيم للمشواش (مجهول الاسم)، يبدو أنه كان من أقوى زعماء المشواش في مصر كلها، بحيث كان يتبعه ستة إقطاعيين وحوالي تسعة آلاف جندي، وكان ذلك في أواخر الدولة الليبية. [3]

---

1- J.YOYOTTE, OP. CIT. P.P: 134 - 135

2 -هيرودوت، الكتاب الثاني، ص ص: 108-109، فقرة 30.

3 - J.PIRENNE, OP. CIT. P. 56.

أما عن حكم العاصمة طيبة في أواخر حكم الدولة الليبية، فقد رأينا أن نؤجله إلى المبحث الثالث من هذا الفصل، كما يقتضي تسلسل البحث .

III)- اللقب " زعيم المشواش " تطوره وصلاحياته

لقد تتبعنا في موضوعنا هذا أن القبائل الليبية، في حروبها مع المصريين كان يتقدمها قائد،أطلقت عليه الآثار المصرية لقب "الزعيم ور wr"، وأن هذا الزعيم كان يضع على رأسه ريشة. ومن هؤلاء الزعماء "مري بن دد" وهو زعيم قبيلة الريبو( الليبو). وقد ترأس هذا الزعيم، اتحاد القبائل الليبية في حربها مع الفرعون"مرنبتاح". ثم يليه الزعيم "كبر" وابنه الزعيم "مششر"، وقد كانا من المشواش، وتزعما الليبيين في حروبهم مع الفرعون "رمسيس الثالث"؛ وأن هذا الأخير هزمهم وأسر منهم الآلاف، استخدم بعضهم في الجيش ووهب البعض الأخر لخدمة المعابد .

وفي أواخر الأسرة العشرين وطيلة الأسرة الحادية والعشرين، استعاد المشواش المتواجدين بمصر قوتهم، ووحدوا صفوفهم تحت زعامة رئيس واحد، فكان شيشنق جد مؤسس الدولة الليبية في مصر، والذي كان يحمل لقب "الزعيم العظيم للمشواش" .

ولقد كان هذا الجد مستقرا في مدينة "بوبسطة"، ولم يعثر الأثريون لحد الساعة، عن آثار لزعماء آخرين يحملون هذا اللقب في نفس الوقت بمدن أخرى بمصر. ويمكننا، على أساس ذلك، أن نخلص، إلى أنه لم يكن هناك إلا زعيم واحد يحمل هذا اللقب هو شيشنق الجد، وأن الحفيد "شيشنق" ورث هذا اللقب عن جده، وحمله في أواخر الأسرة الحادية والعشرين؛ غير أنه لما وصل إلى عرش الفراعنة تنازل عنه وكانت له مبرراته واحتفظ بلقب الفرعون فقط.

ولم يظهر هذا اللقب من جديد، إلا في عهد الفرعون أوسركون الثاني. وقد وضع الزعماء الجدد، الريشة على رؤوسهم وكانت رمز شرف أجدادهم المحاربين من أمثال " مري بن دد"، "كبر" و"مششر" وغيرهم..

لقد اعتقد بعض المتفحصين للآثار بأن هؤلاء الزعماء قد وضعوا على رؤوسهم قطعة قماش مثنية، غير أن النصوص في عهد مرنبتاح، قد بينت لنا بأنها ريشة و"أن الحظ اختطف من الزعيم ريشته"، وكذلك في أواخر الدولة الليبية أشار الملك الكوشي "بي – عنخ" للأمراء الليبيين، بالأمراء الذين على رأسهم ريشة .

ويعتقد "يويوت" بأن الفرق الوحيد بين الاستخدامين لهذا اللقب، قبل إلغائه حوالي 945 ق.م، ثم ظهوره من جديد حوالي 850 ق.م، هي طريقة كتابته التي شهدت مع مرور الزمن عملية اختصار واختزال، فبعد أن كانوا يكتبونه .Wr.c3.h.h3.msws الزعيم العظيم للمشواش، وتم اختصاره إلى Msw ثم Ms ثم اكتفوا بـ" M " وهو جذر الكلمة مشواش. لذلك نصادف في المراجع لقب "زعماء الما" إشارة للزعماء الليبيين، لكننا نؤكد أن هذا الاختزال حدث مع أواخر الدولة الليبية فقط .

والاختلاف الثاني، ويرتبط دائما بطريقة الكتابة: ففي كثير من الأحيان استبدلوا الكلمة المصرية القديمة wr.c3، والتي تعني الزعيم العظيم، وكتبوا Ms، ويعتقد "يويوت" بأنها كلمة بربرية عند التوارق وتعني السيد والنبيل.[1]

وبالتالي نخلص إلى أن زعماء المشواش الجدد، قد ورثوا عن أسلافهم اللقب "مس" والريشة .

وعن الريشة عند المشواش، يعتقد "يويوت" بأن المشواش الذين هزمهم رمسيس الثالث واستعبدهم، قد نكسوا الريشة فوق رؤوسهم، فأصبحت أفقية على رؤوسهم (تفحص جيدا اللوحة رقم 8)، إذ يظهر زعماء المشواش ساجدين والريشة منكسة فتظهر أفقية موازية للرأس، عكس زعماء الليبو، الذين احتفظوا بها منتصبة عمودية، لأنهم نزلوا متأخرين إلى الدلتا أثناء حكم المشواش لها، ولذلك اختاروا الأجزاء الغربية من الدلتا، قريبا من الحدود الليبية .

---

1 - J.YOYOTTE, OP. CIT. P 123.



اللوحة رقم 8: وتمثل منظرا هو عبارة عن تكبير الركن الشمالي الغربي من لوحة النصر، وتبين زعماء المشواش وهم ساجدون والريشة منكسة حيث تظهر أفقية مع الرأس

والحقيقة أنني لا أستبعد هذا التفسير، فالريشة عند الليبيين كانت رمز شرف تميز الزعماء، كما أن أبناء قبيلة التحنو لم يضعوا الريش على رؤوسهم لأن الفرعون "نعرمر" هزمهم وهو في طريقه الى توحيد مصر لكن الآثار قبل هذا التاريخ تظهرهم وقد وضعوا الريش على رؤوسهم .

ولا بأس أن نذكر في هذا المقام، بأن لوحة إسرائيل في عهد الفرعون مرنبتاح في السطرين السادس والثامن تنص على ما يلي: "لما انهزم الزعيم" مري بن دد".. " الرئيس الذي فر تحت جنح الظلام بدون ريشة فوق رأسه ".. "ولما وصل إلى وطنه، فكل رجل في بلاده، كره مقابلة الأمير الذي اختطف منه الحظ ريشته ".[1]

وتفسير ذلك هو أن عدم وجود الريشة على رأس الزعماء المولين أدبارهم، دليل على انهزامهم، وكان ذلك علامة خزي وعار. ولذلك فإن ذريتهم الذين استقروا في مصر، قد أبقوا الريشة كعلامة تميزهم عن المصريين، لكنهم احتفظوا بها منكسة تعبيرا عن تبعيتهم للفرعون.

1 - آلن جاردنر، مصر الفراعنة. ص. 301.

لقد طفا هذا اللقب من جديد على السطح في عهد الفرعون أوسركون الثاني على تمثاله الذي يحمل رقم C 1040 بمتحف القاهرة، وقد نقش نص طويل عبارة عن دعوات الملك الإله آمون يطلب منه الحفاظ على ذريته، وإبقائهم في مناصبهم التي وضعهم فيها وتمضدهم على "زعماء المشواش". وهذه أول مرة يذكرفيها اللقب بعد أن ألغاه الفرعون شيشنق الأول مؤسس الدولة .

ونستخلص من النص الطويل انه قرار ملكي يوزع فيه الوظائف والأدوار على أفراد الأسرة المالكة ومنها:

- تعيين ولي عهد "شيشنق" (توفي قبل أن يحكم وخلفه تكلوت الثاني).

- تعيين "حور نخت" كاهن آمون في تانيس .

- تعيين "نمرود" كاهن حرسفيف في هيراقليوبوليس ثم كاهن آمون في طيبة.[1]

وهذا النص يوضح كيف أن مصر كانت مقسمة إلى مقاطعات وراثية تحت رعاية الفرعون في عاصمة ملكه"بوبسطة". فمدينة طيبة كانت ملكا للإله آمون، ومصر السفلى يديرها زعماء مشواش، أبقاهم أوسركون الثاني تحت سلطته المباشرة .

وهناك ما يجعلنا نعتقد بأن أوسركون الثاني، قد أنعم بهذا اللقب على أبناء آخرين أو أحفاده، ومنهم حفيده الزعيم العظيم للمشواش تكلوت ابن ولي العهد شيشنق وكان يحكم من منف.

ثم حكم ابنه الزعيم العظيم للمشواش "بدي إيزيس" الذي عاصر الفرعون شيشنق الثالث.

لقد تصارع الزعماء والقادة من خارج الأسرة المالكة فيما بعد، من أجل الحصول على هذا اللقب والنفوذ الذي يجره على حامله.وكان الفارق الوحيد بينهم هو مقدار القوة التي يتمتع بها الزعيم ومدى قوة أتباعه وجنده. ولم

---

1- J.BRESTED, OP. CIT, PART IV, PARA. 745-747.

يكن للفرعون أوكاهن آمون الأول اي دور في الحصول على هذا اللقب، بل كان الإله المحلي هو الذي يعطي ويضفي الشرعية على الحاكم الجديد .

ودليلنا على ذلك نص ورد على لوحة مؤرخة بالعام العاشر من تاريخ الفرعون (الخرطوش خال من أي كتابة) أن الإله الكبش -سيد منداس- اختار زعيم المشواش سمندس حاكما على بيته منداس، وإبنه "حور نخت" وريثا له.[1]

ولقد كان زعيم المشواش حاكما وقائدا عسكريا في مقاطعته وكذلك كان كاهن الإله المحلي للمقاطعة .

وبالتالي فقد كان كل من "سمندس" وابنه "حورنخت" كاهنين للإله الكبش في منداس مثلما كان زعماء المشواش في منف كهان إله المدينة "بتاح" يشرفون على دفن العجل "أبيس" في السرابيوم. وقد نال جميعهم هذا اللقب دونما فضل من الفرعون في بوبسطة أو كاهن آمون من طيبة .

لقد ميزت لوحة "بي عنخ" بعض هؤلاء الحكام بلقب أمير. ويمكننا أن نستخلص بأن هؤلاء لم يكونوا مجرد حكام بل تراكمت الوظائف بين أيديهم، سواء كانت مدنية أو دينية أو عسكرية، فقوة الجيش كانت تضفي على قائده صلاحيات أخرى، إذ وجدوا أنفسهم حكام مستقلين كالأمراء، وإن احتفظوا ببعض الولاء للفرعون في عهد شيشنق الثالث. وألواح هؤلاء الزعماء المؤرخة بعهده، عليها رسم الفرعون وإسمه وسنة حكمه. لكن، ومع ضعف سلطة خلفائه من بعده، فقد تغاضى زعماء المشواش عن ذكر إسم الفرعون داخل الخرطوش – كما ذكرت سابقا- وربما وجد زعماء المشواش صعوبة في تحديد ولائهم لأي البيتين الحاكمين، وكان كلا الفرعونين ضعيفين، وبالتالي يمكن أن نخلص إلى أن الازدواجية في الحكم قد انتهت بالفوضى العارمة، وكان ذلك سببا من الأسباب الجوهرية في زوال الدولة.

1 - J.YOYOTTE, OP. CIT. P.125.

ب) - زعماء الليبو وحلم الوحدة

يجمع علماء المصريات بأن مصر قد حكمها في مرحلة الفوضى أمراء من المشواش تقاسموا السلطة والنفوذ قبل أن يتمكن زعيم الليبو "تف نخت" Tef nakht من إنشاء الأسرة الليبية الرابعة والعشرين (حوالي 728 ق.م ولغاية 715 ق.م)، وزعيم الليبو هذا لم يدخل على رأس جيش غاز من بلده ليبيا رأسا ليحكم مصر كمستعمرة ليبية .

لقد أشرنا في مواضع مختلفة من فصول هذا البحث،بأن الليبو قد أشتركوا مع المشواش في حربهم الأخيرة ضد الفرعون رمسيس الثالث. وكانت زعامة اتحاد القبائل الليبية بين يدي زعيم المشواش "كبر" وأبنه "مششر"، الذي، حينما انتصر عليهم الفرعون المصري، خلد ذكرى هذا الانتصار على أعمدة وجدران معبد مدينة هابو(غرب الأقصى حاليا) .

وعلى هذه الآثار وفي أكثر من مقام، يخص الكاتب المصري القديم بالذكر قبيلة المشواش دون الليبو. ولقد جاء في النص: "سقط المشواش تحت أرجل أحصنة الفرعون (عربة).. تغلب جلالته على المشواش الذين جاؤوا إلى مصر.. لما ظهر الإله الطيب (أي الفرعون) فزعت قلوب المشواش". أما في قائمة عرض الغنائم والأسرى، فقد ورد ما يلي:

- أسر من المشواش 2052.
- زعيم المشواش العظيم.
- خمسة من الزعماء الصغار (مستشاري الزعيم).

| | | |
|---|---|---|
| – 1205 رجال | 342 امرأة (زوجاتهم). | |
| – 152 شباب | 65 خادمات | |
| – 131 أطفال | 151 فتيات المجموع | 1411 |
| المجموع 558 | المجموع: 2052 أسيرا.[1] | |

1 - J.H. BREASTED, ANCIENT RECORDS OF EGYPT. PART IV PARA 107 -108 -111. P.P: 63 – 66.

وبالاستناد إلى نصوص المعبد، نتبين بأن العنصر الغالب في الجيش الذي تغلب عليه الفرعون، كان من المشواش. ولقد اغتنم الأسرى المشواش فرصة إدماجهم في الجيش المصري، ثم ضعف الأسرة العشرين وتقرب أواخر الرعامسة منهم، طلبا لخدماتهم، فاستطاع هؤلاء توسيع نفوذهم وسلطتهم ووصلوا إلى أعلى المراكز في الأسرة الحادية والعشرين، وأصبح زعيم المشواش العظيم، شيشنق، ثاني شخصية بعد الفرعون المصري.
وبوفاة هذا الأخير جلس شيشنق الأول على عرش الفراعنة، وأنشأ الأسرة الثانية والعشرين .

وتشير وثائق هذه الأسرة، بأن الفرعون شيشنق الأول، قد عين زعيم الليبو المدعو "نيوماتن" حاكما على الأجزاء الغربية من الدلتا (كما فصلنا ذلك في الفصل الخامس) لكن وطيلة حكم المشواش نكاد لا نجد أثرا لذكر قبيلة الليبو .

وفجأة تذكر الآثار بأن مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين الليبية " تف نخت "كان يحمل لقب "زعيم الليبو العظيم"، في حين أشار الملك الكوشي " بي عنخ" في لوحة انتصاره إلى "تف نخت" كزعيم للمشواش وبأنه كان حاكما على مقاطعات الغرب كلها.

وبالتالي نتساءل: كيف تطور نظام الحكم في الأجزاء الغربية من الدلتا؟ فبعد أن كان يحكمها زعيم الليبو في أوائل الأسرة الثانية والعشرين، تنتقل السلطة مع أواخر هذه الأسرة وفي نفس مقاطعات غرب الدلتا إلى زعيم من المشواش ؟

I )- زعماء الليبو، حكام غرب الدلتا

لقد عثر المنقبون على مجموعة من القطع الأثرية، وكانت في معظمها عبارة عن ألواح قرابين قدمها حكام مقاطعات غرب الدلتا، إما بمناسبة دينية أو من أجل تخليد انتصار ما. وقد حمل هؤلاء الحكام لقب "زعيم الليبو"،

ومن أجا استيضاح هذا الأمر، سوف نعرض هذه الألواح مرتبة من الأقدم إلى الأحدث.

1- لوحة موجودة بمتحف الأرمتاج HERMITAGE (بسان بترسبورغ) وعليها رسم لشخص يضع على رأسه ريشة واحدة منتصبة، قائمة (على طريقة الليبو) وهو يقدم قربانا للإلهين "شو" و"تفنوت"، وبجانب الرسم، النص التالي: "السنة العاشرة من عهد ملك الأرضين إبن رع شيشنق ملك هليوبوليس".

ويعتقد بأن المذكور في هذا النص هو شيشنق الثالث، أما صاحب الأثر فهو " زعيم الليبو العظيم نم- ت- بد NEMTEPED [1]

واسنادا إلى جداول كتشن، فإن هذه السنة توافق عام 815 ق.م.

2- أثر موجود بمتحف الفنون الجميلة بموسكو، مؤرخ بالعام الحادي والثلاثين من حكم الفرعون شيشنق الثالث أي حوالي794ق.م، يقدم صاحب اللوحة وهو ابن زعيم الليبو العظيم المدعو" باورد بن إن آمون – نف بو PAWRED FILS DE EMAEN NF BOU قربانا للإله أوزريس. [2]

3- في متحف اللوفر بباريس دلاية صغيرة مصنوعة من الرخام تخلد انتصار زعيم المشواش العظيم، القائد كاهن"نيت" وكاهن" إدجو "وسيدة "إماو" المدعو أوسكرون.

أما نص اللوحة فهو يترجم وحي الإله "رع حور أفتي" سيد السماء (و صورة الصقر مرسومة على قمة اللوحة)الساكن في هليوبوليس: "سأجعل قوتك مثل مونتو (إله الحرب)، وهيبتك وسلطتك على الأرضين (أي مصر العليا والسفلى).

1 - J.YOYOTTE, LES PRINCIPAUTES DU DELTA. P. 142.

2 - J. YOYOTTE, OP.CIT. P. 143.

وهذه الدلاية صغيرة جدا ( يبلغ قطرها 9.5 سم) ولا تحمل تاريخا. واعتمادا على وثائق أخرى، صنفها يويوت في الفترة مابين 800و740 ق.م[1]. أما "جريمال" فيعطيها تاريخا دقيقا وهو سنة 767 ق.م.[2] (أنظر اللوحة رقم 9)



**اللوحة رقم9:** وتمثل دلاية صغيرة من الرخام الأخضر، يبلغ عرضها 9.5سم وسمكها 0.8سم وعليها اسم الزعيم الليبي العظيم للمشواش .الأثر موجود بمتحف اللوفر بباريس

1 - J.YOYOTTE « LE TALISMAN DE LA VICTOIRE D'OSORKON. PRINCE DE SAIS ET AUTRES LIEUX ». in BULLETIN TRIMESTRIEL D'EGYPTOLOGIE, N° 31. DORDOGNE, France: 1960. P.P: 15 – 20.
2 - N.GRIMAL. OP. CIT. P.387.

4-لوحة موجودة بالمتحف المصري وتحمل رقم J30972، مؤرخة بالعام السابع عشر من عهد "جلالته ملك الأرضين شيشنق الخامس" (أي حوالي 749 ق.م)، وتخلد هبة قدمها زعيم الليبو العظيم "تر.بن.باندد Ter fils de Panded، لصالح رئيس الراقصين للإلهة "سخمت والطفل هكة".[1]

لوحة أخرى في المتحف المصري بالقاهرة مؤرخة بالعام الثامن عشر من عهد "جلالته ملك الرضين شيشنق الخامس (أي حوالي 750ق.م) وتخلد ذكرى قربان قدمه "حامل درع الفرعون". ويترجم اللقب أحيانا إلى "رئيس القوافل أوشتحت –بن- أوحتركيتي "، لبيت الإلهة حتحور سيدة "مفكي" (مكان)، ويطلب صاحب القربان الصحة والرفاهية والحياة الطويلة لسيده زعيم الليبو العظيم وزعيم المشواش العظيم، القائد وكاهن حنحور في مفكي المدعو كرKER.[2] (اللوحة موجودة بالمتحف المصري وتحمل رقم JE 85647، ويظهر الزعيم وعلى رأسه-ريشة منتصبة وأخرى منكسة، أنظر اللوحة رقم 10).

1 - J. YOYOTTE, les principautés du Delta. P. 144.
2 - Ibid,P. 144.



**اللوحة رقم10:** ونمثل منظر تعبد، عليها 5 أسطر بالهيروغليفي،وخرطوش الفرعون شيشنق الرابع. يظهر الزعيم وعلى رأسه الريشتان:المنتصبة والمنكسة.

وجدت اللوحة بكوم فرين (غرب الدلتا) بمصر

5 – لوحة قربان موجودة في مخازن المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة غير مرقمة، ويتوسط اللوحة، صورة رجل على رأسه الريشتان (واحدة منتصبة والأخرى منكسة أنظر اللوحة رقم 11، وتبدو واضحة بالنسبة للوحة رقم10)، واللوحة مؤرخة بالعام الثلاثين من عهد شيشنق الخامس (أي حوالي العام 738 ق.م) زعيم الليبو العظيم، القائد العظيم "رود آمون" ROUDAMAN، يقدم قربانا للإلهة "سخمت" والطفل "هكه". وتعتقد الباحثة "برلنديني JOCELYNE BERLANDINI " بأن زعيم الليبو، وقائد الجيوش "رودآمون" كان يحكم مقاطعة كوم فرين "أو كوم الحسن" أو

الاثنين معا،وأن الإلهة "سخمت والطفل هكه" كانا يعبدان في هاتين المقاطعتين، وهي على التخوم الغربية للدلتا.[1]



اللوحة رقم11: وتمثل الزعيم"رود أمون" على اليمين، يقدم قربانا وتظهر على رأسه ريشتان. الأثر موجود بمخازن المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة

7- لوحة تخلد ذكرى دفن عجل من عجول الإله أبيس في السرابيوم بمنف مؤرخة بالعام السابع والثلاثين من عهد شيشنق الخامس (أي حوالي 730 ق.م) "سيد الأرضين معطى الحياة دوما مثل رع، ليمنح الحياة الطويلة والشيخوخة السعيدة لكاهن الإله بتاح المدعو "بشن بن عنخ سمطاوي"

1 - J. BERLANDINI « UNE STELE DE DONATION DE LA DYNASTE LIBYENNE ROUDAMAN »,in BULLETIN DE L'ISTITUT FRANÇAIS D'ARCHEOLOGIE ORIONTALE. N 78. PARIS: 1978. PP: 149 – 154.

الذي يحمل نفس الألقاب، ولتبارك زعيم الليبو العظيم عنخ- حور ANKH – HOR وابنه هرباس HERBES [1]

8- لوحة عثر عليها في معبد مدينة هابو، يتوسط اللوحة رسم لصورة المتعبدة للإله آمون "شبن اوبت" (ابنة الفرعون اوسكرون الثالث)، وتحت الرسم عبارة مفادها، أن هذه اللوحة مهداة من طرف مغنية الإله آمون "نب -إماو- محات" وتترجم إلى "سيدة إماو في المقدمة" ابنة ملك الليبو "عنخ حور"، وتطلب من الإله آمون أن يعطي الحياة الطويلة للمتعبدة "أمندريس" ابنة الملك الكوشي "كاشتا".[38]

وبالتالي فهذه اللوحة ترجع في تاريخها إلى فترة قبيل وصول الملك "بي عنخ" إلى الدلتا، ذلك أن الملك "كاتشا" "قد غزا في وقت سابق مدينة طيبة وفرض على المتعبدة "شبن أوبيت" أن تتبنى إبنته أمندريس "لترثها في المنصب".

ومن هنا نتبين أن "عنخ حور" كان زعيما على الليبو قبل سنة 730 ق.م سنة وصول بي عنخ إلى الدلتا، وأنه حكم في كوم الحسن (حاليا) وكانت في العهد الفرعوني باسم إماو IMAO وابنته كانت تحمل لقب سيدة إماو.

9- لوحة مدينة بوتو (وتعرف باسم لوحة فاروق) مؤرخة بالعام السادس والثلاثين من عهد شيشنق الخامس (أي حوالي 731ق.م) وصاحبها زعيم المشواش العظيم، القائد زعيم الليبو "تف نخت" قدم قربانا لبيت الإلهة "إدجو" وتظهر على اللوحتين الإلهيتين "نيت" و"أدجو" معا.[2]

10- لوحة "إبتو" Ibto، مؤرخة بالعام الثامن والثلاثين من عهد جلالته سيد الأرضين ابن رع (الخرطوش فارغ) لكن اجماع علماء المصريات أنه شيشنق الخامس.

---

1 - J.YOYOTTE, op.cit. P. 145. & K.Q. KITCHEN, OP-CIT, P. 362.

2 -Ibid, p.153.

وصاحب اللوحة هو الزعيم العظيم، القائد، زعيم الليبو، كاهن "نيت وإدجو" وسيدة إماو، سيد مقاطعات الغرب تف نخت[1]، ويظهر هذا الزعيم على الرسم وهو يضع على رأسه الريشتان معا .

II - خصائص زعماء الليبو وسلطتهم

بعد هذا العرض المفصل للآثار المتفرقة نستخلص بعض المميزات والخصائص لزعماء حكموا الجزء الغربي للدلتا، وحملوا في معظم الحالات لقب زعيم الليبو، وفي حالات قليلة اللقب المزدوج (أي المشواش والليبو معا).

وفي هذا المقام نتساءل إذا ماكان هؤلاء الزعماء في الأصل، قادة من المشواش بسطوا نفوذهم وفرضوا سلطتهم على .الليبو، فحافظوا في بداية الأمر على لقبهم، ثم تنازلوا عنه، وأخذوا اللقب الثاني ليقبل الليبو بحكمهم؟ أم أن ذرية زعماء الليبو الذين عايشوا نشأة الأسرة الثانية والعشرين وأعطاهم الفرعون شيشنق الأول حكم الأجزاء الغربية المتاخمة لليبيا – وأمام تنامي نفوذ وسلطة المشواش– قد حملوا لقب زعيم المشواش أيضا وأضافوا على رؤوسهم ريشة ثانية؟ وفي مرحلة لاحقة ومع ذهاب سلطة هؤلاء المشواش وتفتتها بين القادة، ظهر تطور ثان في ذهنية الليبو، فأسقطوا لقب زعيم المشواش، واحتفظوا باللقب الأصل، كنوع من الوعي بخصوصيتهم، وكان ذلك في السنوات الأخيرة قبل غزو "بي عنخ" للدلتا المصرية؟ .

وللإجابة عن هذه التساؤلات نستعين بخصائص ومميزات الليبو.

ومن هذه المميزات .

أ) - ما ميز زعماء الليبو عن المشواش ظاهريا هو تثبيت الريشة بطريقة مختلفة عن أبناء عمومتهم، فلقد وضع الليبو الريشة قائمة منتصبة على الرأس، ويعتقد "يويوت" بأن ذلك راجع لكون الليبو الذين استقروا غرب الدلتا أثناء حكم المشواش لمصر، قد نزحوا إلى الدلتا في وقت متأخر بعد هزيمة الفرعون المصري للمشواش، وانهم استغلوا فرصة تطور سلطة ونفوذ

---

1 - J.Yoyotte, op.cit. p 152. & - K.A.Kitchen, op.cit.p362.

أبناء عمومتهم، فتدفقوا على الدلتا وفضلوا الاستقرار في الأجزاء الغربية المحاذية للوطن الأم. ولذلك احتفظوا بالريشة منتصبة لأنهم لم يخضعوا للفرعون وأيضا لتميزهم عن المشواش.

ب) - نتبين أماكن استقرار الليبو من خلال ألواح القرابين السابق ذكرها. فقد ذكرت بعضها أقاليم ومدنا بالاسم، في حين ذكر بعضها الآخر أسماء آلهة رسمية تعبد في كل مصر مثل أوزريس- بتاح وآلهة كونية مثل "رع وحور" أختي (حور الأفق)، وأسماء آلهة محلية تعبد على نطاق ضيق في مقاطعات أو مدن فقط، ومن ذلك:

- فقد ذكر اسم سخمت والطفل هكه، أكثر من مرة، وكانت المعبودة سخمت (إلهة الحرب والمعارك وتمثلها امرأة برأس لبؤة) تعرف باسم سيدة التحنو والتمحو (و هي قبائل ليبية). أما الطفل "هكه" فهو إله مدينة "مانوا" في مقاطعة "إماو" (كوم الحي حاليا)، كما وجدت، عبادته في ضواحي بحيرة مريوط، (غرب الإسكندرية).
ولقد وردت عبارة تقليدية في النصوص الدينية المصرية القديمة: "هكه من صلب سخمت، يحصل ضربية بلاد التمحو الليبية ".[1]
كما ذكرت عبادة سخمت والطفل هكه بالاسم في لوحات 4و6. أما في اللوحات 3-8-10، فقد ذكر اسم المدينة التي تعبد فيها أيضا وهي إماو، وتعتقد الباحثة "برلانديني" بأن عبادتها كانت في مقاطعتي "كوم الحسن" و"كوم فرين".[2]
- الإلهة حتحور معبودة مفكي، كما ورد في اللوحة رقم 5، وهي مدينة تقع غرب فرع دمياط (انظر الخريطة) وتعرف باسم أبوبولو Apo pollo شمال مدينة الكتابة على تخوم الصحراء[3] .

---

1 - J.Yoyotte, op.cit, p.146.
2 - J.Berlandini, op.cit. p.157.
3 -Ibid, p. 160.

- الإلهة "إدجو"، وقد ورد ذكرها في اللوحات 3- 9و 10 وهي آلهة مدينة بوتو.[1]

- أما الإله ة نيت NEITH، سيدة مدينة سايس (صالحجر حاليا) عاصمة الأسرة الرابعة والعشرين فهي معبودة قديمة جدا، ويرمز لها بسهمين متقاطعين على جلد حيوان كان يثبت على عمود القبيلة في فجر التاريخ، وكان لقبها "تحنوت" أي الليبية، لأنها جاءت إلى مصر من الغرب، وكانت تعبد في فجر التاريخ في كل الدلتا وكان يرمز لها وعلى رأسها التاج الأحمر، أما السهمان المتقاطعان فبقيا في لباس الليبيين وهما عبارة عن الشريطين المتقاطعين، أهم قطعة لباس تميز الليبيين جميعهم منذ فجر التاريخ.

وعلى أساس ما تقدم نخلص إلى أن معظم الألواح تشير إلى أن زعماء الليبو قد حكموا مقاطعات في غرب الدلتا قريبا من الوطن الأم.

ج )- الميزة الثالثة في هذه الألواح، هي ان بعض الزعماء حملوا لقب زعيم الليبو فقط في حين حمل آخرون اللقبين معا كرمز للسلطة المزدوجة.

- اللوحتان رقم1 و2وهما الأقدم تاريخا 815 ق.م و794 ق.م، ويحمل الزعيمان لقب زعيم الليبو فقط.

- اللوحة رقم 3ومؤرخة بـ 767 ق.م اكتفى صاحبها بلقب زعيم المشواش.

- " " 4 " بـ 750 ق.م حمل صاحبها لقب زعيم الليبو.

- " " 5 " بـ 749 ق.م " " اللقبين معا.

- اللوحة رقم 6 ومؤرخة بـ 738 ق.م حمل صاحبها اللقبين معا.

- اللوحتان رقم 7 و 8وهما مؤرختان حوالي 731- 730ق.م، حمل صاحبهما لقب زعيم الليبو.

- اللوحة رقم 9 مؤرخة حوالي 731 ق.م حمل صاحبها اللقب المزدوج.

- اللوحة رقم 10 مؤرخة حوالي 730 ق.م لنفس الشخص مع اللوحة السابقة اكتفى هذه المرة بلقب زعيم الليبو فقط.

---

1 - J.BERLANDINI, op.cit. pp 146- 148. & - K.A.KITCHEN, OP. CIT. P.362.

وإذا أخذنا بترتيب هذه الألواح زمنيا، فإننا لا نستطيع أن نجزم بتاريخ الجمع بين اللقبين أو الفصل بينهما.

وبمعنى آخر فإنه وفي فترات متقاربة، حمل بعض الزعماء لقب الليبو وحمل آخرون لقب المشواش وأحيانا جمع بينهما. وهذا يجعلنا نتساءل إذا ما كان هناك أكثر من زعيم لليبو في وقت واحد وحكموا في مراكز مختلفة .

ويبدو أنه كان هناك أكثر من زعيم يحملون نفس اللقب، فبعض الألواح تشير لشخصين يضعان على رأسيهما رمز الزعامة (الريشة) وعلى نفس اللوحة.[1]

وفي نصوص بعض الألواح، يطلب صاحب القربان – ويحمل لقب زعيم الليبو – من إلهة الصحة والسعادة لزعيم آخر، كما ورد في اللوحتين رقم 5و7. وقد نفسر هذا بأنه- وكما يقتضي النظام الإقطاعي- كان هناك مجموعة من الزعماء الصغار، يدينون بالولاء والتبعية لزعيم أقوى أو أمير .

أما عن مسألة الجمع والفصل بين اللقبين، فيبدو أن الأغلبية رجعت في النهاية للقب زعيم الليبو. ونتبين ذلك بأن ستة من ثمانية ألواح وهي المرقمة 1-2-4-7-8-10، كان أصحابها يحملون على رؤوسهم الريشتين معا، لكنهم فضلوا لقب زعيم الليبو ليكتب ضمن ألقابهم، ويبدو أيضا أن هؤلاء قد اعتمدوا في سلطتهم على الليبو .

خلاصة القول هنا، يمكن أن نفترض بأن قبائل الليبو أو الريبو RBW، كما ورد ذلك على الآثار المصرية، قد نزلوا نحو الدلتا المصرية في فترة لاحقة عن المشواش، وحافظوا على مميزاتهم الخاصة بهم، وأنهم استغلوا الخلافات والصراعات بين المشواش الذين استقروا على أخصب الأراضي وكونوا طبقة عسكرية نعمت بالرخاء والرفاهية. ولكن ومع مرور الزمن فقدوا قوتهم، في حين حافظ الليبو –وهم جديدو عهد برخاء الحضارة المصرية–

1 - J.YOYOTTE, OP. CIT. P. 143.

على صفاتهم القتالية. وربما استعانوا بمدد من الوطن الأم ليننزعوا السلطة من المشواش المتناحرين فيما بينهم .

**III- تف نخت مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين**

لقد راود زعماء الليبو حلم توحيد مصر وحكمها بعد ذهاب ريح المشواش. ويبدو ان هذا الحلم قد ظهر مبكرا، وذلك قبل أن يصل الملك الكوشي "بي عنخ " الدلتا المصرية حوالي 730و729 ق.م، ويصطدم بأقوى خصومه " تف نخت ".

لقد أشار "بي عنخ" في لوحة انتصاره، على أن " تف نخت" يملك الغرب كله، من الشمال إلى الجنوب، وأن مملكته شملت مقاطعة المستنقعات الشمالية، مقاطعة ثور الصحراء، أكسويس (سخا حاليا) بوتو، سايس. وقد وصل في حدوده الجنوبية إلى منف وأصبح سيد الجدار الأبيض (منف) وكاهن الإله بتاح،[1] أي أنه حكم الجزء الغربي للدلتا من البحر المتوسط شمالا إلى منف جنوبا .

وبالاستناد إلى الوثائق السابق ذكرها، نتبين أن"تف نخت" لم يكن أول زعيم من الليبو، الذي عمل جاهدا من أجل توحيد مقاطعات الغرب كمرحلة أولى، أو لتكون اللبنة الأساسية لتوحيد مصر. ويبدو لنا أيضا أن "تف نخت" قد ورث جزءا كبيرا من مملكة الغرب عن سلف سابق له. فصاحب الدلاية الموجودة بمتحف اللوفر، والذي يحمل لقب زعيم المشواش العظيم "أوسركون" قد قدر له كل من "يويوت" و"جريمال" بأنه حكم في النصف الأول من القرن الثامن ق.م (كما أسلفنا). فأوسركون حسبما توفر لدينا من وثائق كان أول زعيم راوده حلم الوحدة وقد نجح في تحقيق جزء من حلمه .

وإن كان هذا الأخير قد حمل لقب زعيم المشواش، إلا انه بدا على الصورة وعلى رأسه الريشتان معا - وكان حاكما على مقاطعات الغرب حيث أغلبية السكان من الليبو -فقد حكم سايس (صان الحجر حاليا) عاصمة الأسرة

1 - K.A.KITCHEN, OP. CIT. PP 362 – 363. & Breasted,OP.CIT.para818.

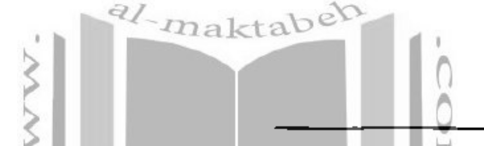
الرابعة والعشرين فيما بعد، وكذلك مدينة بوتو إلى الشمال منها، ومن سايس اتجه إلى الجنوب الغربي وبسط نفوذه على مدينة إماو (كوم الحسن) كما توضحه ألقابه السابقة على الأثر رقم 5.

ويبدو أيضا أن الزعيم أوسكرون، كان يطمح إلى وحدة أوسع تشمل الأرضين (مصر العليا والسفلى). فوحي الإله "حور اختي" على الدلاية، يترجم إلى: "سأجعل قوتك مثل مونتو (إله الحرب) وهيبتك على الأرضين (في مصر موحدة ).

ونلاحظ هنا بأن "تف نخت" فيما بعد، قد أخذ كل ألقاب سلفه أوسركون – وإن كنا نجهل إذا كان سلفا مباشرا أم بعيدا – وأضاف إلى هذه الألقاب لقب زعيم الليبو العظيم[1] في اللوحة رقم9.

وقد تلا أوسركون، الزعيمان "كر" ثم "رود آمون" في اللوحتين 5و6. وإذا كان قد حملا اللقبين معا، مما يفسر السلطة المزدوجة على القبيلتين معا (أي إمارة كبيرة).[2] إلا أن الأثرين قد ذكرا مناطق حكمهما وكانت محدودة في "كوم أبوبلو" بالنسبة للأول "وكوم فرين" بالنسبة إلى الثاني. ثم تلاهما زعيم الليبو "عنخ عور"، الذي حكم في بادىء الأمر في مدينة "إماو" كما تبين لنا اللوحة رقم 8، وكان في طريقه إلى الاستيلاء على مدينة منف جنوب الدلتا (وكانت مهدا لأمراء المشواش).

وهذا ما نستخلصه من تمنيات كاهن الإله بتاح في منف لصالح زعيم الليبو عنخ حور في اللوحة رقم 7 .



1 - يفترض "يويوت " بأن أوسركون لم يكتب لقب زعيم الليبو نظرا لصغر الدلاية.واعتقد أن هذا الأثر يعود تاريخه إلى فترة مبكرة من "الفوضى الليبية ". ولذلك فضل أوسركون كتابة لقب زعيم المشواش ونص الوحي، وكانا في نظره أهم من اللقب الثاني. هذا إن كان صغر حجم الأثر هو السبب في عدم كتابته، كما يحتمل أيضا أنه لم يحمل هذا اللقب أصلا...

2 - J.BERLANDINI, OP. CIT. P.155. & - E.DRIOTON & J. VANDIER, OP. CIT. P. 544.

وإن كان الاستيلاء الفعلي لمنف قد تم لغيره أي للزعيم " تف نخت". وبحلول عام 730ق.م، لم يذكر "بي عنخ" من زعماء غرب الدلتا سوى "تف نخت" كحاكم بسط نفوذه على كل غرب الدلتا .وتؤكد رواية "بي عنخ" ما ورد على متون اللوحتين 9 و 10.

**1-جهود " تف نخت" لاستعادة وحدة مصر**

ما جاء في مصدر مانيتون حول الأسرة الرابعة والعشرين وجيزجدا، فقد ذكر بأن الأسرة الرابعة والعشرين قد حكمها بوخوريس BOCHORIS من العاصمة "سايس" "..ونطق حمل (خروف) في عصره.. " ست سنوات طبقا لأفريكانوس،وأربع وأربعين سنة طبقا ليوسيبوس.[1]

وكان يرى في الملك بوخوريس قاضيا ومشرعا مثاليا، في حين لم يذكر شيئا عن والده تف - نخت .

غيرأن الآثار المصرية تذكر أسماء ملكين حكما هذه الأسرة وهما تف – نخت، المؤسس للأسرة وخليفته "بكن رنف BAKEN –RENF " الذي اشتهر عند اليونان باسم بوخوريس.

وهناك أثر في متحف "فيينا" مؤرخ بالعام الثامن من عهد الملك " تف نخت " وهو عبارة عن لوحة تخلد ذكرى قربان قدمه للإآهة "نين" سيدة مدينة سايس عاصمة ملكه. وفي هذا الأثر أخذ تف نخت كل الألقاب الفرعونية ووضع اسمه في خرطوشة.

ويتفق علماء المصريات بأن السنة الثامنة كانت آخر سنة لحكمه. وانه حكم فيما بين 729و 728ولغاية 720ق.م. ولما توفي خلفه ابنه "بكن رنف" حكم من العاصمة منف لمدة ستة سنوات. وهناك أثر في السرابيوم يخلد ذكرى دفن عجل أبيس في عام حكمه السادس[2] وهذا يتماشى مع ما ورد عند مانيتون على رواية أفريكانوس.

---

1 - آلن جاردنر، المرجع السابق، ص .366

2 - K.A. KITCHEN, OP. CIT. P.P: 371-372. & - E. DRIOTON, J.VANDIER, OP. CIT. P. 544.

أما عن "أوجين ريفيوه Eugene Révillout" الذي انكب على دراسة تشريعات "بوخوريس" فيعتقد بأن بوخوريس (بكن رنف) قد حكم أكثر من ست سنوات، ويستند في ذلك إلى بردية باللغة الديموطيقية، موجودة بمتحف "اللوفر" ومؤرخة بالعام السادس عشر من حكم ملك لم يذكر إسمه. غير أن "ريفيوه" ينسبها إلى بوخوريس.

ويعتقد بأن هذه الوثيقة ذات أهمية تاريخية قصوى لأنها تؤكد أن الأمير "بكن رنف" حاكم منف وسايس قد حقق حلم والده وأنه في العام السادس عشر حكم مصر موحدة.[1]

وإن كنا نلاحظ أن كل المراجع التي صدرت بعد بحث "ريفيوه" تكاد تجمع أن مدة حكم "بكن رنف" لم تتجاوز الست السنوات.

لقد استند المتخصصون إلى لوحة "فيينا" لتحديد سنة نشأة هذه الأسرة بحوالي 728ق.م. غير أنني أعتقد أن "تف نخت" بدأ بتكوين الأسرة في تاريخ سابق، وتمكن من توحيد كل الدلتا تحت إمرته. ثم سار نحو مصر الوسطى وانضم إليه الفرعون نمرود، وكان في طريقه لانتزاع طيبة وإرجاعها إلى السلطة الليبية، لولا اصطدامه بالملك الكوشي الذي عرقل مشروع إعلان الأسرة إلى ما بعد الاصطدام العسكري .

وبالتالي فهناك مصدر ثالث غير مصدر "مانيتون" والآثار المصرية هو لوحة انتصار "بي عنخ" وهو مصدر "معاد"، وقد يبتعد عن الموضوعية، فقد ذكر الملك الكوشي نشاط " تف نخت " العسكري من أجل توحيد مصر .

---

1 - لقد اعتمد "ريفيوه" في اعتقاده هذا، على نص الوثيقة، التي هي عبارة عن عقد تنازل عن قطعة أرض بين شخصين، أحدهما يدعى "أرنو يكن رنف" أي صنيعة بكن رنف.و يستبعد "ريفيوه" إمكانية تسمية شخص على بكن رنف، بعد المصير الذي لقيه على أيدي الملك الكوشي (حرق حيا).لذلك يفترض هذا الباحث أن العقد مؤرخ في عهد بكن رنف.

راجع ذلك عند:

-Revillou « code de bochoris».in revue Egyptologie, VVII, Paris: Ernest leroux,librairie de le société asiatique.1896.p.57&p.112."

- توحيد مصر

لم يكن الزعيم "تف نخت" كغيره من الزعماء والأمراء يرضى بحكم جزء من مصر، بل امتاز عليهم جميعا بالكثير من القوة والطموح، وكان له حلم كبير هو إعادة وحدة مصر، ولقد تيسر له أن يخضع جميع أقاليم غرب الدلتا لحكمه، وفي شرق الدلتا ترك كل من اعترف بسيادته في مكانه، كما تجنب الصدام بالفرعونين ممثلا الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين وكان يعرف مدى ضعفهما. ولقد ترك الخراطيش الفرعونية فارغة في ألواحه مثل اللوحتين رقم 9و10. واعتقد أن هذا لم يحدث سهوا وإنما كان يعكس شعورا باطنا عن استخفافه بهما .

وينص متن لوحة "بي عنخ" أنه جاءه رسول من عند قادته في طيبة يخبره أن " تف نخت" وبعد أن سيطر على الأراضي الواقعة غرب الدلتا، قد استولى على "برجي" (مصر القديمة بنواحي القاهرة)، وأخذ "عيان" (الجيزة)، ثم صعد جنوبا واستولى على أطفيح (ميدوم) ثم على منف. وبعد توحيد كل الدلتا سار باتجاه مصر الوسطى فاستولى على الفيوم ثم الهنسا ثم دقناش، وهي كلها مناطق واقعة على الضفة الغربية للنيل. ثم انتقل إلى الضفة الشرقية - دائما في مصر الوسطى– واستولى "تف نخت" على حت بنو (الحيبة حاليا) ثم حت نسو ( بني سويف) .

لقد ورد في النص أن كل البلاد قد فتحت أبوابها ثم كان عليه الاصطدام بالفرعونين "بف نف دي باست" و"نمرود"، فحاصر عاصمة الأول وهي هيراقليوبوليس (أهناسيا)، مما أثر في نمرود حاكم هرموبوليس (الاشموني) فأعلن ولاءه لـ "تف نخت" ونقض العهد الذي قطعه في السابق للملك الكوشي. ولقد غالى في ولائه، أنه هدم أسوار مدينته رغبة في إرضاء تف نخت.[1]

---

1- سليم حسن، المرجع السابق. ص. ص: 37 – 39.

وبالتالي أطبق جيش التحالف الشمالي وجيش نمرود الحصار على هيراقليوبوليس، وكان يعتقد تف نخت أن استسلامها قضية وقت فقط، للتوجه بعد ذلك إلى طيبة وإنهاء السلطة الكوشية عليها.

- طيبة على أواخر حكم الليبيين

ظهرت في طيبة طبقة من النبلاء والأشراف توارثوا المناصب الكهنوتية حيث كونوا ثروات طائلة. وكانت هذه الفئة رافضة للحكم الليبي لمصر منذ البداية. فلما استخدم الفرعون شيشنق الأول القوة، أعلن بعضهم الولاء على مضض وفر آخرون إلى النوبة.

وبقي أشراف طيبة يتحينون الفرص للتمرد على ملوك أسرة شيشنق، فقاموا بتمرد تطور إلى ثورة شعبية في عهد الفرعون "تكلوت الثاني". وقد رأينا فيها بوادر المقاومة الوطنية (المصرية) ضد حكم الليبيين، لذلك غيرت طيبة ولاءها للأسرة الثانية والعشرين، واعترفت بفراعنة الأسرة الثالثة والعشرين. وحكم الفرعون أوسركون الثالث (الأسرة 23) من طيبة وعين ابنته "شوبن أوبت" متعبدة الإله آمون.

أما حفيده الفرعون نمرود، فقد حكم من طيبة كتابع للملك الكوشي، مثله مثل الفرعونين الحاكمين في مصر الوسطى.

وإن اختلف المؤرخون حول شخصية الملك الكوشي الذي بسط نفوذه على جزء من صعيد مصر سواء كان الأب "كاشتا" أو ابنه "بي عنخ"، فإنما يجمعون بأن الملك الكوشي قد اغتنم فرصة وفاة كاهن آمون الأول في طيبة وسار بجيشه شمالا باتجاه طيبة، فأبقى "شوبن أوبت" في منصبها، لكنه فرض عليها أن تتبنى أمنرديس إبنة كاشتا لتخلفها على المنصب، واحتفظ لنفسه

بمنصب كاهن آمون الأول في نباتا Napata عاصمة مملكته في كوش،و أيضا في طيبة بمصر؛ فالإله آمون واحد في البلدين[1] .

---

1 - محمد ابراهيم بكر، المرجع السابق ص 138 وص .153 وأيضا ....

-B.Klauser, op.cit.p.p: 20 – 21. & -K.A. Kitchen, op.cit, p.359.

وبالتالي استولى الملك الكوشي على سلطة ونفوذ كاهن آمون وثروة الإله آمون معا.

ولكننا نجهل متى استولى الملك الكوشي على صعيد مصر، لعدم وجود آثار له في طيبة، باستثناء أثر للمتعبدة "أمنرديس الأول" مؤرخ بالعام الثاني عشر، الموافق للعام التاسع عشر من عهد المتعبدة " شوبن أوبت ".[1]

ويعتقد " كتشن " بأن "أمنرديس" كانت تؤرخ بعهد أخيها غير الشقيق الملك "بي عنخ" في حين أن "شوبن أوبت" بدأت عهدها منذ تولي أخيها تكلوت الثالث عرش الأسرة الثالثة والعشرين، أي أنها تؤرخ بعهده، ويمكن هنا أن نفترض بأن طيبة كلها كانت تؤرخ بعهد ملكين معا.

ويخلص "كتشن" إلى أن غزو طيبة من طرف الكوشيين قد تم في سنة 736 ق.م، وإنه ترك فيها حاميات عسكرية، كما أعلن حاكما مصر الوسطى ولاءهما له. ويحتمل أن تكون الغزوة في تاريخ أقدم من هذا إذا كان الغازي هو الوالد "كاشتا" الذي توفي سنة751ق.م كما يجمع المختصون. ولما كان "تف نخت" في طريقه من أجل استعادة نفوذه على صعيد مصر، اصطدم بمقاومة مدينة هيراقليوبوليس ثم وصول النجدة من حليفه الملك الكوشي "بي عنخ ".

**2- الصراع الكوشي – الليبي ومصير وحدة مصر (السياسية)؟**

بعد أن فرغ "تف نخت" من توحيد جزء كبير من مصر، شهدت مصر صراعا داميا استغرق قرابة عامين 730– 728 ق.م، بين قوى الشمال المتحدة والتي تزعمها "تف نخت" وقوى الجنوب المتمثلة في جيوش "بي عنخ" الأجنبي وأشراف طيبة وبمباركة الإله آمون.

وفي ظل هذا الصراع ظل مصير مصر السياسي معلقا بين الوحدة والتجزئة، ولذا فلقد كان على طرفي الصراع لم الشمل وتكوين تحالفات للدخول في حرب فاصلة، وإن كان هذا الصراع لم يحقق وحدة مصر كاملة، بقدر ما

---

1 - K.A Kitchen, op.cit. P. P: 358 – 360.

أسفر عن وحدة مصر السفلى ورسوخ قدم الأسرة الرابعة والعشرين والتي كانت قبل ذلك في الأطوار الأخيرة لتأسيسها.

- طبيعة الصراع وأهدافه

لقد طغت الروح الدينية لدى سكان طيبة على فكرهم السياسي، واستوعبوا بسهولة فكرة التوحيد بين آمون طيبة وآمون نباتا، وبالتالي فحزب الجنوب كان يرى في الحرب مع تحالف الشمال على أنها حرب "جهاد" مقدس.

لقد انعكست الروح الدينية على تصرفات "بي عنخ" وتوجهاته التي أصدرها لقادته ليظهر تقواه وحبه الشديد للإله آمون، فأوصاهم بالنزول إلى النهر وأن "يتطهروا" ويلبسوا النظيف ويريحوا القوس والسهم وألا يصيب أحدهم بالغرور لقوته دون أن يضع آمون في قلبه، لأن لا قوة لشجاع بدونه ولأنه يجعل الضعيف قويا حتى يتغلب الواحد على ألف.[1]

لكن شواهد الأحوال تجعلنا نقتنع بأن اهتمام "بي عنخ" الوحيد كان هو الاهتمام بجمع الضريبة والهدايا، وبالتالي لم يكن وراء الغزو الكوشي أي دافع وطني أوديني، أو أنه محاولة جادة لإعادة وحدة مصر، لكن الحقيقة عكس ذلك، فالكوشيون كانوا ينظرون إلى مصر باعتبارها امتدادا سياسيا لملكتهم. ولقد اقفل راجعا إلى عاصمته "نباتا" بمجرد أن أقسم له الأمراء الولاء والطاعة وتقديم الضريبة، ولم يغير شيئا في الأسباب التي استدعت حضوره إلى الدلتا..

أما الزعيم "تف نخت" فقد كان الشعور الوطني متأصلا في نفسه،و قد كان له من مقومات البطولة والمثابرة والحنق السياسي ما يؤهله لقيادة تحالف الشمال، بالإضافة إلى أنه كان صاحب مشروع عسكري كبير وهو استعادة مصر. وكانت مملكته الكبيرة في غرب الدلتا تسيطر على مداخل الدلتا من الجنوب بالإضافة إلى تزايد قوته، إذا ما قورن بحالة الفرعونيين ممثلا الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، وبقية الأمراء والزعماء في

---

1 - J.H Breasted, OP.CIT. Part IV, Para 823.

الدلتا. فلذلك لم يتعرض إليهم "تف نخت" بالغزو، لأنه لم يكن لديهم أية طموحات أكثر من البقاء في حكم إماراتهم.

وخوفا من بطش "تف نخت" دخلوا معه في التحالف، باستثناء "باتنفي" حاكم مقاطعة "بيس أبيتي" (سفت الحنا حاليا) وأكانوش حاكم " سبنيتوس" (سمنود) .

ولقد بينا في السابق أن "أكانوش" كانت له أسبابه في عدم دخول هذا الحلف أما "باتنفي " فقد كان محايدا.[1]

أما تحالف الجنوب فكان يشمل الملك الكوشي وأشراف طيبة وكان يقف وراء هؤلاء حسب اعتقاد "بي عنخ" سندا عظيما هو الإله آمون. أما عن علاقة مصر الوسطى بملك الكوشيين، فليست هناك إشارات مؤكدة، على الأقل بالنسبة لهيراقليوبيس، تؤكد ولاءها بالرغم أن فرعونها لم يأت ضمن قائمة المتحالفين الشماليين، كما لم تشر اللوحة إلى أنه نقض عهدا قطعه للملك الكوشي، كما هو الحال بالنسبة للفرعون نمرود.

وأما عن سبب الخلاف بين طرفي الصراع، فقد أشرنا بأن الملك الكوشي " بي عنخ" اكتفى في بداية حكمه بولاء صعيد مصر لسيادته، وضمن هذا الولاء بالمنصب الحساس الذي تولته أخته أمنرديس متعبدة الإله آمون وبوجود حامية عسكرية في طيبة.

ويبدو أن توحيد "تف نخت" للدلتا المصرية لم يقلقه، وحتى استيلاءه على منف؛ لكن سيره باتجاه هيراقليوليس، كانت تمثل خطوة أولى يجب اجتيازها لتحقيق الوحدة المنشودة ولذلك أولاها اهتماما خاصا.[2]

---

1 - E.Driotan & J. Vandier, OP.CIT. P. 540. - K.A Kitchen, OP.CIT. P: 363.

2 - P.G. EL Good, The later dynasties of Egypt. P.53.

- مراحل الصراع

بعد إنشاء التحالف الشمالي تحركت الجيوش جنوبا، وقد ورد عند برستد: أنه (أي تف نخت) أبحر جنوبا بجيش جرار، اتحدت الأرض من خلفه، الأمراء وحكام المدن كالكلاب تحت قدميه، لم تغلق أسوار أقاليم الجنوب.[1] ويبدو أن أهم خطوة في هذا الصراع كانت خضوع الفرعون "نمرود" حاكم هرموبوليس، وهي منطقة وسط بين هيراقليوبوليس المحاصرة شمالا وطيبة الموالية لـ"بي عنخ" جنوبا، أي أنها كانت بمثابة درع للسلطة الكوشية في طيبة.

ويبدو أيضا أن هرموبوليس كانت قد قطعت عهدا للملك الكوشي. ونتبين ذلك من الفقرة التالية: "إن نمرود حاكم حور- وت هدم سور نفروس، وهدم سور مدينته بنفسه خشية أن يأخذها " تف نخت" منه..انظر إنه يتبع تف نخت بعد أن رمى الولاء لجلالته ".[2]

ويبقى المصدر الوحيد لهذه الحرب (لوحة بي عنخ) صامتة عن ذكر أسباب استسلام نمرود، هل هو اعتراف بقوة تف-نخت؟ أم كان بسبب صراع قديم بين الجارتين هيراقليوبوليس وهرموبوليس حول الحدود؟ .

وربما كانت هذه الأسباب كلها متوفرة، وقد طغت عليها جميعها- فيما اعتقد- قوة جيش تحالف الشمال واقترابه من مملكة نمرود، خاصة إذا علمنا أن قائدا "بي عنخ" في طيبة، وهما: "بورما" و"لمرسكني" كانا قد بعثا لملكهما نداء استغاثة مرتين منذ استيلاء تف- نخت على منف ثم محاصرته لهيراقليوبوليس. ولقد جاء في خطاب الرسول: "كل ذلك كان يجري وقد سمع به جلالته بقلب كبير منشرح ووجه باسم".[3] وبقي الملك في عاصمة ملكه "نباتا" و لم يكترث، وبذلك يمكن أن نفترض بأن الملك الكوشي لم يكن يهمه من مصر سوى طيبة عاصمة الإله آمون، وأنه اعتمد أساسا سواء في نباتا

---

1 - J.H breasted, op.cit. para. 818.
2 - J.H Breasted, op.cit. para. 820.

3- سليم حسن، المرجع السابق، ص. ص37 – 39.

مركز حكمه أو زحفه بعد ذلك على مصر، على الزعامة الدينية والتفويض الإلهي؛ بالإضافة إلى ما يرد سنويا إلى خزائن الإله من ثروات متنوعة: ضرائب وقرابين.

وأمام تقدم وزحف جيش التحالف الشمالي، ثم خضوع نمرود، تيقن الملك الكوشي بأنه لم يصبح هناك أية عقبات أمام تقدم جيش تف- نخت نحو طيبة.

إن لوحة انتصار "بي عنخ" تعطينا تفصيلا مطولا عن مراحل سير المعارك بين الجيشين.

وفي هذا الموضوع نجد بأن عالم المصريات "برستد"، قد ترجم بدقة الفقرات من 814ولغاية 883.

المرحلة الأولى: وتشمل محاصرة جيش تحالف الشمال لمدينة هيراقليوبوليس، ونجدة الجيش الكوشي الأول، -الذي كان مرابطا بطيبة - ثم إرسال "بي عنخ" جيش ثان مباشرة من نباتا، حاصر نصفه مدينة هرموبوليس ثم سار النصف الثاني شمالا نحو هيراقليبوليس لدعم الجيش الأول. وقد حدثت المواجهة بين الجيشين. وقد جرت معركة بحرية (على النيل) ثم اشتباكان حوالي مدينة هيراقليوبوليس المحاصرة من طرف تف- نخت. قتل من قوات الشمال وخيله أعداد غير معروفة وتقهقرت البقية صوب الشمال.[1]

وهذا يعني أن تف- نخت خسر المعركة الأولى، خاصة وأن حليفه القوي الفرعون نمرود قد انسحب من جيش تحالف الشمال وسار صوب الجنوب لنجدة مدينته هرموبوليس، وقد حاصرها جزء من الجيش الثاني.[2]

ولما سمع "بي عنخ" أن قوات تف-نخت لم تقهر نهائيا وأنه تراجع نحو الشمال من أجل تنظيم جيشه واستعادة قوته ونشاطه، قرر أن يتدخل شخصيا،

1 - J.H.B reasted, op.cit. P.P: 424-425.
2 - K.H. Kichen, the third intermediate period. P.364.

لأن جيوشه لم تحرز انتصارا حاسما فحضر إلى طيبة. ونلاحظ بعد ذلك، أنه اختار موسم الاحتفالات الدينية بعيد "وبت -Wepet" وهو عيد رأس السنة المصرية. وقد اختار هذا التاريخ بالذات لإضفاء الصبغة الدينية على حملته، وليجعل من هذه الحرب حربا مقدسة. ومن أجل أن يغطي التواجد الكوشي الأجنبي غير الشرعي حسب اعتقادي.

وبعد الانتهاء من الاحتفالات الدينية اتجه الملك الكوشي إلى مدينة هرموبوليس المحاصرة من طرف جيشه، حتى فاحت رائحتها الكريهة واستسلم الفرعون نمرود. فأرسل زوجته وابنته يتشفعن له لدى حريم بي-عنخ، ثم قدم له نمرود فروض الولاء والطاعة، مع الكثير من الكنوز الثمينة والثروات. وأقسم له بأن يكون واحدا من عبيده

وانه سيدفع له الضريبة.[1] بعد هذه الواقعة واصل الملك الكوشي الزحف شمالا وحرر "هيراقليوبوليس" بعد حصار طويل، وأقسم ملكها البقاء على الولاء والطاعة لـ بي–عنخ، وكان الوحيد من بين الملوك والأمراء، الذي احتفظ بكنوزه لأنه لم يخضع لـ تف- نخت.

ونتبين خضوعه هذا من العبارات التي قالها للملك الكوشي: "إن العالم السفلي اختطفني، كنت غارقا في الظلام، وإني لم أجد صديقا في اليوم الحالك...لكنك أيضا الملك القوي كشفت عني الظلام." [2]

وأمام انتصار "بي عنخ" في مصر الوسطى، لم يبق أمام الأمير الليبي "تف نخت" سوى تقوية صفوفه في الشمال وتحصين المراكز الرئيسية بين الدلتا ومصر الوسطى (الخاضعة للملك الكوشي)، فوضع أحد أبنائه على أهم حصن في "برسخم رع". ولكن أمام تهديد الملك الكوشي له استسلم دون مقاومة، فأطلق سراحه.[3] وان كنت اعتقد أن هذه مغالاة من طرف الخصم، فلا يعقل أن يستسلم ابن زعيم "تف نخت" دون مقاومة.

---

1 - J.H Breasted, op.cit. P.428, para. 846.
2 - J.H Breasted, op.cit. para. 852.
3 - J.H breasted, op.cit. para. 854.

-المرحلة الثانية

وتتمثل هذه المرحلة في حصار مدينة منف ثم الاستيلاء عليها. فلقد ذكرت نصوص لوحة بي عنخ كثيرا عن وصف هذه المدينة، لأنها كانت خاضعة لـ" تف نخت" من جهة ولأنها مفتاح مصر من جهة أخرى – كما أشرت في السابق– باعتبار موقعها على رأس الدلتا ومفتاح مصر السفلى، ولأن الاستيلاء عليها يضمن التحكم في كل الطرق المؤدية إلى كل أقاليم الدلتا.

ولذلك وأمام انتصارات بي عنخ المتتالية من الجنوب إلى مصر الوسطى، اجتهد "تف نخت" في تحصين منف وتوفير كل الإمكانيات الاقتصادية والعسكرية اللازمة لتحمل الحصار. ولقد جاء في متون اللوحة: "أتى رئيس سايس (أي تف نخت) إلى أنب حج (الجدار الأبيض ) ليلا يأمر جنوده، بحارته وكل قائد في جيش تعداده ثمانية آلاف رجل، يحثهم بحرارة، أنظر: إن أنب حج (منف حاليا) قد امتلأت بالقوات من أحسن ما في أرض الشمال...الشعير كل أنواع الحبوب، اكتظت بكل أنواع الأسلحة، إنها محصنة...لايوجد مكان للهجوم منه...والأفنية مليئة بالأبقار...دعمت الخزينة بكل شيء، فضة، ذهب، ملابس، عسل، وزيت.[1]

لقد أرسل الملك الكوشي إلى المدينة المحاصرة، يخبرهم بضرورة الاستسلام وتفادي الهلاك، يؤمنهم على أرواحهم، ولكن أهل منف لم يأبهوا لتهديداته. وفي هذا الوقت، وبعد أن اطمأن "تف نخت" لحال المدينة، خرج منها ليلا متجها الى الشمال للبحث عن الدعم.

ويبدو لي أن حكام الشمال في الدلتا، حلفاء "تف نخت" قد تركوه بمفرده، وانصرف كل إلى إقليمه ليتحصن به وأصبح "تف نخت" وحيدا في الميدان مثلما يشير النص إلى ذلك: "سأذهب وأعطي شيئا لرؤساء الشمال وأفتح لهم أقاليمهم".[2]

1 - J.H Breasted, op.cit. para. 859.
2 - J.H Breasted, op.cit.para.860.

ويفسر – جاردنر – ذلك بأن تف - نخت قد اتجه إلى الشمال ليلم شمل أمراء الدلتا الذين ظن أنه يستطيع أن يضمهم إلى صفه بعد أن وعدهم بالثروات الموجودة في منف[1].

ولكن على الرغم من التحصينات الشديدة لمدينة منف، إلا ان الملك الكوشي قد تمكن من الاستيلاء عليها، وكما هي عادته في المدن التي سبق وأن دخلها، اتجه مباشرة الى المعبد وقدم القرابين للآلهة؛ وأمر بتطهير المدينة من تدنيس جنود تحالف الشمال لها...

3)- موقف أمراء المشواش من "بي-عنخ"

إن سقوط منف كان النقطة الحاسمة في هذه الحرب، فقد اخضع "بي عنخ" كل مصر العليا والوسطى لسلطته،واستولى على منف مفتاح الدلتا. وكان إخضاع مصر السفلى مسألة وقت فقط بالنسبة للملك الكوشي. ويبدو أنه لم يكن في حاجة إلى ذلك، فبعد فشل تف- نخت في إقناع حكام الشمال للعدول عن اتجاههم الانفصالي، عاد إلى مملكته في غرب الدلتا، ولم يجد حكام الشمال بدا من الإسراع في تقديم ولائهم للملك "بي عنخ"، ولقد تم ذلك عبر خمسة مراحل.

- ففي أول مرحلة سارع إلى منف كل من الفرعون أيوبوت (الأسرة 23) وزعيم المشواش أكانوش (حاكم سينيتوس) والأمير الوراثي بدى إيزيس من (أثريبيس).

ولقد أسلفنا بأن أكانوش هذا، كانت تربطه علاقة مصاهرة بالأسرة الكوشية في طيبة، أما الفرعون أيوبوت الثاني، فقد قبل وبسهولة أن يتحول من فرعون إلى تابع للملك الكوشي بي عنخ.( في حين عز على ممثل الأسرة 22 آنذاك وهو شيشنق الخامس أن يتحمل هذه الطعنة في كرامته).أما بخصوص بدي-ايزيس، فيمكن تفسير ذهابه جنوبا إلى منف وتهنئة الملك

1- آلن جاردنر، مصر الفراعنة.ص .370

الأجنبي المنتصر، بأن والده "الأمير باكنفى" كان حليفا لـ" تف نخت" في حصار هيراقليوبوليس. ولما توفي اغتصب "بدي ايزيس" الزعامة من أخيه البكر، لذلك سارع من أجل لقاء"بي عنخ" ليوطد حكمه في إمارة والده.. وقد جاء في لوحة "بي عنخ" أتى الملك أيويوت ورئيس المشواش أكانوش والأمير الوراثي "بدي إيزيس" حاملين ضريبتهم ليروا بهاء طلعته (بي عنخ).

- وفي مرحلة ثانية، لما انتقل الملك المنتصر إلى هيليوبوليس (شمال منف)، قدم الملك أوسركون، ثم تقدم الملك الكوشي في النهر حتى وصل إلى ميناء أثريبس حيث أقام معسكره شرق الإقليم، فرجاه "بدى ايزيس" أن يدخل القصر ويستغل ثرواته وكنوزه.

وفي أثريبس، جاء الفوج الثالث من حكام الشمال: "عندئذ أتى هؤلاء الملوك أمراء أراضي الشمال، كل الرؤساء الذين وضعوا الريشة، كل وزير، كل الرؤساء، كل ملك معروف من الشرق، من الغرب ومن الجزر.[1] لقد حضر أمراء وحكام الشمال كلهم وأقسموا أن يكونوا تابعين للملك الكوشي وقدموا هداياهم وكانوا خمسة عشر حاكما.

- إن سقوط منف وخضوع حكام الشمال، كان الضربة القاضية لمشروع تف نخت، وعلى أساس ذلك، فقد الأمل في إمكانية إصلاح التصدع الذي أصاب وحدة الشمال. لذلك تقوقع بعض الوقت في مملكته وحاول حمايتها بتحصين حدودها مع إمارة أثريبس، وقد أصبحت تابعة للملك الكوشي، فحصن مدينة " كسويس" (مسد حاليا) فأرسل الملك "بي عنخ" جيشا وأخذها منه وقدمها لتابعه "بدي إيزيس".

إن ما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن "بي عنخ" تجنب السير إلى مملكة الغرب، وأقفل راجعا من أثريبس إلى منف مباشرة، وفيها قدم "تف نخت" خضوعه للملك المنتصر .

1 - J.H Breasted, op.cit. para. 873.

والحقيقة إننا نجهل الاسباب التي دفعت "تف نخت" الى هذا التصرف. ما نعلمه فحسب هو أنه لم يكلف نفسه التنقل شخصيا إلى منف بل اكتفى بأن أرسل من يخبر "بي عنخ" باستسلامه.

وفي معبد عاصمته "سايس" وأمام مبعوث الملك الكوشي، القائد بورام، أقسم بالولاء وأرسل الهدايا والتزم بدفع الضريبة.

واذا كانت نصوص اللوحة تشير إلى "تف نخت" كحاكم بائس، يتعطف بـ "بي عنخ" ويخجل من التطلع في وجهه،[1] إلا أن شواهد الاحوال فيما بعد، قد بينت أن هذا التصرف إنما كان صادرا عن حاكم عاقل، استطاع أن ينقذ مملكته بالتحصن بالمستنقعات في الشمال وكان يعرف أن خصمه يتفادى الوصول إليها.

- وفي مرحلة خامسة وأخيرة سلمت جيوب المقاومة في كل من بر-سويك(الفيوم حاليا) وأطفيح.

ولم يمكث الملك الكوشي بعد ذلك في مصر كثيرا، حيث رجع إلى "نباتا" وسط موجات من التهليل والتحية من جانب الأهالي على ضفتي النهر، كما يقص علينا كاتب اللوحة.

و بعد كل هذه المجهودات التي بذلها، يظهر بي-عنخ وكأنه ينسحب إلى بلاده بعد أن غزا مصر.[2] وبعد أن فرض على أخته أمنرديس أن تتبنى إبنته التي سماها "شوبن-أوبت الثانية"، لترث سلطانها من بعدها، وبعد عودته إلى عاصمة ملكه سجل أخبار غزوه بكل زهو وافتخار .

---

1 - K.A Kitchen, op.cit. P. 365.

2 - آلن جاردنر، المرجع السابق، ص .372

**4)- الوضع السياسي في مصر بعد بي-عنخ**

**أ)- أوضاع مصر في عهد تف-نخت**

لقد اختلف المؤرخون في نظرتهم لغزوة "بي عنخ". فيرى فريق أنه، لما عاد إلى طيبة لم يفعل أكثر من التأكيد على ولائها لـ"نباتا" من خلال مركز أخته، ومحتفظا بالسيادة النظرية بفضل جزء من جيشه الذي تركه في طيبة. ويرى فريق ثان أن "بي عنخ" قد ترك أخاه " شباكو Shabako في الدلتا، وأن هذا الاخير اشتبك مع الأشوريين.[1]

في حين يرى فريق ثالث بأن هذه الغزوة كانت مغامرة بدون طائل، ولم يفهم أصحاب هذا الرأي لحد الساعة أسباب عودته السريعة إلى "نباتا" خاصة وأنه لم يقض على الاسباب التي جاء من أجلها إلى مصر، وبالتالي لم يكن ليجهل أن نفس الاحداث سوف تتكرر من جديد.[2]

وإذا بحثنا في شواهد الحوال فإننا لا نجد أي نص أو أثر يشير إلى بقاء السيادة الكوشية على مصر السفلى.

ولقد سبق وأن تحاشى الملك بي-عنخ الاصطدام بـ"تف-نخت". ربما لأنه أدى واجبه اتجاه مصر وكفى، أو لشعوره بحقيقة الوضع، وهي شعبية تف-نخت بين أتباعه وصعوبة قهره.

ولم يكن ولاء تف – نخت وخضوعه لـ"بي-عنخ إلا اسميا، لذلك ترقب رحيله واستغل فراغ الميدان الداخلي لصالحه، فاسترجع سلطانه في الدلتا والاقاليم القريبة منها، واستعاد الألقاب الملكية، وحكم مصر السفلى لغاية عام حكمه الثامن، كما يؤكد ذلك أثر متحف فيينا أي فيما بين – 720 728ق م.

لقد غير سياسته الداخلية إزاء أمراء وزعماء المشواش في وسط وشرق الدلتا من التحالف إلى العداء، وقد كان لهذا الأمر ما يبرره، من خلال مواقف

1 - E.Drioton & J.Vandier,op.cit. P. 543.

2 - عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص. 290.

الخيانة العديدة التي سلكها ممثلو هذه الامارات عند حصار منف، ثم تقديم خضوعها الجماعي للملك الكوشي في أثريبس. وتيقن أنه إذا أراد أن يوحد مصر شمالها وجنوبها يجب عليه أن يوحد الدلتا أولا ويخضعها بأكملها لسكانه. ويبدو أيضا أنه لم يغامر جنوبا لكي لا يتحرش به الملك الكوشي من جديد.

ومما يؤسف له حقا هو عدم وجود آثار ونصوص تفصح عن هذا النشاط العسكري وامتداد سيادته إلى شرق الدلتا .

ولقد شهدت أوضاع الدلتا تحسنا كبيرا في عهده وانتعش الاقتصاد في الدلتا كما تطور دور "تانيس" العاصمة الاقتصادية، وعرفت وصول السفن اليونانية ابتداء من هذه الفترة وكانت تبادل سلعها من كروم وزيوت مقابل القمح والماشية. وكانت وفود اليونانيين تصل إلى العاصمة "سايس" فيستقبلها الملك بترحاب كبير لأن هذا التبادل كان مربحا للطرفين [1]

وهناك أمر آخر قوى حزب تف- نخت وهو أن الطبقة الغنية و"البورجوازية" قد تضررت كثيرا من غزوة "بي عنخ" لأنه استولى على كنوزهم وثرواتهم، واحتفظ بها لنفسه، في حين أوقف الضرائب التي كانت تدخل خزائن الحكام على المعابد المحلية والاله آمون. وذلك ليوطد الكهان سلطته في البلاد. وبالتالي فمن البديهي أن يكون قد حصل تقارب بين هؤلاء والزعيم الوحيد الذي ما زال يحافظ على مملكته وجيشه وهو "تف- نخت". فالتف البرجوازيون في المدن الاقتصادية المتضررة حول "تف نخت" ليخلصهم من الوصاية الكهنوتية التي فرضها عليهم الملك الكوشي بي عنخ. [2]

### ب- أوضاع مصر في عهد بكن رنف

كان "بكن رنف" ثاني وآخر ملك حكم الأسرة الرابعة والعشرين، وكان في عمر الشباب، وقد ورث عن أبيه حكم مصر السفلى وغير العاصمة من سايس إلى منف .

---

1 - G. A. El- Good, op.cit. P59
2 - J. Pirenne, op.cit.. P72.

ولم تفدنا الآثار المصرية كثيرا عن حكم هذه الأسرة، وكل ما وصلنا هو لوحة من السرابيوم مؤرخة بالعام السادس لهذا الملك، كما أسلفنا.. ولقد جاء في الرواية اليونانية أن هذا الملك كان عادلا مجتهدا في تنقيح القانون ساهرا على الحق بكل قواه.[1]

ولا غرابة في ذلك، فأحوال مصر الداخلية وقتئذ كانت سيئة للغاية، وتتطلب مثل هذه المجهودات وربما كان يكمل عملا بدأه والده...

ولقد اتجه "بكن رنف" في أواخر سنين حكمه إلى طريق الاصلاح وتدعيم جانب من أسس العدالة والتشريع. وللأسف كانت تشريعاته سببا رئيسا في زوال حكمه، ذلك لأنها شملت مضامين تحررية وثورية بالنسبة للمفاهيم السائدة في عصره.

وبصرف النظر عن الجوانب القانونية البحتة في هذه التشريعات– التي سوف نتعرض لها بشيء من التفصيل لاحقا– فإن انعكاساتها السياسية كانت كافية لإثارة العناصر الكهنوتية والعسكرية المسيطرة على كل موارد الدولة من أراض وعقارات.

هذه العناصر التي كانت قد قطعت شوطا كبيرا في تعميق النظام الاقطاعي وتسيير أملاكهم بواسطة العبيد والفلاحين المستأجرين.

لقد حمل "بكن رنف" على عاتقه الحفاظ على سلامة حدود مصر، بالرغم من انشغاله بأمور بلده الداخلية، فقد كان له نصيب في السياسة الخارجية ومن ذلك أنه لما شعر بأن حدود بلاده الشرقية مهددة من طرف الاشوريين، اتبع سياسة تحريض أمراء فلسطين على "سرجون الثاني" وساندهم بجيش يقوده "سيبو" (كما ذكرت ذلك الحوليات الاشورية) غير أن هؤلاء الحلفاء قد انهزموا في رفح (الحدود المصرية) حوالي عام 719 ق م .

---

1 - جـ.هـ. برستد، المرجع السابق، ص. 444.

ولعل المسائل التي تعرض لها تشريع "بكن رنف"، كانت بمثابة الضربة القاضية لآمال وطموحات الكهنة، ومن ثمة كان للوشاية التي مارسها هؤلاء أثر بالغ في نفس الملك الكوشي الجديد "شباكو" خليفة "بي-عنخ" عندما استنجد به الجنوب (طيبة).[1]

ولقد وصل "شباكو" على رأس جيش إلى منف، في عام حكمه الثاني، المقابل للعام السادس من عهد "بكن رنف" واصطدم الخصمان، وتردد المراجع كلها على لسان "مانيتون" بأن شباكو قد أسر بكن - رنف وقتله حرقا، وإن كان هناك من يشكك في هذا المصير ويعتقد بأنها كانت دعاية من طرف الكوشيين، لكي يقبل المصريون أو على الاقل المتضررون من تشريعات بكن-رنف، بشباكو الكوشي كفرعون على مصر.[2]

ويعتقد أصحاب هذا الرأي بأن بكن- رنف واصل العيش في المستنقعات الشمالية (الدلتا) التي كان يخشاها الكوشيون على الدوام.

ولقد انشأت الأسرة الخامسة والعشرون، وكانت متزامنة مع الأسرة الليبية في جزئها الأول، أثناء حكم "كاشتا" و"بي عنخ" لغاية سنة 716 ق م، ثم انفرد الكوشيون بحكم مصر أثناء فترة حكم الملوك: شباكو، طهرقة وتانون آمون، أي من 715وإلى غاية 656 ق م.[3]

ولكن يبقى أن الوحدة في الشمال ظلت نظرية ومعنوية فقط، وذلك فيما بين 730 وإلى غاية 715 أو 712 كما ذهب إلى ذلك بعض المؤرخين، لأنه لا "تف-نخت" الزعيم العظيم لملكة الغرب ولا المصلح "بكن- رنف" ولا "شباكو" الغازي الكوشي، تمكنوا في أي وقت من تحقيق الوحدة الفعلية لمصر.

فعلى الرغم من زوال زعماء المشواش من غرب الدلتا، فإنه في وسطها وشرقها بقيت مؤسسة زعماء المشواش متجذرة في بعض الأماكن، ولقد

---

1 - J.H. Breasted, op.cit. p. 452, para. 886.

2 - K.A. Kitchen, op.cit.p. 377.

3 - Op.cit,p.468. & - E.Drioton & Vandier, op.cit. p. 567.

حفظت لنا الآثار لوحة مؤرخة بالعام الثاني من حكم "شباكو" بعد انتصاره على "بكن-رنف"، وصاحب اللوحة هو الزعيم العظيم للمشواش والقائد "بات جنفي" Pat jenfy وهو يقدم القرابين...

وفي نص للإمبراطور الأشوري "سنحريب" بعد دخوله مصر، يذكر عبارة ملوك مصر، وربما يقصد بها زعماء مثل "بات جنفي" السابق ذكره... بل إنه مع مطلع القرن السابع (ق.م)، تذكر بعض النصوص بأن ملوك "نباتا" كانوا يحاربون من أجل القضاء على ملوك الشمال. وقال "طهرقة" حوالي 680 ق م، أنه هجر نساء زعماء المشواش.[1] وان دل هذا على شيء فإنما يؤكد حقيقة تاريخية وهي أن زوال الدولة الليبية ليس معناه نهاية المشواش والليبو في مصر.

---

1 - J.Yoyotte, Les principautés du Delta. P.P: 142 - 144.

# الفصل الثامن

## المظاهر الحضارية لدولة الليبيين الأمازيغ
## في مصر

لقد كانت مرحلة حكم الليبيين بمصر من أكثر مراحل تاريخ مصر غموضا.و يرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى قلة الوثائق والآثار ومرد ذلك النقص إلى أسباب عديدة منها:

- العامل الطبيعي، ويتمثل في اتخاذ الليبيين لمدن الدلتا كعواصم لحكوماتهم، ومراكز استقرار لزعمائهم، وبالتالي فيمكن أن تكون أغلب هذه الآثار قد تحللت لكثرة فروع النيل وكثرة الطمي ورطوبة المناخ.

- العامل الخارجي، ويتمثل في أن هذا الجزء من مصر (الدلتا) كان مستهدفا وعرضة للأطماع الأجنبية التي تكاثفت على مصر بعد حكم الليبيين، ابتدء بغزو الكوشيين فالآشوريين، وانتهاء بالفرس ثم اليونانيين. وما لحق الدلتا من دمار وخراب من جراء الحروب والصدامات.

- العامل الداخلي، ويتمثل في التجزئة السياسية التي عانت منها دولة الليبيين في القرن الأخير من عمرها، والتي انعكست سلبا على المستويين السياسي والحضاري على حد سواء، ولم يشجع ذلك على إقامة مشاريع عمرانية ضخمة.

ولكن، على الرغم من ذلك كله، فقد ظلت الحضارة في عهد حكم الليبيين رفيعة المستوى في شتى المجالات، وإن فقدت بعضا من السمو والبهاء، اللذين تمتعت بهما في عصر الرعامسة.[1]

كما تجدر الإشارة إلى أن الفوضى التي أعقبت عهد الفرعون أوسركون الثاني، لم تقض نهائيا على الإبداع الحضاري في مصر الليبيين، وإن كان قد تراجع قليلا على ما كانت عليه من قبل في فترة القوة والمركزية.

وقد كان حكم الفرعون شيشنق الأول مؤسس الدولة الليبية فاتحة عصر جديد لمصر بعد الخمول والفقر الذين شهدتهما أثناء حكم الأسرة الحادية والعشرين المزدوجة، واستعاد الفراعنة الليبيون ولأجيال عديدة قادمة، قوة مصر على الصعيدين الداخلي والخارجي، بعد أن وقعت في طي النسيان منذ نهاية عهد الفرعون رمسيس الثالث؛ فعادت مصر تفرض من جديد سيادتها

1 - Cyril Alfred François, Les Pharaons: L'Egypte du crépuscule de Tanis A Meroé (1070 av J.C – IV siècle après J.C). traduit par Claude Rosier Brelot. Paris: Gallimard, 1980. P. 123

على مستعمراتها القديمة في فلسطين، وحمايتها على دويلات فينيقيا، بعد المهانة والإذلال الذي تعرض له سفير ومبعوث الأسرة الحادية والعشرين، الكاهن "ونآمون" إلى مدينة جبيل الفنيقية.

وعلى الرغم من قلة المادة العلمية فانه بالإمكان إلقاء الضوء على جانبين مهمين من الإنجاز الحضاري في مصر إبان حكم الليبيين، ويتمثل أولهما في العمارة وفن النحت، ويبحث الثاني في المتغيرات التي طرأت على المجتمع المصري، بوجود الليبيين على قمة هرم السلطة.

وفي هذا المقام رأيت من الموضوعية والأمانة رد الاعتبار وإنصاف الملوك الليبيين الذين اتهموا زورا من طرف فريق من المؤرخين بالتهديم العمدي لآثار الفراعنة السابقين لهم، مستندة في ذلك إلى آراء المتخصصين من علماء الآثار.

هذا عن الجانب المادي للحضارة، أما في المجتمع فقد طرأت تغيرات في تقسيم المجتمع المصري وانعكست آثار ذلك على الناحية الاقتصادية، الأمر الذي فجر المشاعر الثورية للمصلحين من الفراعنة الليبيين، فشهدت مصر الليبيين، تشريع الفرعون الليبي "بوخوريس" الذي ألهم مشرعي اليونان كما يرى رجال القانون...

### أ- العمارة وفن النحت

لقد ترك الفراعنة الليبيون آثار منشآتهم العمرانية في مدينة بوبسطة، وهي مركز حكمهم الأسامي، كما أشار إلى ذلك مانيتون، وأيضا في مدينة تانيس التي كانت العاصمة الاقتصادية للبلاد، ولا يستبعد أن يكون الحكام الليبيون قد أقاموا بها قصورا واستراحات لهم، بالإضافة إلى المعابد. وقد فضلوا هذه المدينة لتكون مأوى أبدي لهم في مماتهم. وعلى الرغم من ذلك فإنهم لم ينسوا باقي أنحاء مصر وخاصة العاصمة الدينية: طيبة.

وإن كان بعض المؤرخين يأخذون على الفراعنة الليبيين بعض العيوب، منها أنهم أظهروا اهتماما مفرطا بالدين ومعابده على حساب النشاطات الأخرى.[1]

وهذه، في الحقيقة ليست بدعة ليبية، فقد سبقهم إليها الفراعنة المصريون أنفسهم، فالعمارة المصرية القديمة في معظمها عمارة جنائزية، ركزت على تشييد وتجميل معابد الآلهة، مثلما اهتمت ببناء قبور ضخمة مزودة بكل العتاد الجنائزي اللازم ورسوم ونصوص دينية تضمن مرور الميت إلى جنات يارو (العالم الآخر). فالعمارة المصرية قائمة أساسا على فكرة البعث والخلود.

أما العيب الثاني الذي يؤخذ على عمائر الليبيين في مصر، فهو اتهام الفرعونيين "أوسركون الأول" و"أوسركون الثاني" بتهديم وتخريب المنشآت الدينية المصرية، وأن هؤلاء الحكام كانوا على غير مستوى المسؤولية بالنسبة للحفاظ على آثار الأسلاف العظماء." [2]

ويتهم هذان الفرعونان أيضا بتهديم منشآت الفرعون رمسيس الثاني التي أقيمت على مقربة منهم في الدلتا، بهدف استخدام قطعها في بناء عمائرهم، بل ويذهبون إلى: "أن العجز بلغ بهم إلى عدم القدرة على هدم بعض المعابد الفخمة، ومن ثمة فقد اكتفوا بمحو أسماء أصحابها من الفراعنة المصريين السابقين، ووضعوا أسماءهم بدلا منها دون حياء أو خجل". [3]

ويتهم صاحب هذا الرأي، على وجه الخصوص الفرعون أوسكرون الثاني، بأنه محا إسم رمسيس الثاني من المعبد الكبير في بوبسطة ووضع إسمه وألقابه، وأهدى المعبد للإله باستت.

إن ظاهرة اغتصاب آثار السلف، هي الأخرى لم تخص الفراعنة الليبيين دون سواهم، فقد سبقهم إليها كثيرون، وخاصة في فترات ضعف الدولة،

---

1 - عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج 1 " مصر والعراق "، ص 285. - ومحمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم، ج 3 " منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة 31 "، ص 586.

2 - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 587.

3 - سليم حسن، مصر القديمة، ج9، ص 221

ومن ذلك أن "بسوسنس الأول "و"بسوسنس الثاني" (الأسرة 21) قد اغتصبا بعض تماثيل وأعمدة "تحوتمس الثالث" (الأسرة 18) وكتبا عليها أسماءهما. ونفس الشيء حدث في طيبة عندما اغتصب الفرعون "باي نجم" الأول بعض آثار رمسيس الثاني[1].

بل إن رمسيس الثاني الفرعون العظيم الذي اشتهر بكثرة منشآته، قد اغتصب هو الآخر آثار غيره،[2] فهذا "برستد"، يشير إلى أن عملية اغتصاب الآثار، لم ترتبط بفترات ضعف الدولة فقط، وأن الفرعون "مرنبتاح" (الأسرة 19) قدهدم آثار أجداده بقسوة عظيمة، حيث هدم معبد "إمنحتب الثالث" (الأسرة 18) وكسر تماثيله ليستعمل أجزاءها أحجارا لبنائه الجديد. " ولم يكتف بإتلاف آثار أجداده، بل شمل أيضا آثار والده (رمسيس الثاني) الذي سبق أن وضع له مثالا لمثل هذا الإعتداء قبل وفاته."[3]

والأمثلة على عمليات اغتصاب الآثار في التاريخ الفرعوني كثيرة، أما تهمة التهديم والتخريب العمدي فخطيرة..

لكن بالرجوع إلى تقارير المتخصصين في علم الآثار، وبالاستناد إلى آراء أولئك الذين قاموا بعمليات الحفر والتنقيب في أماكن ومواضع المنشآت الليبية ومنهم "إدوارد نافيل EDWARD NAVILLE الذي عمل في بوبسطة، و"بيار مونتيه" PIERRE MONTET في تانيس، فقد فند الإثنان التهمة التي طالت كل من أوسكرون الأول والثاني، بتهديم عمائر رمسيس الثاني في بررعمسيس (مدينة رمسيس)، قصدا وطواعية لإقامة منشآتهم الخاصة.

فهذا الأثري السويسري "نافيل"، يستبعد أن يكون تهديم المعبد الكبير في بوبسطة من عمل الفرعونين الليبيين، وإنما يرجعه إلى فترة تسبق الأسرة الحادية والعشرين، لما اضطربت أمور مصر، ولم يكن هناك قائد مدى بضع

---

1 - CYRIL ALFRED FRANÇAIS, OP. CIT. P 123.

2 - سليم حسن، المرجع السابق، ص 220.

3 — ج.هـ برستد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى العصر الفارسي، ص385.

سنوات، فتمكن القائد السوري "آرسو" من إرهاب البلاد وتعالى على العباد والآلهة.[1]

ويسرد لنا التاريخ أن مصر كانت سائرة بسرعة نحو التفكك والانحلال وأن "ست نخت" والد رمسيس الثالث خاض معارك ضد أنصار "آرسو" السوري، فأرجع النظام وقتل العصاة. ويبدو أن تلك المعارك والحروب هي التي ألحقت أذى كبيرا بعمائر بوبسطة وتانيس، وإن الفرعونين الليبيين لم يعملا أكثر من الاستعانة بالحجارة المرمية على الأرض والقريبة من مواقع البناء، فأعادوا استخدامها.[2]

كما أنه من التجني على التاريخ أن ننسب المعبد الكبير في بوبسطة إلى الفرعون رمسيس الثاني، فلم يكن هو من أقامه بل اقتصر عمله على ترميم وتجميل المعبد وإضافة بعض الهياكل ووضع تماثيل في معبد يرجع في تاريخه إلى فترات سابقة، فقد ساهم كل من الفرعون خوفو (الأسرى 4) ثم الفرعون ببي (الأسرة 6) في إنشائه، ثم أضاف له الفرعون سنوسرت الثالث (الأسرة 12)[3] ثم قام الفرعون رمسيس الثاني بعد ذلك بوضع بصماته على هذا الأثر العتيق والعريق، ومن ذلك كتب اسمه على تماثيل لسنوسرت الثالث.[4]

وبالتالي فإن كان هناك ما يؤخذ على الفرعونين أوسركون الأول وأوسركون الثاني فهو اكتفاؤهما باستعمال حجارة كانت ملقاة على الأرض ولم يسعيا إلى جلب حجارة جديدة وهذه في رأيي ليست ذنبا مقارنة بما اقترفه "مرنبتاح" لما حطم آثار والده القائمة لإعادة استخدامها من جديد.

وعلى كل، فلنا آثار شاهدة على النشاط العمراني للفراعنة الليبيين، وخاصة في بداية عهدهم، في كل من طيبة، بوبسطة وتانيس. وتبدأ المشاريع العمرانية في التضاؤل منذ عهد الفرعون شيشنق الثالث، وظهور الازدواجية

---

1 - E.NAVILLE, BUBASTIS. ( 1887 - 1891 ), LONDON: 1891, p. 47.

2 - OP. CIT. P 49. & P. MONTET, LES CONSTUCTIONS ET LE TOMBEAU D' OSORKON II à TANIS. P 18.

3 — K.A. KITCHEN, OP. CIT. P 319

4 - سليم حسن، المرجع السابق. ص 222.

في الحكم، لنفقد آثارها نهائيا مع التفتت السياسي، والصراع الذي نشب بين الأمراء المشواش، الأمر الذي لم يشجع على إقامة عمائر كبيرة، وكل ما وصلنا هو عبارة عن آثار منقولة من ألواح، وتماثيل صغيرة وجعارين.

.1 - آثار الفرعون شيشنق الأول

لقد ترك لنا الفرعون شيشنق الأول آثارا من الأهمية بمكان في فترة من تاريخ مصر قلت فيه الآثار. فلما تولى هذا الفرعون مقاليد الحكم أخذ أولا في توطيد أركان الدولة الليبية واستعادة الأمن في البلاد، ثم وجه أنظاره إلى الخارج قصد استرجاع هيبة مصر على الصعيد الخارجي. وبعد عودته من حملته المظفرة في فلسطين، نفذ برنامجا طموحا من المشاريع الإنشائية في معبد آمون بالكرنك.

فشيشنق الأول الذي اعتبره أهل طيبة أجنبي الأصل، من مواليد مصر السفلى وقد اتخذ من بوبسطة عاصمة له، إلا أنه لم يخلف آثارا له في هذه المدينة، بل اهتم بطيبة حيث وجد مقاومة لحكمه، ومن أجل أن يظهر سلطته على مصر العليا فقد أقام بطيبة معظم إنشاءاته العمرانية.

ولقد صمم الفرعون شيشنق الأول على أن يقيم أثرا شاهقا وبارزا يسترعي الأنظار بعظمته، على غرار ما أقامه الملوك العظماء في الدولة الحديثة، فأقام بوابة النصر والتي تسمى عادة البوابة البوبسطية (نسبة إلى عاصمة حكمه).

وهي بوابة عند مدخل فناء المعبد الرئيسي في الكرنك، وتقع بين معبد صغير أقامه رمسيس الثالث وبين البوابة الثانية، وتؤلف بوابة شيشنق جزءا من امتداد الجدار الجنوبي لقاعة الأعمدة العظيمة، وعلى السطح الخارجي للجدار أمر الفرعون شيشنق بنقش انتصاره على المملكتين اليهوديتين (يهودا وإسرائيل).

وتمثل بعض المناظر ذبح الأسرى أمام الإله آمون (وهو مشهد تعود الفراعنة المصريون رسمه). ويشاهد على يمين الجدار صورة الفرعون غير مكتملة، منها

رسم تخطيطي لتاج الفرعون (لم يرسم غائرا). وفي أسفل المنظر نصوص نقشت في أسطر أفقية، وهي عبارة عن مدائح لقوة شيشنق الأول، وفوقها قائمة للمدن التي استولى عليها[1]. ولقد ساعدت هذه القائمة كثيرا المتخصصين في تحديد جغرافية فلسطين، وقدا جاء ذكر غزو شيشنق لفلسطين في التوراة.

وتدل النقوش التي تركها شيشنق الأول في صخور بلدة السلسلة (تقع بين أدفو وأسوان وبها تقطع الأحجار لإقامة المباني)، إلى نص مؤرخ بأواخر الشهر الثاني من فصل شمو، اليوم الأول، حوالي شهر جانفي من عام 924 ق.م.

وفي متن النص ما يلي: "قد أعطى جلالته شروطا لإقامة بوابة عظيمة جدا... لأجل أن تضيء طيبة، وإقامة أبوابها المزدوجة من عشرة آلاف الأذرع (ارتفاعا)، وذلك لإقامة فناء الأعياد لبيت والده آمون- رع ملك الألهة، وليحيطها بالأعمدة.. ".[2]

من خلال هذا النص، نتبين أمورا عدة، منها أن الفرعون شيشنق الأول كان يخطط لعمل ضخم لم يكمله، فقد صمم لإقامة الفناء الأول الخاص بالاحتفالات والأعياد بما في ذلك البوابة الأولى التي تكون عادة أمام الفناء أو الردهة. كما نتبين أن هذا الفرعون قد بعث بقافلة من العمال إلى محاجر السلسلة لاقتطاع الأحجار اللازمة لهذا المشروع العمراني الضخم، ولم يلحق أي أذى بما جاوره من بناءات أو يغتصب آثار القدماء.

وإذا كان المؤرخون يقارنون بين البوابة وماعليها من نصوص بما جاء في أثر آخر للفرعون تحوتمس الثالث، فإنما جاءت هذه المقارنة لصالح شيشنق الأول، فهم يعتقدون بأن المقارنة بعيدة عن المديح الأجوف، وأن بهو الاحتفالات الذي شيده شيشنق الأول شاهد على النهضة الجبارة التي سادت الشرق الأدنى القديم.

---

1 - الن جاردنر، مصر الفراعنة. ص. ص: 359-360. و- سليم حسن، المرجع السابق. ص. ص: 110-115.-

2 - سليم حسن، المرجع السابق. ص 111.

في حين يعلق "كتشن" على هذا الإنجاز، بأنه أرجع إلى طيبة جزءا من عظمة الماضي في عهد الدولة الحديثة، وأن الفراعنة أهملوها منذ أربع مئة سنة، أي منذ عهد سيتي الأول ورمسيس الثاني[1]

وبالإضافة إلى بناءاته في طيبة، فله آثار متفرقة ومنها معبد صغير في منف يعرف بمعبد ملايين السنين؛ كما بدأ في العمل في معبد آخر في الهيبة (مصر الوسطى). وتجدر الإشارة هنا إلى أن مؤسس الدولة الليبية، الفرعون شيشنق الأول، لم يترك آثارا في مسقط رأس أجداده مدينة هيراقليوبوليس (أهناسيا حاليا) أو في عاصمة حكمه بوبسطة.

2- آثار الفرعون أوسركون الأول

لقد كانت الدلتا هي المسرح الرئيسي لأعمال خلفاء شيشنق الأول المعمارية. ولقد تركزت أعمالهم في المدينتين الرئيسيتين آنذاك: بوبسطة وتانيس، فأقام أوسركون الأول معبدا صغيرا وعندما أكمله أهداه للإله "أتوم" ثم دون على جدران هذا المعبد قوائم هباته الواسعة لآلهة مصر[2]

كما ينسب لهذا الفرعون الشروع في إعادة بناء المعبد الكبير في بوبسطة، وإن كان من المؤرخين من يتهمه بتهديم هذا المعبد (وينسبه خطأ لرمسيس الثاني) من أجل إعادة بنائه من جديد، كما أشرنا سابقا، (وقد برأه من هذه التهمة أغلبية المختصين). ويعتقد سليم حسن بأن الكثير من نقوش "أوسركون الأول" قد وجدت تحت تيجان الأعمدة ولا يمكن نقش التيجان والكتابة عليها إلا إذا كان الأثر ملقى على الأرض، ولم يكن قد رفع بعد. وبالتالي فلا يمكن أن نتهم "أوسركون الأول" بأنه زحزح الأعمدة لأجل أن ينقش طغراءه (الخرطوش) في أسفل الأعمدة.

وعلى ذلك، فلابد أن نستخلص أن المعبد في عهده كان مخربا وأن الأعمدة كانت ملقاة على الأرض، وأن "أوسركون الأول" قد أعاد استخدام هذه المواد،

1- K.A.KITCHEN, op.cit. p. 302.

2- K.A.KITCHEN, OP. CIT. P. 304. & - سليم حسن، المرجع السابق ص 178

وزين المعبد بمناظر جميلة، لا يسع الإنسان إلا أن يؤخذ بجمالها، وانها كانت أكثر اتقانا من تلك التي تركها رمسيس الثاني في أواخر أيامه.[1]

وفي هذا المقام، يجدر بنا أن نذكر بأن أوسركون الأول، قد ورث عن أبيه شيشنق الأول مملكة قوية وغنية، فهداياه لآلهة مصر من معادن ثمينة، تجعلنا نجزم بأن عهده كان عهد رخاء، وأنه كان بمقدوره إرسال قوافل لاقتطاع مواد بناء منشآته من محاجرها ولكنه اكتفى باستخدام الحجارة الملقاة قريبا من المواقع.

ولهذا الملك أعمال أخرى " فقد أكمل معبد أبيه في الهيبة كما أقام حصنا وإقامة عرفت باسم "استراحة أوسركون" وموقعها في مدخل الفيوم شمال هيراقليوبوليس[2]

3- آثار الفرعون أوسركون الثاني

لقد شهد أوسركون الثاني (874-850 ق.م) آخر ومضات ازدهار الأسرة الثانية والعشرين، وهو فرعون بناء. ففي عهده عادت البناءات الكبيرة الجميلة المتقنة، ولقد فاقت في إتقانها بعض أعمال رمسيس الثاني التي أقامها في عجلة.[3]

واتخذ هذا الفرعون الليبي رمسيس الثاني نموذجا يحتذي به. لذلك أراد تقليده حتى في الألقاب الفرعونية. بل وصل به الأمر أنه استخدم نفس خراطيش رمسيس الثاني التي تحمل ألقابه، واكتفى بإزالة اسم الإله رع واستبدله باسم الإله آمون.[4]

ويعتقد سليم حسن بأن أوسركون الثاني، كان يغتصب آثار رمسيس الثاني وكأنه ينتقم للملوك الذين اغتصب رمسيس الثاني آثارهم.[5]

---

1 - سليم حسن، المرجع السابق. ص 184.

2 - K.A.KITCHEN, OP. CIT., P. 305.

3 - E.NAVILLE, BUBASTIS. P. 47.

4 - E. Naville, op.cit., P. 49. & P. Montet, les constructions d'Osorkon2. P.p: 25-29

5 - سليم حسن، المرجع السابق. ص 220.

وللفرعون أوسكرون الثاني، أثار متفرقة، منها أنه لما أحس بزيادة نفوذ الكاهن "حارسيس" في طيبة، قام بزيارتها، وشيد بها بعض المنشآت، منها هيكلا تهدم ونقلت بعض أجزائه إلى متحف "برلين" وأمر بتزيين البوابة البوبسطية بنقوش تخلد ذكراه.

كما ترك آثارا صغيرة في كل من منف ولنتوبوليس ومنها تماثيل وألواح، غير أن أهم أعماله كانت في مدينتي بوبسطة وتانيس.

- أعماله في بوبسطة

أكمل "أوسكرون الثاني" ما بدأه جده "أوسركون الأول" في إعادة بناء المعبد الكبير، وأضاف له بهوا للاحتفالات، وأقام به بوابة ضخمة من الجرانيت، خلد عليها ذكرى احتفاله بعيد السد في العام الثاني والعشرين من الشهر الرابع من موسم الفيضان. ولقد كان هذا العمل متقنا حيث غطت جدران البوابة نقوش تمثله وزوجته وأبناؤه الثلاثة وبناته الثلاث وأكبر موظفي الدولة وممثلين عن الدولة وممثلين عن الدول الأجنبية وممثلين عن المقاطعات.

ولقد كان الاحتفال بهذا العيد يقوم في العادة في مدينة منف وتحت وصاية الإله بتاح، إلا أن "أوسركون الثاني" اختار الإله آمون ليرعاه وأبناءه. ويجمع المؤرخون أن الاحتفال مبكرا قبل أوانه، وتحت وصاية الإله آمون، كان تقربا من الإله المذكور ومن أهالي طيبة الذين ناصروا الكاهن المتمرد "حارسيس".

إن أهم شيء ظهر في هذا المعبد، وبإيعاز من الفرعون أوسركون الثاني، هو الرفع من شأن المعبودة "باستت" (القطة)، ولذلك كتب إسمها بحروف كبيرة ليس فقط على الألواح والتماثيل الموضوعة بالمعبد، بل على جدران المعبد وخاصة بهو الاحتفالات أيضا. ثم أمر بمحو إسم الإله ست من على كل الآثار. لكن يبدو أن العمال لم يقوموا بهذا العمل على أحسن وجه؛ إذ عثر "نافيل" على صور لهذا المعبود في أعلى الأعمدة بعيدا عن الأعين، وفي أحيان أخرى اكتفوا بمحو "ست" ووضعوا بدلا عنه صور الإله "محوس" ابن الألهة باستت، وتركوا معه النصوص الدينية التي عادة ما تتبع الإله ست وليس

محوس.[1] ثم أقام أوسركون الثاني معبدا خاصا للإله "محوس" شمال معبد باست الكبير.

لقد لحقت بهذا الفرعون تهمة تهديم آثار رمسيس الثاني ومنها المعبد لإعادة بنائه من جديد وإهدائه للآلهة باستت. غير أن علماء الآثار الذين نقبوا في موقع هذا المعبد، ينفون تهمة التهديم العمدي، فيعتقد "نافيل" بأنه كان بإمكان "أوسركون الثاني" الاكتفاء باغتصاب الخراطيش، واستبدال اسم رمسيس الثاني باسمه وألقابه، كما فعل في بعض الأعمدة، وبالتالي ينسب هذا العمل لنفسه. وعيبه الوحيد أنه استخدم الحجارة الملقاة أرضا، ومن ذلك وضع حجارة عليها إسم رمسيس الثاني في قمة البناء وهي مصقولة لتكون ضمن أحجار الأساس. كما أن بقاء أربعة تماثيل من الجرانيت الأحمر (تمثل رمسيس الثاني) قائمة في مكانها تؤكد عدم تعرض الفرعون الليبي لآثار سلفه. وإن أعماله في بوبسطة تليق بفرعون عظيم.[2]

**- أعماله في تانيس**

سبق الفرعون أوسركون الثاني في إعادة بناء وترميم الخراب الذي لحق بتانيس، ملوك الأسرة الحادية والعشرين الذين اتخذوا من هذه المدينة عاصمة لهم.

وعلى الرغم من ذلك، فإن الفرعون الليبي قد ترك بصماته وآثاره واضحة في تانيس، فبالإضافة إلى بعض أعمال الترميم، التي قام بها، فإن الأثري الفرنسي "مونتيه" قد أزال أطنانا من التراب، كانت جاثمةعلى أعمال ضخمة خلدت ذكرى هذا الفرعون.

قام "مونتيه" بحفرياته في تانيس فيما بين سنتي 1936 – 1939، وعثر في بداية الأمر على بيوت وهياكل مقامة من اللبن (الآجر المشوي)، في جنوب غرب المعبد الكبير لآمون. وأثناء أعماله داخل هذه البيوت لاحظ مونتيه Montet وجود بئر نازلة، قطرها حوالي متر ونصف المتر، وفي آخر هذه البئر وصل

1-E. Naville, op.cit. p. 50.-

2 - E. Naville, op.cit. P. 51. & - P. Montet, les canstructions d'Osorkon II. P. 18.

"مونتيه" إلى أهم مقبرة جمعت مومياءات ملوك الأسرة الحادية والعشرين والثانية والعشرين. ويعتقد "مونتيه" أن هذه المقبرة من المقابر التي لم تصلها أيدي اللصوص في التاريخ المعاصر.

ويفترض بأنها تعرضت للسرقة في العصر المتأخر من التاريخ الفرعوني نفسه، ثم أقفلت وتم بناء بعض العمائر فوقها بهدف التمويه. ولذلك لم ينتبه اللصوص لوجود المقبرة.

وتحتوي هذه المقبرة الملكية، قبر الفرعون أوسركون الثاني، وفي غرفة مجاورة دفن أفراد من أسرته منهم: إبنه حورنخت، وإبنه الفرعون تكلوت الثاني والفرعون شيشنق الثالث.

ويعتقد سليم حسن، بأن الفرعونيين "تكلوت الثاني" و"شيشنق الثالث" قد قنعا ورضيا بأن يدفنا في غرف داخل مقبرة أوسركون الثاني،[1] لكنني أعتقد غير ذلك لأن العادة عند الملوك والفراعنة إنما هي تشييد وتجهيز المقا بر الضخمة. ولقد حكم شيشنق الثالث أكثر من نصف قرن وهو وقت كاف لتجهيز بيته الأبدي، وأعتقد أن ما ذهب إليه "دريوتون وفانديه" أقرب إلى الصواب، حينما ذهبا إلى القول بأن مقابر هذين الفرعونين تعرضت للسرقة ولذلك تم تحويلها إلى مقبرة كبيرة تسعهما، فكانت مقبرة أوسركون الثاني.[2]

ويجوار مقبرة أوسركون الثاني، عثر "مونتيه" أيضا على خمسة مقابر أخرى، لكنه لم يتوصل إلى معرفة صاحب المقبرة الثانية، أما صاحب المقبرة الثالثة فكانت للفرعون بسوسنس الأول (الأسرة 21) وخليفته الفرعون أمنمنوبت، وإبن الكاهن الأول لآمون "بي عنخ" والأمير شيشنق بن الفرعون أوسركون الأول. أما المقبرة الرابعة فقد كانت للفرعون أمنموبت قبل أن تحول إلى مقبرة بسوسنس الأول، والمقبرة الخامسة كانت تخص الفرعون شيشنق الثالث.

---

1 - سليم حسن، مصر القديمة، ج.9 ص 271.

2 - J.Vandier & E. Drioton, op.cit. P.P: 234 – 236.

وبالإضافة إلى المقبرة، فقد أقام أوسركون الثاني منشآت أخرى، تمثلت في فناء الاحتفالات وبوابة ضخمة، أضافهما هذا الفرعون إلى معبد آمون بتانيس. كما عثر على تمثال بالحجم الطبيعي، يمثل أوسركون الثاني منحنيا بصدره إلى الأمام، وساقه اليسرى إلى الخلف، وكان التمثال بدون رأس، وقد كتب إسمه على الكتف الأيسر، وألقابه كاملة على قاعدة التمثال، حاملا لوحاً دون عليه نص صلاة يرفعها لآمون طالبا إبقاء ذريته في مناصبهم التي عينهم فيها. أما في شرق المعبد فقد أقام هيكل الأعمدة بحجارة مستخدمة.[1]

4- آثار متفرقة

بالإضافة إلى الأعمال الضخمة من بوابات وهياكل وغرف احتفالات شاهقة، راسخة، أقامها الفراعنة الكبار، هناك آثار متفرقة لغيرهم من الفراعنة.

- إذا كان " تكلوت الثاني" ويعرف بأنه ملك غير بناء، نتيجة لظروف البلاد التي لم تسمح له بذلك إذ عاصر الأزمة السياسية التي شهدتها الدولة الليبية، وتعرض حكمه لثورة شعبية امتد لهيبها من طيبة إلى كامل البلاد. ولم يخلف لنا هذا الفرعون إلا بعض الآثار الصغيرة المتفرقة مثل الألواح والجعارين والتماثيل التي تحمل إسمه.

أما خليفته "شيشنق الثالث" فقد ترك بصماته في مدينة تانيس وأقام بوابة ضخمة في المعبد الكبير للإله آمون، تعرف بالبوابة الغربية. ولقد جمع "مونتيه" أنقاضها وكانت عبارة على مائة قطعة تزن كل قطعة منها مابين طنين وثلاثة أطنان. ولما أعاد "مونتيه" تصميم البوابة المهدمة تبين له أنها كانت تحتوي على برجين يفصلهما ممر، عرضه خمسة أمتار، ويرتكزعليهما الجدران وواجهة البوابة، ومواد هذه البوابة العظيمة مأخوذة في معظمها من نفس الموقع (آثار مهدمة).

1 - P.MONTET, «LE LAC SACRÉ DE TANIS» EXTRAIT DES MEMOIRES DE L'ACADÉMIE, TOME XLIV. PARIS: 1966.P. 43.

- أما الفرعون شيشنق الرابع[1] فقد أقام (في مدينة تانيس) معبدا للثالوث المقدس (آمون وزوجته موت وابنهما خونسو)، لكن لم يبق من هذا المعبد سوى 200 قطعة بجوار البحيرة المقدسة، تبين "مونتيه" بأنها تخص بوابة المعبد والفناء الأمامي وكثيرا من الغرف.

كما عثر "مونتيه" على 17 حجرة تخص هيكلا أقامه بمناسبة الاحتفال بعيد السد[2].

ب- فن النحت وصناعة التماثيل

إن ما يلاحظ عن فن النحت في مصر القديمة، هو تداخل فن النحت مع فن العمارة ليصل الأمر إلى تكامل تام بين الاثنين، أي نحت واجهات وجدران كل المباني، سواء كانت مقابر أو معابد.

ولقد وصف المتخصصون الجدران المنحوتة في أعمال كل من أوسركون الأول وأوسركون الثاني وشيشنق الثالث، بأنها تجلب الانتباه ولا يسع الإنسان إلا أن يؤخذ عندما يشاهدها لأول وهلة، لجمال صنعها الذي يضارع النماذج الحسنة، وإنها أكثر إتقانا من التي تركها لنا رمسيس الثاني في أواخر أيامه.[3]

كما تجدر الإشارة إلى أن المنشآت العمرانية التي خلفها لنا الفراعنة الليبيون، كانت تتطلب وجود تماثيل ضخمة من الحجارة تزين الواجهات، إلا أن المنقبين لم يعثروا إلا على النزر القليل منها، ويفترض أن أغلبيتها قد تحطم.

ومن التماثيل القليلة المتبقية، تمثال الفرعون أوسركون الثاني بالحجم الطبيعي، وهو مصنوع من الجرانيت، ويمثل الفرعون الليبي في هيأة رياضية، منحنيا إلى الأمام راكعا، يقدم لوحا إلى الإله آمون، ويوجد هذا التمثال بمتحف القاهرة – بدون رأس –.

1 - وهو عند فريق آخر من المختصين شيشنق الخامس، آخر ملوك الأسرة 22 الذي حكم حوالي 37 سنة.
2 - P.MONTET, op.cit. P.P: 55-60.
3 - سليم حسن، المرجع السابق. ص 184.

أما الرأس فيوجد بمتحف فيلادلفيا (و.م.أ). وهناك أيضا تمثال الفرعون أوسركون الثالث وبيده قارب مقدس ذي حجم صغير، مصنوع من الحجر الجيري؛ يصفهما المتخصصون بأنهما متقنا الصنع ورائعين. كما توجد تشكيلة من التماثيل لأبناء وبنات الفراعنة الليبيين في معبد الكرنك ( طيبة)، تعد من أجمل ما صنع منذ عهد الأسرة الثامنة عشر.[1]

وبالإضافة إلى المنحوتات الحجرية، يجمع علماء المصريات بأن الفنون القائمة على الأشغال المعدنية، قد عرفت ازدهارا وتطورا ملحوظا ابتداء من الألف الأولى في كل الشرق الأدنى وبخاصة في مصر.

وإذا كان كبار كهنة آمون في الكرنك، قد اعتمدوا في نحت تماثيلهم على أسلوب اقتبسوه من نماذج الرعامسة الفنية، فإن الأسر الليبية وبالعكس، قد هجرت في الدلتا، النموذج الذي ساد الأسرة التاسعة عشر.[2]

لقد كانت صناعة التماثيل في مصر الفرعونية أثناء مرحلة الدولة الحديثة - حجرية كانت أوحديدية - ذات نمط واحد، يتميز بوقفة جامدة لا ليونة فيها، الوجه حاد، النظرة محدقة إلى الأمام، الذراعان ملتصقان بالجسم والكفان مقبوضتان والقدم اليسرى إلى الأمام.

ولكن، وابتداء من الألف الأولى ق.م، وأثناء حكم الليبيين لمصر، حدث تجديد في مجال الفنون وعلى الخصوص فن النحت، فإن كان الملوك الليبيون قد اغتصبوا بعض أعمال أسلافهم، إلا أنهم أنتجوا آثارا تعتبر تحفة تزين الكثير من متاحف العالم.

ويعتبر عهد الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، عهد نهضة وازدهار لفن النحت ووضع التماثيل المعدنية، فقد انتشرت تماثيل كبيرة متقنة الصنع، ومتعددة الأشكال والهيئات، والجديد فيها هو أناقة هذه التماثيل ورشاقة قوامها، وهذا لم يكن معروفا قبل عهد الليبيين. كما

---

1 - CYRIL ALFRED FRANÇOIS, op.cit. P. 128.
2 - N.GRIMAL, op.cit. P. 399.

نلاحظ شيئا مهما جدا، وهو إعطاء الجذع أبعاده الحقيقية بإظهار القفص الصدري والبطن واضحتين. وبتقسيم متباين، وقد كان الجذع في السابق يمثل كتلة واحدة.[1]

وبالإضافة إلى التجديد من حيث تقنيات الصنع، فقد استخدم صانعو التماثيل، وبطريقة واسعة معدن البرونز لإنجاز أعمالهم. كما اعتمدوا على تقنية مزج واستخدام البرونز الأسود والأحمر، وأدخلوا عليه المعادن الثمينة مثل الذهب والفضة.

ويعتقد. ج يويوت "بأن فن النحت قد حافظ على نفس درجة الرقي والتطور حتى في أوقات الشدة التي مرت بها الدولة الليبية. فمن تمثال متعبدة الإله" كاروماما" زوجة الفرعون تكلوت الثاني، وإلى تمثال السيدة الكوشية المسماة "تاكوشيت" الذي يرجع تاريخ صنعه إلى أواخر الدولة الليبية حوالي 730 ق.م، ويفصل بينهما مائة وعشرين سنة من الفوضى والاضطراب، إلا أنهما تحفتان فنيتان رائعتان.[2]

ومن الأمثلة عن روائع فن نحت التماثيل في العهد الليبي، يذكر "سريل ألفريد" وهو مختص في الفنون- تمثال الفرعون أوسكرون الأول في بروكلين، الذي يعتبره تحفة فنية. وقد لاحظ في ذلك إدخال معادن ثمينة من ذهب وفضة، إلى جانب المادة الأساسية للتمثال وهو البرونز. وكذلك الشأن بالنسبة إلى تمثال الفرعون "بادي باست" مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين، الموجود حاليا بمتحف موسكو، وتمثال السيدة الكوشية الذي صنع في منف، وتمثال الملكة "كاروماما" وقد صنعه أحد أتباعها في الصعيد ( جنوب مصر) حوالي 850 ق.م (أنظر اللوحة رقم 12).

1 - CYRIL ALFRED FRANÇOIS. OP.CIT. P.P: 123-125.
2 - J.YOYOTTE, PHARAONS GUERRIERS LIBYENS ET GRANDS PRETRES. P. 74.




اللوحة رقم 12: وهي لتمثال الإله آمون(موجود بمتحف نيويورك) وتمثال الملكة كاروماما زوجة الفرعون تلكوت الثاني (موجود بمتحف اللوفر

ولقد كان فستان كاروماما مزينا بأوراق من الذهب، وهو موجود حاليا بمتحف "اللوفر" بفرنسا، بجوار تمثال النبيل الليبي "باشاسو" من رعايا الأسرة الثالثة والعشرين وقد صنع حوالي 750 ق.م في الدلتا المصرية. ويبدو هذا التمثال للوهلة الأولى، كأنه تقليد للتماثيل المصنوعة من الخشب في عهد الدولة القديمة: العينان محدقتان إلى الأمام، وكذلك الرجل اليسرى إلى الأمام، إلا أن طول الذراعين والساقين واضح. وكذلك هو شأن التقسيم المتباين لأجزاء الجذع، الذي يبين بجلاء أنه من إنتاج الدولة الليبية .

غير أن أحسن نموذج حسب "سريل ألفريد"، هو أثر في غاية الروعة والإتقان، يرجع تاريخ صنعه إلى عهد الفرعون "أوسركون الثاني" ويمثل الإله آمون، وهو موجود حاليا بمتحف نيويورك. وبفحص هذا التمثال، نتبين أن

صانع التماثيل في عهد الدولة الليبية، أصبح يتحكم في تشكيل المادة التي تصنع منها تماثيله.[1]

وعرف فن النحت وصنع التماثيل بعد حكم الليبيين نكسة وتقهقرا عاد بالفن إلى نوع من البدائية، بعيدا عن رونق وأناقة التماثيل الليبية . ويفترض كل من "يويوت" و"لوكلان LE CLANT"، بأنه قد حصل تأثير سوداني على هذه الصناعة، نتيجة لسيطرتهم مدة نصف قرن على جنوب مصر.[2]

إلا أنني أعتقد أن سر تطور نحت وصنع التماثيل والدرجة التي وصلت إليها مهارة الصناع في عهد الليبيين في مصر، يرجع أساسا إلى طبيعة المادة المستخدمة، وهي البرونز، الذي عرف انتشارا واسعا أثناء حكم الليبيين، والبرونز هو مزيج من معدنين هما النحاس والقصدير. وهذا المعدن الأخير يمتاز بخاصية الليونة، وبالتالي أعطت هذه الليونة الصانع إمكانية تشكيل التماثيل وإعطائها الهيأة المطلوبة.

وقد اكتسب الصانع في هذه الفترة الزمنية المهارة في إظهار أدق تفاصيل اللباس مثل الكسرات في لباس الإله آمون وفستان الملكة كاروماما على سبيل المثال لا الحصر.

ولقد كان قدماء المصريين أثناء الألف الثانية، يصنعون تماثيلهم من الحجارة والحديد فقط، ويجهلون تركيبة البرونز إلى غاية الألف الأولى، ولذلك فإن علماء المصريات كانوا يجهلون مصدر البرونز المستخدم آنذاك.[3]

وفي هذا المقام تجدر الإشارة، إلى أن مدينة "منف" كانت مدينة "صناعية" اشتهرت بصهر المعادن. وقد جمع الإغريق فيما بعد، بين إله المدينة، الإله

---

1 - CYRIL ALFRED FRANÇOIS. OP.CIT.P. 126.
2 - J.YOYOTTE, op.cit. P. 75.
3-JOSEP PADRO, LE ROLE DE L'EGYPTE DANS LES RELATIONS COMMERCIALES D'ORIENT ET D'OCCIDENT AU PREMIER MILLENAIRE. P. 217.

"بتاح" PTOH وآلهتهم مثل SOKHARIS سوكاريس وهيفاستوس HEPHASTAS نتيجة تخصصهم في المعادن.

فعلى ضوء الحفريات الحديثة التي قام بها الأثريون في جنوب إسبانيا، في موقع المونيكار بغرناطة ALMUNECAR، برزت فرضية مفادها أن الفينيقيين قد جلبوا معدن القصدير والنحاس من قادش، وكانوا الممولين الأساسيين لمصر بهذه المعادن.[1] وعلى ضوء هذا أعتقد بأن الجالية الفينيقية التي أشار إليها "هيرودوت"، في مدينة منف[2] ربما كانت موجودة بغرض تعليم المصريين صهر المعادن لاستخراج البرونز.

كما أن فترة صنع التماثيل البرونزية في مصر، يتماشى ومرحلة الارتياد المبكر، ووصول السفن الفينيقية إلى شبه جزيرة إيبيريا حوالي القرن الحادي عشر ق.م، وربما أخذت عملية التعرف على معدن القصدير ومزجه بمعادن أخرى للحصول على البرونز فارق الوقت بين إنشاء قادش وغيرها من المحطات التجارية وظهور التحف الفنية المصنوعة من البرونز في مصر.

ولقد أشرنا فيما مضى إلى موضوع العلاقات بين دويلات فينيقيا ومصر أثناء حكم الليبيين. هذه العلاقات التي تحسنت بعد الفتور الذي عرفته أثناء حكم الأسرة الحادية والعشرين، وفي أثناء ذلك طلب حكام هذه الدويلات مساعدة الفراعنة الليبيين لردع خطر الآشوريين في أكثر من مرة ومناسبة، وكلها مؤشرات تدعم الفرضية السابقة الذكر..

### ج- التركيب الاجتماعي والبناء الاقتصادي للمجتمع

لقد اعتمد مؤسس الدولة الليبية الفرعون "شيشنق الأول" على ولاء قادة الحاميات الليبية المتكونة في معظمها من العسكريين المشواش، في تعضيد دولته الناشئة. ولقد أبقى هذه الحاميات في جهات متفرقة من مصر وخصوصا في الدلتا ومصر الوسطى والفنتين (الشلال الأول على النيل)

---

1 - JEAN LE CLANT, LE RAYONNEMENT DE L'EGYPTE AU TEMPS DES ROIS TANITES ET LIBYENS. P. 82. & - JOSEP PADRO , op. cit. P.P: 215 – 218

2 - هيرودوت، الجزء الثاني، فقرة 112، ص. 231.

ليكونوا أصحاب النفوذ والقابضين على زمام الأمور، إذا ما قامت فتنة أو نشبت ثورة بين الأهالي ضد الحكام الليبيين.

ولقد حكم الفرعون شيشنق الأول مصر موحدة، وأسند تنفيذ سياسته إلى موظفين وأجهزة إدارية ومؤسسات حكومية، كان معمولا بها منذ عهد الرعامسة، مثل مدير خزائن ملك الأرضين ومدير مخازن الأرضين وغيرها من المؤسسات، مما يوحي بمركزية السلطة بين أيدي شخص الفرعون ملك الأرضين (مصر السفلى ومصر العليا ).[1]

وبالإضافة إلى نفوذ الأمراء والأميرات، كان للفراعنة الليبيين أتباع يلقبون بعيون الملك، وكانوا من الليبيين وأمراء مصريين قدامى، صاهروا البيت الحاكم وتزوجوا بناتهم، فشملتهم إنعامات الفراعنة، مثلهم في ذلك مثل رؤساء الحاميات العسكرية.

وبذلك ظهرت طبقة إقطاعية كبيرة وغنية تزايدت أعدادها وثرواتها مع مرور الزمن. وتوفر لها نفوذ كبير في حكم الأقاليم، لكنها بقيت مرتبطة بمركز السلطة الممثل في الفرعون، فتدين له بالولاء والطاعة وتدفع له الضريبة السنوية.

إلا أن المفهوم السياسي والاجتماعي والاقتصادي لإدارة الدولة الليبية، قد تغير لدى الفراعنة الليبيين، في مرحلة الفوضى التي شهدتها الدولة في النصف الثاني من عهدها، وأصبح بعيدا كل البعد على المركزية وقائما أساسا على النظام الإقطاعي، بما يحمله من ترسيخ للطبقية في المجتمع وتوارث المهن والوظائف في معظم الأحيان...

لقد كان المجتمع المصري آنذاك مكونا من طبقة النبلاء وتحتوي فئة الكهان والعسكريين، ومن الطبقة العامة القائمة أساسا على الفلاحين المرتبطين بالأرض "أقنان".CERFS في حين قاوم أصحاب الملكيات الصغيرة في مصر

1 - Geneviève Husson & Dominique Valbelle, l 'Etat et les institutions en Egypte. P.P: 163 – 164.

السفلى قبل أن تنقرض ويدمج أصحابها في فئة الأقنان. أما العبيد فقد أصبح وجودهم نادرا جدا.[1]

وفي هذا المقام أرى بأن تردي أوضاع الطبقة العامة أمام ازدياد نفوذ النبلاء وضياع مركزية وهيبة السلطة، كان وراء ظهور الإصلاحات التي قام بها "تف تخت" مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين فيما بعد وقد سعى ابنه "بكن رنف" على مواصلتها وتعزيزها بإصدار تشريعات تحد من نفوذ طبقة النبلاء...

لقد تناقل الكتاب الإغريق الذين زاروا مصر منذ القرن السابع ق.م، قيام الحياة الاجتماعية في مصر على أساس الطبقات المهنية؛ فذكر هيرودوت مثلا في كتابه الثاني، سبعة طبقات ارتبطت بالحرف والمهن التي كانت تزاولها وهي: الكهنة– المحاربون– رعاة البقر –رعاة الخنازير – تجار– مترجمون وملاحون.

إلا أن هناك من المختصين من يعتقد بأن هذه الفكرة قائمة على أسس خاطئة.[2]

لكن مصادر العصر، تشير بأن الفرعون رمسيس الثالث كان أول من قسم المجتمع إلى طبقات، تحتوي الأولى موظفي القصر وحكام المقاطعات، بينما يكون الجيش مشاة وعربات، الطبقة الثانية، وتتضمن الطبقة الثالثة المزارعين.[3]

وما يمكن ملاحظته هنا هو أن هذا التقسيم لم يتغير، بل تأكد أكثر. فمن وثيقة ترجع في تاريخها إلى الأسرة الثانية والعشرين (عهد الفرعون شيشنق الأول) تعرف باسم "لوحة الضرائب"، نفهم بأنه كان يوجد بالبلاد طائفة من رجال الدين، كانوا أصحاب يسر، ثم طائفة من الفلاحين يسكنون المدن، فضلا عن وجود طبقة رجال الجيش الذين كان لهم سلطان عظيم وثروة ضخمة.[4]

---

1 - J. Pirenne, Histoire de la civilisation de l'Egypte ancienne. P.59.

2 - عبد العزيز صالح، المرجع السابق. ص 285.

3 - E.Driotan & J.Vandier, op.cit. P. 356.

4 - سليم حسن، مصر القديمة ج 9. ص.ص: 150 – 151.

وبالتالي نفترض أن الفلاحين والرعاة والأقنان والعبيد كانوا مقيدين بأصلهم، وعلى ذلك كانت الحرف الأرق من حرفهم، تجعل الابن يحافظ على مهنة والده فيحل محله، فتنشأ وظائف وراثية في المجتمع. وإن لم تكن قاعدة عامة تقيد بها أفراد المجتمع...

أما الوظائف العسكرية، مثلها في ذلك مثل الوظائف الكهنوتية، فقد كانت وراثية أصلا في طبقة خاصة، إذ كان محرما على أصحاب الحرف الأخرى الانخراط في سلكها.[1]

ويمكننا عرض أوضاع الفئات الداخلة في التركيبة الاجتماعية لمصر، كل على حده، لنتبين مدى أهمية الوضع الاقتصادي لهذه الفئات وانعكاساتها على أوضاع مصر الاجتماعية والاقتصادية.. وقد كانت على النحو التالي:

1)- الطبقة العسكرية

لقد كانت الوظائف العسكرية وراثية، ولا يسمح لمن ينتسب إلى هذه الشريحة بممارسة أية حرفة، إذ يقوم باحتراف الجندية فقط. وبالتالي يتوارثها الولد عن أبيه.[2]

ولقد نشأت هذه الطبقة من أسرى الحرب في عهد رمسيس الثالث بعد انتصاره على الليبيين، حيث وضعهم في مستوطنات. وكانت نشأتها أيضا من غيرهم، أي ممن أتى بعد ذلك من ليبيا في عهد الأسرة الحادية والعشرين، وقد كانت السلطة فعلا بين أيديهم في الدلتا. وفي عهد شيشنق الأول قامت دولته على كاهل المؤسسة العسكرية.

والواقع أن المعلومات الممتازة عن الحالة الحربية في مصر، التي قدمها لنا هيرودوت، لابد أنه استقاها من عهد الأسرة السادسة والعشرين، حيث لم تتغير الأوضاع كثيرا. وقد كانت الجندية مهنة وراثية، فكان الابن منذ صغر

---

1 - المرجع السابق، ص.489.

2 - هيرودوت يتحدث عن مصر ( الجزء الثاني) فقرة 166. ص 299.

سنه يتدرب على فنون الحرب. وعلى ذلك كان الفرد منهم، يمنح مثله مثل الكهنة، قطعة من الأرض معفاة من الضرائب، وكانوا يعيشون في حاميات عسكرية ثابتة، على رأسها رئيس من طائفة المشواش، وقد كان هؤلاء يقسمون كما أسلفنا إلى فئة هرموتوبيس وفئة الكلاسيريس(الخيالة والمشاة على التوالي).

وفي هذا المقام يجب الإشارة إلى أهمية أسماء المقاطعات التي ذكرها "هيرودوت" حيث أن هذه المقاطعات كلها تقع في الدلتا باستثناء طيبة، وهي نفسها المقاطعات التي حكمها زعماء المشواش أثناء مرحلة التفتت السياسي. فقد ذكر "هيرودوت" بأن "الهرموتوبيس" يعسكرون في بوزريس، سايس، بروزينوس، ناتو (مستنقعات الدلتا) وبوتو ( مقاطعة الجزيرة ).

أما الكلاسيريس فكانوا يستقرون بطيبة(صعيد مصر)، بوباسطة، تانيس، منداس، سبنيتوس، أثريبس، فاربيتوس، أنوفيس (شمال أثريبس) وأنوسيس (وهي أيضا في مستنقعات الدلتا ).[1]

أما عن الوضع الاقتصادي لهذه العناصر، وهم أقل درجة في هرم النبلاء، فقد كان كل واحد منهم يملك حوالي ثلاثة هكتارات ونصف، معفاة من الضرائب. ولا بأس أن نذكر بأن هيرودوت قدر تعداد الكلاسيريس بحوالي 160 ألف جنديا والهرموتوبيس بـ" 250 ألف جنديا، وبالتالي نخلص إلى أن هؤلاء كانوا يستحوذون على نصيب كبير من الأراضي الزراعية، وقد كانت وظيفتهم تنحصر في كونهم قوة عسكرية احتياطية لوقت الحروب، متفرغة لمباشرة زراعة هذه الأراضي في أوقات السلم.

ومع انهيار السلطة الملكية، وازدياد ثراء هذه العناصر وعلى الخصوص قادتهم، ظهرت طموحاتهم الاستقلالية كقادة للجيوش، فحكموا مدنهم واغتصبوا الامتيازات الملكية التي كانت للفرعون فقط، وحملوا لقب الزعيم العظيم للمشواش كما كانوا يتولون المهام الدينية. وعلى سبيل المثال، فإن

1 - هيرودوت، نفس السابق، الفقرتين 165 – 166، ص. 298.

كاهن آمون الأول كان في الوقت نفسه قائد الجيش وحاكم مصر العليا في طيبة، وكذلك كان الزعيم العظيم للمشواش الذي حمل لقب الكاهن الأعظم للإله المحلي في إقليمه مثل أمراء منداس – تانيس – هيراقليوس وغيرها.[1]

وبالتالي فإن هذه النماذج في أواخر الدولة الليبية تجعل من الصعوبة بمكان تحديد: إلى أي الطبقتين العسكرية أم الدينية يمكننا نسب هؤلاء الحكام..؟ .

والخلاصة يمكننا القول بأن مثل هذا التنظيم العسكري، كان من دواعي الحكومة المركزية، واعتقد أنه لم يكن متبعا في أواخر عهد الدولة الليبية، لما عرفت مرحلة الفوضى أوجها، وانعكست سلبا على كل الأصعدة السياسية، الدينية والعسكرية، مما أدى إلى ظهور جيوش محلية.

وأن الصراع على الزعامة بين الأمراء، لم يكن ليشجع إقامة جيش نظامي. وفي هذا الصدد ترى الباحثتان " فالبال" و" هوتسون " بأن مصر قد عرفت وقتئذ نظام المليشيات وأن تحالفها تلقى هزيمة نكراء على يد الملك الكوشي "بي عنخ".[2]

وبناء على ذلك، أعتقد أنه قد رجع العمل بالتنظيم العسكري السابق الذكر في عهد حكام سايس (الأسرة السادسة والعشرين).

2)- طبقة الكهنة:

لقد اكتسبت طيبة مكانة عالية في الدولة الحديثة، وتأكدت تلك المكانة في عهد الأسرة الحادية والعشرين. وكانت وظائف الكهان بها وراثية –باستثناء كاهن آمون الأول– وقد توارث بعض الكهنة المنصب الديني طيلة ثلاثة قرون..

---

1 - J. PIRENNE, op.cit. P. 52.
2 - J. HUSSON & D.VALBELLE, op.cit. p. 175.

وتشير المصادر أنه أثناء ثورة طيبة في عهد الفرعون الليبي تكلوت الثاني، كان أول شيء أقدم عليه الكاهن "أوسكرون" لتهدئة النفوس هو إعادة تنصيب الأبناء في مهام الآباء.[1]

وتشير نفس المصادر، بأن الكهنة في عهد الدولة الليبية عموما، تمتعوا بمراكز مرموقة وبصفة خاصة في طيبة– هيراقليوبوليس–منف– هيليوبوليس– وتانيس، حيث كان لقب الكاهن الأول لآله المحلي في هذه المدن، يؤهل حامله لأن يكون حاكما للمدينة التي يباشر طقوس عبادة إلهها. ومع ظهور الفوضى والاضطرابات في نهاية الدولة، انتقل هذا التقليد إلى باقي مدن مصر، حيث حمل زعماء المشواش لقب كاهن في مدنهم كوسيلة لحكم هذه المدن.

وعليه يمكن القول بأن مصر أنذاك كانت تحكم عن طريق الكهنة العسكريين. وكثيرا ما حدثت نزاعات نظرا للأهمية التي يكتسبها هذا المركز، بل إن بعض الفراعنة مثل تكلوت الثاني، قد صاهر هؤلاء الكهنة لتثبيت دعائم عرشه.[2]

والكهان طوائف، تباشر فئة منهم طقوس تطهير المعبد وقدس الأقداس (حجرة تمثال الإله)، وفئة أخرى تشرف على خزائن الإله وضياعه وإقامة الأعياد. وإلى جانبهم كانت مغنيات وراقصي الإله، كما يتبين ذلك من ألواح الهبات التي قدمها زعماء المشواش لمثل هؤلاء الكهان.

وفي هذا العصر كانت وراثة ابن الكاهن لأبيه نظاما مألوفا ومتبعا للمحافظة على استمرار نصيبه من دخل المعبد وقربانه.

1 - J.PIRENNE, op.cit. p. 44.
2 - N. GRIMAL, op.cit. p.394.

### د - الحرفيون، الفلاحون والتجار

لقد شكلت العناصر الثلاثة: الحرفيون، الفلاحون والتجار قوام الطبقة العامة في المجتمع المصري. ولا نملك مصادر أو إشارات مباشرة يمكن أن تعطي الباحث انطباعا عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي لأصحاب الحرف، ولكنه من الممكن استنتاج وضع هؤلاء من خلال دراسة روح العصر الذي ساده التركيز على وراثة المناصب والممتلكات، وبالتالي الحرف البسيطة. ويفترض أن يكون الحرفيون قد انضموا إلى جماعات تضم أهل الحرفة الواحدة أو ما يشبه النقابة في وقتنا الحالي.[1]

وتجدر الاشارة في هذا المقام إلى أنه كان بمدينة منف- وهي عاصمة الحرفيين والصناع- إله يدعى "بتاح"، يعتبر حامي الحرفيين، وأن حاكم المدينة كان يحمل لقب: "الزعيم العظيم للمشواش وحرفي الإله بتاح ".[2]

أما بالنسبة لوضع الفلاحين، فإنه تجدر الإشارة أولا إلى ان ملكية الأرض في مصر الفرعونية كانت دوما للفرعون والإله، يهبها لبعض النبلاء والقادة، مثلما يهبها الإله إلى كهانه وخدمه، لكن تطور أوضاع العسكريين والكهان الذين أضحوا أكثر استقلالا عن الفرعون، قد أسهم في اتجاههم إلى إدارة مقاطعاتهم وإماراتهم.

ليس هذا وحسب بل تمادى هؤلاء الكهان العسكريين في تسخير الفلاحين، إما بوصفهم مأجورين أو مستأجرين أو حتى تابعين للأرض، التي مهما انتقلت ملكيتها من أب لابنه كانوا مرتبطين بها كجزء من المتاع. وإلى جانب هؤلاء كان يعمل بعض العبيد بصفتهم ملكا للسيد الإقطاعي، وكل من هؤلاء كان يؤدي الخدمات المتعلقة بالأرض، إما نظير قوته أو نظير أجر معين يدفعه المستأجر لصاحب الأرض.

---

1 - J. Pireme, op.cit. p. 59
2 - J. Yoyotte, les principautés du delta au temps de L'anarchie libyenne. P. 124

لقد تدهورت وضعية هؤلاء الفلاحين المستأجرين نتيجة كثرة الصراع بين الأمراء، وارتفعت الضرائب مما جعلهم يتحولون إلى أقنان ويقعون في التبعية.

ولذلك نفترض بأن فترة أواخر الدولة الليبية في مصر، كانت من أصعب الفترات على أفراد الطبقة الوسطى وأن هذا الوضع قد فجر مشاعر الثورة على التقاليد وكان السبب وراء إصدار إصلاحات الفرعون "يكن رف" فيما بعد.

أما بالنسبة للتجارة ووضع التجار، فمن الأهمية بمكان التذكير، بأن موانئ الدلتا استعادت نشاطها في بداية الدولة الليبية وخاصة في النصف الأول من عهدها بعد الخمول الذي عرفته أثناء حكم الأسرة الحادية والعشرين المصرية، لما حول "الملك سليمان" التجارة إلى موانئه.

فبعد حملة شيشنق "المظفرة"على مملكتي الهود، عادت السفن الأجنبية والفينيقية تؤم موانئ الدلتا من جديد، وأعتقد بأن الرخاء الذي عرفته دولة الليبيين في مصر، وخاصة في النصف الأول من عمرها، فإنما يرجع أساسا إلى الرسوم التي كانت تفرض على السفن والسلع وعائدات التجارة الخارجية عموما.[1]

ومما يؤكد نشاط التجارة الخارجية في هذه الفترة هو وجود شخصيات تتولى هذه المهام ومنها "مدير باب البلدان الأجنبية الجنوبية"، وقد كان مقره في "إلفنتين" وكان يتلقي أوامره من طيبة، ويهتم بالسلع المتبادلة بين مصر والسودان. وكذلك "مدير باب البلدان الأجنبية الشمالية" وقد كان مقره في "سفت الحنا" مقابل "واد طميلات" ويهتم بشؤون التجار والبضائع الداخلة والخارجة من فلسطين وسوريا، و"مدير باب البلدان الأجنبية المطلة على الأخضر الكبير" (ويقصد بها البحر الأبيض المتوسط)، ويهتم صاحبها بالسلع

---

1 - J. PIRENNE, op.cit. p.p: 34-36

المتبادلة بين مصر والبلدان "الأوروبية" وخاصة اليونان. وكانت تفرض على البضائع الداخلة إلى مصر، ضريبة مقدارها 10 % من ثمن السلعة.[1]

وأعتقد أن هذا النظام الجمركي كان معمولا به طيلة حكم الأسر الليبية وتأكدت الوضعية أكثر أثناء حكم الأسرة السادسة والعشرين.

ولا نستبعد بأن تكون التجارة الخارجية قد تعثرت قليلا أثناء مرحلة اللامركزية في مصر، وكان لهذا التعثر أثره الخطير على موارد الدخل الملكي الذي كان يعتمد بشكل كبير على الدخول المتحصلة من الرسوم الجمركية. كما يمكن الإشارة إلى أن الفرعون "تف نخت" لما أنشأ الأسرة الرابعة والعشرين، لقي مؤازرة كبيرة من طرف "البرجوازية" التجارية التي سلبها "بي عنخ" ممتلكاتها. كما أن فترة حكم الأسرة الرابعة والعشرين القصير، قد عرف انفراجا وفتح موانئ الدلتا أمام التجار اليونانيين، الذين تأكدت مكانتهم في مصر أثناء حكم الأسرة السادسة والعشرين.[2]

### هـ- تشريع الفرعون يكن – رنف (بوخوريس)

لا نملك نصوصا كافية ومباشرة تصور لنا جهود "بكن – رنف" الداخلية. ولكن الروايات الشعبية قد احتفظت له ولأبيه "تف نخت "مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين الليبية، بذكريات طيبة. ويفهم مما سجله المؤرخون الكلاسيكيون عن هذه الروايات أنها اعتبرتهما من أعدل الملوك وأكثرهما استنارة.

ويعتمد المتخصصون في دراسة إصلاحات بوخوريس (وهو تحوير يوناني لاسم بكن رنف ثاني وآخر ملوك الأسرة الرابعة والعشرين) أساسا على ما ورد عند "ديودور الصقلي". ويعتقد "أوجين ريفيوه" Eugène Revillout، بأن ديودور في رحلته إلى مصر قد تمكن من الوصول إلى نصوص تشريع بوخوريس.[3]

1 - J. HUSSON & D. VALBELLE, op.cit. P.168.
2 - J. Pirenne, op.cit. P.72. & - EL good, the later dynasties of Egypt. P. 59.
3 - Eugène Revillout « Bocchoris et son code » in revue EGYPTOLOGIE, tome 12. PARIS: ERNEST LEROUX, 1907. P.130.

فلقد أشار ديودور الصقلي، بأن مصر قد عرفت ستة مصلحين، كان بوخوريس رابعهم، وأنه كان زري الهيئة وكان أضعف الناس بنية وأجشع الملوك قاطبة.[1]

لكنه يستدرك في الفقرة 95 من الكتاب الأول أن بوخوريس فاق من سبقه من الملوك في حكمته وكان عاقلا امتاز بدهائه...

وهناك شبه إجماع بين علماء المصريات والمتخصصين في القانون بأنه لم يصل إلينا ولا نص قانوني واحد صريح، من الأسرة الرابعة والعشرين. وكل ما نملكه من ذلك هو ما جاء بين طيات الوثائق الكوشية (الأسرة الخامسة والعشرين)، حيث تلتقي بآثار تشريع جديد غير الذي كان معمولا به في مصر قبل الأسرة الرابعة والعشرين.

وباجتهاد المختصين، تمكن فريق منهم من استخراج بعض المستجدات في التشريع[2] . ويكاد يتفق هؤلاء المتخصصين بأن الفرعون الليبي "بوخوريس" قد اهتم بالدرجة الأولى، بحماية الفرد وحماية حقوقه، وأن تشريعه كان بمثابة ثورة حررت الأقنان المرتبطين بالأرض، بل ملكتهم الأرض التي يعملون عليها.[3]

وبذلك فقد حقق هذا الهدف على مرحلتين.

**-المرحلة الأولى – تحديد فائدة القرض وتحريم استرقاق المستدين.**

لقد كانت الأرض في مصر القديمة مقسمة بين الفرعون والإله، ويقسمها الفرعون على أفراد حاشيته من وزراء وقادة جنده، يستغلونها ويدفعون مقابل ذلك ضريبة سنوية للفرعون. وكذلك هو شأن الأراضي التابعة للمعبد، حيث كانت تعطى لعائلات معنية من الكهنة، يطلق على أفرادها خدم الإله، وكان يشترط عليهم ألا تخرج هذه الهبة (الأرض) من العائلة بل تورث

---

1 - ديودور الصقلي، الجزء الأول الفقرة65 - عبد العزيز صالح، المرجع السابق. ص. 292.

2 - G. Husson & D. Valbelle, op.cit. P.165.

3 - E. Revillout,« Bocchoris et son code ». P.P: 45-66. - & - Husson & D. Valbelle, op.cit. tome12, p.130.

شفويا (بدون عقد) لأفراد الأسرة. ولما يتوفى الوالد يخلفه الابن البكر في إدارة الأرض لصالح إخوته ولصالح مالكي الأرض وهو المعبد.

أما في الدلتا، فقد كان الفلاحون ملاك القطع الصغيرة دوما مهددين بالتبعية والولاء أو الاسترقاق لأداء الديون، إن كانوا مستأجرين لقطعة أرض صغيرة، أو عجزوا عن دفع الضريبة المستحقة للملك أو الحاكم أو دفع الديون وفوائدها السنوية، التي كانت تصل في أحسن الأحوال إلى 120 %.[1]

ولقد كانت هذه وضعية الفلاحين في مصر، منذ عهد الرعامسة. وقد سبق بكن-رنف (بوخوريس)، الفرعون المصلح "حورمحب" (الأسرة 18) وهو من خاصة الشعب، الذي سعى في إصلاحاته لحماية دافعي الضرائب وعمال المزارع.[2] لكن الرعامسة لم يستندوا إلى قوانينه وحولوا الشعب إلى التبعية الكاملة.

فرمسيس الثالث قد أعاد تقسيم المجتمع إلى طبقات ونزع من الفلاحين حق العمل في نفس الحقل لمدة طويلة. وقد كانت الأرض بعد قياسها تنتقل كل سنة إلى مالك أومستأجر جديد.[3]

وكان المواطن المصري، الذي لا ينتمي إلى طبقة النبلاء يطلق عليه اسم خادم أو خادمة الإله، وكان من الممكن أن تتغير وضعيته في أي وقت، فينتقل ولاؤه من نبيل إلى آخر، كما تنتقل معه ملكية الأرض، وخاصة في وقت انتشرت فيه الفوضى واللاإستقرار مثل مرحلة الفوضى الليبية .

ومن خلال المصادر الكلاسيكية والوثائق الديموطيقية المتفرقة، تمكن المختصون ومنهم "أ. رفيوه" من دراسة قانون بوخوريس. وعليه يمكننا التأكيد بأن المشرع بوخوريس كان يهدف في الأساس إلى تحسين وضعية أفراد الطبقة العامة في المجتمع المصري، الذين اضطرتهم الضرائب الباهظة

---

1 - J. Pirenne, op.cit. p. 55.

2 - عبد العزيز صالح، المرجع السابق. ص 210.

3 - E. Revillout, op.cit. P.129

إلى الاستدانة، وأيضا نتيجة للفوائد السنوية المرتفعة المستخدمة على الدين، مما يجعل المستدين يفقد حريته ويصير عبدا لدائنه.

لقد روى "ديودور الصقلي" من قوانين بوخوريس، ما يقرب إلى مبدأ "البينة على من ادعى واليمين على من أنكر"، وهو مبدأ أيدته الوثائق الديموطيقية فيما بعد.

وكان تفسير "ديودور" بأن من اتهم بأنه اقترض مالا دون صك (عقد) وأنكر الاستدانة، يعفى من أداء القرض إذا "حلف اليمين" على بطلانه. وفي هذا الشأن اعتقد بأن "بوخوريس" قد تأثر بالمادة 112 من تشريع "حمورابي" الشهير، والذي تنص مادته على ما يلي: إذا رغب شخص أن يعطي فضة أو ذهبا أو أي شيء آخر لشخص آخر، فعليه أن يشهد على أي شيء يعطيه شهود وعليه أن يحرر بذلك عقدا.[1]

ويعلق المؤرخ عبد العزيز صالح على ذلك، بأن بوخوريس، لما اغفل الاعتداد بالدائن المدعي بدون صك، قد عنى المرابين أكثر من غيرهم. فقد قضى بوخريس أيضا، بأنه حتى إن أقرضوا (أي المرابين) الناس أموالا بصكوك، فليس من حقهم أن يزيدوا أصل الدين إلى أكثر من مثله.

مما يعني أن المرابين كانوا يسرفون في فرض الربح ويزيدون عن أصل الدين أضعافا مضاعفة، وربما النسبة التي أوردها لنا "بيران" كانت أقل نسبة متعامل بها..

كما سجل "ديودور" بأن بوخوريس قضى بأن يكون استيفاء القرض من ممتلكات المدين وحدها وليس من شخصه، وألا يكون المدين في أي ظرف من الظروف رهينة للدائن[2]، كما هو الحال في تشريع حمورابي، مما يعني أن

---

1 - محمد طه الأعظمي، "جوانب من الأسس القانونية والفكرية في قانون حمورابي"، مجلة المورد، المجلد 16، العدد الثالث بغداد: الشؤون الثقافية العامة، 1987، ص 12..

2 - عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص. ص: 192 - 193.

بوخوريس لم يكتف بالنقل عن التشريعات العراقية وإنما اجتهد فطورها إلى الأحسن لأنه "حرم" استرقاق المستدينين.

لقد أجمع علماء المصريات، بأن بوخوريس قد تأثر في إصدار تشريعاته من جيرانه الآشوريين. وقد ورث هؤلاء تشريع حمورابي البابلي، الذي تنص المادة رقم 117 منه: "إذا عجز المستدين من إرجاع الدين يتزل هو أو أحد أفراد أسرته إلى العبودية"، وكانت إمكانية عتقهم واسترجاع حريتهم محددة بعد عمل ثلاث سنوات يقضونها في بيت دائنهم. أما عند اليهود، فكان المستدين يفقد حريته إلى غاية العام السادس، ويتحرر في العام السابع.[1]

أما في أثينا فقد رهن الفلاحون الفقراء أنفسهم، لما عجزوا عن إرجاع الدين، لذلك قام سولون حاكم أثينا سنة 594ق.م، بتحرير من عرفوا بأصحاب السدس (كانوا يدفعون سدس الإنتاج كفائدة عن الدين) ونزع الأحجار وهي علامة الحجز، عن الأراضي المرهونة.

ولم يستبعد ديودور، أن يكون سولون قد درس القانون في مصر، ونقل هذه المادة من قانون بوخوريس إلى أثينا، فيما سماه بتخفيف الالتزامات أو التخلص من الحمول، وحرم بمقتضاه استرقاق المدين، بل وذهب إلى إلغاء الديون التي كان يضمنها شخص المدين، أو على الأقل الإنقاص من قيمتها.

-المرحلة الثانية – إرساء مبدأ التعاقد لتأكيد الملكية.

أما الخطوة الثانية في تشريع بوخوريس، وهي تمليك الفلاحين الأرض التي يشتغلون عليها، فقد ربط الباحثون بين مواد قانون بوخوريس وبين ما أتت به الوثائق المصرية بعد عهده، بالقول بأن حق الملكية المطلق للأرض قد أرسته قوانين بوخوريس.

لكن هذا العمل لم يأت مرة واحدة، بل تم عبر مرحلتين:

1- محمد طه الأعظمي، المرجع السابق، ص. 9.

- المرحلة الأولى، وهو إيجاد العقود لتأكيد الملكية، فبوخوريس هو صاحب مبدأ "التعاقد هو القانون بين المتعاملين" والذي أسنده البعض خطأ إلى سولون.

ويعتقد "رفيوه" بأنه ولغاية ذلك الوقت، لم تكن مصر أو بلاد الإغريق أو روما تعرف التعاقد إلا على الأشياء التي نلمسها أو نقودها باليد وليس الأراضي.[1]

ولذلك فإن بوخوريس أعطى للفلاح الحق في كتابة عقد، يتنازل بموجبه عن الأراضي أو جزء منها لأفراد داخل الأسرة الواحدة أو خارجها. ويكون العقد أمام موثق يوقع في أسفل العقد، وكذلك الشهود ويمكن أن يكونوا أشخاصا عاديين.

وكان هذا العقد ضروريا لتأكيد ملكية الأرض التي توارثتها الأسرة عبر أجيال عرفيا وشفويا فقط بدون وثيقة. وبدون هذا العقد الأول، يكون أي عقد آخر مجردا من الملكية الشرعية للأرض.

ويعتقد "رفيوه" أيضا بأن إعطاء الفلاح حق التعاقد، كان بمثابة التصرف في شيء يمتلكه وإعطاءه كل صفات السيادة على الأمر المتعاقد عليه.[2]

ولقد كانت هذه الخطوة بمثابة تحد للعرف وثورة على الملاك الحقيقيين، عسكريين كانوا أوكهان، الذين لم يتقبلوا هذا الإجراء، ويمكن أن نشبهه في وقتنا الحالي بتأجير شيء مستأجر أصلا (La sous-location). كما أن العقود في عهد "بوخوريس" قد عرفت تطورات وحققت أول خطوة بإتجاه استقلال القانون عن المعبد (الديانة)، وذلك لأن العقد لم يعد يشهد عليه رجل من المعبد، ليراقب ألا تبتعد شروط العقد على العرف المتداول عليه.[3] ولذلك ففي عهد شباكو (الأسرة 25) اشترط حضور ممثل عن المعبد في إبرام العقود.

لقد علق عالم المصريات برستد على هذا النوع من التعاقد، أو ما يعرف بانتقال ملكية المنفعة دون قيد أو شرط، بالقول بأن المزارعين من أهل

1 - E. Revillout, op.cit. P. 130
2 - E.Revillout, op.cit. P. 53.
3 - E. Revillout,op.cit. p. 57.

الطبقة العامة، أصبحوا يتمتعون باستقلال شخصياتهم حيال الدولة (الفرعون) وحيال الإقطاعيين (ملاك الأرض)، فما عدا التزامهم بتوفير الضرائب وأداء الأعمال العامة، تحرر أفراد الأسرة من ولاية رب الأسرة فيما يختص بالتصرف في أملاكهم. واعتبر كل شخص مسؤول عن ذمته. وبذلك انفتحت أبواب التحايل للحصول والتنازل عن حصصهم من ميراث الأسرة المشترك.[1]

ويملك متحف اللوفر نسخة بالكتابة الديموطيقية، تشهد على هذا النوع من الإجراء حصل في مدينة طيبة. ويعتقد "رفيون" أنه كان في عهد بوخوريس في العام 16، اليوم 26، شهر تيبي "المرأة ستحور Sethar "، لأخيها من أبيها (غير شقيق) المدعو " أرنو بكن رنف"، أعطيك إثنين أرورا وربع أرورا من بيت الإله حرشيف، والتي وصلتني من أبي، لتكون حقا لك (أي ملكا) لا أنا ولا أولادي يحق لنا المطالبة بها مجددا.[2]

وبفضل هذا التنازل أمضى الموثق والشهود على عقد يؤيد ملكية المدعو"أرنو بكن رنف" لهذه الأرض، مقابل دفع ضريبة سنوية لمعبد الإله حرشيف.

- أما المرحلة الثانية فقد تمت بعد أن سمح الفرعون "بكن رنف" (بوخوريس) بنقل الأرض داخل الأسرة الواحدة، أو تبادل حصص الميراث بين أفراد الأسرة، أو التنازل عن نصيب فرد من الأسرة لشخص آخر خارج الأسرة، فقد حقق الخطوة الحاسمة الجريئة في تاريخ المجتمع المصري القديم، ألا وهي بيع الأرض والأملاك العقارية مقابل النقد.

ويعتقد "أ.رفيوه" بأنه قد سبقت بوخوريس، في مبدأ بيع الأرض مقابل النقود، أسرة شيشنق التي تنازلت لصالح بعض الأشخاص على حقول مقابل الذهب. ولقد وجدت نصوص وألواح تؤكد ذلك، لكن بوخوريس كان أشجع من ذلك، بحيث أراد أن يعمم هذا المبدأ على الجميع.[3]

---

1 - H. Breasted, Part. IV, Para. 892.

2 - E. Revillout, Tome 12, p. 111.

3 -Op-Cit, p.132.

إلا أن الملك الكوشي شباكو (الأسرة 25)، قد حرم بعد ذلك على أي فرد أن يعقد صفقة تبادل الأرض مقابل النقد، لكن مع مجيء الأسرة 26،رجع التعامل بهذا المبدأ وخاصة في منطقة الدلتا.

وما يمكن استخلاصه هنا، هو أن بوخوريس كان نصير المستضعفين وقد نال مكانة راقية في نظر سكان الأرياف كملك مصلح. ولا نستطيع تفسير التناقض الصارخ بين إصلاح بوخوريس وبين سوء خاتمته، سوى بأن وراء ذلك وشاية أو حقد، كان وراءه الكهان الموالون للكوشيين. والمفارقة أيضا أن التشريع الذي كان سببا في نهاية حكم بوخوريس، قد تسبب في ظهور ثورة قانونية انتقل صداها إلى الشعوب المجاورة، اليونانية والرومانية فيما بعد، وهذا الإمبراطور الفارسي "دارا الأول" (520-466 ق.م) قد أولى اهتماما كبيرا بالقوانين المصرية وخاصة تلك التي تهتم بأمور العقارات والضرائب، حيث أمر أعوانه بجمعها وترجمتها من الديموطيقية إلى الآرامية، ونفترض بأن قوانين الأسرتين المصريتين 25 و26 قد استندتا أساسا الى تشريع آخر فراعنة الدولة الليبية في مصر.

# خاتمـة

وفي نهاية المطاف، نعود لنبرز أهم النتائج التي توصل إليها البحث حول دولةالمشواش الأمازيغ في مصر الفرعونية.

إن العلاقات والصلات بين مصر وليبيا قديمة قدم وجود الإنسان عليها، فلم يكن هناك عائق من التضاريس أو غيره، يمنع تنقل الإنسان بين طرفي شمال إفريقيا.

وأثناء مسيرته الطويلة من أجل تطويع الطبيعة، حدثت تأثيرات بين الإقليمين واستنادا إلى أبحاث المختصين في هذا المجال، فإن سكان غرب شمال إفريقيا جنوب المرتفعات العليا، قد عرفوا الزراعة منذ زمن مبكر يتزامن واكتشافها في الشرق الأدنى القديم، لكنه لم يؤد إلى استقرار دائم وطويل المدى، بسبب ظهور الجفاف وقد زاد من حدته عدم وجود مصادر مياه ثابتة، فهاجرت بعض الأقوام الصحراوية نحو ضفاف النيل وساهمت في إرساء حضارة مرحلة ما قبل الأسرات في دولة الفراعنة.

واستمرت الصلات بين الإقليمين بعد ظهور دولة مصر الموحدة، فلما وضع الفرعون "مينا" حدود مصر كانت سياسية ولم تكن حدودا إثنية،لأنها فصلت بين أبناء القبيلة الواحدة، فمن وجد نفسه داخل حدود الدولة الجديدة أصبح مصريا، أما من وجد نفسه خارجها وإلى غاية المحيط الأطلسي، فقد حافظ على طابعه الليبي القبلي المتنقل وسعى بدون كلل الى اقتحام هذه الحدود والاتصال بأبناء عمومته، أوالإستقرارو التمتع بخيرات الأرض السوداء (كمت أي مصر) ولذلك فقد حفظت لنا الآثار المصرية أخبارا عن القبائل الليبية الأربعة، مرتبة حسب قرب مكان استقرارها من حدود مصر: التحنو- التمحو- الربو(الليبو) ثم المشواش.

كما لاحظ الكاتب المصري القديم نقاط الشبه المشتركة، سواء في الصفات الجسمانية الظاهرة أو بعض المقومات بين هذه القبائل، فكان أحيانا يطلق اسم الجزء

على الكل؛ فأطلق مثلا اسم التحنو على بقية القبائل الليبية، على الرغم من أن هذه القبيلة كانت تتميز بلون بشرة سمراء، في حين يتسم الباقون بلون بشرة فاتحة..

وتجدر الإشارة هنا بأن الإغريق قد لاحظوا في وقت لاحق، الوحدة التي كانت تربط هذه القبائل، فأطلقوا اسم قبيلة "الليبو" التي كانت مستقرة فيما بين منطقتي برقة وطرابلس (الحاليتين) على كل سكان شمال غربإفريقيا؛ فعرفوا باسم الليبيين.

وتكرر نفس الشيء مع الفاتحين المسلمين، حيث أطلقوا على ما عرف بليبيا قديما اسم بلاد المغرب.

فإن دل هذا عن شيء، فإنما يدل على الوحدة الإثنية للقبائل المكونة للشعب الليبي منذ أقدم العصورمن جهة ومن جهة أخرى يدحض آراء القائلين بالأصول الأجنبية الأيونية،الطروادية أو الفارسية لقدماء الليبيين .....وإن صفات المشواش- وهي أبعد القبائل الليبية عن حدود مصر- قد وجدها الدارسون للرسوم الصخرية مجتمعة في بعض رسومات "واد جرات" بالتاسيلي وتتمثل هذه الصفات في البشرة الفاتحة، ساتر العورة، الذيل والريش على الرأس وكذلك السلاح المتمثل في الدرع الدائري والسيف...

وتفسير هذا الانتشار الجغرافي من الشمال إلى الجنوب، هو أن قدماء الليبيين في معظم الأحوال قد اتخذوا القبيلة نظاما سياسيا، فكانت ديارهم تتقلص وتتسع مرتبطة بالضرورة المعيشية ومدى قوة جيرانهم وربما لهذا السبب أيضا اختلف المصدر المصري وكذلك الإغريقي في تحديد أماكن استقرارهذه القبائل.

- لقد كانت قبائل التحنو، التمحو،الريبو، والمشواش تشن الغارة تلو الأخرى على مصر الفرعونية منذ توحيدها وإلى غاية الأسرة العشرين، إلى أن تمكن الفرعون رمسيس الثالث على رأس جيشه من وضع حد لهذه الغارات

المنظمة وأسر الآلاف من المشواش، هؤلاء المشواش الذين وصفتهم الآثار المصرية بالبسالة والشجاعة في القتال.

ولقد كان قوام الجيش المصري في أواخر الأسرة العشرين وطيلة الأسرة الحادية والعشرين مكونا من الأسرى والمرتزقة الليبيين وأدى هذا الأمر إلى نشأة جالية ليبية كان معظمهامن المشواش، امتلكت الأراضي مقابل الخدمة العسكرية..

وعلى الرغم من طول مدة استقرارها في مصر ووصول بعض قادتها إلى مراكز إدارية ودينية وعسكرية عالية،إلا أنها حافظت على رموز شخصيتها الليبية الأمازيغية، متمثلة في الحفاظ على الأسماء الليبية ووضع الريشة على رؤوسهم..

ونخلص في تتبعنا لموضوع علاقة القبائل الليبية بمصر، إلى الحقيقة التالية وهي أنهم وإن فشلوا في دخول مصر عنوةإلا أن ضغطهم اتخذ شكلا آخر في نهاية المطاف تميز بكونه أقل ظهورا للعيان، لكنه كان أكثر فاعلية وقد تمثل في التغلغل البطيء طيلة قرنين من الزمن وانتهى بجلوس "القائد العظيم للمشواش" المدعو شيشنق على عرش الفراعنة..

وبذلك فإن وصول المشواش الأمازيغ إلى حكم مصر، لم يأت بصورة مفاجئة أو دفعة واحدةأو عن طريق انقلاب وإنما ساهمت في حدوثه ظروف وأحوال مصر الداخلية المتردية منذ أواخر حكم الفرعون رمسيس الثالث.

ولقد زاد التنافس على حكم مصر أثناء الأسرة الحادية والعشرين الطين بلة، وأسهم ظهور الازدواجية في السلطة-حكومة ثيوقراطية في طيبة وحكومة مدنية في تانيس- في سقوط مصر في فوضى واضطرابات داخلية ولم تجد قائدا يوحد كلمتها، غير قائد الجيش شيشنق ذي الأصل الليبي..

لقد انتظر شيشنق وفاة الفرعون المصري "بسوسنس الثاني" للجلوس على عرش مصر، ثم أكد الشرعية بزواج ابنه الأمير أوسركون من الوريثة الشرعية للحكم، الأميرة "ماعت كارع" التي يجري في عروقها الدم الإلهي

المقدس، عندئذ فقط أعلن شيشنق الأول نفسه فرعونا على مصر، فكان بذلك أول سلسلة من حكام عرفوا في تاريخ مصر القديمة بالفراعنة الليبيين، أو الفراعنة ذوي الأصل الليبي الذين حكموا مصر أزيد من قرنين من الزمان، لم يشعروا خلالها الشعب المصري - حسب الشواهد- أو يشعروا هم أنفسهم بأنهم مستعمرون لمصر؛ فقد كانوا ليبيين متمصرين، أخذوا بكل أساليب الحضارة الفرعونية وهبوا لنجدة وطنهم الجديد وإرجاع صيت مصر في العالم القديم ونكاد لا نعثر على قرائن تثبت قيام صلات بين هؤلاء الحكام وبين ليبيا الوطن الأم.

وبدراسة متفحصة لتاريخ الفراعنة ذوي الأصل الليبي لمصر،يتبين لنا بأن دولتهم التي امتدت على مدى ثلاث أسرات من أسر الدولة الفرعونية وهي مرتبة، الثانية والعشرين، الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين، قد مرت بمرحلتين متباينتين، مرحلة أولى، امتدت من حوالي 950 وإلى غاية 850 ق.م وقد تميزت بالقوة والمركزية، حكمها مؤسس الدولة الليبية التي كان قوامها من المشواش، الفرعون شيشنق الأول وخلفاؤه أوسركون الأول، تلكوت الأول وأوسركون الثاني، ثم مرحلة ثانية امتدت من 850 وإلى غاية انهيار الدولة حوالي 715 ق.م، اتسمت بالفوضى واغتصاب الألقاب، ثم ظهور بيتين حاكمين فثلاثة بيوت إلى غاية دخول الكوشيين (السودانيين) وإنشاء الأسرة الخامسة والعشرين المصرية.

وفي هذا الصدد، أعتقد بأن سبب زوال حكم الليبيين المشواش في مصر، كان نتيجة حتمية لأزمة سياسية تولدت في الدولة، بسبب السياسة التي أرساها مؤسس الدولة شيشنق الأول؛ فقد سعى هذا الأخير إلى تركيز وتجميع السلطة المدنية والدينية بين أيدي أسرة واحدة ليمنع ظهور الازدواجية من جديد فيزول بذلك حكم الليبيين– كما كان الأمر في الأسرة 21 –، فسعى إلى أن يكون الكاهن الأول للإله آمون وهو في الوقت نفسه حاكم الطيبة، دوما من أبناء الملك الحاكم، نظرا لأهمية طيبة وحساسية هذا المنصب والنتيجة هو حرمان أبناء الكاهن الأول من توارث منصب والدهم مثل ما هو عليه

الحال في بقية مقاطعات مصر، التي وهبها الفرعون شيشنق الأول لمعاونيه من قادة الجيش وبعض النبلاء المصريين، حيث منحهم حق توريث المناصب والأرزاق لأبنائهم...

إن التنافر بين هذين المبدأين: إرساء الإقطاع في كل مقاطعات مصر، باستثناء طيبة في السلطة المدنية والدينية، كانت السبب في ظهور ثورات محلية انتهت بالازدواجية الفعلية في الحكم وظهور الأسرة الثالثة والعشرين وهي فرع من الأسرة المالكة الثانية والعشرين..

إن ظهور هذه الازدواجية في الحكم، قد فتح المجال واسعا أمام القادة إلى اغتصاب الألقاب الملكية والسعي إلى الزعامة وما يحمله هذا اللقب لصاحبه من صلاحيات ونفوذ.. ولقد أحيى الصراع بين زعماء المشواش روح القبلية من جديد لدى الليبيين،

فظهر على الساحة السياسية زعماء الربو (الليبو) وأعلنوا حكمهم على المقاطعات الغربية من الحدود الليبية .

وفي غفلة هذا الصراع الخفي بين المشواش والليبو، ظهر الكوشيون من الجنوب فوضعوا حدا لحكم الليبيين كله..

وإن زالت الدولة الليبية، فلا يعني ذلك بالضرورة زوال العنصر الليبي في مصر؛ فالشواهد تؤكد أن زعماء الليبيين في مقاطعات الدلتا، كانوا يتحينون الفرص إلى حكم مصر من جديد، حيث تزعموا الثورة ضد الأشوريين.، بل إن جمعا من المختصين يعتقدون بأن الأسرة المصرية السادسة والعشرين، ليست إلا امتدادا طبيعيا وتاريخيا للأسرة الرابعة والعشرين الليبية.

ويذهب عالما المصريات الإنجليزي "جاردنر" والفرنسي "جريمال" إلى أبعد من ذلك، حيث يعتقدان بأن قادة الثورة المصرية ضد الاحتلال الفارسي في الأسرة السابعة والعشرين من أصول ليبية أيضا ومنهم القائد "أرتن –جر- آرو"، الملقب عند الإغريق" بـ" إيناروس" ملك الليبيين.

في حين يعتقد آخرون بأن أميرا من المشواش ومسقط رأسه مقاطعة منداس بالدلتا المصرية، قد حكم الأسرة المصرية التاسعة والعشرين وآخر من مقاطعة سابانيتوس حكم الأسرة المصرية الثلاثين.

وبالتالي نخلص إلى أن أسرات العصر المتأخر في مصر الفرعونية، كانت تجري في عروقها دماء ليبية أيضا وهو الأمر الذي يؤكد بأن الليبيين قد تبوءوا مكانة هامة متميزة في التاريخ المصري القديم، إن على المستوى التاريخي أو المستوى السياسي والحضاري...

# ملاحق بمراحل تاريخ مصر وأسماء فراعنة وكهان ورد ذكرهم بالبحث

## -ملحق رقم 1: تقسيم تقريبي لمراحل تاريخ مصر الفرعونية.

I- مرحلة بداية الأسرات ( 3200-2780 ق.م).

الأسرة الأولى + الأسرة الثانية

تميزت بالإزدواجية في المؤسسات الحكومية. كل مؤسسة منها إثنتان: واحدة في الشمال وأخرى في الجنوب، أما العاصمة فكانت مدينة "ثني" في صعيد مصر.

II- الدولة القديمة:2780—2230 ق.م. وتشمل الأسر الثالثة-الرابعة-الخامسة والسادسة. السلطة مركزية في منف(الدلتا).

III- المرحلة الإنتقاليةالأولى، أواخر القرن 23 إلى غاية أواسط القرن21 ق.م.

وشهدت هذه المرحلة ثورة إجتماعية، عمت مصر لمدة ربع قرن، ثم حكم لامركزي في بيوت مختلفة لأجزاء من مصر، يمكن إعطاء الترتيب التالي: الأسر السابعة – الثامنة– التاسعة والعاشرة.

IV- الدولة الوسطى:2052-1778ق.م. وتشمل الأسرة الحادية عشر والأسرة الثانية عشر. وقد حكمتا من العاصمة طيبة.

V-المرحلة الإنتقاليةالثانية: 1778-1532 ق.م. وتشمل:

1- الأسرة الثالثة عشرة (مصرية) وحكمت البلاد موحدة في الظاهر فقط.

2- الأسرة الرابعة عشر (مصرية) وتشمل حوالي 60 ملكا، حكم 23 منهم في فترة لا تتجاوز 52سنة) حسب بردية تورينوTURIN.

3- الإحتلال الهكسوسي لمصر: 1640- 1532 ق.م. وشملت الأسر15-16، أماالأسرة السابعة عشر فقد كان الحكم فيها حكما مزدوجا بين الهكسوس في العاصمة أفاريس شمال شرق مصر، والوطنيين في طيبة في صعيد مصر.

VI- الدولة الحديثة ( الأمراطورية) 1575*-1087 ق.م. وتشمل الأسر 18-19-.20 وحكمت من العاصمة طيبة.

VII- المرحلة الإنتقالية الثالثة 1087- 665 ق.م.

- الأسرة الواحدة والعشرون: 1087-950 ق.م وقد كان الحكم مزدوجا: الحكومة الزمنية في تانيس(الشمال) والكهنوتية في طيبة (الجنوب).

- الأسر الليبية 22-23-24 ( 950 أو 945-715 أو 712 ق.م ).

– الأسرة الكوشية (السودانية) الخامسة والعشرين: 730- 665 ق.م.

VIII- العصر المتأخر: 664- 332 ق.م.

-وتشمل ما سمي بعصر النهضة في المرحلة المتأخرة، وحكمت فيما بين 664-525 ق.م.

– الأسرة 27 وتمثل الغزو الفارسي 525-404 ق.م.

---

*- حكم أحمس حوالي 25 سنة في الأسرة 17,وقاد الجهاد ضد الهكسوس الأجانب.

- الأسر الوطنية (المصرية) 28- 29 –30، وحكمت فيما بين 404 –343 ق.م.
- عودة الفرس إلى مصر (الأسرة 31) عام 345 ق.م.
- دخول الإسكندر المقدوني إلى مصر 332 ق.م.

**-ملحق رقم02: خاص بأسماء وسنوات حكم فراعنة ورد ذكرهم في البحث.**

- العقرب: ملك حكم مصر قبل توحيد الوجه البحري والوجه القبلي.
- مهنا، نعرمر

هناك شبه إجماع بأن الإسمين لملك واحد. نعرمر هو إسمه الشخصي، ولما بدأ حربه من أجل توحيد مصر، اتخذ لقب حورعحا أي المحارب حورس، ثم اتخذ لقب مينا، أي المقيم والمثبت لوحدة مصر. ويعتقد أنه حكم ستين سنة على رأس الأسرة الأولى.و ينتمي إلى الأسرة الأولى.

*- بي- نثر

ثالث ملوك الأسر الثالثة، ويليه "برايب سن"، ثم آخر ملوك الأسرة "خع سخموي"،ومن الصعب تحديد فترات حكمهم. وينتمي هؤلاء إلى الأسرة الثانية.

*- سنفرو: وقد حكم فيما بين 2575 –2551 ق.م.

- خوفو: وحكم فيما بين 2551 –2528 ق.م. وينتمي كل من "سنفرو"و"خوفو" إلى الأسرة الرابعة.

*- ساحورع: 2458 – 2446 ق.م.و ينتمي إلى الأسرة الخامسة.

*- ببي الثاني: 2246 – 2152 ق.م.و .. .. .. السادسة.

*- منتوحب: 2061 – 2010 ق.م. .. .. .. الحادية عشر.

*- أمنمحات الأول: 1991 –1962 ق.م .. .. .. الثانية عشر.

- سنوسرت: 1971- 1926ق.م، وقد اشترك في الحكم مع والده أمنحات الأول.وينتمي هوأيضا إلى الأسرة 12.

*- أمنحتب الأول: 1525 – 1504 ق.م

- حتشبسوت: 1473 –1458 ق.م.(حكمت في البداية مع ربيبها ولي العهد تحومس 3).
- تحوتمس الثالث: 1479 –1458 ق.م.
- أمنحب الرابع(إخناتون): 1353 –1335 ق.م. وينتمي هؤلاء الأربعة إلى الأسرة 18.

*- سيتي الأول: 1306،1309-1290 ق.م.

- رمسيس الثاني: 1290 –1224 ق.م.

- مرمبتاح: 1224 –1214 ق.م.( وينتمي الثلاثة إلى الأسرة 19).

*- رمسيس الثالث: 1194 –1163 ق.م.

- .. الرابع: 1163 –1156 ق.م.
- .. السادس: 1151 – 1143 ق.م
- .. التاسع: 1131- 1112 ق.م.

- .. العاشر: 1112 – 1100 ق.م
- ....الحادي عشر: 1100– 1070 ق.م.وينتمي هؤلا ء الستة إلى الأسرة العشرين.
- *- سمندس: 1070- 1044 ق.م.
- سبونس الأول 1040 – 992 ق.م.
- امنحوبت: 993 – 984 ق.م.
- أوسركور (أوسركون): 984 – 959 ق.م.
- سيامون: 978 – 959 ق.م.
- بسنوسنس الثاني: 959 – 950 ق.م. وينتمي هؤلاء الستة إلى الأسرة 21.

*- بي عنخ: 750 – 715 ق.م

- شبكو: 715 – 695 ق.م. وينتمي الإثنان إلى الأسرة 25.

*- بسماتيك: 664 – 610 ق.م.

- أبريس: 589 – 570 ق.م.
- أحمس الثاني ( أمازيس): 570- 525 ق.م. وينتمي هؤلاء الثلاثة إلى الأسرة 26.

*- أميرتايوس: 404- 399 ق.م. وينتمي إلى الأسرة 28.

**-ملحق رقم3: خاص بأسماء الأشخاص الذين تولوا منصب كاهن آمون الأول أثناء حكم الليبيين لمصر.**

- من 944 إلى 924 ق.م: أيوبوت، ابن الفرعون شيشنق الأول.
- من 924 إلى 894 ق.م: شيشنق الثاني، ابن الفرعون أوسركون الأول.
- من 894 إلى 884 ق.م: أيوبوت، ابن الفرعون أوسركون الأول.
- من 884 إلى 874 ق.م:سمندس الثالث، ابن الفرعون وسركون الأول.
- من 874 إلى 860 ق.م: حارسيمي(أ)، ابن شيشنق الثاني.
- من 860 إلى 855 ق.م: الإسم مهشم، لم يبق منه سوى (..دو..عاوتي)، ابن حارسيمي؟
- من 855 إلى 840 ق.م: نمرود بن الفرعون أوسركون الثاني.
- من 840 إلى 835 ق.م: الأمير أوسركون بن الفرعون تلكوت الثاني.
- من 835 إلى 825 ق.م: حارسيسي(ب)، ابن الكاهن الأسبق(..دو..عاوتي).
- من 825 إلى 819 ق.م: إسم الكاهن غير أكيد ( أثناء فترة اغتصاب الحكم ثم ظهور إزدواجية في الحكم).
- من 819 إلى 805 ق.م: حارسيمي (ب).
- من 805 إلى 800 ق.م: الأمير أوسركون.
- من 800 إلى 797 ق.م: حارسيمي (ب).
- من 797 إلى 796 ق.م: الأمير أوسركون.
- من 796 إلى 777 ق.م: تلكوت بن الكاهن الأسبق نمرود بن الفرعون أوسركون الثاني.

- من 775 إلى 765 ق.م: كاهن غير معترف به.
- من 765 إلى 754 ق.م: تلكوت بن الفرعون أوسركون الثالث.
- من 754 إلى 707 ق،م: إسم كاهن يجهل إسمه، وقد تراجعت مكانة الكاهن الأول لآمون أمام نفوذ " المتعبدة للإله" Adoratrice de Dieu، ثم النبلاء الكوشيين على طيبة حوالي 751 ق.م، واحتفاظ الملك " بي عنخ" هذا المنصب (الكاهن الأول لآمون) لنفسه.

## - مصادر الملحق:

-Klauser ‹Libyan and Nubian kings of Egypt. J N E S ‹V32‹ 1932‹ p21
Kitchen‹ The third intermediate period of Egypt. Oxford: 1972.p480.
J.H.Breasted ‹B.A.R. part 4‹para 756-770.

## أولا: المصادر:

### أ-النصوص الأدبية:

- هيرودوت. هيرودوت يتحدث عن مصر.ترجمة محمد صقر خفاجة.القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.

-La **Bible** de Jérusalem, traduite en Français sous la direction de l'école biblique de Jérusalem. Paris: Cerf, 1988.

-**BREASTED**,J.H. Ancient Records of Egypt: Historical documents. Part I, II, III, IV. University of Chicago press, London: 1906-1907.

- **Edgarton,** W.F & J. A. **Wilson**. Historical records of Ramasses III. Chicago: 1936

- **HERODOTE**: HISTOIRES, TEXTES ETABLIS ET TRADUITS PAR PH. E. LE GRAND T II, SIXIEME TIRAGE, PARIS: LES BELLES LETTRENT. 1982, & T IV, 1945.

- **STRABON.** GEOGRAPHICA, LIVRE2 & LIVRE 17, TRADUCTION PAR ARNEDEE TARDIEU. PARIS: HACHETTE ET C. Dentroie édition, 1886.

- **Josèphe,** Flavius. Les juifs: histoire ancienne des juifs, la guerre des juifs contre les Romains. Autobiographie. France: Lidis éditions, 1982.

- **Gzell**, S. Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du nord, Hérodote. Université d'Alger, Paris: 1916

- **Révillout,** E. « Code de bochoris». in revue Egyptologie, Tome 7 PARIS: Ernest Leroux, 1896.

- **Révillout,** Eugène "Bocchoris et son code" in revue EGYPTOLOGIE, Tome 12. PARIS: ERNEST LEROUX, 1907.

- **GARDNER,** A. H. Anciant Egyptian anomastica.Oxford: Univ.presse. 1945.

- **GARDNER,** ALAN. EGYPTIAN GRAMMAR. 3the ED..REVISED, OXFORD: GRIFFITH INSTITUT,1982.

- **POSENER,** G. Dictionnaire de la civilisation Egyptienne. Paris: Fernand Hozan, 1959.

- Dictionnaire encyclopédique Hachette. Paris: Clerc St Amand, 1977.

### ب-المعطيات الأثرية:

- **DAVES,** N. D. G. ROCK TOMBS OF EL AMARNA. PART I, LONDON: 1903.

- **GARDNER,** A. H. " The dakhleh stela " journal of Egyptian archeology. N° 19. 1933

- **Jaquier,** Gustave. Monument funéraire de Pépi II. T II: le temple. Le Caire: imprimerie de L'IFAO, 1933.

- **Montet,** P. Les constructions et le tombeau d'Osorkon II a tanis. Bulletin de la société française d' égyptologie. Paris: 1947.

- **MONTET,** P. « LE LAC SACRÉ DE TANIS ». EXTRAIT DES MEMOIRES DE L'ACADÉMIE, TOME XLIV. PARIS: 1966.

**Naville,** E. Bubastis (1887-1891). London: 1891.
- **NEWBERRY,** PERCY. E. BENI HASSAN, PART I, London: 1893.
- **PETRIE,** W.W.F. & **Quibell,** J.E Naquada and Ballas. London:1896
- **YOYOTTE,** J. « LE TALISMAN DE LA VICTOIRE D'OSORKON. PRINCE DE SAIS ET AUTRES LIEUX » in BULLETIN TRIMESTEIELLE D'EGYPTOLOGIE, N° 31. DORDOGNE, France: 1960.

**ثانيا: المقالات.**

**باللغة العربية:**

- **الأعظمي،** محمد طه. «جوانب من الأسس القانونية والفكرية في قانون حمورابي»، مجلة المورد، المجلد 16، العدد الثالث بغداد: الشؤون الثقافية العامة، 1987.
- **الأثرم،** رجب. «نبات السلفيوم في إقليم برقة» مجلة تاريخ إفريقيا العام، باريس: اليونسكو، 1984. طبع لبنان: 1988.

**-باللغة الأجنبية**

- **BERLANDINI,** J. « UNE STELE DE DONATION DU DYNASTE LIBYEN ROUDAMAN »,in BULLETIN DE L'ISTITUT FRANÇAIS D'ARCHEOLOGIE ORIONTALE. N 78. PARIS: 1978.
- **CAPART,** M. « A propos d'un livre récent sur les libyens. » Bruxelles société d'anthropologie. T XX. 1904.
- **CAPART,** M. Préhistorique égyptien. Bruxelles: Société d'anthropologie. T XX, 1904.
- **DARSSY,** G. «Notes sur les 22-23-24 é dynasties », in recueil de travaux relatifs a la philologie & l'archéologie égyptiennes & assyriennes, numéro 35. PARIS: 1913.
- **DESANGES,** J. Les proto – berbères: Histoire générale de l'Afrique: T II, l'Afrique ancienne. PARIS: UNESCO, 1980.
- **FAULKER,** R.O. THE WARS OF SETHOS. JEA, V 33, 1943.
- **FAULKNER,** R. O. EGYPTIAN MILITARY ORGANISATION. in J. E. A N° 39. LONDON: 1953.
-**FITTE** DURVILLE & VIGNARD. UNE STATION DE SEBIL II A REGGANE TAOURIRT DANS LE TANZOUFT: SAHARA CENTRAL. PARIS: BSPF, T.43, 1949.
- **Gauthier,** H.: « les rois Chechanq » in Bulletin de l'institut français d'archéologie orientale. Tome XI le Caire: imprimerie IFAO, 1914.
- **Giddy,** Lisa. L. Some exports from the oases of the Libyan Desert into the nile valley. Tomb 131 at thebes. Livre du centenaire 1880-1980. CAIRE: I.f.A.O. 1980.
- **HUARD,** P. « CONTRIBUTION SAHARIENNE A L'ETUDE DE QUESTIONS INTERESSANT L'EGYPTE ANCIENNE». BSFE N 45, DOROGNE: 1966
- **HUSSEIN,** KAMEL-DIN & **BOVIER** LA PIERRE. RECENTES EXPLORATIONS DANS LE DESERT LIBYQUE. LE CAIRE: B I E, T XII. 1929-1930

- **Kitchen,** K. A. les suites des guerres libyennes de Ramsses III, in revue Egyptologie. S. F. E, tome 36. Louvain, Belgique: édition péeters, 1985.
- **Maspero,** G. Revue critique d'histoire et de littérature N ° 6, Eug. Muntz: Février 1880.
- **NEW BERRY,** P.E. Ta Tehnu «olive-land » Ancient Egypt. Cairo: 1915.
- **Padro,** Josep « le rôle de l'Egypte dans les relations commerciales d'orient et d'occident au premier millénaire ». in annales du service des antiquités de l'Egypte, tome LXXI. Le CAIRE: 1987.
-**Redford,** D.B. Studies in relations betweun palestin and Egypt during the first millenum B.C.in Journal of the American oriental Society, V93,N° 1,1973.
- **Scharff,** A. Some prehistoric vases in British Museum. in JEA, XIV T3.4, 1928.
-**Spallinger,**A.the year712 and its implication for Egyptian history.in A.R.C.E v X Augustin publisher locust valley New York, 1973
- **TOUXIER,** H. «HISTOIRE DE LA GEOGRAPHIE LIBYENNE: Emigration des mythes grecs kyrene. » In REVUE AFRICAINE N: 33. ALGER: OPU. 1988.
- **Wainwright,** G. A. "The red crown in early prehistoric times". in J. E. A. N° 9. London: the Egypt exploration society.1923.
- WAINWRIGHT, G.A." THE MESHWESH". In JEA, N: 48, LONDON: 1962.
- **WILSON,** J. "THE LIBYAN AND THE END OF THE EGYPTIAN EMPIRE ". A.J.S.L N° 47. Chicago: 1935.
- **YOYOTTE,** J. « UN DOCUMENT RELATIF AUX RAPPORTS DE LA LIBYE ET DE LA NUBIE ». BULLETIN DE LA SOCIETE FRANÇAISE D' ARCHEOLOGIE. N° 6. 1951.
- **YOTOTTE,** Jean. " Pour une localisation du pays de IAM". LE CAIRE: BIFAO, 1953. - **YOYOTTE,** J. « Osorkon fils de Méhytouskhé: un Pharaon oublié. » I.B.S.F.T. n° 77-78. France, Dordogne: 1976-1977/

## ثالثا:المراجع

### -باللغة العربية:

- **البرغوتي**، عبد الطيف محمود. التاريخ الليبي منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي. بيروت: دار صادر، 1971.
- **العقون**، أم الخير. العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثانية ق.م. رسالة ماجستير. الإسكندرية:كلية الآداب، قسم التاريخ، 1988.
- **أرزقانة**، إبراهيم أحمد. الحضارات المصرية في فجر التاريخ.مصر، القاهرة: مكتبة الآداب، 1948.
- **بكر**، محمد إبراهيم. تاريخ السودان القديم. ط2، القاهرة: دار المعارف 1983.
- **برستد**، جيمس هنري. تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي. ترجمة حسن كمال. الطبعة الثانية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

- حسن، سليم. مصر القديمة، ج 7" عصر مرنتباح ورعمسيس III، ولمحة في تاريخ لوبية ". القاهرة: مطبعة دار الكتاب المصرية، 1950.
- حسن، سليم. مصر القديمة، ج9، نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبين لمصر حتى بداية العهد الاثيوبي ولمحة في تاريخ العبرانيين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.
–حسن، سليم. مصر القديمة،ج8 نهاية عصر الرعامسة وقيام دولة الكهنة بطيبة في عهد الأسرة 21القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.
- حزين، سليمان. حضارة مصر.القاهرة: دار الشروق، 1991.
- جاردنر، آلن. مصر الفرعونية. تر: نجيب ميخائيل إبراهيم.ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.
- بزنر، ج. معجم الحضارة المصرية.ترجمة أمين سلامة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.
- عدواني، محمد الطاهر. الجزائر في التاريخ: الجزائر منذ نشأة الحضارة ( عصور ماقبل التاريخ وفجر التاريخ). ج.1 الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- مهران، محمد بيومي. دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم،ج 3،حركات التحرر في مصرالقديمة.القاهرة:دار المعارف، 1976.
- مهران، محمد بيومي. دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم. ج2، مصر. الإسكندرية: دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 1984.
- محمد، محمد عبد القادر. الديانة في مصر الفرعونية. القاهرة: دار المعارف، 1984.
- ميخائيل، نجيب إبراهيم. مصر والشرق الأدنى القديم: مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الإسكندر. ط2، القاهرة: دار المعارف، 1962.
- راتييه، سوزان. حتشبسوت الملكة الفرعون، تر:فاطمة عبد الله محمود، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998.
- صالح، عبد العزيز. الشرق الأدنى القديم. ج1، مصر والعراق. طبعة رابعة مزيدة ومنقحه. القاهرة: مكتبة الأنجلو- مصرية. 1984.
- صالح، عبد العزيز. حضارة مصر القديمة وأثارها في الاتجاهات الحضارية العامة حتى أواخر الألف الثالثة ق.م. ج2 القاهرة:الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1962.

## -باللغة الأجنبية:

- **Alfred François, Cyril** Les Pharaons: L'Egypte du crépuscule de Tanis A Méroé (1070 av J.C –IV siècle après J.C). Traduit par Claude Rosier Brelot. Paris: Gallimard, 1980.
- **BATES,** ORIC. THE EASTERN LIBYANS. LONDON: FRANK CASS & CO LTD, 1970.
-**BERCK,** PIERRE & PAUL **HUARD**. TIBESTI: CARREFOUR DE LA PREHISTOIRE SAHARIENNE. ARTHAUD: 1969.

- **Brugsch**, bey.Henri. History of Egypt under the pharaons. translated from german by Henry Danby seymour. London:Albemarle Street, 1879 .
- **CAMPS**, G. LES BERBERES « MEMOIRES ET IDENTITE », 2°EME ED, édition Errance. 1987.
-**CAMPS**, G. AUX ORIGINES DE LA BERBERIE «Monuments et rites funéraires »PARIS: ARTS ET METIERS GRAPHIQUES, 1961.
- **CERNEY**, J. EGYPT FROM THE DEATH OF RAMSSES III TO THE END OF THE TWENTITH DYNASTIE.CAMBRIDG: C.A.H. 1980.
- **CHAMLA**, MARIE – CLAUDE. LES POPULATIONS ANCIENNES DU SAHARA ET DES REGIONS LIMITROPHES: étude des restes osseux humains néolithiques et protohistoriques. in mémoires CRAPE IX, ARTS ET METIERS GRAPHIQUES. PARIS, 1968.
- **DE ALMASSY**. RECENTES EXPLORATIONS DANS LE DESERT LIBYQUE. LECAIRE: SOCIETE ROYALE DE GEOGRAPHIE D'EGYPTE. 1936.
- **DE Morgan**, J. Recherche sur les origines de l'Egypte. T2. Paris: 1897 .
5 - **Drioton**, Etienne. Jaques **Vandier**. les peuples de l'orient méditerranéen. T II, l'Egypte. 4° édition augmentée, Paris: presse universitaire de France, 1962.
- **EL Good**, P.G. The later dynasties of Egypt. Oxford, England: Imprimerie Basil Blackwell.1951.
- **FAKHRY**, AHMED. The Egyptien déserts. VI – Bahria Oasis. Cairo, BOULAQ: governement presse, 1942.
- **FAKHRY**, AHMED. SIWA OASIS. CAIRO: 1944.
- **FAKHRY**, AHMED. THE OASIS OF EGYPT. VI (Siwa oasis) CAIRO: AMERICAN UNIVERSITY PUB.
- **GARDI**, RENE. PEINTURES RUPESTERS DU SAHRA. (Tassili- n- ajjer) orbic pictus, volume 49. LAUSANNE: Payot, 1969
- **GARDI**, R. & Jo **Lanta Newkon**. Peintures rupestres du Sahara: TASSILI-N-AJJER. Paris: Payot. berne, SUISSE: ed. Hollwag. 1969.
- **GRIMAL**, N. Histoire de l'Egypte ancienne. France: Librairie Fayard, 1980.
- **GZELL**, S. Histoire Ancienne de l'Afrique du nord. T I: les conditions du développement historique « les temps primitifs, la colonisation phénicienne et l'empire de Carthage » réimpression de l'édition 1921-1928, as Nabruck. 1972.
- **GZELL**, H.A.A.N. TOME V, LES ROYAUMES INDIGENES (ORGANISATION SOCIALE, POLITIQUE ET ECONOMIQUE). REIMPRESSION DE L'EDITION 1921-1928, as- nabruck.1972.
- **GZELL**, H.A.A.N. T 6. (vie matérielle, intellectuelle et morale).
- **HOYES**, WLLIAM, MOST ANCIANT EGYPT. USA: UNIVERSITE OF CHICAGO PRESS,1965 .
- **HUARD** & **LECLANT**. « LA CULTURE DES CHASSEURS DU NIL ET DU SAHARA ».in MEMOIRES DU CENTRE DE RECHERCHES ANTHROPOLOGIQUES, PREHISTORIQUES ET ETHNOLOGIQUES. T II, ALGER: 1977.
- **Husson**, G. & D.Valbelle. l'état et les institutions en Egypte: des premiers pharaons aux empereurs romains. Paris: Armand Colin, 1992.
- **JULIEN**, ch.. A. HISTOIRE DE L' AFRIQUE DU NORD: DES ORIGINES A LA CONQUETE ARABE. PARIS: PAYOT, 1975.
- KADDACHE, M. L' ALGERIE DANS L ANTIQUITE. 2ÉME EDITION, ALGER: SNED, 1982.
- **Klauser**, Baerthe. Libyan and Nubian kings of Egypt notes on the chronology of dynasties XXII- XXVI. CHICACO: 1932.
- **Kitchen**, K.A. The third intermediate period of Egypte. Oxford: 1972.
- **LECLANT**, J. Le rayonnement de l'Egypte aux temps des rois Tanites et Libyens.in TANIS, Paris: 1987

- **LAPIERRE,** BOVIER . EGYPTE PREHISTORIQUE,PHARAONIQUE & GRECO-ROMAINE. LE CAIRE: IMP, IFAO,1932.
- **LHOTE, H.** A la découverte des fresques du Tassili. Paris: Arthaud, 1973
- **MAITRE,** J. CONTRIBUTION A LA PREHISTOIRE DE L' AHAGGAR.I, Tefedest centrale. Mémoirs du centre de recherches anthropologiques préhistorique et ethnographique. PARIS: 1971.
- **Maspero,** Gaston. Histoire ancienne des peuples de l'orient classique: les premières mêlées des peuples. Paris: HACHETTE, 1897.
- **Montet,** Pierre . Le drame d' avaris ": essai sur la pénétration des sémites en Egypte. Paris: librairie orientaliste Paul Geuthner, 1941.
- **NIBBI,** ALEXANDRA. Lapwings and libyens in anciant Egypte. Oxford: b.o card presse, 1986.
- **Pirenne,** J. Histoire de la civilisation de l'Egypte ancienne. troisièmes cycle « de la 21dynastie aux ptolémés, 1085 -30a.c » Suisse, Neuchâtel: édition de la baconnière.1963.
- **THOMPSON,** CATON & **GARDNER**. THE DESERT FAYOUM. LONDON: ROYAL ANTHROPOLOGICAL INSTITUTE PUBLICATION, 1934.
- **THOMPSON,** CATON. & **GARDNER,** W. KHARGA OASIS IN PREHISTIRY.london: 1959.
- **Thieberger,** Frédéric, Le roi Salomon et son temps: un des carrefours de l'histoire. Traduit par S. M.Guittenien. PARIS: Payot, 1957.
- **YOYOTTE,** JEAN «LES PRINCIPAUTES DU DELTA AU TEMPS DE L 'ANARCHIE LIBYENNE » . MELANGES MASPERO, T 66. LE CAIRE: I FAO, 1961.
- **YOYOTTE,** J. PHARAONS, GUERRIERS LIBYENS ET GRANDS PRETRES," LA TROISIEME PERIODE INTERMEDIARE ". in TANIS,L'or des pharaons. Paris: Galeries Nationales du Grand Palais, 1987.

# فهرس اللوحات والخرائط

## أ- اللوحات:

- اللوحة رقم1:..........................................................ص54

وتمثل محاربا ليبيا، يرتدي ثوبا قصيرا يشده إلى وسطه وينتهي بجراب عورة من الأمام ويضع على رأسه ريشات كما تصوذره الرسوم المصرية على جدران المعابد، وهي من وادي جرات بالتاسيلي.
L.Hote: l'age de la pierre. P. 120. .-H.Breuil

- اللوحة رقم 2:..........................................................ص82

تمثل جزءا من منظر كبير لقافلة ليبية تدخل مصر مسالمة في عهد الفرعون امنمحات الأول، الأسرة 12.

London:1893.Planche .part I . Beni Hassan.-Percy E.New Berry 45.

- اللوحة رقم 3:..........................................................ص105

لوحة الحصون والغنائم موجودة بالمتحف المصري ( القاهرة) وتحمل رقم JE27434

-اللوحة رقم 4:..........................................................ص 119

من منطقة العمارنة وتمثل رجلا لهبيا بزيه التقليدي ضمن الحرس الخاص بالفرعون امنحتب الرابع (إخناتون)

-N.De G.Davies. Rock Tombs of el Ammarna. Part I. PL XV.

- اللوحة رقم 5:..........................................................ص 120

من منطقة العمارنة وتمثل محاربا ليبيا ضمن الجيش المصري، وقد احتفظ الليبي بشعر قصير، بينما تنسدل ظفيرة جانبية على الصدغ وله لحية، ويرتدي داء طويلا مفتوحا على الجانب وتحته نقبة.

PL XV.. Rock Tombs of el Ammarna. Part I.-N.De G.Davies

- اللوحة رقم 6:..........................................................ص 221

تمثل الفرعون شيشنق الأول وهو يقدم الهدايا والقرابين للإله آمون، ونلاحظ على الصورة، أن نقش الرأس غير مكتمل، كما يظهر في الإطار.

وهذا المنظر موجود على البوابة البوبسطية بمعبد الكرنك.

-J.Yoyotte. Pharaons. guerriers libyens et grands prêtres. p 79.

- اللوحة رقم 7:..........................................................ص 272

لوحة النصر للملك الكوشي "بي عنخ"، والإطار يمثل ملك هرموبوليس (الأشمونين)نمرود وهو يمسك فرسا وبرفقته زوجته، ولقد سمح له بالوقوف في حضرة "بي عنخ" لأنه طاهر، لا يأكل السمك، أما بقية الملوك الليبيين والزعماء فنراهم ساجدين على الأرض (كما يتبين في الصورة).

اللوحة موجودة بالمتحف المصري بالقاهرة، وتحمل رقم 48862.

- **اللوحة رقم 8**:........................................................................................ص **291**

المنظر عبارة عن تكبير للركن الشمالي الغربي من لوحة النصر، وتبين زعماء المشواش وهم ساجدون والريشة منكسة، حيثتظهر أفقية مع الرأس.

لوحة النصر لملك بي عنخ.

- **اللوحة رقم 9**:........................................................................................ص **297**

وهي عبارة عن دلاية صغيرة من الرخام الأخضر ويبلغ عرضها 9.5 سم، وسمكها 0.8 سم وعليها إسم الزعيم العظيم للمشواش.

الدلاية موجودة بمتحف بمتحف اللوفر بفرنسا، وتحمل رقم E10943

- **اللوحة رقم 10**:........................................................................................ص **299**

وجدت اللوحة بكوم فرين( غرب الدلتا)، تمثل منظر تعبد، وعليها 5 أسطر بالهيروغليفي، وخرطوش الفرعون شيشنق الرابع، ويظهر الزعيم وعلى رأسه الريشتان، المنتصبة والمنكسة.

اللوحة موجودة بالمتحف المصري وتحمل رقم JE 85647

- **اللوحة رقم 11**:........................................................................................ ص **300**

تمثل شكلا للوحة تمثل الزعيم " رود أمون" على اليمين، يقدم قربانا، وتظهر على رأسه الريشتان. الأثر موجود بمخازن المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ( بدون ترقيم).

- **اللوحة رقم 12**:........................................................................................ص **345**

تمثل هذه اللوحة تمثال الإله آمون (موجود بمتحف نيويورك) وتمثال الملكة كاروماما زوجة الفرعون تلكوت الثاني (موجود بمتحف اللوفر).

### ب- الخرائط:

– الخريطة رقم1: وتمثل انتشار القبائل الليبية في مواقع سكناها،كما ذكرتها الآثار المصرية حوالي 1200 ق.م، وكما ذكرها هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد..........................**ص59**

- خريطة رقم02: تمثل الإمارات الليبية في الدلتا المصرية حوالي 730 ق.م....................**ص279**

### -مصادر الخريطة:

-Oric Bates ‹the eastern libyans. pp50-53

- Stéphane Gzell‹ textes relatifs a l' histoire de l' Afrique du nord.

الخريطة رقم2: وتمثل الإمارات الليبية في الدلتا المصرية حوالي 730 ق.م.

### -مصادر الخريطة:

-K.A.Kitchen‹ The third intermediate period of Egypt. p 346‹ p367.

- J.Yoyotte ‹les principautés du Delta au temps de l' anarchie libyenne.p44.

# الفهرس التحليلي للموضوعات

المقدمة:........................................05


## الفصل الأول: ليبيا: الأرض والسكان

أ- ليبيا ومدلولها عبر التاريخ:........................................13
ب- أصل السكان: ........................................19
ج- الشعوب والقبائل الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة:........................................23
1-التحنو TEHENU........................................24
- الصفات الانتروبولوجية لقوم التحنو: ........................................25
- أرض التحنو: ........................................29
2 - التمحو: Temhu........................................33
- موطن التمحو: ........................................38
3 - الربو RBW: ........................................43
- الصفات الأنثروبولوجية للربو........................................45
4- المشواش .MESHWESH:........................................47
د- القبائل الليبية عند الكتاب الكلاسيكيين: ........................................60


## الفصل الثاني

## بعض مظاهر المجتمع والحضارة الليبية كما سجلتها الآثار المصرية القديمة

1- المجتمع........................................69
- المرأة في المجتمع الليبي: ........................................72
2- الحالة الاقتصادية:........................................74
- الزراعة: ........................................76
- التجارة:........................................78
3 - بعض المظاهر الحضارية المادية عند الليبيين:........................................79
- الأزياء:........................................79
- المعدات الحربية عند الليبيين: ........................................89

**الفصل الثالث: العلاقات الليبية المصرية منذ فجر التاريخ إلى غاية نهاية الألف الثانية ق.م**

أ- هجرة الأقوام الليبية والمساهمة في نشأة أسس الحضارة الفرعونية..............97
1- لوحة صيد الأسود:..............103
2- لوحة الأسد والعقبان..............103
3- لوحة الحصون والغنائم..............104
ب- العلاقات الليبية المصرية أثناء مرحلة الأسرات..............107
- الختم الأسطواني للملك "نعرمر" ولوحته:..............108
ج- العلاقات الليبية المصرية منذ الدولة القديمة ولغاية الدولة الحديثة:..............111
أولا -العلاقات أثناء الدولة القديمة:..............112
1-حوليات الملك سنفرو، ومقبرة مرمي- عنخ الثالثة..............112
2 - معبد الملك ساحورع (الأسرة الخامسة):..............113
3 - معبد الملك بيبي PEPI الثاني (الأسرة السادسة)..............113
4- السير الذاتية:..............114
ثانيا- العلاقات الليبية المصرية أثناء الدولة الوسطى:..............115
ثالثا- العلاقات الليبية المصرية أثناء الدولة الحديثة:..............117
1 - العلاقات الليبية المصرية أثناء الأسرة 19 .............. 120
2-حرب مرنبتاح ضد الليبين:..............126
3- حروب رمسيس III ضد الليبيين:..............129

**الفصل الرابع: ظروف وصول الليبيين الأمازيغ إلى السلطة**

أ- عصر الرعامسة المتأخرين، من الرابع إلى الحادي عشر..............141
1- تمرد الوزير ومؤامرة الحريم:..............141
2- إضراب العمال ونهب المقابر الملكية:..............145
3- تزايد نفوذ الكهان:..............148
4- تزايد نفوذ الجنود المرتزقة الليبيين:..............152
ب- ازدواجية السلطة في الأسرة الحادية والعشرين.............. 159
- الحكومة الثيوقراطية في طيبة:..............160
- الحكومة المدنية في تانيس..............166

ج- أصل الملوك الليبيين:.......................................................... 172
- لوحة حاربسون:.......................................................... 175
- أصل الأسرة من خلال وثائق أخرى .......................................................... 178

الفصل الخامس: الدولة الليبية الأمازيغية في مرحلة القوة950-850 ق.م

أ- الدولة الليبية: بداياتها ومراحلها.......................................................... 189
- غموض تارخها.بدايتها ومراحلها:.......................................................... 189
ب- أسس دولة الليبيين في مصر:.......................................................... 196
1 - البحث عن الشرعية:.......................................................... 196
2- النظام الإقطاعي:.......................................................... 198
3 - الاستيلاء على طيبة:.......................................................... 200
ج-شيشنيق وخلفاؤه( السياسة الداخلية):.......................................................... 204
1- شيشنق الأول:.......................................................... 205
2- أوسركون الأول:.......................................................... 207
3- تكلوت الأول:.......................................................... 210
4- أوسركون الثاني:.......................................................... 211
5- تكلوت الثاني.......................................................... 214
د- سياسة مصر الخارجية في عهد الفراعنة ذوي الأصول الليبية:.......................................................... 216
1 -حملة الفرعون شيشنق الأول على أورشليم:.......................................................... 219
- أسباب الحملة.......................................................... 223
2- العلاقات المصرية الفلسطينية بعد شيشنق الأول:.......................................................... 228
3- العلاقات المصرية الفينيقية أثناء حكم دولة الليبيين:.......................................................... 230
4-علاقات مصر مع بقية جيرانها:.......................................................... 234

الفصل السادس: بداية نهاية الدولة الليبية في مصر

أ - أزمة الحكم في الدولة الليبية:.......................................................... 239
1- مكانة طيبة في عهد الأسرة 22: .......................................................... 240
2-التنازع على وراثة الحكم والوظائف العليا.......................................................... 243
ب- ثورة طيبة وتمزيق السلطة:.......................................................... 247
-أسباب الثورة ونتائجها:.......................................................... 248

ج- ازدواجية السلطة: ..................................................255
1- الأسرة الثالثة والعشرون: ..................................................255
2- طيبة: محور الصراع بين الأسرتين..................................................259
3- أوسركون الثالث وبداية تفتت السلطة:..................................................262

الفصل السابع :التفتت السياسي ونهاية الدولة

أ- تفتت السلطة بين زعماء المشواش:..................................................271
I- لوحة " بي عنخ PIANKHY " وحكام مصر: ..................................................271
II- الإمارات والمقاطعات الليبية من خلال الآثار: ..................................................276
1- منف MEMPHIS: ..................................................277
2-غرب الدلتا: ..................................................278
3- وسط الدلتا: ..................................................279
- بوزريس BOUSIRIS ( أبوصير حاليا ):..................................................280
- سبنيتوس: Sebennytos ( أو سمنود)..................................................281
- منداس MENDES. ..................................................282
4-شرق الدلتا: ..................................................283
- فاربيتوس Pharbaitos ..................................................283
- بي سبتي Pisapti. ..................................................284
5- العواصم الملكية: ..................................................285
6- زعماء المشواش ومصر العليا ( الصعيد ): ..................................................286
III- اللقب " زعيم المشواش": تطوره وصلاحياته..................................................289
ب- زعماء الليبو وحلم الوحدة:..................................................294
I- زعماء الليبو: حكام غرب الدلتا..................................................295
II-خصائص زعماء الليبو وسلطهم: ..................................................302
III- تف نخت مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين: ..................................................306
1- جهود " تف نخت" لاستعادة وحدة مصر:..................................................308
2- الصراع الكوشي – الليبي ومصير وحدة مصر؟ ..................................................312
- طبيعة الصراع وأهدافه: ..................................................313
- مراحل الصراع:..................................................315

3- موقف أمراء المشواش من " بي-عنخ ":........................................ 319
4- الوضع السياسي في مصر بعد بي-عنخ:........................................ 322
أ- أوضاع مصر في عهد تف-نخت:........................................ 322
ب - أوضاع مصر في عهد بكن رنف:........................................ 323


الفصل الثامن: المظاهر الحضارية لدولة الليبيين الأمازيغ في مصر

أ-العمارة وفن النحت:........................................ 330
1-آثار الفرعون شيشنق الأول:........................................ 334
2- آثار الفرعون أوسركون الأول:........................................ 336
3- آثار الفرعون أوسركون الثاني:........................................ 337
- أعماله في بوبسطة:........................................ 338
- أعماله في تانيس........................................ 339
4- آثار متفرقة:........................................ 341
ب- فن النحت وصناعة التماثيل........................................ 342
ج- التركيبة الاجتماعية والبناء الاقتصادي للمجتمع:........................................ 347
1- الطبقة العسكرية:........................................ 350
2- طبقة الكهنة:........................................ 352
د- الحرفيون، الفلاحون والتجار:........................................ 354
هـ- تشريع الفرعون يكن – رنف (.بوخوريس.):........................................ 356
خاتمة........................................ 365
- ملاحق بمراحل تاريخ مصر وأسماء فراعنة وكهان ورد ذكرهم بالبحث........................................ 371
- ملحق رقم 1: تقسيم تقريبي لمراحل تاريخ مصر الفرعونية........................................ 371
- ملحق رقم2: أسماء وسنوات حكم فراعنة ورد ذكرهم بالبحث........................................ 372
- ملحق رقم3:أسماء لأشخاص تولوا منصب كاهن آمون الأول أثناء الحكم الليبي........................................ 373
-البيبليوغرافيا........................................ 375
- فهرس اللوحات والخرائط........................................ 381
- فهرس تحليلي للموضوع........................................ 383